

www.ibtesama.com
ليلة في
بيت النبي
صلى الله عليه وسلم
محمد
صلى الله عليه وسلم
** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة
الشيخ
محمود المصري
أبو عمار
مكتبة الصفا
www.ibtesama.com


ليلة في
بيت النبي
صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

الطبعة الأولى

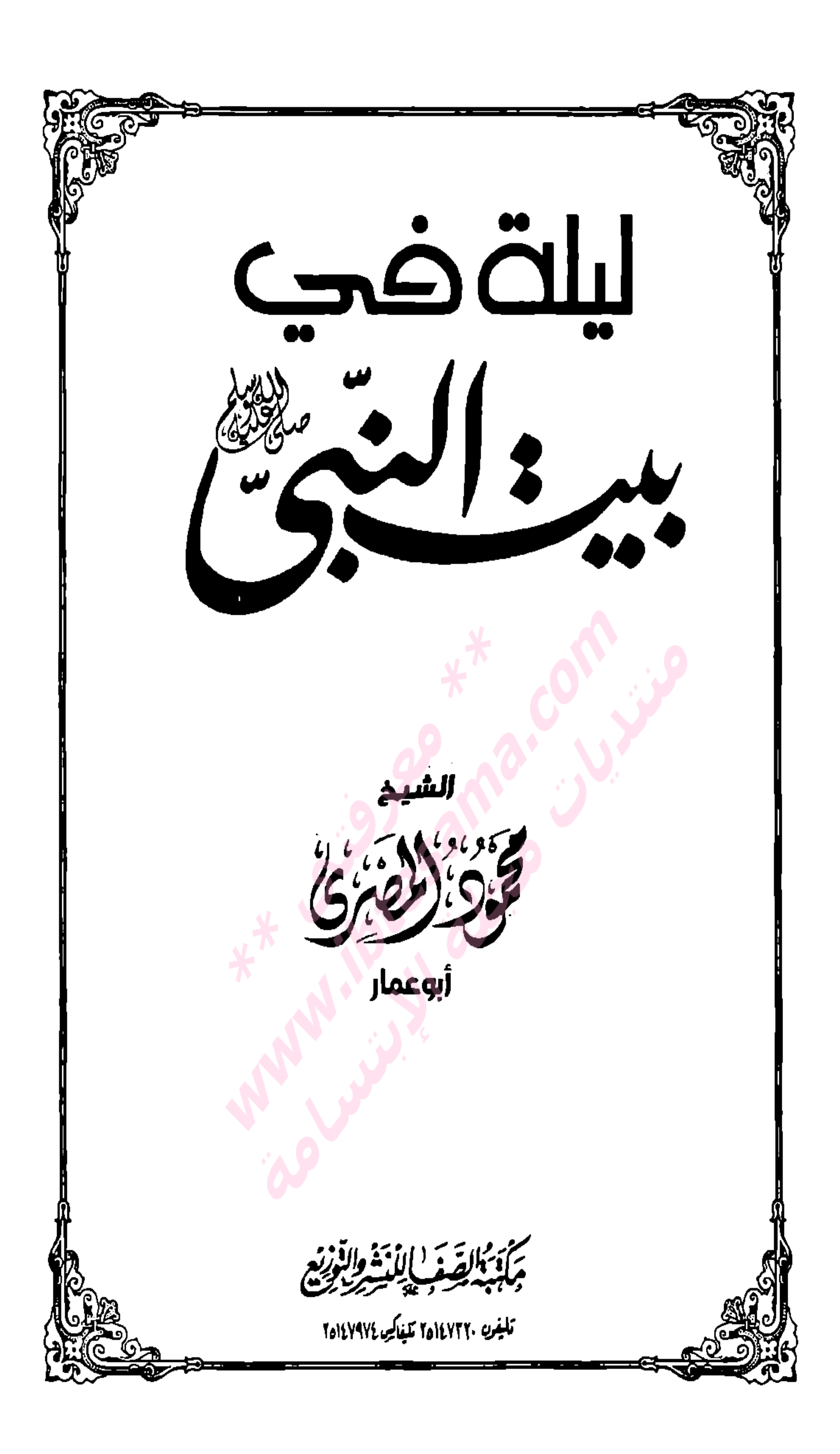
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع: ٢٤٥٩٥/ ٢٠١٠

مكتبة الصفا للنشر والتوزيع

أولاد الحاج عويس أمين صالح

١٢٧ ميدان الأزهر، أمام الجامع الأزهر، القاهرة ت ٢٥١٤٧٣٢٠
٦ درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر، ت ٠١٠١٤٣١١١٤ - تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤



ليلة في بيت النبي ﷺ

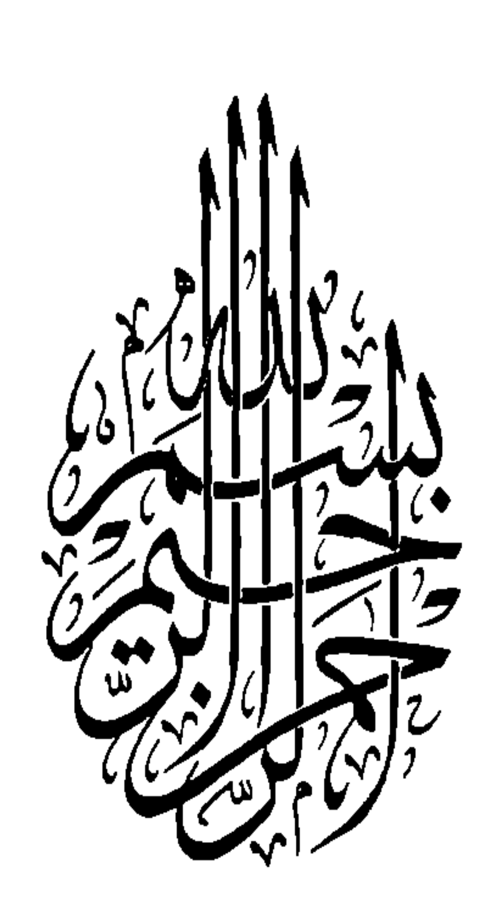
الشيخ

محمود المصري

أبو عمار

مكتبة الصفا للنشر والتوزيع

تليفون ٢٥١٤٧٣٢٠ تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

فمازال فضل الله العظيم الكريم يتوالى علينا بالتوفيق لإخراج ونشر الكتب الدينية المبينة لشرع ربنا تبارك وتعالى، فقد مَنَّ علينا سبحانه بالتوفيق لإخراج عدة طبعات جديدة للمصحف الشريف، حرصنا فيها على غاية الإتقان فى جميع ما يتعلق بها.

كما وفقنا لإخراج كتب تفسير كتاب الله العزيز سواء كان كاملاً أو مفرقًا على هيئة سورة تلو السورة، أو مجموعة سور، أو موضوع تلو الموضوع، كآيات الأحكام وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالكتاب العزيز، كما وفقنا لإخراج كتب الحديث النبوى الشريف والتى عليها قوام هذا الدين وهى بيان وتفسير لكتاب الله العزيز، والتى قام بها الجهابذة الأولون من سلفنا الصالح علماء الحديث، الذين وفقهم الله - عز وجل - لتوصيل الدين وتبليغه كتابًا وسُنة، قولاً وفعلاً، نصًا وفَهمًا وعملاً.

وقد أخرجنا بفضل الله عدة كتب، كموطإ الإمام مالك، وصحيح الإمام البخارى، ومسلم، وسير أعلام النبلاء، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى، وشرح صحيح مسلم وغيرها من الكتب المتضمنة لحديث رسول الله ﷺ رواية ودراية وشرحًا وبيانًا.

وأيضًا وفقنا لإخراج كتب العلوم الشرعية التى تخدم الكتاب والسنة بشتى

الأشكال. والتى قام بها من تبع الأولين بإحسان لبيان مراد الله - عز وجل- في كتابه وسنة رسوله ﷺ ، فى صور شتى ما بين المطول والمختصر، رحمنا الله وإياهم وغفر لنا ولهم وأحسن إلينا وإليهم.

ويسرنا اليوم أن نقدم هذا الكتاب الذى بين يديك أخى القارئ وهو كتاب «**ليلة فى بيت النبى ﷺ**»، وهو إضافة جديدة لإصداراتنا والتى ترجو من الله - عز وجل- أن يتقبلها منا قبولاً حسنًا وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين. إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله منارًا لخدمة العلم والدين

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد:

فإن الله (جل وعلا) خلقنا لغاية عظيمة جليلة أخبر عنها في كتابه فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

وجعل للجنة طريقًا واحدًا خلف النبى ﷺ فقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٢].

فكل الطُّرق إلى الجنة مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبى ﷺ ولذا قال النبى ﷺ : **«كل أمتى يدخلون الجنة إلا مَن أبَى»** قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: **«من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»**[٣].

* ولكى نطيع النبى ﷺ فلابد أن نعلم كيف كان النبى ﷺ يعبد ربه (جل وعلا) وكيف كان هديه وسُنته فى كل شىء.

ومن أجل ذلك جاءت فكرة هذا الكتاب **«ليلة فى بيت النبى ﷺ»**.

فسوف نُطلق العنان لخيالنا لنتخيل كل ليلة أننا فى بيت النبى ﷺ لنرى أحواله وأخلاقه ومعاملاته ولنتعلم ونتربَّى بين يديه ليكون ذلك حاديًا لنا لأن نتأسى ونقتدى به فى أفعاله وأقواله وأحواله فنسعد فى الدنيا بطاعته ونسعد فى الآخرة بصُحبته فى الجنة التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* **وكأنى بكم تقولون:** هيا... أفسح المجال لكى نقضى أول ليلة فى بيت النبى ﷺ ... فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع ليلة فى بيت النبى ﷺ .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

المحب للنبى الحبيب المختار

محمود المصرى

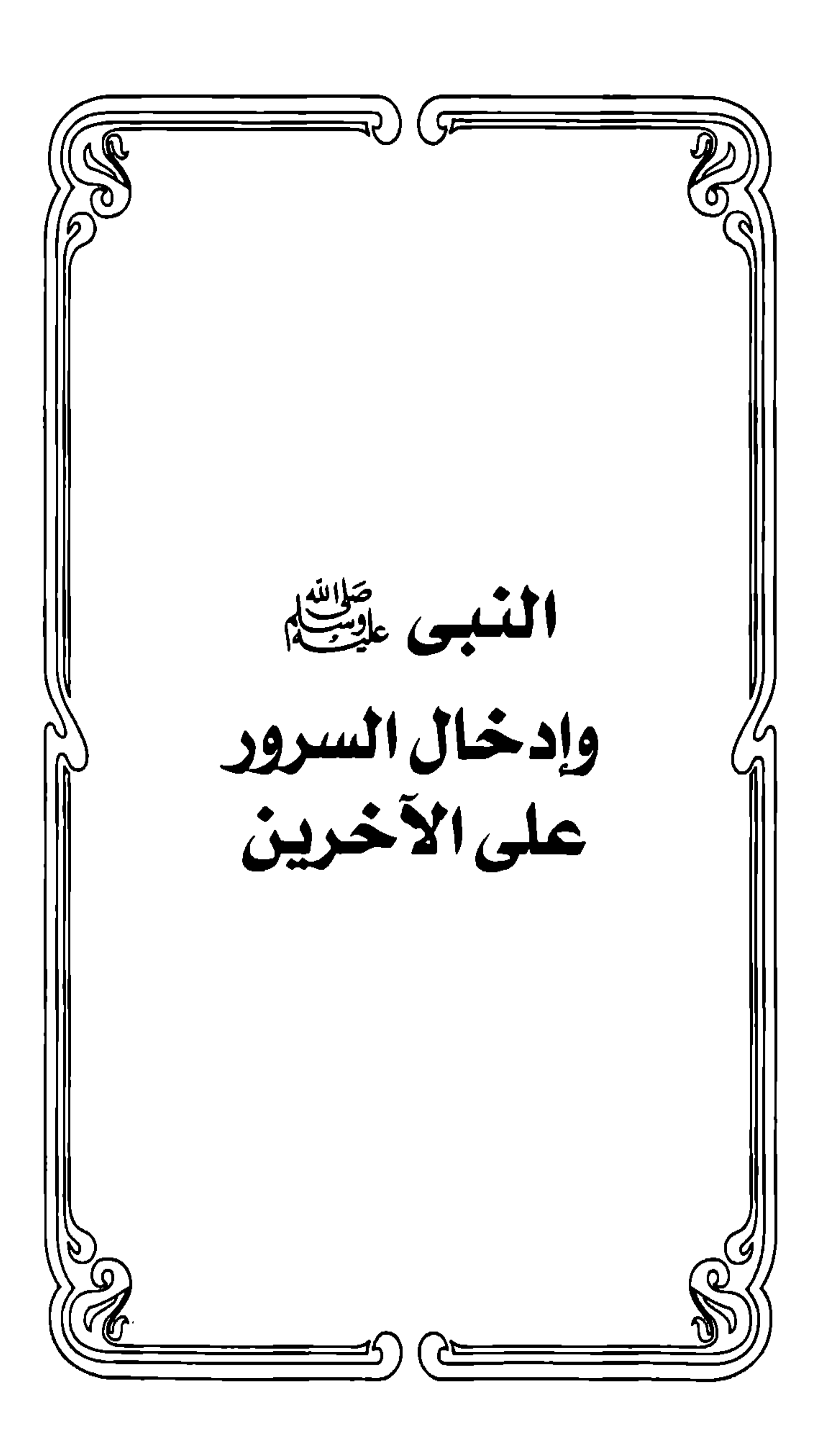
أبو عمار

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٥٣).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٥٨).

(٣) رواه البخارى (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام.



النبى ﷺ وإدخال السرور على الآخرين

النبى ﷺ وإدخال السرور على الآخرين

تعـــالـوا نزور بيت الرســـول

ونســـعـــد بنور نـبى الـوفـــا

* * *

وها نحن نتخيل مـرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة مـتجهين إلى بيت الحبيب المصطفى ﷺ لنَسعد برؤيته ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

* وها نحن نطرق الباب.. والنبى ﷺ يأذن لنا بالدخول.

فلما دخلنا وجدنا النبى ﷺ جالسًا مع بعض أصحابه ليُعلمهم عبادة لا يلتفت إليها كثيرٌ من الناس وهى عبادة: إدخال السرور على الآخرين.

فقال لهم ﷺ: «أَحَبُّ الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضى عنه دَينًا، أو تطرُد عنهُ جوعًا، ولأن أمشى مع أخى المسلم فى حاجة أحب إلىَّ من أن أعتكف فى المسجد شهرًا، ومَن كَفَّ غضبه، ستر الله عورتهُ، ومن كظم غيظًا، ولو شاء أن يُمضيهُ أمضاهُ، ملأ الله قلبه رضىً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجته حتى يُثبتها لهُ، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسدُ الخلُّ العسل»[1].

فتعالوا بنا لنتعلم كيف نُدخل السعادة على الآخرين.

* * *

(١) حسن: أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٢/ ٤٥٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٦).

احمل البشرى للناس من حولك

إن الناس يحبون من يحمل لهم البشرى.

ولقد كان النبى ﷺ يحرص كل الحرص على أن يحمل البشرى للناس من حوله... فها هو يبشر خديجة ؓ ببيتٍ فى الجنة من اللؤلؤ المجوف.

* **عن أبى هريرة ؓ قال:** أتى جبريل النبى ﷺ فقال: «يا رسول الله، هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها - عز وجل - ومنِّى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب[1] لا صخب[2] فيه ولا نصب[3] »[4].

* وهو ها يبشر عائشة ؓ بالبراءة فى قصة الإفك.

* وها هو يبشر كعب بن مالك ؓ بالبراءة بعدما تخلف عن غزوة تبوك ثم نزلت توبة الله عليه بعد خمسين يومًا.

* وها هو يبشر بعض الصحابة بالجنة.

* وها هو يبشر أبا بكر ؓ بأنه يُدعَى يوم القيامة من أبواب الجنة الثمانية.

* وها هو يبشر أمته بأن من مات على التوحيد فإنه سيكون من أهل الجنة.. حتى وإن عُذِّب ببعض ذنوبه فإن مصيره فى النهاية بأن يكون فى الجنة.

* وها هو يبشر بعض أصحابه بأن الجنة تشتاق إليهم.

---

(١) من قصب: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف.

(٢) صخب: هو الصوت المختلط المرتفع.

(٣) نَصَب: المشقة والتعب.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٢١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة.

قال ﷺ: «اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: عليّ وعمار وبلال»[(١)].

* بل ويبشر بلالاً بأنه سمع صوت نعليه أمامه فى الجنة.

* وهكذا كان النبى ﷺ يحرص كل الحرص على حمل البشرى لكل من حوله..

*** أيها الأخ الحبيب... أيتها الأخت الفاضلة:**

أين نحن من تلك الصفة؟..... ولماذا لا نحمل البشرى لكل من حولنا لنُدخل عليهم السعادة والسرور.

- فإن علم الواحد منا خبرًا يُدخل الفرحة والسرور على قلب أخيه فلماذا لا يبادر ويكون أول من يبشره... فهذا كله من كمال الإيمان.

- فلنحرص كل الحرص على أن نحمل البشريات الجميلة لإخواننا لتسعد قلوبهم ويكون ذلك كله فى ميزان حسناتنا.

الاهتمام بمشاعر الناس والفرح لفرحهم

الناس عمومًا يحبون أن يشعروا بقيمتهم.. لذا تجدهم أحيانًا يقومون ببعض التصرفات ليُلفتوا النظر إليهم..! وقد يخترعون قصصًا وبطولات لأجل أن يهتم الناس بهم أو يعجبوا بهم أكثر..

لو رجع رجل إلى بيته قادمًا من عمله متعبًا.. فلما دخل صالة البيت رأى أولاده الأربعة كل واحد منهم على حال.. أكبرهم عمره إحدى عشرة سنة.. يتابع برنامجًا فى التلفاز.. والثانى يأكل طعامًا بين يديه.. والثالث يعبث بألعابه.. والرابع يكتب فى دفاتره..

فسلَّم الأب بصوت مسموع.. السلام عليكم.. فلم يلتفت إليه أحد.. ذاك منهمك مع برنامجه.. والثانى مأخوذ بألعابه.. والثالث مشغول بطعامه.. إلا الرابع.. فإنه لما التفت فرأى أباه.. نفض يده من دفاتره

(١) حسن: رواه الترمذى (٣٧٩٧)، وأبو يعلى (١٢/ ١٤٢) وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

وأقبل مُرحِّبًا ضاحكًا.. وقبَّل يد أبيه.. ثم رجع إلى دفاتره..

أى هؤلاء الأربعة سيكون أحب إلى الأب؟

أجزم أن جوابنا سيكون واحداً: أحبهم إليه الرابع.. ليس لأنه يفوقهم جمالاً أو ذكاءً.. وإنما لأنه أشعر أباه بأنه إنسان مهمٌ عنده.. كلما أظهرت الاهتمام بالناس أكثر.. كلما ازدادوا لك حبًّا وتقديراً..كان سيد الخلق ﷺ يراعى ذلك فى الناس.. يُشعر كل إنسان أن قضيَّته قضيتُهُ.. وهمهَّ همُّه..[(١)].

* ومن ذلك ما فعله طلحة بن عُبيد الله مع كعب بن مالك رضي الله عنه.

فعندما تخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك.. وأمر النبى ﷺ أصحابه بهجر كعب بن مالك وصاحبيه هلال بن أمية ومرارة بن الربيع لأنهما أيضًا تخلَّفا عن الخروج لغزوة تبوك.. واستمر الهجر خمسين يومًا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم.

وفى الليلة الخمسين.. نزلت توبتهم على النبى ﷺ فى ثلث الليل.. وكان ﷺ فى بيت أم سلمة... فتلا الآيات.. فقالت أم سلمة رضي الله عنها:

يا نبى الله.. ألا نُبشِّر كعب بن مالك؟

قال: «إذاً يحطمكم الناس.. ويمنعونكم النوم سائر الليلة»..

فلما صلى النبى ﷺ الفجر.. آذن الناس بتوبة الله عليهم.. فانطلق الناس يبشرونهم..

قال كعب: وكنت قد صليت الفجر على سطح بيت من بيوتنا..

فبينما أنا جالس على الحال التى ذكر الله تعالى... قد ضاقت علىَّ نفسى.. وضاقت علىَّ الأرض بما رَحُبَت.. وما من شىء أهم إلىَّ من أن أموت فلا يصلى علىَّ رسولُ الله ﷺ.. أو يموت فأكون من الناس بتلك

(١) استمتع بحياتك / د. محمد العريفى (ص:٩٦).

المنزلة.. فلا يكلمنى أحد منهم.. ولا يصلى علىَّ..

فبينما أنا على ذلك.. إذ سمعت صوت صارخ على جبل سلع بأعلى صوته يقول: ياااااا كعب بن مالك!.. أبشر.. فخررت ساجداً.. وعرفت أن قد جاء فرج من الله.. وأقبل إلىَّ رجل على فرس.. والآخر صاح من فوق جبل.. وكان الصوت أسرع من الفرس..

فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى.. نزعت له ثوبىَّ فكسوته إياهما ببشراه.. والله ما أملك غيرهما.. واستعرت ثوبين فلبستهما.. وانطلقت إلى رسول الله ﷺ.. فتلقانى الناس فوجًا.. فوجًا..

يهنئونى بالتوبة.. يقولون: ليهنك توبة الله عليك.. حتى دخلت المسجد.. فإذا رسول الله ﷺ جالس بين أصحابه..

فلما رأونى والله ما قام منهم إلىَّ إلا طلحة بن عبيد الله.. قام فاعتنقنى وهنأنى.. ثم رجع إلى مجلسه.. فوالله ما أنساها لطلحة..

والشاهد من هذه القصة.. أن طلحة رضي الله عنه لما رأى كعبًا قام إليه واعتنقه وهنأه.. فزادت محبة كعب له.. حتى كان يقول بعد موت طلحة.. وهو يحكى القصة بعدها بسنين: فوالله لا أنساها لطلحة.. وماذا فعل طلحة حتى يأسر قلب كعب؟ فَعَل مهارة زائدة.. اهتمَّ به.. شاركه فرحته.. فصار له عنده حظوة..

الاهتمام بالناس ومشاركتهم فى مشاعرهم يأسر قلوبهم.. لو كنت فى زحمة الامتحانات.. ووصلت إلى هاتفك المحمول رسالة مكتوب فيها.. بشرنى عن امتحاناتك والله إن بالى مشغول عليك وأدعو لك، صديقك إبراهيم..

أليس ستزداد محبتك لهذا الصديق؟ بلى..

ولو كان أبوك مريضًا فى المستشفى.. فبقيت معه فى غرفته وأنت

مشغول البال عليه.. واتصل بك صديق وسألك عنه..

وقال: تحتاج مساعدة؟ نحن فى خدمتك.. فشكرته..

ثم فى المساء اتصل وقال: إذا كان الأهل يحتاجون أى شىء أشتريه لهم فأخبرنى.. فشكرته ودعوت له.. ألا تشعر أن قلبك ينجذب إليه أكثر..؟[1].

أخبر الناس بحبك لهم

قال ﷺ : «إذا أحب أحدكم أخاه فليُعلمه أنه يحبه»[2] وفى رواية: **«إذا أحب أحدكم أخاه فى الله فليعلمه فإنه أبقى فى الألفة وأثبت فى المودة»**[3].

وكما حدث بين أبى إدريس الخولانى عندما قال لمعاذ بن جبل: والله إنى لأحبك لله... ولك أن تتخيل معى أن أخاك المسلم أقبل عليك وقال لك إنى أحبك فى الله... ألا تتحرك عاطفة المحبة فى قلبك لأخيك وتشعر وقتها بأن لك مكانة فى قلب إخوانك المؤمنين فتزداد حبًا لهم؟!!!

لا بأس أن تُعبر عن محبتك للآخرين بكل صراحة.. سواء كانوا أبًا أو أمًا.. أو زوجة أو أبناء.. أو زملاء وجيران.. لا تكتم مشاعرك نحوهم.. قل لمن تحبه: أنا أحبك.. أنت غالٍ إلى قلبى.. حتى لو كان عاصيًا قل له: إنك أحب إلىَّ من أناس كثيييير.. ولم تكذب فهو أحب إليك من ملايين اليهود.. أليس كذلك.. كن ذكيًّا..

أذكر أنى ذهبت مرة لأداء العمرة.. وكنت خلال الطواف والسّعى أدعو للمسلمين جميعًا.. بالحفظ والنصر والتمكين.. وربما قلت: اللهم اغفر لى واغفر لأحبابى وأصحابى.. وبعد انتهائى من شعائرها.. حمدت الله على التيسير..

(١) استمتع بحياتك (ص:١٠١-١٠٣) بتصرف.

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (٥١٢٤) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٩٢) كتاب الزهد،وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٧٩).

(٣) **حسن:** ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان (ص١٢٠ ، رقم ٦٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٠).

ثم استأجرت فندقا لأبيت فيه.. فلما وضعت رأسى على وسادتى كتبت رسالة عبر الهاتف المحمول أقول فيها: «الآن أنهيت العمرة وتذكرت أحبابى وأنت منهم فلم أنسَك من الدعاء الله يحفظك ويوفقك».. انتهت الرسالة..

أرسلتها إلى الأسماء المخزنة فى ذاكرة الهاتف.. كانت خمسمائة اسم.. لم أكن أتصور التأثير العجيب لهذه الرسالة فى قلوب الآخرين..

منهم من أرسل إلىّ: والله إنى أبكى وأنا أقرأ رسالتك.. أشكرك أنك ذكرتنى بدعائك..

وآخر كتب: والله يا أخى ما أدرى بِمَ أرد عليك! ولكن جزاك الله خيراً..

والثالث كتب: أسأل الله أن يستجيب دعاءك.. ونحن والله لا ننساك..

نحن فى الحقيقة نحتاج بين الفينة والأخرى أن نُذَكِّر الناس بأننا نحبهم.. وأن كثرة مشاغل الدنيا لم تُنسنا إياهم.. ولا بأس أن يكون ذلك بمثل هذه الرسائل.. يمكن أن تكتب إلى أحبابك: دعوت لكم بين الأذان والإقامة.. أو فى ساعة الجمعة الأخيرة.. وإذا كانت نيتك صالحة فلن يكون فى هذا إظهار للعمل أو رياء.. وإنما زيادة أُلفة ومحبة بين المسلمين..[١].

* * *

(١) استمتع بحياتك (ص: ١٠٦-١٠٧).

كُن لمَّاحًا

قسم كبير من الأشياء التى نمارسها فى الحياة.. نفعلها لأجل الناس لا لأجل أنفسنا.. عندما تُدعى لوليمة عُرسٍ.. فتلبس أحسن ثيابك.. إنما تفعل ذلك لأجل لفت انتباه الناس وجذب إعجابهم.. لا لأجل لفت انتباه نفسك..

وتفرح إذا لاحظت أنهم أُعجبوا بجمال هيئتك.. أو رونق ثيابك.. وعندما تؤثث مجلس ضيوفك.. وتتكلف فى تزويقه والعناية به.. إنما تفعل ذلك أيضًا لأجل نظر الناس.. لا لأجل نظر نفسك.. بدليل أنك تعتنى بغرفة استقبال الضيوف أكثر من عنايتك بالصالة الداخلية.. أو بحمام أطفالك!!

عندما تدعو أصحابك إلى طعام.. ألا ترى أن زوجتك - وربما أنت - تعتنى بترتيب الطعام وتنويعه أكثر من العادة..

بلى.. وكلما زادت أهمية هؤلاء الأصحاب.. زادت العناية بالطعام.. وكم تكون سعادتنا غامرة عندما يُثنى أحد على لباسنا أو ديكورات بيوتنا.. أو لذة طعامنا.. وقد قال ﷺ : «**وليأتِ إلى الناس الذى يحب أن يأتوا إليه**» أى: عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به.. كيف..؟!

رأيت على صاحبك ثوبًا جميلاً.. انتبه له.. اثنِ عليه.. أسمعه كلماتٍ رنانة.. ما شاء الله!! ما هذا الجمال!! اليوم كأنك عريس!!

زارك رجل يومًا فشممت من ثيابه عطرًا فواحًا جميلاً.. اثنِ عليه.. تفاعل معه.. كُن لماحًا.. فهو ما وضع العطر إلا لأجلك.. ردِّد عبارات جميلة: ما هذه الروائح.. ما أحسن ذوقك..

دعاك شخص لطعام.. اثنِ على طعامه.. فإنك تعلم أن أمه أو زوجته

أو أختِه وقفت ساعات فى المطبخ لأجلك.. أو لأجل المدعوين عمومًا..
وأنت منهم.. أو أنه على الأقل تعب فى إحضاره من المطعم ومحل الحلويات.. و.. فأسمعه كلمات تجعله يشعر أنك مُمتنّ له بما قدم لك..
وأن تعبه لم يذهب سُدًى..

دخلتَ بيت أحد أصدقائك - أو دخلتِ بيت إحدى صديقاتك- فرأيت أثاثًا جميلاً.. فأثنِ على الأثاث.. والذوق الرفيع.. (لكن انتبه لا تبالغ حتى لا يشعر أنه استهزاء)..

حضرت فى مجلس عام.. فسمعت أحدًا يتكلم مع الحاضرين بانطلاق.. وقد أحيا المجلس.. وأسعد الحاضرين.. أثنِ عليه.. خذ بيده إذا قمتم.. قل له: ما شاء الله..!! ما هذه القدرات!! بصراحة ما ملَّح المجلس إلا حضورك.. جرِّب افعل ذلك.. فسوف يحبك..

رأيت موقفًا جميلاً لولد مع أبيه.. قبَّل يدَه.. قرَّبَ إليه نعليه.. أثنِ على الولد.. كن لماحًا.. لبسَ ثوبًا جديدًا.. أثن عليه.. كن لماحًا..
زرت أختك.. رأيت عنايتها بأولادها.. كُن لماحًا.. أثنِ عليها.. رأيت عناية صاحبك بأولاده.. أو روعة ترحيبه بضيوفه..

كُن جريئًا.. لماحًا.. أثن عليه.. أخرج ما فى صدرك من الإعجاب به.. ركبت مع شخص فى سيارته.. أو استأجرت تاكسى.. لاحظت نظافة سيارته.. حُسنَ قيادته.. كن لماحًا.. أثن عليه..

قد تقول: هذه أمور عادية.. صحيح لكنها مؤثرة.

نعم.. كن لماحًا.. التحكم بعواطف الناس وكسب محبتهم سهل جدًّا.. لكننا فى أحيان كثيرة نغفل عن ممارسة مهارات عادية نكسبهم بها..
ولا تعجب إن قلت: إن صاحب الخلق العظيم ﷺ كان يمارس هذه المهارات.. وأحسن منها.. فى أول سنين الإسلام.. لما ضُيِّق على

المسلمين فى دينهم بمكة.. هاجروا إلى المدينة.. تركوا ديارهم وأموالهم..
قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة مهاجراً..

وكان عبد الرحمن فى مكة تاجراً مُمكَّناً.. لكنه جاء المدينة فقيراً مُعدمًا.. كحلٍّ سريعٍ للمشكلة.. آخى النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار.. آخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع الأنصارى.. كانت نفوسهم سليمة.. وقلوبهم صافية.. فقال سعد لعبد الرحمن: أى أُخىَّ.. أنا أكثر أهل المدينة مالاً.. فاقسم مالى نصفين.. فخذ نصفه وأبقِ لى نصفه.. ثم خشى سعد أن عبد الرحمن يريد أن يتزوج.. ولا يجد زوجة.. فعرض عليه أن يزوجه..

فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلك ومالك.. دُلنى على السوق..!!

صحيح.. عبد الرحمن ترك ماله فى مكة واستولى عليه الكفار.. لكنه كان ذا عقلٍ راجح.. وخبرة تجارية واسعة..

دلَّه سعد على السوق.. فذهب فاشترى وباع فربح.. يعنى اشترى بضاعة بالآجل ثم باعها حالة.. فصار عنده رأسمال تاجر فيه.. وكان يتقن فن البيع والشراء.. حتى جمع مالاً فتزوج.. ثم جاء إلى النبى عليه الصلاة والسلام.. وعليه أثر زعفران.. أى أثر طِيب نساء..!! ليس غريبًا فهو (عريس).. النبى ﷺ طبيبُ النفوس.. كان لماحًا.. يترقب الفرص لاصطياد القلوب.. أول ما رآه.. انتبه لهذا التغيُّر.. وجعل ينظر إلى أثر الطيب ويقول لعبد الرحمن: «مهيم؟».. أى ما الخبر؟

ابتهج عبد الرحمن.. وقال: يا رسول الله.. تزوجت امرأة من الأنصار.. عجب النبى ﷺ.. كيف استطاع أن يتزوج وهو حديث عهد بهجرة..!!

فقال: «فما أصدقتها؟».

فقال: وزن نواة من ذهب. .

فأراد ﷺ أن يزيد من فرحته.. فقال: «أولِم ولو بشاة». . - يعنى اصنع وليمة لنا بمناسبة زواجك -. . ثم دعا له النبى ﷺ . . بالبركة فى ماله وتجارته. . فحلَّت البركة عليه. .

قال عبد الرحمن وهو يصفُ كسبه وتجارته: فلقد رأيتنى ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهبًا وفضة. .[1].

احرص على مواساة الناس من حولك

لا شك أن الناس جميعًا يحبون من أحسن إليهم أو اصطنع معروفًا لهم أو كان مواسيًا لهم بأى صورة كانت.

* **أنواع المواساة:**

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: المواساة للمؤمنين أنواع:

الأول: مواساة بالمال. .

الثانى: مواساة بالجاه.

الثالث: مواساة بالبدن والخدمة.

الرابع: مواساة بالنصيحة والإرشاد.

الخامس: مواساة بالدعاء والاستغفار لهم.

السادس: مواساة بالتوجع لهم.

قال: وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوى قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له.

(١) استمتع بحياتك (ص:١١١ - ١١٤) بتصرف.

ودخلوا على بِشر الحافى فى يومٍ شديد البرد، وقد تجرَّد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم، وليس لى ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم فى بردهم[١].

* ولقد كان النبى ﷺ يحض أصحابه وأمته من بعدهم على مواساة الناس.

* ولذلك ينبغى على كل مسلم أن يحرص على اصطناع المعروف ومواساة الناس من حوله ولو بالقليل.. فرُب عملٍ قليل تُكثره النية الصالحة فقد قال رسول الله ﷺ: **«لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»**[٢].

* ومن المعلوم أن اصطناع المعروف من أعظم سُبل النجاة من كُرب يوم القيامة ومن أسباب الفوز بستر الله فى الدنيا والآخرة.

لقول رسول الله ﷺ: **«من نفَّس عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه»**[٣].

* عن عبد الرحمن بن أبى بكر رضي الله عنهما أن أصحاب الصُّفة كانوا ناسًا فقراء، وإن رسول الله ﷺ قال مرة: **«من كان عنده طعام اثنين، فليذهب بثلاثة، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس،... بسادس»**[٤].

* **عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب:** إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ فى السفر والحضر، يعود مرضانا، ويتبعُ جنائزنا، ويغزو

---

(١) الفوائد (ص ٢٢٤).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٥٨١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٥٧) كتاب الأشربة.

معنا، ويواسينا بالقليل والكثير، وإن ناسًا يُعلمونى به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط[١].

***** **بل هذا حال سلفنا الصالح مع المواساة.**

***** **عن شُعبة** رحمه الله **قال:** لما توفى الزبير لقى حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير، فقال: كم ترك أخى فى الدَّين؟ قال: ألف ألف، قال: علىَّ خمسمائة ألف[٢].

***** **وعن أبى حمزة الثمالى** رحمه الله **قال:** إن علىّ بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين فى الظُّلمة، ويقول: إن الصدقة فى سواد الليل تطفئ غضب الرب[٣].

***** **وعن عمرو بن ثابت** رحمه الله **قال:** لما مات على بن الحسين وجدوا بظهره أثرًا مما كان ينقل الجُرُب[٤] بالليل إلى منازل الأرامل[٥].

***** **وعن محمد بن إسحاق** رحمه الله **قال:** كان ناسٌ من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات على بن الحسين، فقدوا ذلك الذى كانوا يؤتَون بالليل[٦].

ازرع الفرحة فى قلوب الناس

اعلم أيها الأخ الحبيب أنك إن لم تَزد على الدنيا شيئًا فأنت زائدٌ عليها... فلابد أن يكون لك إنجاز فى هذا الكون ولابد أن يكون لك أثرٌ فى قلوب الناس.

---

(١) رواه أحمد (٦٠٥) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٢) نزهة الفضلاء (١/٢١٩).

(٣) نزهة الفضلاء (١/٤٠٦).

(٤) الجرب جمع جريب وهو وعاء يحمل فيه الطعام والدقيق ونحوهما.

(٥) نزهة الفضلاء (١/٤٠٦، ٤٠٧).

(٦) نزهة الفضلاء (١/٤٠٦).

ولو قيل لك: إن المطر سينزل فى بلدك فقل: بل أتمنى أن ينزل فى كل بلاد المسلمين. .

ولو قيل لك: ستدخل الجنة وحدك فقل: بل أتمنى أن يدخل معى كل المسلمين.

وهكذا ينبغى عليك أن تُحب الخير لكل الناس من حولك وأن تحرص على زرع الفرحة فى قلوب الناس.

وتلك قصة تتعلق بذاكم الموضوع، . . . قصة من أروع القصص وأجملها وهى قصة موثقة لرجل عمره خمسون سنة كان مصابًا بالسرطان، وتعب مع الأطباء، وحاروا فى علاجه؛ حتى استشار أحد الشيوخ فيما يفعل؟

فقال له: ابحث عن عائلة محتاجة وتولَّها بالرعاية؛ فراح يبحث عن العائلة إلى أن لقى امرأة معها ثلاثة أيتام؛ فأرسل أحد عُماله إليهم، ومن الصباح راح يتكفل لهم بكل شىء يحتاجونه، فأكمل أثاث البيت ووفر لهم كل شىء قبل أذان العصر، وانصرف، فسمع الأم تدعو وتقول: اللهم إنى أسألك لمن أدخل السرور فى قلوبنا أن تُدخل السرور فى قلبه.

ومع أذان العصر رجع العامل لصاحب المال فقال له: ما الذى حصل؟

والعامل لما عاد وجد الرجل الذى كان طريح الفراش واقفًا فرحًا فسأل صاحب المال عامله عن دعوة هذه المرأة متى كانت؟

قال: عند أذان العصر.

قال: والله العظيم رأيت كأن ملكًا مسح على صدرى فى وقت أذان العصر وقمت من الفراش على تلك الحال التى ترانى[1].

* * *

(١) ضع بصمتك / د. محمد العريفى (ص: ١٣٤).

ابتسم ثم ابتسم

إن البسمة تُدخل السعادة على قلبك وعلى الآخرين.

- وحسبُنا أن نعلم أن النبى ﷺ أوصى بها وجعلها من الصدقات التى يؤجَر عليها المسلم فقال ﷺ: **«تبسُّمك فى وجه أخيك لك صدقة»**[1].

- بل جعل النبى ﷺ ذلك من قبيل المعروف فقال ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلقٍ له»[2].

* ولذا فعليك أن تُكثر من التبسّم.

فهذا هو هدى نبينا ﷺ . . . فعن عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ »[3].

قال جرير بن عبد الله البجلى: ما رآنى رسول الله ﷺ إلا تبسَّم فى وجهى . .

*** الابتسامة أنواع.. ومراتب..**

فمنها البشاشة الدائمة . . أن يكون وجهك صبوحًا مبتهجًا دائمًا . .

فلو كنت مُدرسًا ودخلت الفصل على طُلابك . .

فالقهم بوجهٍ بشوش . . ركبت طائرة ومشيت فى الممر والناس ينظرون إليك كن بشوشًا . . دخلت بقالة أو محطة وقود . . مددت له الحساب . . ابتسم . .

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى (١٩٥٦) كتاب البر والصلة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٩٠٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) **صحيح** : رواه الترمذى (٣٦٤١) كتاب المناقب، وأحمد (١٧٢٥١) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن الترمذى.

ولو كنت في مجلس.. ودخل شخص وسلم بصوت عالٍ.. ومَرَّ بنظره على الجالسين.. ابتسم.. ولو دخلت على مجموعة وصافحتهم.. ابتسم..

*** وعمومًا:**

الابتسامة لها من التأثير الكبير في امتصاص الغضب والشك والتردد..

ما لا يشاركها غيرها..

البطل هو الذي يستطيع التغلب على عواطفه.. ويتبسم..

حتى في أحلك المواقف..

* كان أنس بن مالك رضي الله عنه يمشي مع النبي ﷺ يومًا..

والنبي ﷺ عليه بُرد نجراني غليظ الحاشية..

فلحقهما أعرابي..

أقبل هذا الأعرابي يجري وراء النبي ﷺ يريد أن يلحق به.. حتى إذا اقترب منه.. جبذه بردائه جبذة شديدة.. فتحرك الرداء بعنف على رقبة النبي ﷺ..

قال أنس: حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ.. قد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جبذته..

فماذا يريد هذا الرجل؟!

لعل بيته يحترق وأقبل يريد معونة..

أو أحاطت به غارة من المشركين.. فأقبل فزعًا يريد نصرة..

اسمع ماذا يريد...

قال: يا محمد.. (لاحظ لم يقل: يا رسول الله)..

قال: يا محمد.. مُر لي من مال الله الذي عندك..

فالتفت رسول الله ﷺ.. ثم ضحك.. ثم أمر له بعطاء..

نعم.. كان ﷺ بطلاً، لا تستفزه مثل هذه التصرفات.. ولا يعاقب

أو تثور أعصابه على التفاهات..

كان قويًّا يضبط أعصابه..

دائم الابتسامة حتى فى أحلك الظروف.. يفكر فى عواقب الأمور قبل أن يفعلها.. وماذا يفيد لو أنه صرخ بالرجل أو طرده!

هل سيشفى جرح عنقه؟! أو يصلح أدب الرجل؟! كلا..

إذن ليس مثل الصبر والتحمل.. نعم بعض الأمور نثور لها ونغضب.. وعلاجها شىء آخر تمامًا.. نعالجها بالرفق واللين.. والتبسم.. وإحسان الظن.. وكظم الغيظ.. وكسب الناس..

وصدق ﷺ لما قال: «ليس الشديد بالصُّرعة.. إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب».. كان النبى الكريم ﷺ يجذب الناس بالتبسم والبشاشة..[1].

تهادوا تحابوا

من المعلوم أن الهدية لها مفعول السحر الحلال فى تأليف القلوب واستجلاب محبة الناس.. ولذلك حَثَّ النبى ﷺ على ذلك فقال ﷺ : **«تهادوا تحابوا»**[2].

- بل حَثَّ النبى ﷺ على قبول الهدية مهما كانت صغيرة أو كبيرة ونهى عن ردِّ الهدية.

- **فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ : **«أجيبوا الداعى، ولا تردوا الهدية»**[3].

---

(١) استمتع بحياتك (ص: ٢٥١-٢٥٢).

(٢) **حسن**: رواه البخارى فى الأدب المفرد (١/٢٠٨، رقم ٥٩٤)، البيهقى (٦/١٦٩، رقم ١١٧٢٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٠٤).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣٨٢٨) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٨).

* يقول أحد الدعاة :

أحيانًا لا تتكرم على الشخص مباشرة.. وإنما تتكرم على من يحبهم.. فيحبك..

زارنى أحد الأصدقاء يومًا.. وكان يحمل كيسًا فيه عدد من الحلويات والألعاب.. أظنها لم تكلفه بضعة ريالات.. ناولنى إياها وقال: هذا للأولاد.. فرح بها الصغار.. وفرحت بها أنا لأنه أشعرنى أنه يحب إدخال السرور على أولادى..

*كان أحد السلف عالمًا.. لكنه كان فقيرًا..

فكان طُلابه يهدون إليه بين فترة وأخرى أنواعًا من الهدايا.. تمر.. دقيق..

وكان الطالب إذا أهدى إليه.. لم يزل الشيخ مكرمًا له مقبلاً عليه مادامت هديته باقية.. فإذا انتهت.. رجع إلى طبعه الأول..

فكر أحد طلابه بهدية يحملها إلى الشيخ..

تكون معقولة الثمن..

وتطول مدة بقائها..

فأهدى إليه كيس ملح..

فالملح ثمنه قليل..

ويطول بقاؤه فى البيت لأنه لا يُستعمل منه إلا الشىء اليسير..

فقد يكفى الكيس الواحد لمدة سنة أو سنتين..

ولو استشرتنى فى هديتين ستهدى إحداهما إلى صديق..

أولاهما زجاجة عطر رائع.. ثمين..

أو ساعة حائطية تكتب عليها إهداءً باسمه..

لاخترت الساعة..

لأنها يطول بقاؤها.. ويراها دائمًا.. وربما يكون ثمنها أقل..

* أذكر أن أحد طلابى أهديته ساعة حائطية فيها إهداء باسمه..

تخرج من الكلية.. ومرت السنون..

ثم زرت إحدى المدن لإلقاء محاضرة فتفاجأت به يحضر المحاضرة ويدعونى إلى بيته..

فلما دخلت مجلس الضيوف فإذا به يشير إلى الساعة المعلقة على الحائط.. ويقول: هذه أغلى هدية عندى..[1].

إدخال السعادة على الفقراء

عدد من الناس اليوم أخلاقهم تجارية..

فالغنى فقط هو الذى تكون نُكتَه طريفة فيضحكون عند سماعها.. وأخطاؤه صغيرة.. فيتغاضون عنها..

أما الفقراء فَنُكَتهم ثقيلة.. يُسخَر بهم عند سماعها.. وأخطاؤهم جسيمة.. يُصرَخ بهم عند وقوعها..

أما رسول الله ﷺ فكان عطفه على الغنى والفقير سواء..

* **قال أنس** رضي الله عنه: كان رجل من أهل البادية اسمه زاهر بن حرام..

وكان ربما جاء المدينة فى حاجة فيهدى للنبى ﷺ من البادية شيئًا من أقط أو سمن.. فيُجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج إلى أهله بشىء من تمر ونحوه..

وكان النبى ﷺ يحبه.. وكان يقول: «إن زاهرًا باديتنا.. ونحن حاضروه».. وكان زاهرًا دميمًا..

خرج زاهر رضي الله عنه يومًا من باديته.. فأتى بيت رسول الله ﷺ.. فلم

(١) استمتع بحياتك (ص: ٣١٠).

يجده.. وكان معه متاع فذهب به إلى السوق..

فلما علم به النبى ﷺ مضى إلى السوق يبحث عنه.. فأتاه فإذا هو يبيع متاعه.. والعرق يتصبب منه.. وثيابه ثياب أهل البادية بشكلها ورائحتها..

فاحتضنه ﷺ من ورائه، وزاهر لا يُبصره.. ولا يدرى مَن أمسكه..

ففزع زاهر وقال: أرْسِلنى.. مَن هذا؟

فسكت النبى عليه الصلاة والسلام..

فحاول زاهر أن يتخلص من القبضة.. وجعل يلتفت وراءه.. فرأى النبى ﷺ فاطمأنت نفسه..

وسكن فزعه..

وصار يُلصق ظهره بصدر النبى ﷺ حين عرفه.. فجعل النبى ﷺ يمازح زاهرًا.. ويصيح بالناس يقول:

«من يشترى هذا العبد؟»..

«من يشترى هذا العبد؟»..

فنظر زاهر فى حاله.. فإذا هو فقير كسير.. لا مال.. ولا جمال..

فقال: إذًا والله تجدنى كاسدًا يا رسول الله..

فقال ﷺ : «لكنّك عند الله لست بكاسد.. أنت عند الله غال»..

فلا عجب أن تتعلق قلوب الفقراء به ﷺ وهو يملكهم بهذه الأخلاق..

كثير من الفقراء.. قد لا يعيب على الأغنياء البخل عليه بالمال والطعام.. لكنه يعيب عليهم بُخلهم باللطف وحسن المعاشرة..

وكم من فقير تبسمت فى وجهه..

وأشعرته بقيمته واحترامه..

فرفع فى ظلمة الليل يدًا داعية..

يستنزل بها لك الرحمات من السماء. .

ورُب أشعث أغبر ذى طمرين مدفوع بالأبواب لا يؤبَه له. . لو أقسم على الله لأبرَّه. . فكن دائم البِشر مع هؤلاء الضعفاء. [(١)]

فكرة طيبة

ونمى إلى علمي أن بعض الناس أدخلوا السرور على مجموعة من العمال، وتعاون معهم أحد المطاعم؛ فجزاهم الله خيرًا.

فبعض العمال يسمع عن المشويات، يسمع عن العصير، يسمع عن الحلويات؛ لكن ربما لم يذقه يومًا، أو لم يدخل إلي مطعم فاخر يومًا. . . فهؤلاء جزاهم الله خيرًا نسقوا مع أحد المطاعم وتبرع أن يطعم عنده أو أن يستضيف عنده بالمجان عددًا من العمال، ونذكر أيضًا أن هؤلاء لم يتحرجوا من وجود هؤلاء العمال معهم في السيارة، - فجزاهم الله خيرًا -.

وسألناهم عن السر فى عدم إعطائهم أموالاً بدل أن يفعلوا هذا، فكانت الإجابة أنهم أرادوا أن يجعلوهم يشعرون بنفس إحساسهم عندما يُدخلونهم هذا المكان؛ وأن هذا العمل سيجعلهم أكثر سرورًا مما لو أعطوهم الصدقة، وذكروا شيئًا جميلاً أنهم يكونون مسرورين أكثر ممن أدخلوا عليهم السرور.

والشيء بالشيء يُذكَر... فهذا رجل آخر يقول: كنت أذهب إلى المسجد، فأمرّ بعامل يكنس، وكان معى عطور شرقية طيبة، فقلت: تعالَ يا فلان، ما اسمك؟ وعرفت من اسمه أنه غير مسلم. فطيبته واستمر الحال على هذا ثلاثة أو أربعة أيام، أُسلِّم عليه وأُطيبه؛ وكان هذا العمل سببًا فى دخوله الإسلام.

أى والله. . . بعطر ثمنه يسير؛ لكنه أدخل عليه السرور[(٢)] .

---

(١) استمتع بحياتك (ص:٢٨-٢٩).

(٢) ضع بصمتك (ص:١٣٨-١٣٩).

لا تنس أهل بيتك

وإذا كنا نذكر كيف يكون الحرص على إسعاد الآخرين فلا نستطيع أن ننسى أبدًا أهل البيت.

* فنبدأ بالوالدين... فنحرص كل الحرص على بر الوالدين وعلى أن نبدأ يومنا بتقبيل أيديهم والسؤال عن أحوالهم والاستفسار عما إذا كانوا بحاجة إلى أى شىء.

* ونحرص على إدخال السعادة على الزوجة وذلك بحسن المعاملة والتبسم فى وجهها وإلقاء السلام عليها والتلطُّف معها ومداعبتها والخروج معها أحيانًا إلى نزهة جميلة فقد قال ﷺ: **«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»**.

* ونحرص أيضًا على إدخال السعادة على الأطفال فنلاعبهم ونداعبهم ونمزح معهم ونأتى إليهم بكل ما يُسعدهم ما دام ليس فيه معصية لله (جل وعلا).

* بل ويمتد الإحسان حتى إلى الخدم فلا نكلفهم ما لا يُطيقون بل نساعدهم أحيانًا.. ونحرص على حسن معاملتهم وعدم احتقارهم ولا مانع من إعطائهم الهدايا بين الحين والحين **«ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»**.

إدخال السعادة على المذنبين

لاشك أن المذنب يأتى عليه وقت يبحث فيه عن طوق النجاة وبريق الأمل.... يبحث عن طريق التوبة والعودة إلى الله ولكنه قد يجد من يأخذ بيديه إلى بَرِّ الأمان وقد يجد من يُقنطه من رحمة الله (جل وعلا).

فما عليك إلا أن تُجدد الأمل فى قلوب هؤلاء المذنبين ليتوبوا ويعودوا إلى الله (جل وعلا).

اذكر لهم آيات وأحاديث الرجاء.

* وتأمل معى قصة هذا الرجل:

كان فى الأمم السابقة رجل سفاح!! سفاح؟! نعم سفاح.. لم يقتل رجلاً واحدًا ولا اثنين.. ولا عشرة.. وإنما قتل تسعًا وتسعين نفسًا..

لا أدرى كيف نجا من الناس وانتقامهم.. لعله كان مخيفًا جداً إلى درجة أنه لا أحد يجرؤ على الاقتراب منه..

أو أنه كان يتخفى فى البرارى والمغارات.. لا أدرى بالضبط.. المهم أنه ارتكب ٩٩ جريمة قتل!!

ثم حدثته نفسه بالتوبة.. فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلُّوه على عابد فى صومعته.. لا يكاد يفارق مُصلاه.. يمضى وقته ما بين بكاء ودعاء.. هين لين عاطفته جياشة..

دخل هذا الرجل على العابد.. وقف بين يديه ثم فجعه بقوله: أنا قتلت تسعًا وتسعين نفسًا.. فهل لى من توبة؟

هذا العابد.. أظنه لو قتل نملة من غير قصد لقضى بقية يومه باكيًا متأسفًا.. فكيف سيكون جوابه لرجل قتل بيده ٩٩ نفسًا؟!..

انتفض العابد.. ولم يتخيل ٩٩ جثة بين يديه يمثلها هذا الرجل الواقف أمامه.. صاح العابد: لا.. ليس لك توبة.. ليس لك توبة..

ولا تعجب أن يصدر هذا الجواب من عابد قليل العلم.. يحكم فى الأمور بعاطفته.. هذا القاتل لما سمع الجواب.. وهو الرجل الصلب الخشن..

غضب واحمرت عيناه.. وتناول سكينه ثم انهال طعنًا فى جسد العابد حتى مزقه.. ثم خرج ثائرًا من الصومعة..

ومضت الأيام.. فحدثته نفسه بالتوبة مرة أخرى.. فسأل عن أعلم أهل الأرض.. فدلَّه الناس على رجل عالم.. مضى يمشى حتى دخل على العالم.. فلما وقف بين يديه فإذا به يرى رجلاً رزينًا يُزينه وقار العلم والخشية..

فأقبل القاتل إليه سائلاً بكل جرأة: إنى قتلت مائة نفس!! فهل لى من توبة؟!

فأجابه العالم فوراً: سبحاااان الله..!! ومن يَحول بينك وبين التوبة؟!!

جواب رائع!! فعلاً من يحول بينه وبين التوبة؟! فالخالق فى السماء.

لا تستطيع أى قوة فى العالم أن تَحول بينك وبين الإنابة إليه والانكسار بين يديه..

ثم قال العالم: الذى كان يتخذ قراراته بناء على العلم والشرع.. لا بناء على طبيعته ومشاعره.. أَوْ قُلْ على عاطفته وأحاسيسه..

قال العالم: لكنك بأرض سوء.. عجبًا! كيف عَلِم؟! عرف ذلك بناء على كثرة الجرائم وقلة المُدافع له المُنكر عليه..

فعلم أن البلد أصلاً ينتشر فيها القتل والظلم إلى درجة أنه لا أحد ينتصر للمظلوم..

قال: «إنك بأرض سوء.. فاذهب إلى بلد كذا وكذا فإن بها قومًا يعبدون الله فاعبد الله معهم».. ذهب الرجل يمشى تائبًا منيبًا.. فمات قبل أن يصل إلى البلد المقصود.. نزلت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.. فأما ملائكة الرحمة فقالت: أَقْبَل تائبًا مُنيبًا.. وأما ملائكة العذاب فقالت: لم يعمل خيرًا قط.. فبعث الله إليهم ملكًا فى صورة رجل ليحكم بينهم.. فكان الحُكم أن يقيسوا ما بين البلدين.. بلد الطاعة وبلد المعصية.. فإلى أيتهما كان أقرب.. فإنه لها.. وأوحى الله تعالى إلى بلد الرحمة أن

تقاربى.. وإلى بلد المعصية أن تباعدى.. فكان أقرب إلى بلد الطاعة فأخذته ملائكة الرحمة..[1].

لا تحقرنّ من المعروف شيئًا

أى عمل ولو كان بسيطًا يُدخل السعادة على الآخرين فإنه يكون عند الله عظيمًا.

* قد تقف فى محطة بنزين وبعد أن تُعبئ سيارتك بالوقود تسأل العامل: كم الحساب؟ فيقول ثمانية وأربعين جنيهًا فتعطيه خمسين جنيهًا وتبتسم وتقول له: جزاك الله خيرًا.. وأنت لا تدرى كم أدخلت من السعادة المادية والمعنوية على هذا العامل.

* عندما تقف فى إشارة مرور فتجد هذا العسكرى البسيط فتبتسم فى وجهه وتقول له: جزاك الله خيرًا وأعانك الله على هذا العمل الشاق.. فإنك تُدخل عليه السعادة وتُشجعه على الإخلاص فى عمله.

* عندما ترى الرجل الذي يكنس وينظف الشارع فترسل له مع إبنك طعام الإفطار ولو مرة كل أسبوع فإنك تُدخل على قلبه السعادة وتُشعره بأنه ليس منبوذًا من المجتمع بل هذا رجل له قيمته ومكانته.

* عندما تشترى من بائع متجول فتعطيه حقه ولا تبخسه حقه ثم تدعو له بأن يوسع الله عليه ويبارك له فى رزقه.. فإنك بذلك تُدخل عليه السعادة والسرور.

- وهكذا فى كل مجالات الحياة.. احرص على إدخال السعادة على الآخرين.

* * *

(١) استمتع بحياتك (ص: ٧٧-٧٨).

فليُسعد النُّطق إن لم تُسعد الحال

من أصعب اللحظات أن يقصدك صاحب حاجة.. ثم يرجع خائبًا غير مقضية حاجته..

نعم.. قضاء حاجات الناس طاعة عظيمة..

ولو لم يكن فيها إلا قوله ﷺ: «لأن أمشى مع أخى فى حاجة حتى أُثبتها له، أحب إلىَّ من أن أعتكف فى مسجدى هذا شهرًا» لكفى فى فضلها..

لكن بعض الحاجات يصعب قضاؤها..

فليس كل من طلب منك أن تسلفه مالاً قدرت على إعطائه..

ولا كل من طلب منك مرافقته فى سفر قدرت على تلبية طلبه.. ولا كل من طلب حاجة معك كقلم أو ساعة أو غيرها.. استطعت إعطاءها له..

والمشكلة أن أكثر الناس إذا لم تُلَبَّ حاجاتهم وجدوا عليك فى أنفسهم.. وقد يذمونك فى المجالس ويتهمونك تارة بالبخل.. وتارة بالأنانية.. وتارة..

إذًا ما العمل؟!

كُن ماهرًا فى الخروج من الموقف.. فإذا طلب منك أحدٌ شيئًا ولم تستطع قضاءه فعلى الأقل رُدَّه بعبارات جميلة.. كما قال:

لا خيل عندك تُهديها ولا مال

فليُسعد النُّطق إن لم تُسعد الحال

فلو علم شخص بأنك ستسافر إلى مدينة معينة.. فجاءك وقال: أريدك أن تشترى لى حاجة من المدينة التى أنت مسافر إليها..

وأنت لا رغبة لك فى قضاء حاجته لأى سبب..

فكيف تجيب؟

فليُسعد النطق إن لم تُسعد الحال..

قل له: والله يا فلان أتمنى أن أخدمك بعيونى.. وأنت أحب إلىَّ من أناسٍ كثير.. لكنى أخشى أن يضيق وقتى.. وعندى بعض الظروف تمنعنى من إحضارها.. و..

ولو دعاك إلى وليمة وأردت أن تعتذر وخشيت أن يجد فى نفسه عليك.. فقدِّم مقدمات.. قل - مثلاً - أنا ما أعتبرك إلا كواحد من إخوانى.. وأنت من أغلى الناس إلى قلبى.. لكنى مشغول الليلة..

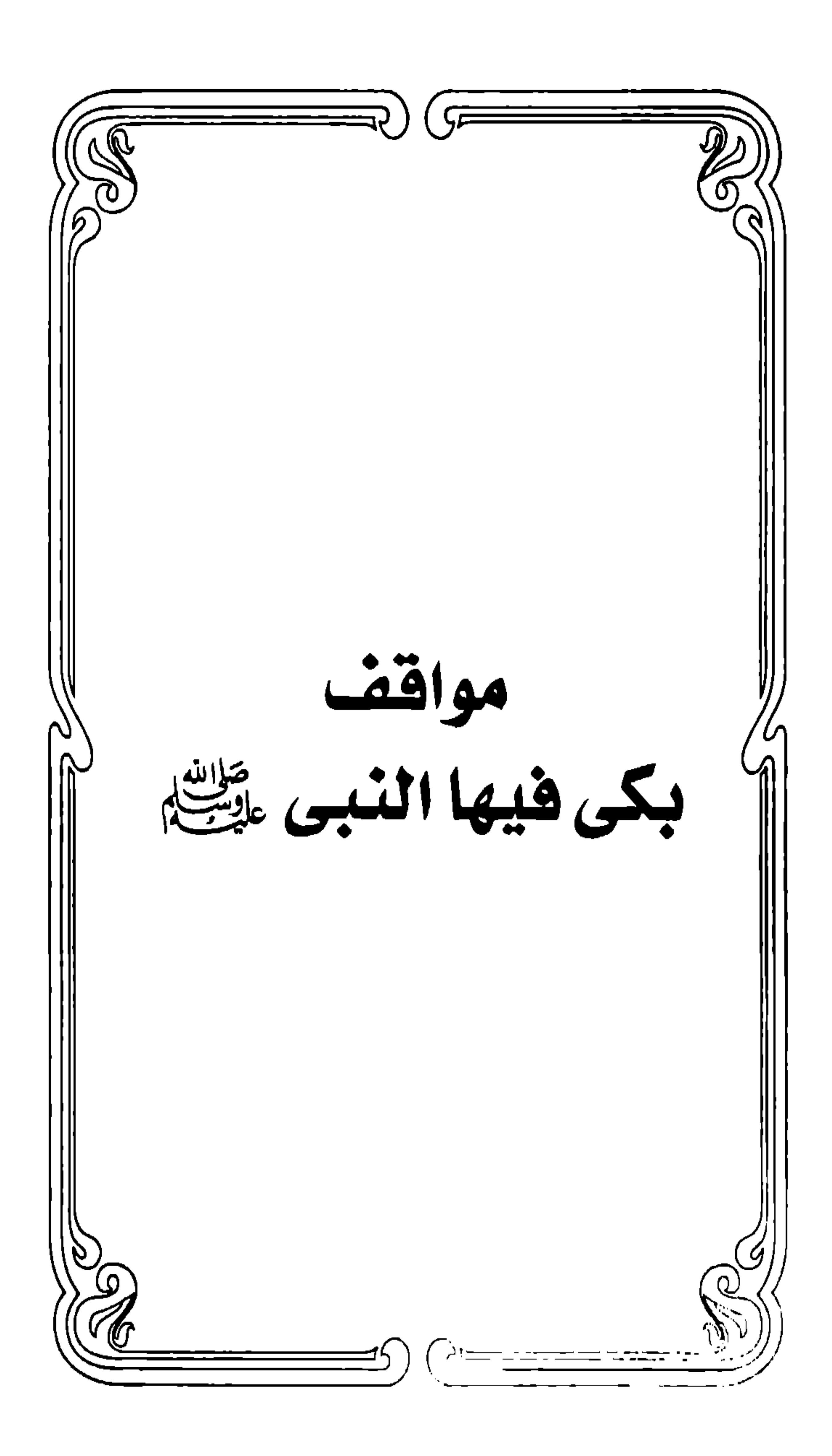
وأنت لم تكذب فقد يكون شغلك هذا جلسة مع أولادك.. أو قراءة فى كتاب.. أو نوم!! فهى كلها أشغال..

وقد كان نبينا وقرة أعيننا محمد ﷺ يملك الناس بأخلاق يأسر بها قلوبهم[1]..

* **وفى الختام:** فإنى أسأل الله (جل وعلا) أن يستخدمنا ويجعلنا ممن يُدخلون السعادة والسرور على قلوب المسلمين فى كل أقطار الأرض.

* * *

(١) استمتع بحياتك (ص: ٣٤٤-٣٤٥).



مواقف
بكى فيها النبى ﷺ

مواقف بكى فيها النبى ﷺ

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.

فلما دخلنا وجدنا النبى ﷺ يبكى بكاءً شديدًا... فيا تُرى ما الذى حدث؟

لقد مات ابنه إبراهيم (عليه السلام). فما كان من النبى ﷺ إلا أن قال لأصحابه: **«إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يُرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون»**[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع تلك المواقف التى بكى فيها النبى ﷺ.

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣٠٣) كتاب الجنائز.

لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (١).

فلم تكتمل الأسوة والقدوة إلا فى النبى ﷺ.

لقد عاش النبى ﷺ كل المراحل والأحوال التى يمكن أن يمر بها أى مسلم على وجه الأرض.

عاش الفقر والغنى.. والصحة والمرض.. والابتلاء والعافية... ذاق طعم الضحك والبكاء.. عاش مع أحبابه وذاق مرارة الفراق.. عاش فى وطنه وذاق ألم الهجرة وترك الأحباب والأوطان..

تزوج وطلَّق... أنجب الأولاد والبنات.. ومات أولاده وبناته... كان له الأحفاد... وهكذا عاش النبى ﷺ كل الأحوال حتى تكتمل فيه الأسوة والقدوة.. وحتى ينظر المسلم إلى حاله ويعلم أن النبى ﷺ عاش نفس الحالة فيتعلم كيف كان النبى ﷺ يتعامل مع هذا الواقع الذى يعيشه.

كان بكاء النبى ﷺ فى ثلاثة أحوال

ولقد كان بكاء النبى ﷺ فى ثلاثة أحوال:

(١) عند موت الأحباب.

(٢) عند هجر الأوطان.

(٣) بكاؤه من خشية الله (جل وعلا).

* فتعالوا بنا لنتعايش مع تلك اللحظات العصيبة التى بكى فيها النبى ﷺ.

---

(١) سورة الاحزاب: الآية: (٢١).

أولا: بكاؤه عند فراق الأحباب

وُلد النبي ﷺ يتيمًا.. فقد مات أبوه وهو حَمْلٌ في بطن أمه فإنه لما حملت به أمه خرج أبوه بعد فترة يسيرة من الحمل ليبحث عن لقمة العيش.

وذهب في رحلة الصيف إلى الشام فمرض في الطريق ووافته المنية فمات في طريق العودة.

وكانت آمنة بنت وهب تنتظر زوجها عبد الله لتكتمل سعادتها ولكن سرعان ما وصل إليها خبر موته ففاضت دموعها على خديها ولم تكن تتخيل أن تفقد زوجها بهذه السرعة.

* لقد مات عبد الله بالمدينة المنورة وهو راجع وترك هذه النسمة الطاهرة، وكأن القدر يقول له: لقد انتهت مهمتك في الحياة، وهذا الجنين الطاهر يتولى الله عز وجل بحكمته ورحمته تربيته وتأديبه وإعداده لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور.

وتمر الأيام ويولد النبي ﷺ في عام الفيل وتأخذه حليمة السعدية لتُرضعه ثم تعود بعد فترة لترده إلى أمه آمنة بنت وهب.

وفاة أمه عليه الصلاة والسلام

أخذت آمنة طفلها المبارك واحتضنته وأغدقت عليه حبًّا وحنانًا فهي تشعر أنه خير غلام أنجبته أرض العرب.

* وفي يوم من الأيام أخذته أمه لزيارة أخوال أبيه بني عدى بن النجار بعد أن استأذنت من جده عبد المطلب الذي كان لا يطيق فراق حفيده أبدًا.. وكان النبي ﷺ قد بلغ السادسة من عمره.

* فخرجت آمنة متجهة إلى يثرب (المدينة المنورة) ومعها ابنها المبارك

ومعها أم أيمن (جارية عبد المطلب).

ولما وصلوا يثرب ورآه أخواله فرحوا به فرحًا شديدًا ولم يأذنوا لأمه بالعودة إلا بعد إلحاح شديد.

* وفى طريق العودة من يثرب إلى مكة... وفى مكان بين مكة والمدينة اسمه الأبواء أحست آمنة بآلام شديدة أوقفتها عن المسير... ونظر محمد ﷺ إلى أمه فإذا هى فى النزع الأخير فنزفت دموعه وهو يرى أمه تموت أمام عينيه.

ومـاتت أمه بالأبواء ودُفنت هناك... فنظر النبى ﷺ إلى أم أيمن وبكى وقال لها: «يا أم أيمن أنت أمى بعد أمى».

* يا له من موقف مؤثر... ها هو النبى ﷺ يفقد أمه بعدما فقد أباه وهو جنين فى بطن أمه.

* وها هو فى هذه اللحظة الحزينة يصبح بلا أب ولا أم وهو الطفل الصغير الذى لم يتجاوز السادسة من عمره.

* وفى هذه اللحظة احتضنته أم أيمن ودموعها على خديها وعادت به إلى مكة وتوجهت به إلى بيت جده عبد المطلب الذى احتضن حفيده وبكى بعدما علم ما حدث له.

* وأوقفت أم أيمن حياتها كلها لرعاية النبى ﷺ.. فغمرته بعطفها وحبها وحنانها... وكان جده يقربه إليه ويحبه حبًّا شديدًا.

وهكذا عوَّضه الله بحنان جده وحاضنته أم أيمن عن حنان الوالدين وكان عبد المطلب يخاف عليه خوفًا شديدًا فكان يوصى أم أيمن ويقول لها: لا تغفلى لحظة واحدة عن محمد ﷺ.

فكان رسول الله ﷺ مع جدّه عبد المطلب بن هاشم، وكان يُوضَع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة، فكان بَنُوه يجلسون حول فراشه ذلك

حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له. قال: فكان رسول الله ﷺ يأتى وهو غلام حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب، إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابنى، فوالله إن له لشأنًا؛ ثم يُجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.

وفاة جده عبد المطلب

وبعد فترة يسيرة نام عبد المطلب على فراش الموت... وقد كان يتمنى أن يعيش طويلاً من أجل أن يرعى حفيده المبارك ﷺ.

ولكن جاءت اللحظة الحاسمة ومات عبد المطلب جد النبى ﷺ وكان النبى ﷺ يبلغ من العمر ثمان سنوات.

وكان عبد المطلب قد أوصى ابنه أبا طالب فى اللحظات الأخيرة أن يكفل محمدًا ﷺ ويرعاه... فلما مات عبد المطلب كفل أبو طالب النبى ﷺ وأخذه إلى بيته ليعيش مع أولاده..

وعرفت البركة طريقها إلى هذا البيت

كان أبو طالب فقيرًا وكانت زوجته تشعر بأن أولادها لا يشبعون من الطعام أبدًا فلما عاش الحبيب ﷺ بينهم دخلت البركة لأول مرة فى هذا البيت الكريم وبخاصة فى طعام الأولاد إذا أكل معهم الحبيب ﷺ.

* فكان عيال أبى طالب إذا أكلوا جميعًا أو فُرادى لم يشبعوا وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يُغذيهم أو يُعشيهم يقول: كما أنتم حتى يأتى ابنى، فيأتى رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضل من طعامهم.

وإن كان لبنًا شرب رسول الله ﷺ أولهم، ثم تناول القعب - القدح -

فيشربون منه، فيروون عن آخرهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرب قعبًا وحده، فيقول أبو طالب: إنك لمبارك.

ويزداد الحب يومًا بعد يوم

وكانت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها ترى كل هذه البركات التى دخلت بيتها لأول مرة وهى لا تكاد تصدق نفسها فكانت تزداد حبًّا للنبى ﷺ يومًا بعد يوم حتى كان الحبيب ﷺ يشعر بأن الله رزقه بتلك الأم الرحيمة ليعوضه عن موت أمه.. فها هى ترعاه فى طفولته وشبابه وتخصه بالتقدير والاحترام وتشمله بعطفها وحنانها.... وظلت ترعاه إلى أن تزوج بخديجة رضي الله عنها.

ونشأ الحبيب ﷺ بين ينبوع الرحمة ونهر الحنان فاطمة بنت أسد وأم أيمن رضي الله عنهما فكانت كل واحدة منهما ترعاه وتخصه بالرحمة والحنان وكأنها أمه التى ولدته.

* وكان عمه أبو طالب قد تكفَّل بحمايته من بطش قريش وأذاها فلطالما دافع عنه ودفع عنه أذى المشركين.

* ولكن قريشًا أخذت تُضيق على النبى ﷺ وأصحابه حتى كتبوا تلك الصحيفة الظالمة وحبسوا النبى ﷺ وأصحابه فى شِعب أبى طالب ثلاث سنوات إلى أن سعى بعض الناس فى نقض هذه الصحيفة فرجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة.

* * *

عام الحزن

وما إن خرج النبى ﷺ وأصحابه من شعب أبى طالب حتى تتابعت عليه المحن والأحزان. . . فقد مات عمه أبو طالب الذى كان يدافع عنه وينصره. . . ولم تكن المصيبة فى موته فحسب بل كانت المصيبة فى أنه مات كافراً مع أن النبى ﷺ كان يتابعه بالدعوة حتى آخر لحظة في عمره.

* **عن المسيب رضي الله عنه قال:** «لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبى أمية ابن المغيرة. فقال رسول الله ﷺ : **«يا عم قل لا إله إلا الله. كلمة أشهد لك بها عند الله»**[1].

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية: يا أبا طالب! ترغب عن ملة عبد المطلب! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم، هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله ﷺ : «أما والله! لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله تعالى: **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾**[2] وأنزل الله تعالى فى أبى طالب فقال لرسول الله ﷺ : **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾**[3][4].

* **وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه:** قال للنبى ﷺ : ما أغنيت عن

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٣٦٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٤) كتاب الإيمان.

(٢) سورة التوبة: الآية: (١١٣).

(٣) سورة القصص: الآية: (٥٦).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٨٨٤) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤) كتاب الإيمان.

عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «هو فى ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل (١) من النار» (٢).

ولما مات أبو طالب وجدت قريش فرصة كبيرة لإيذاء النبى ﷺ فقد مات الذى كان يدافع عنه... فقام واحد من سفهاء قريش وألقى التراب على رأس النبى ﷺ ... حتى قال النبى ﷺ : «ما نالت منى قريشٌ شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب».

* وكانت وفاة أبى طالب فى رجب سنة عشر من البعثة بعد الخروج من الشِّعب بستة أشهر.

* وما كاد النبى ﷺ يخلع ثوب الحزن على عمه حتى فُجع بموت زوجته وشريكة عمره خديجة ﵂ التى آزرته ونصرته وبذلت نفسها ومالها لنُصرة هذا الدين... وكانت نعم الزوجة.

وكانت وفاتها فى شهر رمضان فى السنة العاشرة من النبوة، ولها خمس وستون سنة على أشْهَرِ الأقوال، ورسول الله ﷺ إذ ذاك فى الخمسين من عمره.

وحزن النبى ﷺ لموتها حزنًا شديدًا فلقد كانت نعم الزوجة الصابرة المخلصة التى آزرته طوال حياته وبذلت من أجل نُصرة هذا الدين كل غالٍ ونفيس فلم يستطع النبى ﷺ أن ينساها أبدًا وكان يحمل لها وفاء يعجز القلم عن وصفه.

فها هو الحبيب ﷺ يُثنى عليها ويقول: «كَمُلَ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» (٣).

---

(١) الدرك الأسفل: قعر النار.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٨٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٩) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤١١) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٤٣١) كتاب فضائل الصحابة.

* وقد علّق أحد العلماء الأفاضل على هذا الحديث تعليقًا لطيفًا فقال: من الموافقات اللطيفة التى جمعت الثلاث فى نسق واحد أن كل واحدة منهم كفلت نبيًّا مُرسَلاً، وأحسنت صحبته وآمنت به، فآسيا ربّت موسى، وأحسنت إليه، وصدقت به حين بُعث، ومريم كفلت عيسى وربته، وصدقت به حين أُرسل، وخديجة رغبت فى النبى وواسته بنفسها ومالها، وأحسنت صحبته، وكانت أول من صدَّقه حين نزل عليه الوحى.

ولم يتزوج النبى ﷺ امرأة قبلها أبدًا.. بل ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

فعن عائشة ﵂ قالت: لم يتزوج النبى ﷺ على خديجة حتى ماتت[1]..

* وعن أنس ﵁ أن النبى قال: «حسبُك من نساء العالمين مريم بنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»[2].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران فاطمة وخديجة وآسية امرأة فرعون»[3].

وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ

وبعد هجرة النبى ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة تمر الأيام وتأتى غزوة بدر التى كتب الله فيها النصر للنبى ﷺ وأصحابه.

وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة وهو فى غاية السعادة والسرور لهذا

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٨٧٨) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٤٣).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (١١/ ٤١٥، رقم ١٢١٧٩)، وفى الأوسط (٢/ ٢٣، رقم ١١٠٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٢٤).

النصر الذى أكرمه الله به. . . وكان النبى ﷺ قد خلَّف عثمان بن عفان رضي الله عنه لأن زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ كانت مريضة جداً. . فلما عاد النبى ﷺ من غزوة بدر علم أن رقية قد ماتت ودُفنت فاحتسبها عند الله ورضى بقضاء الله (جل وعلا) وشارك المسلمين فرحتهم بالنصر حتى لا تنقلب سعادتهم حزنًا. . . فيا له من نبى كريم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﷺ.

وفاة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ

فلما توفيت رقية رضي الله عنها زوَّج النبى ﷺ عثمان بن عفان من ابنته أم كلثوم رضي الله عنها. . ولذلك كان عثمان يُسمى بذى النورين لأنه تزوج بنتين من بنات الرسول ﷺ.

وفى شهر شعبان سنة تسع من الهجرة النبوية المباركة، شعرت أم كلثوم بقُرب لقاء الله عز وجل، وهبط عليها المرض، فأضحت طريحة الفراش، وفى صبح أحد تلك الأيام، كان صوت بلال ينسكب فى آذان المسلمين.

وكانت أم كلثوم رضي الله عنها ذابلة الجسد، قد نال منها الوهن، فتمددت فى فراشها تغالب المرض، ولكن لسانها ظل يتحرك بذكر الله عز وجل، ودخلت عليها أم عياش، فألفتها فى النزع الأخير، فأرسلت إلى الرجال فى المسجد النبوى الشريف، فأسرع عثمان زوجها إلى داره، فإذا بأم كلثوم تعالج سكرات الموت، فراح ذو النورين يناديها فى وجد، وهو مشفق عليها، وعلى نفسه! كان يُفزعه أن ينقطع بموتها نسبه برسول الله ﷺ.

وجاء الحبيب المصطفى ﷺ، وأبو بكر وعمر الفاروق وعلىٌ وبعض الأنصار رضى الله عنهم جميعًا، ودخل النبى الكريم على ابنته، وهى تجود بآخر أنفاسها، فدمعت عيناه الشريفتان، ولسانه يتحرك بما يرضى الرب جل

وعلا من الصبر الجميل.

وصعدت روح أم كلثوم إلى ربها راضية مرضية تشهد شهادة الحق، وغسَّلتها أسماء بنت عُميس وصفية بنت عبد المطلب وأم عطية الأنصارية ﷺ وصلى عليها النبى الكريم، ومن ثَم انطلقت الجنازة إلى البقيع، ووُضعت أم كلثوم فى قبرها (١).

ورسول الله ﷺ راضٍ بقضاء الله وقدره، صابراً فى غير سخط، دامعًا بغير صوت، حزينًا بلا جزع، متألمًا بلا هلع، قدوة فى كل أمر صلى الله عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

وفاة جميع أبنائه فى حياته إلا فاطمة ﵂

وقد مات جميع أبناء النبى ﷺ كلهم فى حياته إلا فاطمة ﵂.

ولم يُنجب للنبى ﷺ من نسائه إلا اثنتان هما خديجة بنت خويلد ومارية بنت شمعون القبطية المصرية، فخديجة أنجبت من الذكور: القاسم، وعبد الله والطيب أو الطاهر، وماتوا صغاراً لم يبلغ منهم أحد وماتوا ودُفنوا بمكة قبل الهجرة، وأنجبت من الإناث زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة وكلهن كبرن وتزوجن.

فزينب تزوجت من أبى العاص بن الربيع، ورقية، وأم كلثوم، تزوجهما عثمان بن عفان؛ واحدة بعد واحدة، وتوفاهما الله عنده.

وفاطمة تزوجها على بن أبى طالب ﵁، وأنجبت الحسن والحسين وهم أصل الأشراف فى العالم الإسلامى إلى اليوم وبعد اليوم إذ بارك الله فى نسلهما كرامة الله لآل البيت.

ومارية القبطية أنجبت إبراهيم ومات وهو رضيع لم يُفطَم بعد ودُفن

(١) نساء أهل البيت (٥٢٥، ٥٢٦) باختصار.

بالبقيع كما دُفنت كلٌ من أم كلثوم ورقية بالبقيع وكذا فاطمة ﷺ - وقد ماتت بعد أبيها -.

هؤلاء هم أبناء النبى ﷺ وبناته فعلى جميعهم السلام[١].

وفاة حمزة بن عبد المطلب عم النبىّ ﷺ

وفى غزوة أُحد تجددت الأحزان فى قلب النبى ﷺ باستشهاد عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسول الله ﷺ .

ويبكى النبى ﷺ لموت حمزة ويحزن عليه حزنًا شديدًا.

* بل ويحزن النبى ﷺ على كل أصحابه الذين قُتلوا يوم أُحد.

وفاة سعد بن معاذ ﷺ

وفى يوم الخندق خان يهود بنى قريظة العهد مع رسول الله ﷺ .

فلما ذهب الأحزاب عن المدينة وخذلهم الله (جل وعلا) فعادوا إلى بلادهم مخذولين... أراد النبى ﷺ أن يُصفِّى حسابه مع يهود بنى قريظة فحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة حتي تعبوا من الحصار ورضوا بأن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ ﷺ .

فحكم عليهم سعد بأن تُقتل مقاتلتهم وتُسبى نساؤهم وذراريهم وتُقسم أموالهم... فقال له رسول الله ﷺ : «**لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل من فوق سبع سموات**».

* وهنا انفجر الجرح الذى كان أُصيب به سعد فى يوم الخندق وبدأت روحه تفيض إلى بارئها (جل وعلا).

فجاء إليه رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر.

---

(١) مواقف صبر فيها النبى ﷺ / أ. خميس السعيد (ص:١٦٨).

تقول أمنا عائشة رضي الله عنها: فوالله إنى لأعـراف بكاء رسول الله ﷺ من بكاء أبى بكر من بكاء عمر.

فقال له رسول الله ﷺ: «يا سعد جـزاك الله خيراً فقد أنجـزت ما وعدته ولينجزنَّك الله ما وعدك».

* وفاضت روح سعد بن معاذ رضي الله عنه.

وفى تلك اللحظة يأتى جـبريل (عليه السـلام) ليخـبر النبى ﷺ بأن عرش الرحمن قد اهتز لموت سعد بن معاذ.

وفى تلك اللحظة صاحت أم سـعد حزنًا على وفاة ابنها فـقال لها النبى ﷺ: «يا أم سـعـد: ألا يجف دمعك ويـذهب حُزنُك بأن تـعلمى أن ابنك هو أول من ضحك الله له واهتز له العرش».

ثم أخبـر النبى ﷺ أصحابه بأن الـله (عز وجل) أرسل سبـعين ألف ملك ليـحملوا جنازة سعـد بن معـاذ. . . وأن هؤلاء الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل اليوم وإنما نزلوا لتشييع جنازة سعد بن معاذ.

حزن النبى ﷺ على قواده الثلاثة فى سرية مؤتة

كان سـبب هذه السرية أن رسـول الله ﷺ كان قـد بعث الحارث بن عُمير الأزدى بكتابه إلى ملك الروم فى الشام فتـعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فأوثقه ثم قتله. . . وكان قتل السفراء والرسل الذين يرسلهم الملوك والرؤساء جريمة كُبـرى. . فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ لما وصله هذا الخبر فجهز جيشًا من ثلاثة آلاف مقاتل ليرسله إليهم.

* * *

تعيين القادة الثلاثة

وفى هذه السرية أمَّر رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وقال: «إن قُتل زيدٌ فجعفر وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة»(١).

ومع أن النبى ﷺ كان لا يعين لأى سرية إلا قائدًا واحدًا إلا أنه فى هذه السرية أمَّر ثلاثة.. وذلك لأهمية هذه السرية.

أهل المدينة يودعون الجيش

ولما تجهز الجيش وبدأوا فى الخروج للجهاد قام أهل المدينة يودعون الجيش ويدعون لهم بالنصر والتمكين والعودة بسلام.

المفاجأة الكبرى

لقد خرج الجيش المسلم... وخرج رسول الله ﷺ يودعهم ويدعو لهم.

* ومضى الجيش فى طريقه حتى وصلوا إلى مكان فى أرض الشام يُسمى (معان) وهنا بدأوا فى جمع المعلومات عن الجيش الذى سيقابلوه.

وإذا بالمفاجأة الكبرى فى انتظارهم... فقد علموا أن الجيش قد بلغ مائتى ألف... فى حين أن عدد المسلمين ثلاثة آلاف رجل.

فأصبحوا بين ثلاثة حلول: إما أن يرجعوا وإما أن يطلبوا من رسول الله ﷺ أن يرسل لهم مددًا من الرجال وإما أن يدخلوا فيقاتلوا... وظلوا لمدة يومين ينظرون فى أمرهم.

فقام عبد الله بن رواحة وقال لهم هذه الكلمات التى كانت سببًا فى

---

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٤٢٦١) كتاب المغازى.

ثيابهم: قال لهم: يا قوم والله إن الذى تكرهون لَلَّذى خرجتم له تطلبون (الشهادة)، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة إنما نقاتلهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة.

* وكان لهذه الكلمة الملتهبة أثرها، فاختفت من صفوف المسلمين مشاعر التردد، وقرروا القتال، مهما كانت النتائج.

وبدأ القتال

وهناك فى مؤتة التقى الفريقان، وبدأ القتال المرير، ثلاثة آلاف رجل يواجهون هجمات مائتى ألف مقاتل... معركة عجيبة تشاهدها الدنيا بالدهشة والحيرة، ولكن إذا هبَّت ريح الإيمان جاءت بالعجائب.

أخذ الراية زيد بن حارثة - حِبُّ رسول الله ﷺ - وجعل يقاتل بضراوة بالغة، وبسالة لا يوجد لها نظير إلا فى أمثاله من أبطال الإسلام، فلم يزل يقاتل ويقاتل حتى شاط فى رماح القوم، وخرَّ صريعًا.

وحينئذ أخذ الراية جعفر بن أبى طالب، وطفق يقاتل قتالاً منقطع النظير، حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فعقرها، ثم قاتل حتى قُطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قُطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعًا إياها حتى قُتل.

يقال: إن روميًّا ضربه ضربة قطعته نصفين، وأثابه الله بجناحيه جناحين فى الجنة، يطير بهما حيث يشاء، ولذلك سُمِّى بجعفر الطيار، وبجعفر ذى الجناحين(١).

---

(١) أخرجه البخارى (٣٧٠٩) عن ابن عمر ﷺ أنه كان إذا سلم على ابن جعفر قال: «السلام عليك يا ابن ذى الجناحين»، وقد صح مرفوعًا إثبات الجناحين لجعفر انظر «فتح البارى» (٧/٧٦).

ولما قُتل جعفر بعد القتال بمثل هذه الضراوة والبسالة أخذ الراية عبد الله ابن رواحة، وتقدم بها وهو على فرسه فجعل يُقبل على الجهاد ثم يتردد بعض الشيء.. فجاءه ابن عمه بقطعة من اللحم وقال له: خذ هذه واشدد بها صُلبك فإنك لقيت ما لقيت فى هذه الأيام من الشدة والمتاعب.

فأخذها عبد الله بن رواحة حتى نظر إلى نفسه وقال لها: وأنتِ ما زلتِ حية فى الدنيا... ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل.

فأخذ الراية ثابت بن أرقم وقال: يا أيها الناس اصطلحوا على رجل منكم.

قالوا: أنت.

قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم ثم انحاز حتى انصرف[1].

لقد كان هدف (خالد) مناوشة الرومان بحيث يُلحق بهم أفدح الخسائر دون أن يُعرض كتلة الجيش لالتحام عام، وقد أفلحت هذه الخطة فى إنقاذ الآلاف القليلة التى معه، وإنقاذ سمعة المسلمين فى أول معركة لهم مع الدولة الكبرى.

والعجيب أن الرومان أعياهم هذا القتال وأُصيبوا فيه بخسائر كبيرة، بل إن بعض فرقهم انكشف، وولى مهزومًا. واكتفى خالد بهذه النتيجة، وآثر الانصراف بمن معه[2].

* * *

(١) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦/١٥٩، ١٦٠): رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

(٢) فقه السيرة / للغزالى (ص:٤١٢).

النبى ﷺ ينعى القادة الثلاثة للناس

عن أنس رضي الله عنه: «أن النبى ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «أخذ الراية زيد فأُصيب ثم أخذ جعفر فأُصيب ثم أخذ ابن رواحة فأُصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»(١).

حزن النبى ﷺ على جعفر رضي الله عنه

وهنا يذهب الحبيب ﷺ إلى أسماء بنت عُميس رضي الله عنها ليبلغها خبر استشهاد زوجها.. ويا له من مشهد يجعل القلوب تبكى الدماء بدل الدموع.

عن أسماء ابنة عُميس، قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليَّ رسول الله ﷺ وقد دبغت وعجنت عجينى، وغسلت بَنِيَّ ودهنتهم ونظفتهم، قالت: فقال لى رسول الله ﷺ: «ائتنى ببنى جعفر».

قالت: فأتيته بهم، فشمَّهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله، بأبى أنت وأمى، ما يُبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء؟

قال: «نعم، أُصيبوا هذا اليوم».

قالت: فقمت أصيح، واجتمعت إلىَّ النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله.

فقال: «لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامًا فإنهم قد شُغلوا بأمر صاحبهم»(٢).

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٢٦٢) كتاب المغازى.

(٢) رواه أحمد (٦/ ٣٧٠).

حزن النبى ﷺ على زيد بن حارثة

وفى غزوة مؤتة كان (أسامة) يقاتل مع أبيه وتحت لوائه وكان عمره وقتها لم يبلغ الثامنة عشرة، وهناك على أرض الشرف رأى بعينيه مصرع أبيه، وقد شاط فى رماح القوم فقُتل شهيدًا، وعلى الرغم من ذلك لم يضعف ولم يتكاسل لحظة واحدة عن أداء واجبه فقاتل تحت لواء جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه حتى استُشهد ثم قاتل تحت لواء عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حتى استُشهد ثم قاتل تحت لواء سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه حتى استطاع خالد - بإذن الله - أن يقوم بخطة رائعة للانسحاب فاستنقذ الجيش المسلم من براثن الروم الذين كان يبلغ عددهم مائتى ألف مقاتل وعدد المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل.

وعاد أسامة إلى المدينة وقد احتسب أباه عند الله وترك جسده الطاهر فى أرض الشرف والجهاد، وركب جواده الذى استشهد عليه وعاد.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما قُتل زيد بن حارثة أبطأ أسامة عن النبى ﷺ فلم يأته ثم جاءه بعد ذلك فقام بين يدى النبى ﷺ فدمعت عيناه فبكى رسول الله ﷺ فلما نزفت عبرته قال النبى ﷺ : **«لمَ أبطأت عنا ثم جئت تُحزننا؟»** قال: فلما كان الغد جاءه فلما رآه النبى ﷺ مُقبلاً قال: **«إنى للاق منك اليوم ما لقيت منك أمس»** فلما دنا دمعت عينه فبكى رسول الله ﷺ[1].

* * *

(١) رواه عبد الرزاق فى المصنف (٦٦٩٨)، وقال الشيخ مصطفى العدوى: وإسناده صحيح.

عزاء لمن مات له حبيب

أنا أعلم أن الفراق صعب وشاق على النفس ولكن إذا علم العبد بهذا الأجر العظيم الذي ينتظره إذا احتسب عند موت أحبابه فسوف يكون الأمر سهلاً ميسوراً.

روى البخاري أن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»[1].

* ربح البيع والله ... فالكل سيموت لا محالة فما يضيرك أن تحتسب عند موت الأم أو الأب أو الزوجة أو الولد أو غيرهم لتفوز بجنة الرحمن - جل وعلا- التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* بل تأمل معي هذا الأجر العظيم لمن احتسبَ عند موت ولده.

نحن نعلم أن من أعظم المصائب على الإنسان أن يموت ابنه وفلذة كبده وثمرة فؤاده، فهو يشعر في هذا الموقف أن روحه قد انتُزعت منه، وأن قلبه قد تفطَّر من الحزن والكمد، ومع ذلك فإن المؤمن يصبر.. لماذا يصبر؟ لأن ما عند الله تعالى خير له ولولده.

يصبر لأنه يعلم أن هؤلاء الأبناء أمانة عنده، وأن الله عزَّ وجلَّ صاحب تلك الأمانة، وما عليه في هذه الدنيا إلا أن يحفظ هذه الأمانة حتى يؤديها إلى خالقها - جلَّ وعلا-..

يصبر لأنه يعلم أن سخطه وجزعه لن يفيده شيئًا، ولن يُرجع إليه ولده، بل إن النبيَّ ﷺ أخبر أن الميت يُعذَّب في قبره بما نيح عليه..

يصبر لأنه يطمع في ثواب الصابرين، وثواب الصبر في هذه الحالة هو الجنة.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٢٤) كتاب الرقاق، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ﷺ: «ما من مسلمين يموتُ لهما ثلاثةُ أولاد لم يبلغوا الحنثَ، إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة، يقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخلَ أبوانا: فيقالُ: ادخلوا الجنةَ أنتم وأبواكم»(١).

وقال ﷺ: «ما منكنَّ امرأةٌ تقدِّمُ بين يديها ثلاثة من ولدها، إلا كانوا لها حجابًا من النار، قالت امرأةٌ: واثنين؟ قال: واثنين»(٢).

وقال ﷺ: «بَخٍ بَخٍ لخمس ما أثقلهن فى الميزان: لا إله إلا الله، وسُبحان الله، والحمدُ لله، والله أكبرُ، والولدُ الصالحُ، يُتَوفَّى للمرءِ المسلم فيحتسبه»(٣).

وقال ﷺ: «والذى نفسى بيده إن السقط ليجرُّ أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته»(٤).

- **وعن أبى سنان قال:** دفنت ابنى سنانًا، وأبو طلحة الخولانى جالس على شفير القبر، فلما أردتِ الخروج أخذ بيدى فقال: ألا أبشرك يا أبا سنان؟ قلت: بلى. فقال: حدثنى الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب، عن أبى موسى الأشعرى، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدى؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدى؟ - وهو أعلم- فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله: ابنوا لعبدى بيتًا فى الجنة وسَمُّوه بيت الحمد»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه النسائى (١٨٧٦) كتاب الجنائز، وأحمد (١٠٢٤٤)، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٨٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٠٢) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٣٤) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١٥٢٣٥) من حديث ثوبان بن بجدد مولى رسول الله ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٠٤).

(٤) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٦٠٩) كتاب ما جاء فى الجنائز، وأحمد (٢١٥٨٥)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٠٦٤).

(٥) **حسن**: رواه الترمذى (١٠٢١) كتاب الجنائز، وأحمد (١٩٢٢٦)، من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٠٨).

* وهكذا كان حال سلفنا الصالح عند موت الأولاد..

روى ابن أبى حاتم بإسناده فى تفسيره عن خالد بن يزيد، عن عياض، عن عقبة أنه مات له ابنٌ يقال له: يحيى، فلما نزل فى قبره قال له رجل: والله إن كان لسيد الجيش فاحتسبه؛ فقال والده: وما يمنعنى أن أحتسبه، وقد كان من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات؟!

عن أنس رضي الله عنه قال: اشتكى ابنٌ لأبى طلحة قال: فمات وأبوه أبو طلحة خارج البيت، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئًا، وجعلت ابنها فى جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة قال: فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبى ﷺ ثم أخبره بما كان منها، فقال رسول الله ﷺ: **«لعلَّ الله أن يبارك لكما فى ليلتكما»**.. فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد حفظوا القرآن[١].

وعن محمد بن خلف قال: كان لإبراهيم الحربى ابنٌ كان له إحدى عشرة سنة، حفظ القرآن ولقَّنه من الفقه جانبًا كبيرًا؛ قال: فمات. فجئت أعزيه فقال: كنت أشتهى موت ابنى هذا. قال: قلت له: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا فى صبى قد أنجب -أصبح نجيبًا- ولقَّنته الحديث والفقه؟ قال: نعم. رأيت فى منامى كأن القيامة قد قامت، وكأن صبيانًا بأيديهم قلالٌ فيها ماء، يستقبلون الناس فيسقونهم، وكان اليوم يومًا حارًا شديدًا حرُّه، قال: فقلت لأحدهم: اسقنى من هذا الماء، قال: فنظر إلىَّ. وقال: ليس أنت أبى، قلت: فأى شىء أنتم؟ قال: فقال لى: نحن الصبيان الذين متنا فى دار

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٣٠١) كتاب الجنائز، ومسلم (٢١١٩) كتاب اللباس والزينة، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الدنيا وخلفنا آباؤنا، فنستقبلهم فنسقيهم الماء؛ قال: فلهذا تمنيت موته.

وقال أبو مسلم الخولانى رحمه الله: لأن يولد لى مولود يحسن الله نباته، حتى إذا استوى على شبابه، وكان أعجب ما يكون إلىّ، قبضه الله تعالى منى، أحب إلىّ من أن تكون الدنيا وما فيها لى.

وروى ابن أبى شيبة بإسناده عن ثابت البُنانى: أن صلة بن أشيم كان فى غزاة له ومعه ابن له، فقال له: أى بُنى تقدم فقاتل حتى أحتسبك؛ فحمل فقاتل حتى قُتل، ثم تقدم أبوه فقُتل؛ فاجتمعت النساء، فقامت امرأته معاذة العدوية، فقالت للنساء: مرحبًا إن كنتنّ جئتن لتهنئننى، فمرحبًا بكنّ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك، فارجعن.

* والمقصود أن هذا المقام مقام عظيم شريف لمن يطلب المصيبة ويفرح بها نظرًا إلى ثوابها.

يؤيد ذلك ما ثبت فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(١)

وفى حديث أنس مرفوعًا: «سبعٌ يجرى للعبد أجرهن، وهو فى قبره بعد موته -فذكر منها- أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته»(٢).

ثانيًا: بكاء النبى ﷺ عند هجر الأوطان

لمّا رفض أهل مكة أن يُسلمُوا لله (جل وعلا) أراد النبى ﷺ أن يبحث عن أرضٍ أخرى تقبل بذرة التوحيد.. فخرج النبى ﷺ إلى الطائف ماشيًا على قدميه من أجل أن يُبلِّغ هذه الرسالة.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) حسن: ذكره الهيثمى فى المجمع (١/١٦٧)، وقال: رواه البزار وفيه محمد بن عبيد الله العرزمى وهو ضعيف، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٠٢).

فلما انتهى النبى ﷺ إلى الطائف ذهب إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، وهم: عبد ياليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفى، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وإلى نصرة الإسلام، فقال أحدهم: هو يَمْرُطُ ثياب الكعبة (أى يمزقها) إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وَجَدَ الله أحدًا غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا، إن كنت رسولاً لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام! ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى أن أكلمك، فقام عنهم رسول الله ﷺ وقال لهم: «إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عنى».

وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به عبيدهم، فلما أراد الخروج تبعه عبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له صفين وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السَّفَه، ورجموا عراقيبه، حتى اختضب نعلاه بالدماء - فداه أبى وأمى ونفسى - وكان زيد ابن حارثة ﷺ يقيه بنفسه حتى أصيب بجرح فى رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجاوه ﷺ إلى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة على ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه.

وأتى رسول الله ﷺ إلى شجرة عنب فجلس تحت ظلها إلى جدار، ودعا ربه فقال: «اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربى، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدوٍّ ملَّكته أمرى؟ إن لم يكن بك علىَّ غضبٌ فلا أبالى، ولكن عافيتك أوسعُ لى، أعوذُ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بى غضبك أو يحل علىَّ سخطك، لك العُتبى حتى ترضى، لا حول ولا قوة إلا بك».

وقفل الرسول ﷺ عائداً إلى مكة، إلى البلد الذى طرد خيرة أهله، فهاجر بعضهم إلى الحبشة وأُكره الباقى على معاناة العذاب الواصب، أو الفرار إلى الجبال، ورجع رسول الله ﷺ فى طريق مكة بعد خروجه من الحائط كئيبًا حزينًا كسير القلب، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله إليه جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال، يستأذنه أن يُطبق الأخشبين (أى الجبلين) على أهل مكة.

عن عائشة ﵂ أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحُد؟ فقال: «لقد لقيتُ من قومك، وكان أشد ما لقيتُ منهم يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يُجبنى إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهمُومٌ على وجهى، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعتُ رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرتُ فإذا فيها جبريل عليه السلام، فنادانى فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمُره بما شئت فيهم، قال: فنادانى ملك الجبال وسلم علىَّ ثم قال: يا محمدُ، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثنى ربك إليك لتأمرنى بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا» (١)(٢).

هكذا كانت الرحمة فى قلب النبى ﷺ للناس من حوله.

ولا عجب فى ذلك فقد قال الله عنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣).

* * *

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد والسير.

(٢) مدرسة السيرة النبوية / الشيخ محمد يعقوب (ص:٢٧٨ : ٢٨١).

(٣) سورة الأنبياء الآية: (١٠٧).

خروجه ﷺ من مكة إلى المدينة

وتمر الأيام ويشتد الإيذاء على النبى ﷺ وأصحابه فيأذن النبى ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة بعد أن شعر أن أصحابه سيكونون فى أمان فى هذا المكان وذلك بعد أن بايعه أهلها بيعة العقبة الثانية.

فهاجر أصحاب الرسول ﷺ وتركوا الديار والأوطان ليفوزوا بنعمة الإسلام والتوحيد..

ثم هاجر بعدهم النبى ﷺ وهو ينظر إلى مكة ويبكى ويقول: «والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وإنك لأحب بلاد الله إلى رسول الله ولولا أن قومى أخرجونى منك ما خرجت».

ثالثاً: بكاء النبى ﷺ من خشية الله (جل وعلا)

لقد كان النبى ﷺ أخشى الناس لله - جل وعلا- وكان يقول عن نفسه ﷺ : «والله إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتَّقى»[1].

* وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إنى أرى ما لا ترون أطَّت السماء وحُق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفُرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى»[2].

* وعن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء[3].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١١١٠) كتاب الصيام.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣١٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٩٠) كتاب الزهد، وأحمد (٢١٠٠٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧٢٢).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٩٠٤) كتاب الصلاة، والنسائى (١٢١٤) كتاب السهو، وأحمد (١٥٨٧٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٠٠٠).

* وعن عطاء قال: دخلت أنا وعُبيد بن عُمير على عائشة ﵂ فقال عبيد ابن عمير: حدثينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ، فبكت وقالت: قام ليلة من الليالى فقال: «يا عائشة ذرينى أتعبد لربى»، قالت: قلت: والله إنى لأحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلى، فلم يزل يبكى حتى بَلَّ حِجْرَه، ثم بكى فلم يزل يبكى حتى بلَّ الأرض، وجاء بلال يؤذن بالصلاة، فلما رآه يبكى، قال: يا رسول الله تبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا لقد نزلت الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾»[1][2].

* هكذا كان حال النبى ﷺ ... وهكذا تعايشنا بقلوبنا مع تلك المواقف التى بكى فيها النبى ﷺ.

* وبعد هذه الجولة السريعة من المواقف التى بكى فيها النبى ﷺ كان لابد أن نعتبر بما حدث للنبى ﷺ فلا نجزع إذا أصابنا أى ابتلاء فلقد رأينا ماذا حدث لسيد ولد آدم ومع ذلك كان صابرًا راضيًا عن الله (جل وعلا) بل لقد أخبر النبى ﷺ أن أشد الناس بلاءً هم الأنبياء.

فقال ﷺ: «أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان فى دينه صلبًا، اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة ابتُلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»[3].

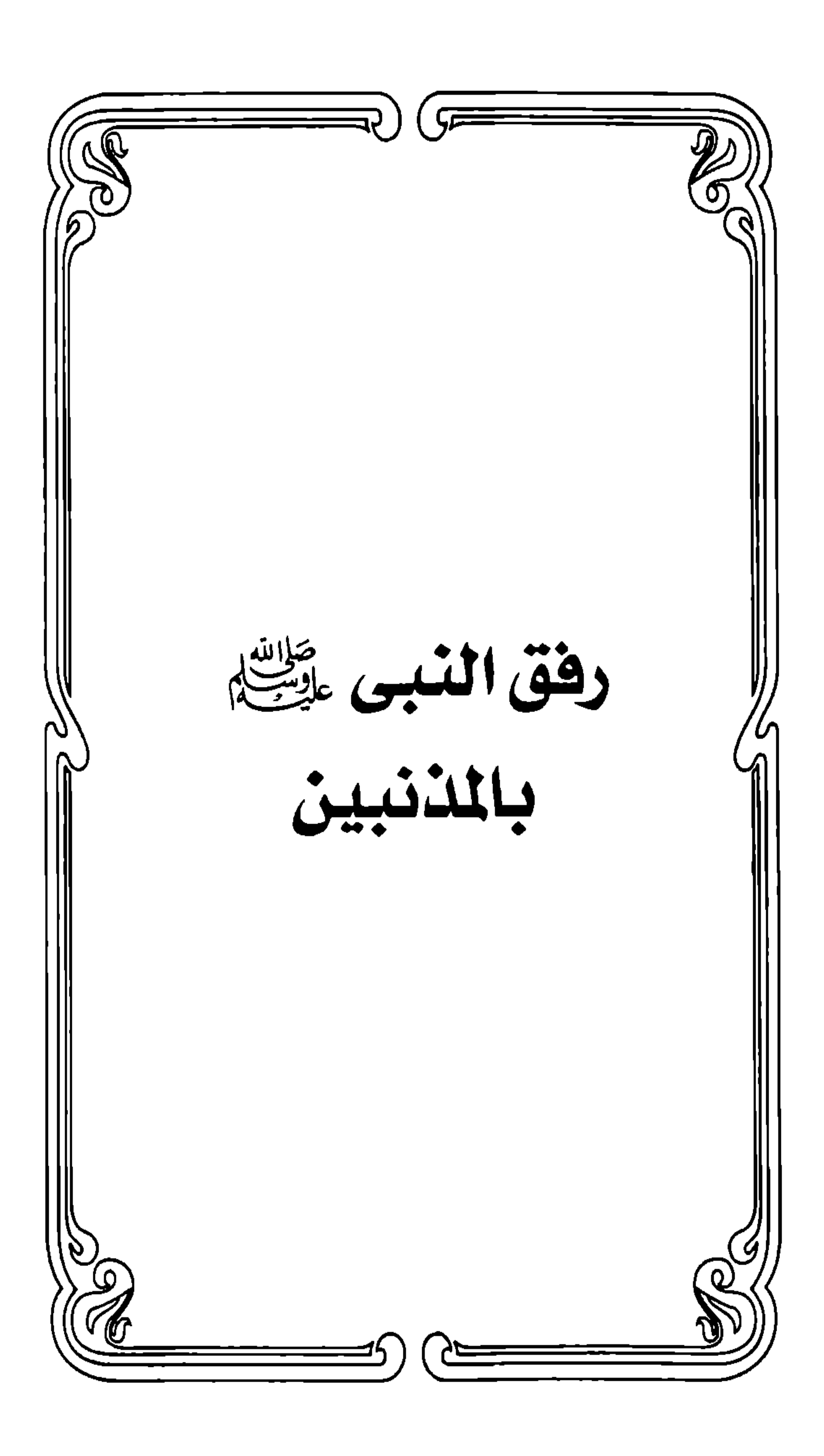
* وكذلك لابد أن نعلم أن النبى ﷺ ضحَّى كثيرًا وصبر كثيرًا من أجل أن يُبلغ دعوته ومن أجل أن نكون مسلمين فيجب علينا أن نتمسك بهذا الدين وأن نثبت عليه حتى يسعد النبى ﷺ بلقائنا على الحوض.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٩٠).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان فى صحيحه (٢/٣٨٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٨).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٢٣) كتاب الفتن وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٩٢).



رفق النبى ﷺ بالمذنبين

رفق النبى ﷺ بالمذنبين

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول فلما دخلنا وجدنا النبى ﷺ جالسًا في المسجد فى مجلسه المبارك وقد أحاط به أصحابه ﷺ.

وفجأة دخل شاب إلى المسجد وجعل يتلفت يمينًا وشمالاً كأنه يبحث عن أحد. وقعت عيناه على رسول الله ﷺ.. فأقبل يمشى إليه..

كان المتوقع أن يجلس الشاب فى الحلقة ويستمع إلى الذكر.. لكنه لم يفعل..! إنما نظر الشاب إلى رسول الله ﷺ وأصحابه حوله..

ثم قال بكل جرأة: يا رسول الله.. ائذن لى بـ.. بطلب العلم؟! لا.. لم يقلها.. ويا ليته قالها. ائذن لى بالجهاد.. لا.. ويا ليته قالها..

أتدرى ماذا قال؟

قال: يا رسول الله.. ائذن لى بالزنا..

عجبًا !! هكذا بكل صراحة؟!!

نعم.. هكذا: ائذن لى بالزنا..

نظر النبى ﷺ إلى الشاب.. كان يستطيع أن يعظه بآيات يقرؤها

عليه.. أو نصيحة مختصرة يحرك بها الإيمان فى قلبه.. لكنه ﷺ سلك أسلوبًا آخر..

قال له ﷺ بكل هدوء: «أترضاه لأمك؟».

فانتفض الشاب وقد مرَّ فى خاطره أن أمه تزنى.. فقال: لا.. لا أرضاه لأمى..

فقال له ﷺ بكل هدوء: «كذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم»..

ثم فاجأه سائلاً: «أترضاه لأختك؟!».

فانتفض الشاب أخرى.. وقد تخيل أختـه العفيفة تزنى.. وقال مبادرًا: لا.. لا.. لا أرضاه لأختى..

فقال ﷺ: «كذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم»..

ثم سأله: «أترضاه لعمتك؟! أترضاه لخالتك؟!».

والشاب يردد: لا.. لا..

فقال ﷺ: «فأحب للناس ما تحب لنفسك.. واكره للناس ما تكره لنفسك..».

أدرك الشاب عند ذلك أنه كان مخطئًا..

فقال بكل خضوع: يا رسول الله.. ادعُ الله أن يطهر قلبى..

فدعاه ﷺ.. فـجعل الشاب يقترب.. ويقـترب.. حتى جلس بين يديه.. ثم وضع يده على صدره..

وقال: «اللهم اهد قلبه.. واغفر ذنبه.. وحصِّن فرجه..»[1].

فخـرج الشـاب وهو يـقول: والله لقد دخلـت على رسول الله ﷺ.. وما من شىء أحب إلىَّ من الزنا.. وخرجت من عنده وما من شىء أبغض إلىَّ من الزنا..[2].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع رفق النبى ﷺ بالمذنبين.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٦)، والطبرانى (٨/ ١٦٢). قال الهيثمى (١/ ١٢٩) : رجاله رجال الصحيح . وأخرجه أيضًا : الطبرانى فى الشاميين (٢/ ٣٧٣)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤/ ٣٦٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٧٠).

(٢) استمتع بحياتك / د . محمد العريفى (ص: ١٥٩-١٦٠).

رفقًا بالمذنبين

لابد أن نعلم أن العصمة دُفنت يوم أن دُفن الحبيب محمد ﷺ . . . فليس هناك إنسان معصوم من الذنوب والمعاصى ومن أجل ذلك كان لزامًا علينا إذا رأينا إنسانًا قد وقع فى أى معصية أن نرفق به وأن نفتح له باب الأمل حتى لا ييأس ولا يقنط من رحمة الله (جل وعلا).

* فالله (عز وجل) هو الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء وهو الرفيق فى أفعاله وفى شرعه.

- **قال ﷺ : «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على ما سواه»**(١).

* ولقد أمرنا الله (جل وعلا) بالرفق فى كل شىء وبخاصة فى الدعوة إلى الله (جل وعلا).

* **ولذا لما أرسل موسى وهارون (عليهما السلام) إلى فرعون قال لهما: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾**(٢).

- **قال قتادة:** سبحانك ما أحلمك.. إن كان هذا حلمك بعبد طغى، وقال: أنا ربكم الأعلى.. فكيف يكون حلمك بعبد سجد لك وقال: سبحان ربى الأعلى؟!!!

* **ولذا لما قام أحد الدعاة يدعو رجلاً بغلظة قال له الرجل: يا هذا! هل أنا** أشد كفرًا من فرعون؟ قال الداعية: لا.

فقال الرجل: وهل أنت أشد إيمانًا من موسى وهارون (عليهما السلام)؟

قال الداعية: لا.

فقال الرجل: فإن الله قد أرسل من هما خير منك إلى من هو أسوأ منى

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٩٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) سورة طه: الآيتان: (٤٣ ، ٤٤).

فقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾.

* فنحن فى أشد الحاجة لأن نتخلق بخُلق الرفق والرحمة ونحن ندعو الناس إلى الله (جل وعلا)... فالناس جميعًا فى أشد الحاجة لمن يأخذ بأيديهم بكل رحمة وحنان ليضعوا أقدامهم على طريق الجنة التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* أسأل الله (جل وعلا) أن يملأ قلوبنا رحمة وشفقة بالمذنبين وأن يجعلنا سببًا لهدايتهم... إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

صور من رفق النبى ﷺ

- وإن كان حديثنا عن الحلم والرفق فلا نستطيع أن ننسى أبدًا صاحب القلب الرحيم الرفيق الذى علَّم الكون كله كيف يكون الحلم والرفق.

- وإذا أردت أن أسلط الأضواء على صور من حلم النبى ﷺ ورفقه فإننى سأحتاج إلى سرد سيرته العطرة من أولها لآخرها ولكن حسبنا أن نُلقى الضوء على بعض تلك المواقف العطرة.

* **عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتيت النبى ﷺ فى نفر[1] من قومى فأقمنا عنده عشرين ليلةً وكان رحيمًا رفيقًا فلما رأى شوقنا إلى أهالينا، قال: «ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلُّوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم»**[2].

*(عن عائشة رضي الله عنها أن يهود أتوا النبى ﷺ، فقالوا: السام[3] عليكم، فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم. قال: **«مهلاً يا عائشة**

---

(١) النَّفَر: جماعة من الرجال دون العشرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٨) كتاب الأذان، ومسلم (٦٧٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) السَّام: الموت.

عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش». قالت: أوَ لم تسمع ما قالوا؟! قال: «أوَ لم تسمعى ما قُلت رددت عليهم فيُستجاب لى فيهم ولا يستجاب لهم فىّ»(١).

* (وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن اعرابيًا بال فى المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به فقال لهم رسول الله ﷺ: «دعُوه وأهْريقوا(٢) على بوله ذَنوبًا من ماء أو سَجلاً(٣) من ماء فإنما بُعثتم مُيسرين ولم تُبعثوا مُعسرين»)(٤).

*(عن عائشة رضي الله عنها زوج النبى ﷺ أنها قالت للنبى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أُحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل، فنادانى، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فنادانى ملك الجبال فسلم علىّ ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين»(٥) فقال النبى ﷺ: «بل أرجو أن يُخْرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»)(٦).

*(عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلِّمنه ويستكثرنه عالية أصواتُهن فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب فأذن له رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٣٠) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٦٥) كتاب السلام.

(٢) اهرق: أراق واهدر.

(٣) السجل: الدلو المملوءة الكبيرة.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦١٢٨) كتاب الأدب.

(٥) الأخشبين: جبلين بمكة.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد والسير.

يضحك فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب». قال عمر: فأنت يا رسول الله أحق أن يَهبن. ثم قال عمر: أى عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟! قلن: نعم. أنت أغلظ وأفظ [1]من رسول الله ﷺ... قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قطُّ سالكًا فجًا [2]إلا سلك فجًا غير فجك» [3].

* (عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنى لأدخل فى الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز [4]مما أعلم من شدة وجد [5]أمه من بكائه») [6].

*(عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله - عز وجل - فى إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [7]وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [8]، فرفع يديه وقال: «اللهم أمتى أمتى وبكى» فقال الله - عز وجل -: «يا جبريل! اذهب إلى محمد فسله ما يُبكيك؟» - وربك أعلم -. فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال الله: «يا جبريل! اذهب إلى محمد فقل إنا سنُرضيك فى أمتك ولا نسوؤك») [9].

---

(١) الفظاظة: شدة الخلق وخشونة الجانب.

(٢) الفجّ: الطريق الواسع.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٩٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٣٩٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) التجوّز: التخفيف.

(٥) وَجْد أمه: حزنها.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٩) كتاب الأذان، ومسلم (٤٧٠) كتاب الصلاة.

(٧) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

(٨) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٩) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

* (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَدِمَ الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! إن دوسًا عصت وأبت فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس. قال: «اللهم اهد دوسًا وأت بهم»)(١).

* (وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله بها)(٢).

الهداية منحة ربانية

واعلم - أيها الأخ الحبيب - أن الهداية منحة ربانية يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده.

- فالإنسان لا يملك هداية لنفسه فضلاً عن هداية غيره.

قال تعالى للنبي ﷺ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(٤).

فإذا أنعم الله عليك بنعمة الهداية فاسجد لله شكرًا على أن هداك ويسر لك الهدى، وإذا رأيت عاصيًا فما عليك إلا أن تتذكر قول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(٥).

واعلم علم اليقين أنك لا تدري بِمَ يُختم لك وله... فقد يُختم لهذا

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٣٧) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٥٢٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٦٠) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٢٧) كتاب الفضائل.

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٧٢).

(٤) سورة القصص: الآية: (٥٦).

(٥) سورة النساء: الآية: (٩٤).

العاصى بخـاتمة أهل السعادة بأن يوفـقه الله فى آخر أيامه إلى توبة صـادقة تمحو كل ذنوبه وآثامه بل وتبـدل سيئاته كلهـا حسـنات... وتأمل معى هذا الحديث لتعلم يقينًا أن العبد لا يعرف خاتمته وعليه ألا يأمن على نفسه حتى يضع قدمـه فى جنة الرحمن -جل وعـلا- قال ﷺ: **«إن الرجل ليـعمل الزمن الطويل بعـمل أهل الجنة، ثم يُختـم له عمله بعـمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يُختم له عمله بعمل أهل الجنة»**(١).

وقال ﷺ: **«إن الرجل ليعـمل عمل أهل الجنة فيمـا يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليـعمل عـمل أهل النار فـيما يبـدو للناس، وهو من أهل الجنة»**(٢).

زاد البخارى: **«وإنما الأعمال بخواتيمها»**(٣).

انقذوا الغرقى

أخى الحبيب: أريد أن أسألك سؤالاً واحـدًا: لو أنك رأيت رجلاً يغرق فى البحر فهل ستحاول أن تنقذه أم لا؟

بالطبع ستنقذه.

- فإذا كان هذا حـالك مع رجل يغرق فى الماء فماذا سـتصنع مع رجل يكاد أن يغرق فى النار لكثرة ذنوبه؟!

- فلنحرص كل الحرص على إنقاذ هؤلاء المذنبـين وأن نملأ قلوبنا شفقة وخوفًا عليهم.

- لما مرَّ أبو الدرداء ؓ على أُناس يضربون رجلاً ضـربًا شديدًا، فقال

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥١) كتاب القدر، من حديث أبى هريرة ؓ.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٩٨) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٢/١١٢) كتاب الإيمان، من حديث سهل بن سعد الساعدى ؓ.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤٩٣) كتاب الرقاق، من حديث سهل بن سعد الساعدى ؓ.

لهم: لماذا تضربون هذا الرجل؟

فقالوا: وجدناه يعصي الله.

فقال: ارحموه واتركوه.

فقالوا: ألا تبغضه؟

قال: لا . . إنما أبغض معصيته فإن تركها فهو أخي . .

ثم قال لهم: ألا تحمدون الله على أن عافاكم مما ابتلاه به.

*هكذا تكون نظرة المؤمن للعصاة . . . نظرة رحمة وشفقة . . نظرة خوف عليه أن يظل على معصيته حتى يدخل النار . . . نظرة من يريد أن يأخذ بيديه إلى الجنة .

لا تقنط أحداً من رحمة الله (جل وعلا)

قال ﷺ: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيان، وكان أحدهما مذنبًا، والآخر مجتهداً في العبادة، وكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر فوجده يومًا على ذنب، فقال له: أقصر. فقال: خلِّني وربي، أبعُثت عليَّ رقيبًا؟! فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يُدخلك الله الجنة، فقبض روحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا، أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار»[1].

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

*وما كان لعبد من عباد الله أن يحجر على ربه أن يغفر لفلان أو يحبط عمل فلان، لقد تكلم هذا المسكين، -كما قال أبو هريرة راوي الحديث-

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٠١) كتاب الأدب، وأحمد (٨٠٩٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٤٥٥).

بكلمة أوبقت عليه دنياه وآخرته، فقد قبض الله روحيهما، فاجتمعا عنده، وقال لذلك المتألى - موبخًا مؤنبًا-: «أوَ كنت بى عالمًا؟ أو كنت على ما فى يدى قادرًا؟» وأمر بإدخاله النار، وأمر بإدخال المذنب الجنة.

* وفى رواية مسلم أن النبى ﷺ حدَّث أن رجلاً قال: **«والله لا يغفر الله لفلان، فقال تعالى: من ذا الذى يتألى علىّ أن لا أغفر لفلان فإنى قد غفرت لفلان وأحبطت عملك»**.

* ولهذا - أيها الأخ الحبيب - إذا رأيت عاصيًا فما عليك إلا أن تتذكر قول الله (عز وجل): ﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[1].

* وعليك أن تكون كالطَّبيب الرحيم الذى لا يتعامل بالمشرط مع كل مريض بل يبدأ بالدواء الخفيف فإن لم ينفع فإنه يزيد جرعة الدواء وتركيزه فإن لم ينفع لجأ إلى الحقن ثم تكون نهاية الأمر مع المشرط والتدخل الجراحى.

- فكذلك أنت.. عليك أن تبدأ بالكلمة الطيبة والنصيحة الرقراقة ولا تنتقل لغيرها إلا إذا تأكدت وتيقنت أنها لم ولن تنفع مع هذا الإنسان.

لو تاب المذنبون لكان خيرًا للأمة كلها

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[2].

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[3].

---

(١) سورة النساء: الآية: (٩٤).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٩٦).

(٣) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٢).

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(١).

- ورُوى أنه لحق بنى إسرائيل قحط على عهد موسى عليه السلام فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا كليم الله! ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث فقام معهم وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفًا أو يزيدون فقال موسى عليه السلام: ... اللهم اسقنا غيثك وانشر علينا رحمتك وارحمنا بالأطفال الرُّضَّع والبهائم الرتَّع والمشايخ الركع فما زادت السماء إلا تقشعًا والشمس حرارة! فتعجب نبى الله موسى فأوحى الله إليه وقال: يا موسى! فيكم عبد يبارزنى بالمعاصى منذ أربعين سنة فنادِ فى الناس حتى يخرج من بين أظهركم فبه منعتكم(٢).

فقال موسى: إلهى وسيدى أنا عبد ضعيف وصوتى ضعيف فأين يبلغ وهم سبعون ألفًا أو يزيدون؟ فأوحى الله إليه منك النداء ومنى البلاغ... فقام مناديًا، وقال: يا أيها العبد العاصى الذى يبارز الله بالذنوب والمعاصى منذ أربعين سنة أُخرج من بين أظهرنا فبك مُنعنا المطر... فقام العبد العاصى فنظر ذات اليمين وذات الشمال فلم ير أحدًا خرج فعلم أنه المطلوب وقال فى نفسه: إن أنا خرجت من بين هذا الخلق افتضحت على رؤوس بنى إسرائيل وإن قعدت معهم مُنعوا لأجلى... فأدخل رأسه فى ثيابه نادمًا على فعاله وقال: إلهى وسيدى عصيتك أربعين سنة وأمهلتنى وقد أتيتك طائعًا فاقبلنى... فلم يستتم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القِرَب فقال موسى: إلهى وسيدى بماذا سقيتنا وما خرج من بين أظهرنا أحد؟ فقال: يا موسى سقيتكم بالذى منعتكم، فقال موسى: إلهى أرنى هذا

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٢) أى: بسببه منعت عنكم الخير؛ لأنكم لم تأمروه بالمعروف ولم تنهوه عن المنكر.

العبد الطائع التائب. فقال: يا موسى! إنى لم أفضحه وهو يعصينى أأفضحه وهو يطيعنى!(١)

لن تعدم الخير فى أى مسلم

* واعلم أيها الأخ الحبيب أنك لن تعدم الخير فى أي مسلم لكن عليك أن تحسن الدخول إليه بشكل غير مباشر وذلك من باب قول النبى ﷺ: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا».

* وها هو الحسن البصرى وجد رجلاً لا يصلى ولا يصوم، بل إنه عاكف على فعل الموبقات، فأراد الحسن أن يُذكره بالله جل وعلا فأخذ هذا الرجل وسار معه فى الطريق فمرت جنازة فنظر الحسن إليها وقال للرجل: أيها الرجل! أرأيت لو أن الله أحيا هذا الميت فعاد إلى الدنيا فيا ترى ماذا سيصنع؟ قال له الرجل: سيكون أفضل الناس صلاةً وزكاةً وصيامًا وبرًّا للوالدين وأحسنهم خُلقًا.... فقال الحسن: فليكن هو أنت وقد أحياك الله الآن فاصنع ما قلت!!

أما آن الأوان لأن تتوب؟!

وفى المقابل فإنى أقول لكل من عاش زمانًا طويلاً يرتع فى أوحال الذنوب والمعاصى: أما آن الأوان لأن تتوب؟!

أما سمعت قول الله (جل وعلا): ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٢).

---

(١) مختصر كتاب التوابين لابن قدامة (ص ٨٦، ٨٧).

(٢) سورة الحديد: الآية: (١٦).

* وكن على يقين أنه مهما بلغت ذنوبك وآثامك فلو شاء الله لغفرها كلها.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1].

وقال تعالى فى الحديث القدسى: «يا ابن آدم! إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى، يا ابن آدم لو أنك أتيتنى بقراب الأرض خطايا - أى: بقرب ما يملأ الأرض من الخطايا - ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»[2].

-ولقد كان المعصوم ﷺ يقول: «إنه ليُغان على قلبى وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة»[3].

ويقول ابن عمر: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة يقول: «ربِّ اغفر لى وتب علىَّ إنك أنت التواب الغفور»[4].

- وهو من هو؟! هو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

- فلا بد أن تسرع يا أخى بالتوبة والإنابة إلى الله قبل أن يداهمك الموت فجاه فتصرخ وتقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾[5] فيقال لك: «كلاَّ».

- فأنت الآن فى الدنيا فاغتنم الأوقات والساعات فى طاعة رب الأرض والسماوات.

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٣٥٤٠) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٢٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٥١٦) كتاب الصلاة، والترمذى (٣٤٣٤) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨١٤) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٥٥٦).

(٥) سورة المؤمنون: الآيتان: (٩٩، ١٠٠).

كما قال النبى ﷺ: «اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»(١).

- فعليك ألاَّ تجعل ساعة واحدة تمر من عمرك إلا فى طاعة الله.

ولذا لما جاء رجل إلى سفيان الثورى فقال له: لقد ابتُليت بمرض البعد عن الله وأريد أن أتقرب إلى الله وأغتنم عمرى فى طاعة الله فقال له سفيان: يا هذا! عليك بعروق الإخلاص وورق الصبر وعصير التواضع؛ ثم ضع هذا كله فى إناء التقوى، وصب عليه ماء الخشية، وأوقد عليه نار الحزن، وصفِّه بمصفاة المراقبة، وتناوله بكف الصدق، واشربه من كأس الاستغفار، وتمضمض بالورع، وابعد عن الحرص والطمع تُشفى من مرضك بإذن الله.

- فاحرص على طاعة الله يا أخى واعلم أنك لو عشت آلاف القرون فلا بد لك من لقاء الله والوقوف بين يديه.

لو عاش الفتى فى دهره
ألفًا من الأعوام مالك أمره
متنعمًا فيه بكل نفيسة
متلذذًا فيه بنُعمى عصره
لا يعتريه السُّقم فيها مرة
كلا ولا ترد الهموم بباله
ما كان هذا كله فى أن يفى
بمبيت أول ليلة فى قبره(٢)

* * *

(١) صحيح: أخرجه الحاكم (٤/ ٣٤١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٢) كتاب (خطب ودروس أبو عمار) (الجزء الثانى) (ص: ٦٤-٨٠).

احذر... فالمعاصى تزرع أمثالها

فإن المعاصى تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضًا، حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها، كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة، السيئة بعدها. وإن من ثواب الحسنة، الحسنة بعدها.

وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزنى بطاعتك، ولا تذلنى بمعصيتك.

وقال الحسن البصرى: إنهم إن طقطقت[١] بهم البغال وهملجت[٢] بهم البراذين[٣] فإن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

وقال عبد الله بن المبارك:

رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوبَ ... وقد يورث الذلَّ إدمانُها

وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ ... وخيرٌ لنفسك عصيانُها

وهل أفسدَ الدينَ إلا الملوكُ ... وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها[٤]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن للحسنة ضياء فى الوجه ونورًا فى القلب وسعة فى الرزق وقوة فى البدن ومحبة فى قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا فى الوجه وظلمة فى القلب ووهنًا فى البدن ونقصًا فى الرزق وبغضة فى قلوب الخلق».

---

(١) طقطقت: الطقطقة: هى صوت حوافر البغال.

(٢) هملجت: أسرعت فى خفة وتبختر.

(٣) البراذين: نوع من الخيل، وهو ما كان من غير نتاج العرب.

(٤) الداء والدواء / للإمام ابن القيم (ص: ٧٨).

لا تلعنه.. إنه يحب الله ورسوله

أكثر الناس الذين نخالطهم مهما بلغ أحدهم من السوء.. إلا أنه لا يخلو من خير وإن كان قليلاً.. فلو استطعنا أن نعثر على مفتاح الخير لكان حسنًا..

اشتهر عن بعض المجرمين.. أنه كان يسطو على بيوت الناس ويسرق أموالهم.. لينفق بعضها على ضعفاء وأيتام!! أو يبنى بها مساجد!!

أو كالتى ترى أيتامًا جوعى فتزنى لتُحَصِّل ما تسد به جوعهم..

بنى مسجدًا لله من غير حلِّه

فكان بحمد الله غير موفق

كمُطعمة الأيتام من كدِّ عرضها!

لك الويل لا تزنى ولا تتصدقى

كم من حامل سكين ليطعن بها.. فاستعطفه طفل أو امرأة فَرَقَّ قلبه.. وألقى سكينه عنه..

إذن عامل الناس جميعًا بما تعلم فيهم من خير.. قبل أن تسىء الظن بهم..

نبينا وقرة أعيننا محمد ﷺ.. بلغ من خُلقه أنه كان يلتمس المعاذير للمخطئين.. ويُحسن الظن بالمذنبين..

كان إذا قابل عاصيًا ينظر فيه إلى جوانب الإيمان قبل جوانب الشهوة والعصيان..

ما كان يسىء الظن بأحد.. يعاملهم كأنهم أولاده وإخوانه..

يحب لهم الخير كما يحبه لنفسه..

كان رجل فى عهد النبى ﷺ قد ابتُلى بشرب الخمر.. فأتوا به يومًا وقد شرب خمرًا إلى رسول الله ﷺ فأمر به فجُلد..

ثم مرت أيام. . فشرب خمراً. . فجيء به أخرى فجُلد. .

ومرت أيام. . ثم جيء به قد شرب خمرًا. . فجُلد. .

فلما ولَّى خارجًا.. قال رجل من الصحابة: لعنه الله. . ما أكثر ما يؤتَى به!!

فالتفت إليه ﷺ . . وقد تغير وجهه فقال له: لا تلعنه. . فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله. .[1].

فإذا تعاملت مع الناس فكن عادلاً. . اذكر الخير الذى فيهم. . وأشعرهم أن شرَّهم لم يجعلك تنسى خيرهم. . فهذا يقربهم إليك. .[2].

قصة الحية والسكران

إن الإنسان لا يستغنى عن ربِّه طرفة عين، حتى العصاة المذنبون، بل حتى الكفار، يتقلبون فيما أنعم الله به عليهم من أنواع الحفظ والرعاية إلى أجلٍ هم بالغوه . . . ولو كشف الله ستره عن عباده؛ لابتلعتهم الأرض، وأغرقتهم البحار، ودمرتهم الرياح والعواصف.

عن يوسف بن الحسين يقول: كنت مع ذى النون المصرى على شاطئ غدير فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شط الغدير واقفة، فإذا بضفدع قد خرجت من الغدير، فركبتها العقرب، فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت، فقال ذو النون: إن لهذه العقرب لشأنًا فامض بنا، فجعلنا نقفو أثرها؛ فإذا رجل نائم سكران، وإذا حية قد جاءت فصعدت من ناحية سُرته إلى صدره وهى تطلب أذنه، فاستحكمت العقرب من الحية فضربتها: فانقلبت وانفسخت، ورجعت العقرب إلى الغدير، فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت، فحرك ذو النون الرجل النائم، ففتح عينيه، فقال: يا فتى، انظر

---

(١) صحيح:رواه البخارى (٦٧٨٠) كتاب الحدود.

(٢) استمتع بحياتك (ص:٢١٣-٢١٤).

مما نجاك الله! هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التى أرادتك، ثم أنشأ ذو النون يقول:

يا غافلاً والجليل يحرسه
من كل سوء يدب فى الظُّلَمِ
كيف تنام العيون عن ملك
تأتيه منه فوائدُ النِّعَمِ

فنهض الشاب وقال: إلهى، هذا فعلك بمن عصاك!، فكيف رفقك بمن يطيعك؟! ثم ولى، فقلت: إلى أين؟، قال: إلى طاعة الله[1].

قبل أن تحاسبوا

أقولُ لكم عن تجربةٍ وذوقٍ ومعرفة عانيتها، كم خُدعنا بالأمانى الكاذبة، والخيالات الفارغة، وغفلنا عن الحقائق، والشرع يخبرنا بالأصلح، ويحذِّرنا من مصارع البغى، ومراتع الغفلة، ولكن العقل فى حجابٍ كثيف يحتاج إلى مطارق قوية تهزّه هزًّا، وتقلقه حتى يرعوى.

كم رأينا من شاب أعرضَ عن المسجد، وعقَّ الوالد، ونسى القُدوم، ثم قُبضت روحه بغتة، وسار لأهله حسرة، كم رهت بيوت بأهلها وأموالها وحشمها، ثم وقعت بهم الواقعة، فصاروا أثرًا بعد عين.

ألا يا من نصح نفسه لا تنفق العمر بكف التبذير، وتوزّع الأوقات على المتسولين، فإنّ ضياع الزمن ضالة لا تُردّ.

بالله لو جلستَ بعد الفجر، حتى تطلع الشمس، فى المسجد كل يوم، هل تخسر من أموالك درهمًا؟! أو تفقد من دنياك مغنمًا؟! بل تكسب الأجر والمثوبة والحسنى.

---

(١) كتاب التوابين (ص: ٢٢٦).

بالله لو مكثت بعد كل صلاة ثلث ساعة مسبحًا، كم تكسب من الأجور، وتخزن من الثواب، ويصعد لك من الكلم الطيب؟!

رأيت كثيراً من الناس يجلسون فى المجامع العامة ومجالس السمر، والأندية، لتقضية الوقت مع غيبة وفحش من القول، وضحك، ولهو، وكان الأمر لا يعنيهم، أو كأن عندهم عهداً وثيقًا بالبقاء، فيا لفجأة الرحيل عليهم، ويا لهول الموت على قلوبهم.

الصدق منجاة، والرائد لا يكذب أهله، والحقائق أقوى من الخيال، وقد نصحت نفسى ونصحتك، وما بقى من أعمارنا إلا كما ذهب أو أقل وهل اليوم إلا مثل أمس.

- أين الطعام اللذيذ الذى أكلناه أمس؟! لا نجد لذته، أين الماء البارد الذى شربناه؟! لا نحس ببرودته، إن جُعنا كأنا ما شبعنا، وإن ظمئنا كأنّا ما روينا، وإن حزنا كأنّا ما سُررنا.

وقد قيل:

شقينا بالنوى زمنًا فلما ... تلاقينا كأنَّ ما شقينا

بكينا عندما جنت الليالى ... فما زالت بنا حتَّى رضينا[1]

* * *

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ٦٣ - ٦٥).

باب التوبة مفتوح

واعلم يا أخى أننا لا نقنّط أحدًا من رحمة الله، فباب التوبة مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها، وإلى أن تغرغر الروح، فها هى كبائر الذنوب يفتح الله أبواب التوبة لكل من ارتكبها لكى يتوبوا ويعودوا إلى الرحمن الرحيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١).

وعلى الرغم من تلك الجرائم والكبائر إلاَّ أن الله -جل وعلا- فتح لهم باب التوبة فقال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

وها هم أصحاب الأخدود الذين حرقوا المؤمنين والمؤمنات، وظلموهم بلا ذنب اقترفوه سوى أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد.... هؤلاء الذين فرقوا بين الأم وولدها، وقذفوا ولدها أمام عينيها فى النار، وجلسوا يتلذذون بمشاهدة المؤمنين، وهم يموتون فى النيران، وعلى الرغم من ذلك يفتح الله لهم باب التوبة ليتوبوا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾(٣).

فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ يفيد أنهم لو تابوا لتاب الله عليهم.

وها هم أهل الشرك والقتل والزنا يفتح الله أمامهم باب التوبة، فيقول: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٣٣).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٣٤).

(٣) سورة البروج: الآية: (١٠).

يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ﴿٦٨﴾ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا﴾، ثم بعد ذلك يفتح الله لهم باب التوبة، ويقول: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ﴿٧٠﴾ ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا﴾ (١).

وهؤلاء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يفتح الله أمامهم باب التوبة لكى يتوبوا ويقيموا الصلاة ويتركوا الشهوات ويقبلوا على فعل الطاعات، قال تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴿٥٩﴾ إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا﴾ (٢).

ومع كل هذه الأمثلة التى تثلج الصدور لسعة رحمة الله - جل وعلا- إلا أننا لا ينبغى أن نتهاون بعواقب الذنوب والمعاصى، فإن الله كما وصف نفسه بأنه غفور رحيم، فقد وصف نفسه بأنه شديد العقاب، فقال: ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم﴾ (٣).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول﴾ (٤).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ﴿٤٩﴾ وأن عذابى هو العذاب الأليم﴾ (٥).

فقد يستصغر الإنسان ذنبا وهو عند الله عظيم، قال تعالى: ﴿وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم﴾ (٦).

---

(١) سورة الفرقان: الآيات: (٦٨-٧١).

(٢) سورة مريم: الآيتان: (٥٩، ٦٠).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٩٨).

(٤) سورة غافر: الآية: (٣).

(٥) سورة الحجر: الآيتان (٤٩، ٥٠).

(٦) سورة النور: الآية: (١٥).

خلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التُّقَى

واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة.. إن الجبال من الحصى

فلقد دخلت امرأة النار فى هرة، قال ﷺ : «دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»[١] .

وقال النبى ﷺ لعائشة -لما قالت شيئًا فى صفية أم المؤمنين: وإنها قصيرة-: «لقد قلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته»[٢] .

الله يفرح بتوبتك

يا لها من كلمات تجعل شمس التوبة تضىء القلب وتنير الصدر بنور الحق الذى جاء به النبى ﷺ من عند الحق -جل جلاله-.

قال ﷺ : «الله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلِّها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال - من شدة الفرح -: اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»[٣] .

وقال الله جل وعلا: «يا ابن آدم! إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى، يا ابن آدم! لو أنك أتيتنى بقراب الأرض خطايا -أى: بقرب ما يملأ الأرض من الخطايا- ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»[٤] .

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣١٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦١٩) كتاب التوبة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٧٥) كتاب الأدب، والترمذى (٢٥٠٢) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٥٠٣٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٤٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٩) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٤٧) كتاب التوبة.

(٤) حسن: رواه الترمذى (٣٥٤٠) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٢٧).

مشهد عظيم لفرحة الرب بتوبة العبد

إن الله سبحانه إنما خلق الخلق لعبادته، الجامعة لمحبته والخضوع له وطاعته. وهذا هو الحق الذى خُلقت به السماوات والأرض. وهو غاية الخلق والأمر. ونفيه -كما يقول أعداؤه- هو الباطل، والعبث الذى نزه الله نفسه عنه، وهو السُّدَى الذى نزَّه نفسه عنه أن يترك الإنسان عليه. وهو سبحانه يحب أن يُعبد ويُطاع ولا يعبأ بخلقه شيئًا لولا محبتهم له، وطاعتهم له، ودعاؤهم له.

فإذا خرج العبد عما خُلق له من الطاعة والعبودية. فقد خرج عن أحب الأشياء إليه، وعن الغاية التى لأجلها خُلقت الخليقة. وصار كأنه خُلق عبثًا لغير شىء، إذ لم تُخرج أرضه البذر الذى وضع فيها. بل قلبته شوكًا ودغلاً، فإذا راجع ما خُلق له وأوجد لأجله؛ فقد رجع إلى الغاية التى هى أحب الأشياء إلى خالقه وفاطره. ورجع إلى مقتضى الحكمة التى خُلق لأجلها. وخرج عن معنى العبث والسُّدَى والباطل. فاشتدت محبة الرب له، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. فأوجبت هذه المحبة فرحًا كأعظم ما يقدر من الفرح. ولو كان فى الفرح المشهود فى هذا العالم نوع أعظم من هذا الذى ذكره النبى ﷺ لذكره، ولكن لا فرحة أعظم من فرحة هذا الواجد الفاقد لمادة حياته وبلاغه فى سفره، بعد إياسه من أسباب الحياة بفقده، وهذا كشدة محبته لتوبة التائب المحب إذا اشتدت محبته للشىء وغاب عنه، ثم وجده وصار طوع يده. فلا فرحة أعظم من فرحته به.

-فما الظن بمحبوب لك تحبه حبًا شديدًا، أسره عدوك، وحال بينك وبينه، وأنت تعلم أن العدوَّ سيسومه العذاب، ويعرضه لأنواع الهلاك. وأنت أولى به منه. وهو غرسك وتربيتك. ثم إنه انفلت من عدوه، ووافاك على غير ميعاد. فلم يفجأك إلا وهو على بابك، يتملقك ويترضاك ويستعينك،

ويمرغ خديه على تراب أعتابك. فكيف يكون فرحك به، وقد اختصصته لنفسك، ورضيته لقربك، وآثرته على سواه؟

هذا. ولست الذى أوجدته وخلقته، وأسبغت عليه نعمك، والله عز وجل هو الذى أوجد عبده، وخلقه وكونه، وأسبغ عليه نعمه. وهو يحب أن يُتمها عليه، فيصير مُظهرًا لنعمه، قابلاً لها، شاكرًا لها، محبًا لوليها، مطيعًا له عابدًا له، معاديًا لعدوه مبغضًا له عاصيًا له. والله تعالى يحب من عبده معاداة عدوه، ومعصيته ومخالفته، كما يحب أن يوالى الله مولاه سبحانه ويطيعه ويعبده، فتنضاف محبته لعبادته وطاعته والإنابة إليه، إلى محبته لعداوة عدوه. ومعصيته ومخالفته، فتشتد المحبة منه سبحانه، مع حصول محبوبه، وهذا هو حقيقة الفرح.

وفى صفة النبى ﷺ فى بعض الكتب المتقدمة «عبدى الذى سُرَّت به نفسى»، وهذا لكمال محبته له. جعله مما تسر نفسه به سبحانه.

ومن هذا «ضحكه» سبحانه من عبده، حين يأتى من عبوديته بأعظم ما يحبه.

فيضحك سبحانه فرحًا ورضًا. كما يضحك من عبده إذا ثار عن وطائه وفراشه ومضاجعة حبيبه إلى خدمته، يتلو آياته ويتملقه.. ويضحك من رجل هرب أصحابه عن العدو فأقبل إليهم وباع نفسه لله ولقَّاهم نحره حتى قُتل فى محبته ورضاه.

ويضحك إلى من أخفى الصدقة عن أصحابه لسائل اعترضهم فلم يعطوه، فتخلف بأعقابهم وأعطاه سرًا، حيث لا يراه إلا الله الذى أعطاه، فهذا الضحك منه حبًا له، وفرحًا به. وكذلك الشهيد حين يلقاه يوم القيامة. فيضحك إليه فرحًا به وبقدومه عليه[1].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٣٧، ٢٣٨).

فوائد ترك الذنوب والمعاصى

يقول الإمام ابن القيم: إن من فوائد ترك الذنوب والمعاصى إقامة المروءة، وصون العرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال الذى جعله الله قوامًا لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبة الخلق وجواز القول بينهم، وصلاح المعاش، وراحة البدن، وقوة القلب، وطيب النفس، ونعيم القلب، وانشراح الصدر، والأمن من مخاوف الفساق والفجار، وقلة الهمّ والغمّ والحزن، وعز النفس عن احتمال الذل، وصون نور القلب أن تُطفئه ظُلمة المعصية، وحصول المخرج له مما ضاق على الفساق والفجار، وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب، وتيسير ما عسر على أرباب الفسوق والمعاصى، وتسهيل الطاعات عليه، وتيسير العلم والثناء الحسن فى قلوب الناس، وكثرة الدعاء له، والحلاوة التى يكتسبها وجهه، والمهابة التى تُلقَى له فى قلوب الناس، وانتصارهم وحميتهم له إذا أُوذِى وظُلِم، وذبّهم عن عِرضه إذا اغتابه مغتاب، وسرعة إجابة دعائه، وزوال الوحشة التى بينه وبين الله، وقرب الملائكة منه، وبُعد شياطين الإنس والجن منه، وتنافس الناس على خدمته وقضاء حوائجه، وخطبتهم لمودته وصحبته، وعدم خوفه من الموت، بل يفرح به لقدومه على ربه ولقائه له ومصيره إليه، وصغر الدنيا فى قلبه، وكبر الآخرة عنده، وحرصه على الملك الكبير، والفوز العظيم فيها، وذوق حلاوة الطاعة، ووجد حلاوة الإيمان، ودعاء حملة العرش ومَن حوله من الملائكة له، وفرح الكاتبين به، ودعاؤهم له كل وقت، والزيادة فى عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته، وحصول محبة الله له وإقباله عليه، وفرحه بتوبته، وهكذا يجازيه بفرحٍ وسرور لا نسبة له إلى فرحه وسروره بالمعصية بوجه من الوجوه.

فهذه بعض آثار ترك المعاصى فى الدنيا، فإذا مات تلقّته الملائكة بالبشرى

من ربه بالجنة، وبأنه لا خوف عليه ولا حزن، وينتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من رياض الجنة ينعم فيها إلى يوم القيامة. فإذا كان يوم القيامة كان الناس فى الحر والعرق، وهو فى ظل العرش فإذا انصرفوا من بين يدى الله أخذ به ذات اليمين مع أوليائه المتقين وحزبه المفلحين و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(١)(٢).

الأمور التى تعين على التوبة

إن الأمور التى تعين على التوبة والاستمرار عليها كثيرة منها:

١- إخلاص النية لله تعالى فى التوبة وجميع الأعمال الأخرى، قال ﷺ: **«إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، وابتُغى به وجهه»**(٣).

وقال ﷺ: «من ترك شيئًا لله؛ عوضه الله خيرًا منه»(٤).

٢- أن يحاول التائب قدر ما يستطيع أن يعمل أعمالاً صالحة تثبته على طريق الخير وترجح ميزان حسناته وتُذهب سيئاته... قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾(٥).

ووصى النبى ﷺ معاذًا لما بعثه إلى اليمن فقال: «يا معاذ! اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»(٦).

---

(١) سورة الحديد: الآية: (٢١).

(٢) كتاب الفوائد للإمام ابن القيم (ص٢٢١، ٢٢٢).

(٣) صحيح: رواه النسائى (٣١٤٠) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٥٢).

(٤) رواه أحمد (٢٢٢٠٢)

(٥) سورة هود: الآية: (١١٤).

(٦) حسن: رواه الترمذى (١٩٨٧) كتاب البر والصلة، وأحمد (٢٠٨٤٧)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٧).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «.. فالكيِّس هو الذى لا يزال يأتى من الحسنات بما يمحو السيئات...»[١].

٣- أن يستشعر قُبح وفداحة الذنب أو الذنوب التى ارتكبها وضررها عليه فى الدنيا والآخرة.

٤- أن يبتعد عن المكان الذى يمارس فيه المعصية، بحيث لا يعود لارتياد المكان الذى فيه المعصية.

٥- إتلاف الأدوات التى كان يعمل بها المعصية كأن يرمى ويكسر المسكر المتبقى عنده أو آلات اللهو.

٦- إن يجد لنفسه رفقة صالحة تعينه على الخير من الصالحين وأن لا يجالس رفقاء السوء الذين كان يعمل المعاصى معهم.

٧- أن يداوم على قراءة الآيات المخوفة للمذنبين فى القرآن الكريم والسنة المطهرة.

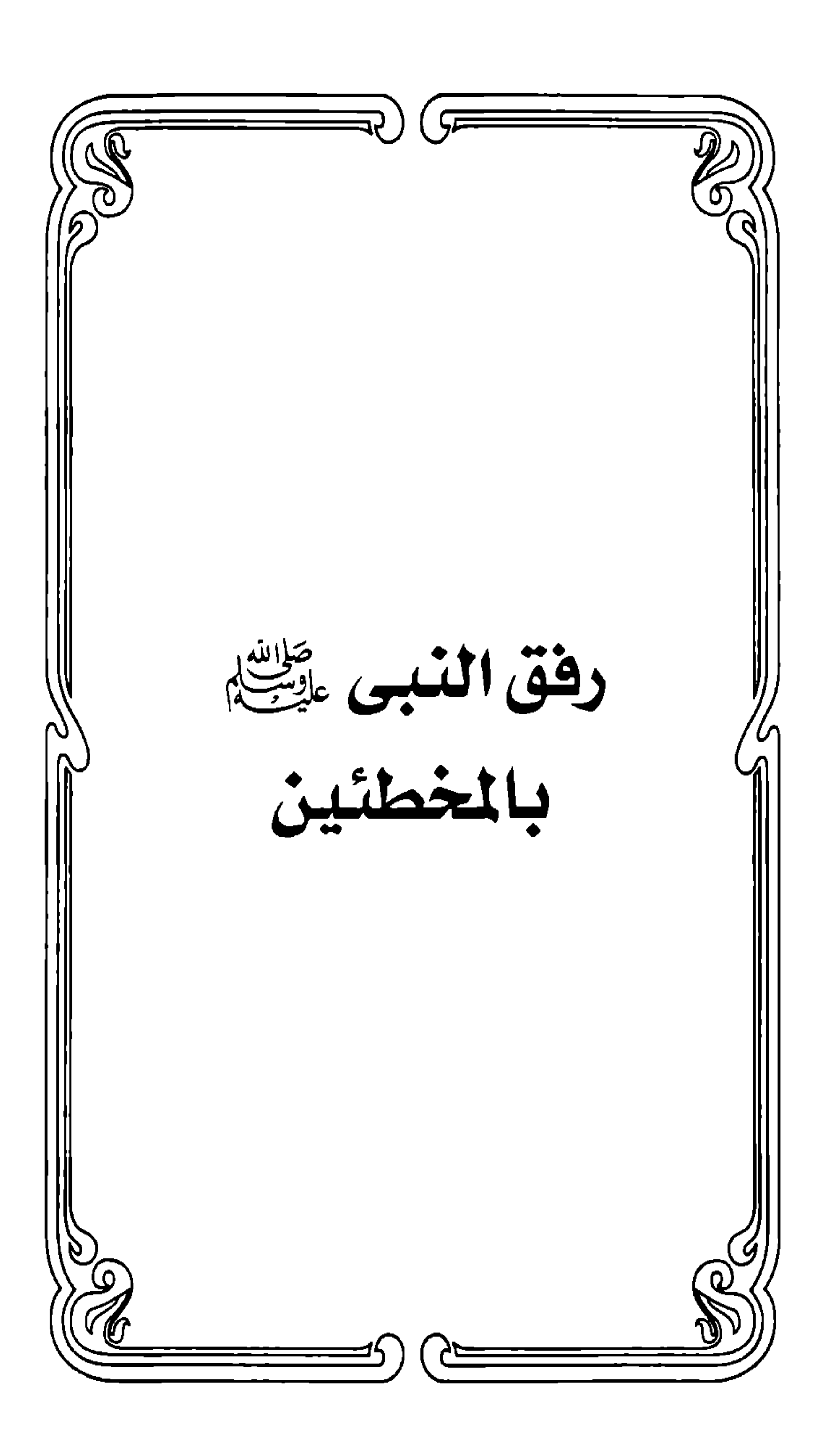
٨- أن يتذكر أن العقوبة المُعجَّلة قد تأتيه فى أى وقت.. قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾[٢].

٩- أن يداوم على ذكر الله سبحانه وتعالى فى جميع الأوقات،.... فذكر الله من أعظم الأسباب المعينة على طرد الشيطان.... ويحاول المحافظة على الأذكار، خاصة التى تقال فى الصباح والمساء وعند النوم وغيرها الثابتة عن الرسول ﷺ.

* * *

(١) الوصية الجامعة (ص:٣).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٥٤).



رفق النبي ﷺ بالمخطئين

رفق النبى ﷺ بالمخطئين

وها نحن - كالعادة - نُطلِق لخيالنا العنان.. ونتخيل أننا الآن قد دخلنا على النبى ﷺ فرأيناه جالسًا مع بعض أصحابه فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها وعنهم فحدث أمرٌ عجيب وكان ردُّ فعل النبى ﷺ فوق الخيال... فيا تُرى ما الذى حدث فى تلك الليلة؟!

* **أخرج البخارى [(١)] عن أنس رضي الله عنه أنه قال:** كان النبى ﷺ عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التى النبى ﷺ فى بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت فجمع النبى ﷺ فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذى كان فى الصحفة ويقول: «**غارت أمكم**» ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التى هو فى بيتها.

فدفع الصحفة الصحيحة إلى التى كُسرت صحفتها، وأمسك المكسورة فى بيت التى كسرت فيه.

* ونحوه عند النسائى[(٢)] بإسناد صحيح من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها أتت بطعام فى صحفة لها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فجاءت عائشة متزرة بكساء ومعها فِهر[(٣)] ففلقت به الصحفة، فجمع النبى ﷺ بين فلقتى الصحفة ويقول: «**كلوا، غارت أمكم**» مرتين، ثم أخذ رسول الله ﷺ صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة، وأعطى صحفة أم سلمة عائشة.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٥٢٢٥) كتاب النكاح.

(٢) النسائى (٧/ ٧٠).

(٣) فهر: أى حجر.

الخطأ من صفة البشر

الأسرة هى مؤسسة إنسانية أركانها هم البشر، والبشر عمومًا يحملون فى نفوسهم نوازع الخير ونوازع الشر.. ليسوا أُناسًا معصومين عن الخطأ، وهذه الأخطاء قد تـنشأ فى داخل الأسرة - أى: فـيمـا يهمُّ الأسرة - سـواء كان الخطأ من الزوج أم من الزوجة أو من الأولاد.

ولا شك أن وجود الأخطاء سيقود إلى نـشوء المشاكل والصـدامات فى داخل الأسرة، وهذا أمر طبيعى فى كل أسرة فلا تكاد تخلو أسرة من وقوع بعض الخلافـات أو المشكلات، التى يمر بعـضُهـا بشكلٍ عارض، وهى من الملامح التى لابد أن يستوعبها كلٌّ من الزوجين، وأن يكون لديه القدرة على تفهُّم مـوقف الطرف الآخر، والقدرة على التعـامل مع الخلاف على حسب درجته وأهميته. ومعرفة، كيف يتعامل مع تلك المواقف الطارئة؟!!! حتى لا تُدمَّر سفينة الحياة الزوجية السعيدة؟!! (١).

* ولقد كان النبى ﷺ يعالج أخطاء الناس جميعًا من حوله بكل رفقٍ ورحمـة.. وإذا أردت أن تعرف ذلك فمـا عليك إلا أن تقرأ سيـرة الرسول ﷺ لتعـرف كيف كان النبى ﷺ فى قـمة الرفق واللين والرحـمة عند معالجة أخطاء الناس من حوله.

الأشياء التى ينبغى أن نراعيها عند معالجة الأخطاء

وهناك أشياء ينبغى أن نراعيها عند مـعالجة الأخطاء التى يقع فيها بعض الناس حتى ننجح فى تصحيح تلك الأخطاء وحتى نفوز بالأجر والثواب.

* فمن بين تلك الأشياء التى ينبغى أن نراعيها عند معالجة الأخطاء.

---

(١) حتى يبقى الحب / د. محمد محمد بدوى (ص٤٨٨).

(١) إخلاص النية لله (جل وعلا)

فينبغى على العالم والداعية إذا أراد أن يصحح الأخطاء التى يقع فيها بعض الناس أن يُخلص النية لله (جل وعلا) ولا يفعل ذلك من أجل أن يعلم الناس أنه عالم .. أو يفعل ذلك من أجل أن يُظهر للناس جهلهم أو خطأهم أو ليتعالى على الناس أو ليظفر بمدح الناس من حوله.

قال ﷺ : «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استُشهد، فأُتى به، فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال جرىءٌ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقى فى النار، ورجل تعلم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتى به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالمٌ، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقى فى النار، ورجلٌ وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل يحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل: ثم أمر به فسُحب على وجهه، ثم أُلقى فى النار»[(١)].

(٢) أن يكون تصحيح الأخطاء مبنيًا على الدليل الشرعى وليس صادرًا عن جهلٍ أو هوى

فلا ينبغى أن نعترض على شىء يفعله أى إنسان لمجرد أنه لا يوافق هوانا بل ينبغى أن يكون تصحيح الأخطاء مبنيًّا على الدليل الشرعى.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٠٥) كتاب الإمارة.

عن محمد بن المنكدر قال: صلى جابر فى إزار قد عقده من قِبل قفاه[١] وثيابه موضوعة على المشجب، قال له قائل: تصلى فى إزار واحد؟ فقال: إنما صنعت ذلك ليرانى أحمق مثلك، وأينا كان له ثوبان على عهد النبى ﷺ؟! [٢].

قال ابن حجر - رحمه الله-: المراد بقوله أحمق هنا أى جاهل .. والغرض بيان جواز الصلاة فى الثوب الواحد ولو كانت الصلاة فى الثوبين أفضل، ... فكأنه قال: صنعته عمدًا لبيان الجواز إما ليقتدى بى الجاهل ابتداء، أو ينكر علىّ فأعلمه أن ذلك جائز، وإنما أغلظ لهم فى الخطاب زجرًا عن الإنكار على العلماء، وليحثهم على البحث فى الأمور الشرعية[٣].

(٣) العدل وعدم المحاباة فى تصحيح الأخطاء

فلا بد أن يكون هناك عدل وعدم محاباة فى تصحيح الأخطاء.

فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾[٥].

* وتعالوا بنا لنرى كيف كان النبى ﷺ لا يحابى أحدًا يخطئ على الشرع .. فالشرع عنده فوق كل الناس.

* فقد روت عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أهمهم شأن المرأة التى سرقت فى عهد النبى ﷺ فى غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله

(١) وسبب ذلك أنهم لم يكن لهم سراويلات، فكان أحدهم يعقد إزاره فى قفاه ليكون مستورًا إذا ركع وإذا سجد: فتح البارى ط. السلفية (١/ ٤٦٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٢) كتاب الصلاة، ومسلم (٥١٨) كتاب الصلاة.

(٣) الفتح (١/ ٤٦٧).

(٤) سورة النساء: الآية: (٥٨).

(٥) سورة الأنعام: الآية: (١٥٢).

ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِب رسول الله ﷺ، فأتى بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلوّن وجه رسول الله ﷺ فقال: «أتشفع فى حدٍّ من حدود الله؟!».

فقال له أسامة: استغفر لى يا رسول الله.

فلما كان العشى قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: **«أما بعد، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإنى - والذى نفسى بيده - لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»** ثم أمر بتلك المرأة التى سرقت فقُطعت يدها[1].

وفى رواية للنسائى عن عائشة رضي الله عنها قالت: استعارت امرأة على ألسنة أناس يُعرفون وهى لا تُعرف حُليًّا فباعته وأخذت ثمنه، فأُتى بها رسول الله ﷺ فسعى أهلها إلى أسامة بن زيد، فكلم رسول الله ﷺ فيها فتلون وجه رسول الله ﷺ وهو يكلمه ثم قال له رسول الله ﷺ: **«أتشفع إلىَّ فى حدٍّ من حدود الله؟!»**. فقال أسامة: استغفر لى يا رسول الله.

ثم قام رسول الله ﷺ عشيتئذ فأثنى على الله عز وجل بما هو أهله ثم قال: **«أما بعد، فإنما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف فيهم تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»** ثم قطع تلك المرأة[2].

(٤) أن نعلم أن الخطأ من طبيعة البشر

فنحن نعلم يقينًا أنه ليس هناك إنسان معصوم .. فالعصمة دُفنت يوم أن

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٤٧٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٨٨) كتاب الحدود.

(٢) **صحيح الإسناد:** رواه النسائى (٤٨٩٨) كتاب قطع السارق، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن النسائى، وقال: صحيح الإسناد.

دُفن الحبيب محمد ﷺ .

قال ﷺ : «كل بنى آدم خطَّاء وخير الخطائين التوابون»[1] .

فلا ينبغى أن يفترض العالم والمربِّى العصمة أو المثالية فى الأشخاص الذين يتعامل معهم بل ينبغى أن يتعامل معهم على أنهم بشر يتأثرون بعوارض الهوى والنسيان والجهل والغفلة.

ومن هنا يستطيع المربِّى أن يكون واقعيًّا فى التعامل مع أخطاء الناس من حوله.

* ولكن هذا لا يعنى أن يترك المخطئين بحجة أنهم بشر وأنهم يعيشون فى عصر ملىء بالفتن والمغريات بل ينبغى أن يحاسبهم وأن يصحح أخطاءهم ولكن بميزان الشرع وبميزان الرحمة التى تجعل الناس يستجيبون ويصححون أخطاءهم بلا تردد.

(٥) ألا يترتب على إصلاح الخطأ خطأ أكبر

وهذا يعتبر من مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. وذلك بألا يترتب على إنكار المنكر منكر أكبر منه .. وذلك لأن من قواعد الشريعة تحمُّل أدنى المفسدتين لدرء أعلاهما.

فقد يسكت العالم والداعية عن خطأ لئلا يؤدى ذلك إلى الوقوع فى خطأ أكبر.

لقد سكت النبى ﷺ عن المنافقين ولم يقتلهم مع ثبوت كفرهم وصبر على أذاهم؛ لئلا يقول الناس: محمد يقتل أصحابه، خصوصًا مع خفاء أمرهم، ولم يهدم النبى ﷺ الكعبة ليبنيها على قواعد إبراهيم الخليل من

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٤٩٩) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٢٥١) كتاب الزهد، والدارمى (٢٧٢٧) كتاب الرقاق، وأحمد (١٢٦٣٧) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥١٥).

أجل أن قريشًا كانوا حديثى عهد بجاهلية، وخشى عليه الصلاة والسلام أن لا تحتمل ذلك عقولهم وترك البنيان على ما فيه من النقص، والباب على ارتفاعه وإغلاقه عن العامة مع أن فى ذلك مخالفة ما ينبغى أن يكون عليه الأمر.

وقبل ذلك نهى الله تعالى عن سبِّ آلهة المشركين مع أنه طاعة وقربة إذا كان ذلك يؤدى إلى سب الله عز وجل وهو أعظم منكر.

فقد ينكت الداعية عن منكر أو يؤجل الإنكار أو يغير الوسيلة إذا رأى فى ذلك تلافيًا لخطأ أو منكر أكبر، ولا يعتبر ذلك تقصيرًا ولا تخاذلاً ما دام صادق النية لا يخاف فى الله لومة لائم وكان الذى منعه مصلحة الدين لا الخور والجبن[1].

(٦) التفريق بين من يخطئ فى حق شخص وبين من يخطئ فى حق الشرع

فلا ينبغى للمربى أن يغضب لنفسه أبدًا بل ينبغى عليه أن يغضب إذا أخطأ شخص خطأً فى حق الشرع.

ولذلك نجد أن النبى ﷺ لا يغضب لنفسه قط وكان لا يغضب إلا إذا انتُهكت حُرمات الله (جل وعلا):

فقد جاء فى صحيح البخارى - رحمه الله تعالى - عن أنس بن مالك قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه بُرد نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جبذته ثم قال: يا محمد، مُر لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم

(١) الأساليب النبوية فى التعامل مع أخطاء الناس/ الشيخ محمد صالح المنجد (ص: ٣٠).

ضحك ثم أمر له بعطاء[1].

* **عفوه ﷺ عن اليهودى الذى سحره:**

وهذا يهودى سحر النبى ﷺ ورغم ذلك عفا عنه النبى ﷺ .

فعن عائشة قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودى من يهود بنى زريق يقال له: لبيد بن الأعصم . . قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يُخيَّل إليه أنه يفعل الشىء وما يفعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله ﷺ ثم دعا ثم دعا ثم قال: **«يا عائشة أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه ... جاءنى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال الذى عند رأسى للذى عند رجلى أو الذى عند رجلى للذى عند رأسى ما وجع الرجل قال: مطبوب قال: مَن طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: فى أى شىء؟ قال: فى مشط ومشاطة قال: وجُفِّ طلعة ذكرٍ قال: فأين هو؟ قال: فى بئر ذى أروان».**

قالت: فأتاها رسول الله ﷺ فى أناس من أصحابه ثم قال: **«يا عائشة والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين»** قالت: فقلت: يا رسول الله أفلا أحرقته. قال: **«لا أما أنا فقد عافانى الله وكرهت أن أثير على الناس شرًا فأمر بها فدُفنت»**[2].

* **عفوه ﷺ عن اليهودية التى وضعت له السم فى الشاة:**

وهذه يهودية تدعو النبى ﷺ إلى طعام لحاجة فى نفسها . . .

عن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها فجىء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلك قال: **«ما كان الله ليسلطك علىَّ»** قال: قالوا: ألا نقتلها، قال: **«لا»** قال: فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله ﷺ [3].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٨٠٩) كتاب اللباس، ومسلم (١٠٥٧) كتاب الزكاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٦٣) كتاب الطب، ومسلم (٢١٨٩) كتاب السلام.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦١٧) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، ومسلم (٢١٩٠) كتاب السلام.

*** عفوه ﷺ عن الرجل المشرك الذى أراد قتله:**

* **عن جابر بن عبد الله** رضي الله عنه **قال:** غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد، فلما أدركته القائلة[١] وهو فى وادٍ كثير العضاه[٢] فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه، فتفرق الناس فى الشجر يستظلون. وبينا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا. فإذا أعرابى قاعد بين يديه، فقال: **«إن هذا أتانى وأنا نائم، فاخترط سيفى[٣]، فاستيقظت وهو قائم على رأسى مخترط سيفى صلتًا»** [٤]، قال: ما يمنعك منى؟ قلت: **«الله، فشامه[٥] ثم قعد، فهو هذا»**. قال: ولم يعاقبه رسول الله ﷺ [٦].

(٧) أن يكون الاعتناء بتصحيح الأخطاء التى تتعلق بالعقيدة أعظم من الاعتناء بتصحيح سائر الأخطاء

فالإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة .. تلك الشريعة تنظم شؤون الحياة.. ولا يقبل الله من قومٍ شريعتهم إلا إذا صحَّت عقيدتهم.

* فالتوحيد هو أصل الأصول .. وهو الحسنة التى يغفر الله بها كل سيئة كما أن الشرك هو السيئة التى يُحبط الله بها كل حسنة.

* ومن هنا كان لا بد للعالم المربى أن يعتنى بتصحيح الأخطاء التى تتعلق بالعقيدة أكثر من الاعتناء بتصحيح سائر الأخطاء .. وليس معنى ذلك أن تُهمل تصحيح سائر الأخطاء.

* ولقد اهتم النبى ﷺ بتصحيح الأخطاء المتعلقة بالشرك غاية

---

(١) القائلة: نصف النهار، وفى الصحاح: الظهيرة.

(٢) العضاهة: بالكسر أعظم الشجر أو كل ذات شوك، والجمع عضاه وعضون.

(٣) اخترط سيفى: استلَّه.

(٤) الصلت من السيوف: الصقيل الماضى.

(٥) شامه: أى أغمده.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٤١٣٩) كتاب المغازى، ومسلم (٨٤٣) كتاب الفضائل.

الاهتمام وذلك لخطورة هذا الأمر . . وها هى أمثلة توضح ذلك:

* عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أدرك عمر بن الخطاب فى ركب وهو يحلف بأبيه فناداهم رسول الله ﷺ : «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله وإلا فليصمت»[1].

* وعن أبى شريح هانئ بن يزيد قال: وفد على النبى ﷺ قوم فسمعهم يسمون رجلاً عبد الحجر، فقال له: «ما اسمك؟» قال: عبد الحجر.

فقال له رسول الله ﷺ : «لا، أنت عبد الله»[2].

وعن أبى واقد الليثى أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مرَّ بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبى ﷺ : «سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، والذى نفسى بيده لتركبن سنة من كان قبلكم»[3].

وفى رواية عن أبى واقد أيضًا: أنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة قال: فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ : «قلتم والذى نفسى بيده كما قال قوم موسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[4] إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة»[5].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٠٨) كتاب الأدب، ومسلم (١٦٤٦) كتاب الأيمان.

(٢) صحيح: رواه البخارى فى الأدب المفرد (٨١١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الأدب المفرد.

(٣) رواه الترمذى رقم (٢١٨٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) سورة الأعراف: الآية: (١٣٨).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢١٨٠) كتاب الفتن، وأحمد (٢١٣٩٠) مسند الأنصار رضي الله عنهم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن الترمذى.

* وعن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما شاء الله وشئت، فقال: «جعلتني لله عدلاً؟ بل ما شاء الله وحده»[١].

* وعن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب»[٢].

* وعن المغيرة بن شعبة قال: انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم، فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي»[٣].

(٨) التفريق بين من يخطئ عن اجتهاد وبين من يخطئ عمدًا

فمن المعلوم أن العالم إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد.

* فعلى العالم المربى أن يفرق بين من يُخطئ بعد الاجتهاد فى معرفة الصواب من الخطأ .. فهذا ليس بملوم بل إنه يؤجر أجرًا واحدًا إذا أخلص النية لله.

وهذا طبعًا بخلاف الذى يخطئ عن تقصير وعمد .. فالمجتهد نوجِّه له

(١) حسن: رواه أحمد (٢٥٥٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٩٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٨٤٦) كتاب الأذان، ومسلم (٧١) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٦١) كتاب الجمعة، ومسلم (٩١٥) كتاب الكسوف.

النصيحة ونُعلمه، والمتعمد نعظه وننكر عليه ولكن برحمة.

* ولكن لا بد أن نوضح هنا أن الاجتهاد الذى يُعذَر به صاحبه هو الاجتهاد الذى يصدر من شخص مؤهل .. وهذا بخلاف من يُفتى بغير علم.

* ولذلك كان النبى ﷺ ينكر على من يُفتى بغير علم.

فقد روى أبوداود فى سننه عن جابر رضي الله عنه قال: خرجنا فى سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجَّه فى رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لى رخصة فى التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة، وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبى ﷺ أخبر بذلك فقال: **«قتلوه، قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العى السؤال»**[1].

وكذلك فإن النبى ﷺ أخبر أن «القضاة ثلاثة: واحد فى الجنة واثنان فى النار. فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار»[2].

فلم يعتبر هذا الثالث معذوراً.

(٩) مراعاة أن هناك بعض الأخطاء لا يمكن إزالتها بالكلية لأنها تتعلق بأصل الخلقة

فينبغى على المربى مراعاة أن هناك بعض الأخطاء التى لا يمكن إزالتها بالكلية لأنها تتعلق بأصل الخلقة ولكن يمكن تقليلها والتخفيف منها.

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (٣٣٧) كتاب الطهارة، وابن ماجه (٥٧٢) كتاب الطهارة وسننها، والدارمى (٧٥٢) كتاب الطهارة، وأحمد (٣٠٤٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٦٣).

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (٣٥٧٣) كتاب الأقضية، والترمذى (١١٨٥) كتاب الطلاق، وابن ماجه (٢٣١٥) كتاب الأحكام، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٤٦).

كما هو الحال فى شأن المرأة .. فقد قال النبى ﷺ : «إن المرأة خُلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها»[١] .

وفى رواية: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خُلقن من ضلع، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»[٢].

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى -: قوله: «بالنساء خيراً» كأن فيه رمزاً إلى التقويم برفق بحيث لا يبالغ فيه فيُكسر ولا يتركه فيستمر على عوجه. فيؤخذ منه أن لا يتركها على الاعوجاج إذا تعدت ما طُبعت عليه من النقص إلى تعاطى المعصية بمباشرتها أو ترك الواجب، وإنما المراد أن يتركها على اعوجاجها فى الأمور المباحة. وفى الحديث المداراة لاستمالة النفوس وتألف القلوب.

وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن، والصبر على عوجهن، وأن من رام تقويمهن فاته الانتفاع بهن، مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه فكأنه قال: الاستمتاع بهذا لا يتم إلا بالصبر عليها[٣].

(١٠) ينبغى التفريق بين من يقع منه الخطأ مرارًا وبين من يقع منه الخطأ لأول مرة

فلا ينبغى أن نسوِّى بينهما بل ينبغى أن نفرق فى التعامل مع من يقع منه الخطأ مراراً وبين من يقع منه الخطأ لأول مرة.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٦٨) كتاب الرضاع.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٣١) أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٤٦٨) كتاب الرضاع.

(٣) فتح البارى (٩/ ٩٥٤).

فالذى يقع منه الخطأ لأول مرة ينبغى أن نرفق به ونعلمه.

والذى يتكرر منه الخطأ مراراً ينبغى أن نزجره وننكر عليه ولكن أيضًا نخلط الإنكار عليه بالرحمة والشفقة.

(١١) ينبغى أن نفرق بين من يجاهر وبين من يستتر

وينبغى على المربى أن يفرق بين من يجاهر بالمعصية وبين من يستتر.

فمن المعلوم أن خطر المجاهر بالمعصية أعظم من خطر من يستتر فالمجاهر بالمعصية كأنه يدعو الناس من حوله إلى فعل تلك المعصية.

قال ﷺ: «كل أمتى مُعافَى إلا المجاهرون»(١).

(١٢) أن المخطئ إذا كان مريداً للخير فإن هذا لا يمنع من الإنكار عليه

* فقد يريد الإنسان الخير فيخطئ.. فلا يمنع هذا أن نُعلمه وأن ننكر عليه ولكن برحمة.

* عن عمرو بن يحيى قال: سمعت أبى يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسي الأشعرى فقال: أخَرَج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إنى رأيت فى المسجد آنفًا أمرًا أنكرته ولم أرَ والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟

فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيت فى المسجد قومًا حِلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، فى كل حلقة رجل وفى أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٦٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٩٩٠) كتاب الزهد والرقائق.

فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك وانتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم.

ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذى أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر.

والذى نفسى بيده إنكم لعلى ملة هى أهدى من ملة محمد أوَ مفتتحوا باب ضلالة.

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير.

قال: وكم من مُريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم وايم الله ما أدرى لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم.

فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج[١].

(١٣) إذا كان المخطئ صغيرًا فى السن فينبغى أن يكون الإنكار بما يتناسب مع سنه

فقد يكون المخطئ غلامًا صغيرًا فلا ينبغى أن نغلظ عليه بل ينبغى أن نراعى صغر سنه حتى لا يكره الالتزام والملتزمين.

(١) صحيح: رواه الدارمى (٢٠٤) فى مقدمة سننه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٠٠٥).

* وتعالوا بنا لنرى كيف كان النبى ﷺ يتعامل مع أخطاء الصغار.

فها هى قصة الغلام الصغير عمر بن أبى سلمة، فقد روى البخارى عنه قال: كنت غلامًا فى حجر رسول الله ﷺ وكانت يدى تطيش فى الصحفة، فقال لى رسول الله ﷺ: «يا غلام، سَمِّ الله وكُل بيمينك، وكُل مما يليك»... فما زالت تلك طعمتى بعد[1].

وهنا نلاحظ أن الغلام تأثر بكلام النبى ﷺ وتوجيهاته ولذلك قال: فما زالت تلك طُعمتى بعد.

* روى البخارى رحمه الله تعالى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن الحسن بن على أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها فى فيه، فقال النبى ﷺ بالفارسية: «كخ كخ أما تعرف أنَّا لا نأكل الصدقة؟»[2].

وروى الطبرانى رحمه الله عن زينب بنت أبى سلمة أنها دخلت على رسول الله ﷺ وهو يغتسل قالت: فأخذ حفنة من ماء فضرب بها وجهى وقال: «وراءك أى لكاع»[3].

* ومن هنا نعلم أن الصغير لا ينبغى أن نتركه يخطئ بلا توجيه ولا تصحيح بل إن هذا كله داخل فى إطار التربية التى أوجبها الشرع علينا.

(١٤) ينبغى أن نفرق بين الخطأ الكبير والخطأ الصغير

وينبغى على المربى أن يفرق بين الخطأ الصغير والخطأ الكبير فلا يسوِّى بينهما .. ولذلك نجد أن الشريعة فرقت بين الصغائر والكبائر وجعلت لكل واحدة منهما أحكامًا.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٧٦) كتاب الأطعمة، ومسلم (٢٠٢٢) كتاب الأشربة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٧٢) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٠٦٩) كتاب الزكاة.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير (٢٤/ ٢٨١، رقم ٧١٢)، وقال الهيثمى (١/ ٢٦٩): إسناده حسن.

(١٥) التفريق بين من يخطئ متعمداً ومن يخطئ عن جهل منه

ومن القصص الواضحة فى هذا ما حدث لمعاوية بن الحكم السلمى رضي الله عنه لما جاء إلى المدينة من البادية ولم يكن يدرى عن تحريم الكلام فى الصلاة قال: بينا أنا أصلى مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرمانى القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلىّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتوننى لكنى سكت (أى أوشكت أن أرد عليهم لكني تمالكت نفسى ولزمت السكوت) فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبى هو وأمى ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرنى (أى زجرنى وعبس فى وجهى) ولا ضربنى ولا شتمنى، قال: **«إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن»**[(١)].

فالجاهل يحتاج إلى تعليم، وصاحب الشبهة يحتاج إلى بيان، والغافل يحتاج إلى تذكير، والمُصر يحتاج إلى وعظ، فلا يسوغ أن يُسوَّى بين العالم بالحكم والجاهل به فى المعاملة والإنكار، بل إن الشدة على الجاهل كثيراً ما تحمله على النفور ورفض الانقياد بخلاف ما لو علمه أولاً بالحكمة واللين؛ لأن الجاهل عند نفسه لا يرى أنه مخطئ فلسان حاله يقول لمن ينكر عليه: أفلا علمتنى قبل أن تهاجمنى.

وقد يجانب المخطئ الصواب وهو لا يشعر، بل قد يظن نفسه مصيبًا فيراعى لأجل ذلك؛ . . . جاء فى مسند الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ أكل طعامًا ثم أقيمت الصلاة،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٣٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

فقام وقد كان توضأ قبل ذلك فأتيته بماء ليتوضأ منه فانتهرنى وقال: «وراءك» فساءنى والله ذلك ثم صلى فشكوت ذلك إلى عمر. فقال: يا نبى الله إن المغيرة قد شق عليه انتهارك إياه، وخشى أن يكون فى نفسك عليه شىء، فقال النبى ﷺ: **«ليس عليه فى نفسى شىء إلا خير، ولكن أتانى بماء لأتوضأ، وإنما أكلت طعامًا، ولو فعلته فعل ذلك الناس بعدى»**[1].

ويلاحظ هنا أن تخطئة النبى ﷺ لمثل هؤلاء الصحابة الأجلاء لم تكن لتؤثر فى نفوسهم تأثيرًا سلبيًّا، فتحملهم على كُرْه أو نفور، بل إنها كانت تؤثر فى نفوسهم تأثيرًا إيجابيًّا، فيبقى الواحد منهم بعد تخطئته من النبى ﷺ وجلاً مشفقًا متهمًا نفسه يعيش فى حرج عظيم لا يُسرَّى عنه إلا أن يتأكد من رضى رسول الله ﷺ عنه.

ويلاحظ فى هذه القصة كذلك أن تخطئة النبى ﷺ للمغيرة لم تكن غضبًا من شخص المغيرة، ولكن شفقة على الناس، وتبيينًا لهم حتى لا يظنوا ما ليس بواجب واجبًا فيقعوا فى الحرج.

إن موقع المربى والقدوة فى نفس أصحابه كبير وعظيم، ولومه لبعضهم أو تخطئته تقع بموقع، وقد يلاحظ المربى مصلحة أشخاص آخرين فى إنكاره على أحد أصحابه من أجل المنفعة العامة، ولكن هذا لا يعنى ترك الأثر السلبى الخاص باقيًا، بل يمكن تداركه ومحو أثره بطرق منها: المعاتبة من قِبل التابع ولو بطريق واسطة كما فعل المغيرة بتوسيط عمر ﷺ، وفى المقابل إيضاح الموقف والتأكيد على مكانة التابع وحسن الظن به من قِبل القدوة والمربى[2].

* * *

(١) المسند (٤/٢٥٣).

(٢) الأساليب النبوية فى التعامل مع أخطاء الناس (ص: ٢١ - ٢٣).

(١٦) التفريق بين المخطئ الذى يُسرف على نفسه فى المعاصى وبين المخطئ الذى له سوابق كثيرة فى فعل الخير

وينبغى على المربى أن يفرق بين المخطئ الذى يسرف على نفسه كثيراً فى فعل المعاصى وبين المخطئ الذى تذوب أخطاؤه فى بحار حسناته.

عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسًا عند النبى ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبى ﷺ : «**أما صاحبكم فقد غامر**»... فسلَّم وقال: يا رسول الله، إنى كان بينى وبين ابن الخطاب شىء فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لى فأبى علىَّ، فأقبلت إليك، فقال: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**» (ثلاثًا) . .

ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبى بكر فسأله: أثَمَّ أبو بكر؟ - يعنى هل أبو بكر هنا - فقالوا: لا. فأتى إلى النبى ﷺ فجعل وجه النبى ﷺ يتمعَّر، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله أنا كنت أظلم . . أنا كنت أظلم. فقال النبى ﷺ : «**إن الله بعثنى إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواسانى بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لى صاحبى؟ .. فهل أنتم تاركو لى صاحبى؟**» فما أوذى بعدها [١].

* وعن أسماء بنت أبى بكر، قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ حُجَّاجًا، حتى إذا كنا بالعرج نزل رسول الله ﷺ ونزلنا، فجلست عائشة رضي الله عنها إلى جنب رسول الله ﷺ وجلست إلى جنب أبى، وكانت زمالة (دابة السفر) أبى بكر وزمالة رسول الله ﷺ واحدة مع غلام لأبى بكر، فجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه فطلع وليس معه بعيره قال: أين بعيرك؟ قال: أضللته البارحة، قال: فقال أبو بكر: بعير واحد تضله، قال: فطفق

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٦٦١) كتاب المناقب.

يضربه ورسول الله ﷺ يتبسم ويقول: «انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع» قال ابن أبى رزمة: فما يزيد رسول الله ﷺ على أن يقول: «انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع» ويتبسم(١).

(١٧) ينبغى أن نراعى من كان دينه رقيقًا ويحتاج إلى تأليف قلبه

فقد يكون الشاب فى بداية التزامه وما زال دينه رقيقًا .. أو قد يكون ملتزمًا منذ فترة طويلة لكنه لم يزل دينه رقيقًا.

فينبغى أن نتألف قلبه عندما ننكر عليه تلك المخالفة التى وقع فيها حتى لا ينتكس.

(١٨) ينبغى أن نحذر عند الإنكار على النساء الأجنبيات

فلا ينبغى أن نتساهل فى هذه المسألة وأن نُطلق لها العنان حتى لا تحدث فتنة كبيرة بل ينبغى أن يكون هذا كله بضوابط شرعية.

فلا نتساهل مثلاً فى فتح مجال الحوار بين شاب وفتاة؛ لأن هذا قد يتسبب فى حدوث فتنة عظيمة .. بل ينبغى أن تنكر المرأة على المرأة أو ينكر الشيخ الكبير على الشباب والفتيات.

* فقد تكون تلك الفتاة سفيهة فإذا دعاها الشاب إلى الله وأراد أن يصحح لها هذا الخطأ فإذا بها ترميه ببهتان وتتهمه بأنه يغازلها .. فلننتبه.

* وتعالوا بنا لنرى كيف كان هذا الصحابى الجليل ينكر على المرأة بكل أدب وحشمة.

عن مولى رهم واسمه عبيد أن أبا هريرة لقى امرأة متطيبة تريد المسجد،

(١) حسن: رواه أبو داود (١٨١٨) كتاب المناسك، وابن ماجه (٢٩٣٣) المناسك، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى سنن أبى داود.

فقال: يا أمَة الجبار أين تريدين؟ قالت: المسجد. قال: وله تطيبت. قالت: نعم.

قال: فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد لم تُقبل لها صلاة حتى تغتسل»**[1].

وفى صحيح ابن خزيمة: مرت بأبى هريرة امرأة وريحها تعصف فقال لها: إلى أين تريدين يا أمة الجبار؟ قالت: إلى المسجد. قال: تطيبت؟ قالت: نعم. قال: فارجعى فاغتسلى؛ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يقبل الله من امرأة صلاة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل»**[2].

(١٩) استثمار مكانتك وسلطانك فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

فمن المعلوم أن صاحب المكانة والسلطان يتقبل الناس منه ما لا يتقبلون من غيره ومن ثم فإنه ينبغى عليه أن يستثمر تلك المكانة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتعليم الناس وتصحيح أخطائهم إذا أخطؤوا.

* فمثلاً نجد أن الولد يتقبل من والده ما لا يتقبله من غيره، وكذلك نجد أن التلميذ يتقبل من المدرس ما لا يتقبله من زميله، وكذلك نجد أن المحكوم يتقبل من الحاكم ما لا يتقبله من غيره.

وهكذا كلما كان الإنسان صاحب مكانة وسلطان وهيبة فإن الناس يتقبلوا منه ما لا يتقبلوه من غيره.

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (٤١٧٤) كتاب الترجل، وابن ماجه (٤٠٠٢) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٧٠٣).

(٢) **حسن لغيره:** رواه ابن خزيمة فى صحيحه (١٦٨٢)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٢٠)، وقال: حسن لغيره.

وقد كان النبى ﷺ يستفيد مما أعطاه الله من المكانة والمهابة بين الخلق فى إنكاره وتعليمه، وربما أتى بشىء لو فعله غيره ما وقع الموقع المناسب وفيما يلى مثال على ذلك:

عن يعيش بن طهفة الغفارى عن أبيه قال: ضِفت رسول الله ﷺ فيمن تضيفه من المساكين فخرج رسول الله ﷺ فى الليل يتعاهد ضيفه فرآنى منبطحًا على بطنى فركضنى برجله وقال: **«لا تضطجع هذه الضجعة، فإنها ضجعة يبغضها الله عز وجل»** وفى رواية: فركضه برجله فأيقظه فقال: **«هذه ضجعة أهل النار»**[1].

* وقريب من هذا ما رواه الدارمى رحمه الله عن سليمان بن يسار أن رجلاً يقال له: صُبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن مُتشابه القرآن فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صُبيغ فأخذ عمر عرجونًا من تلك العراجين فضربه وقال: أنا عبد الله عمر، فجعل له ضربًا حتى دمى رأسه فقال: يا أمير المؤمنين حسبُك قد ذهب الذى كنت أجد فى رأسى.

(٢٠) ينبغى أن نعطى المخطئ وقتًا كافيًا لتصحيح الخطأ

فقد يكون هناك إنسان قد اعتاد زمانًا طويلاً على معصية بعينها أو خطأ معين ولا يستطيع أن يتركه مرة واحدة فينبغى أن نعطيه الوقت الكافى لتصحيح هذا الخطأ مع متابعته والتذكير والتصحيح المستمر.

* * *

(١) رواه أبو داود (٥٠٤٠) كتاب الأدب، والترمذى (٢٧٦٨) كتاب الأدب، وابن ماجه (٧٥٢) كتاب المساجد والجماعات، وأحمد (٣٣١٠٤) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٧١).

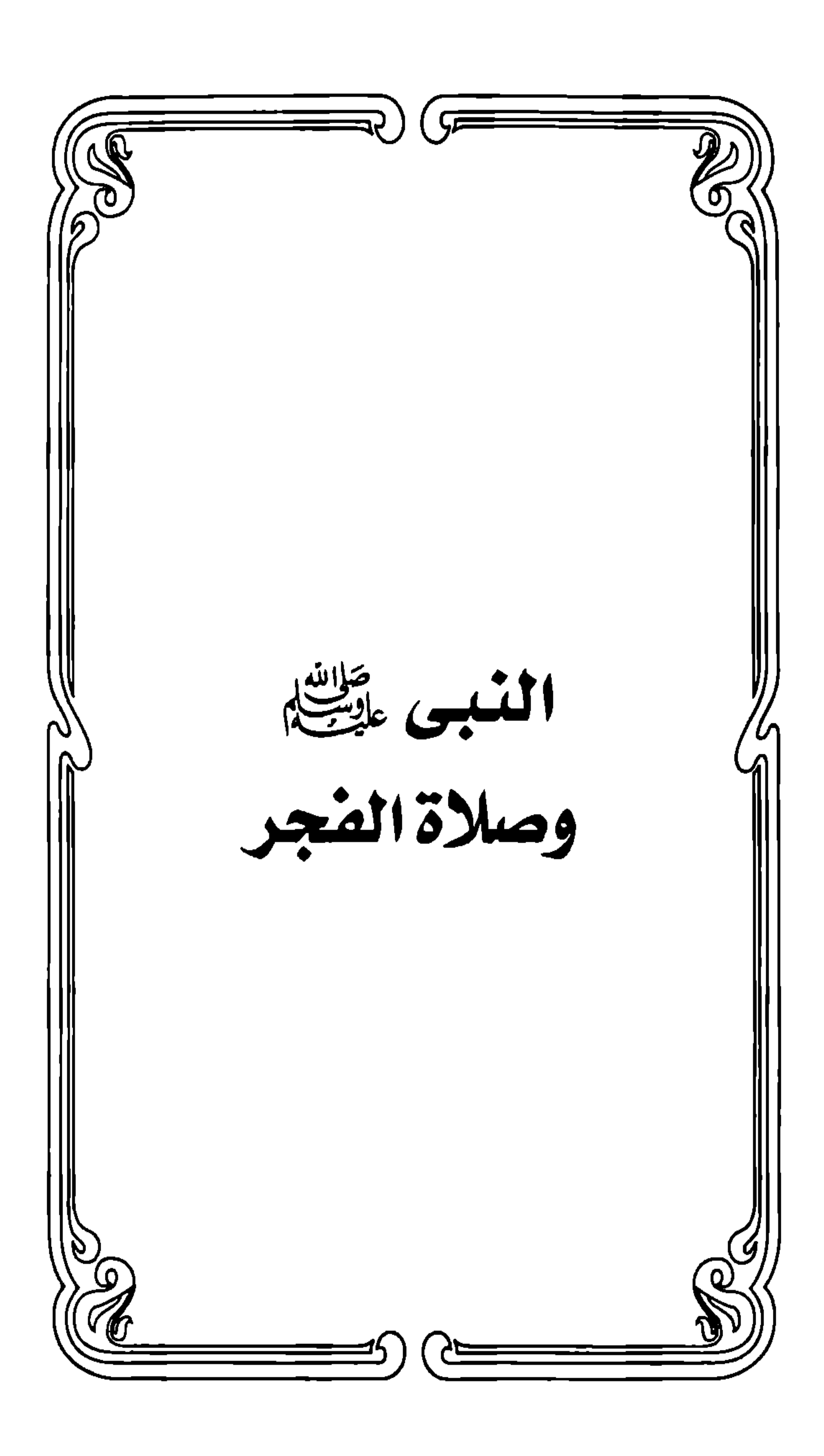
وأخيرًا

كانت هذه وقفات سريعة مع كيفية التعامل مع أخطاء الناس من حولنا بكل رحمة ورفق وحنان .. فينبغى أن نراعى قدرات الناس وأحوالهم وتفاوت درجات الإيمان فى قلوبهم .. فمن أخطأ منهم فلا بد أن نوضح له خطأه بكل رحمة وحنان ونتعامل معه على أنه مريض يحتاج إلى أن يعالَج برفق وحنان كما كان النبى ﷺ يتعامل مع المخطئين حيث كان يوضح للمخطئ خطأه بصورة غير مباشرة وذلك من باب قوله: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا» وبذلك يتبين للمخطئ أنه أخطأ دون أن يعرف الناس مَن هو المخطئ.

* فأسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنا حلم ورفق ورحمة النبى ﷺ فى الدعوة إلى الله وفى توجيه الناس وتصحيح أخطائهم .. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *



النبى ﷺ وصلاة الفجر

النبى ﷺ وصلاة الفجر

وها نحن نَسْبَحُ فى بحر الخيال الجميل مرة أخرى ونتخيل أننا نسير فى شوارع وطُرقات المدينة المنورة حتى وصلنا إلى بيت النبى ﷺ وطرقنا الباب... وإذا بالنبى ﷺ يأذن لنا بالدخول فدخلنا ورأينا النبى ﷺ جالسًا مع بعض أصحابه وهو يقول لهم: «**من صلَّى الصبح فهو فى ذمة الله..**»(١).

ويقول لهم: «بشِّر المشَّائين فى الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»(٢).

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع صلاة الفجر التى هى خيرٌ من الدنيا وما فيها.

من ترك شيئًا لله

ما أعظم رحمات الله (جل وعلا).. فرحمته وسعت كل شىء. فإن العبد لا يترك شيئًا لله إلا ويعوضه الله خيرًا منه.

* فإذا قام العبد فى ظلام الليل وترك الفراش الدافئ وذهب ليصلى الفجر فى جماعة فإن الله يرزقه بالنور التام يوم القيامة.

* وإذا سجد العبد لله ونزل بأنفه وجبهته على الأرض فإن الله (عز وجل) يرفعه بكل سجدة درجة فى الجنة.

* وإذا صام العبد وحرم نفسه من الطعام والشراب وعانى من الجوع

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٥٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٦١) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٢٣) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٢٣).

والعطش فإن الله يُدخله يوم القيامة من باب الريان.

* وإذا غَضَّ العبد بصره عن النســاء فإن الله يُكرمه فى الجنة بلذة النظر إلى وجهه الكريم (جل وعلا).

* وإذا فرَّج العـبد عن مـسلمٍ كُربةً من كُـرَب الدنيا فإن الله يـفرج عنه كُربة من كُرَب يوم القيامة.

* وهكذا لا يترك العبد شيئًا لله إلا عوَّضه الله خيرًا منه.

هل صلاة الفجر فوق طاقة العبد؟

وأريد أن أبدأ الحديث عن صلاة الفجر بهذا السؤال:

هل صلاة الفجر ثقيلة وفوق طاقة العبد؟

والجواب: أنها ليـست فوق طاقة ووسع العـبد.. والدليل على ذلك أن الله (عز وجل) قال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [١].

ولقد فرض الله الصلوات الخمس على المسلمين - ومنها صلاة الفجر - فكان هذا أكبر دليل على أن صلاة الفجر ليست فوق طاقة العبد.

أين همتك؟

أخى الحبيب: وحينما تنظر إلى همة ونـشاط أهل الدنيا فى السعى وراء الأرزاق وقت صلاة الفجر تتعجب وتقول: إن كانت هذه همة أهل الدنيا فى السـعى وراء الدرهم والدينار فأين همـة أهل الدين فى السـعـى لأداء صلاة الفجر فى جماعة ليفوزوا برضوان الله وجنته.

* * *

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٨٦).

من سيربح المليون؟

أخى الحبيب: بالله عليك لو قلت لك: تعالَ إلى صلاة الفجر وساعطيك كل يوم خمسة آلاف جنيه فهل ستأتى؟!!

والجواب معلوم: نعم ستأتى قبل صلاة الفجر بساعتين على الأقل لأنك بذلك ستربح خلال سنة واحدة أكثر من مليون جنيه.

* سؤال: فيا ترى إذا متَّ بعد سنة ونزلت إلى قبرك.. فهل تحب أن تنزل القبر ومعك مليون جنيه أم تنزل القبر ومعك ٣٦٠ صلاة فجر على الأقل؟

- ما الذى سينفعك فى قبرك: صلاة الفجر أم الدرهم والدينار؟

صلاة الفجر مفتاح النصر

* أخى الحبيب: لا بد أن نعلم أن صلاة الفجر خطوة كبيرة على طريق التمكين لهذه الأمة الميمونة المباركة.

ولهذا لما قيل لأحد زعماء اليهود أن النبى ﷺ بشَّر بنصر المسلمين على اليهود. قال: أعلم ذلك لكن لستم أنتم الذين تنتصرون علينا.

فقيل له: فمن هم الذين ينتصرون عليكم؟

قال: هم المسلمون الذين يستوى عدد مُصليهم فى صلاة الفجر مع عدد مصليهم في صلاة الجمعة.

* فيا من تتخلف عن صلاة الفجر.. احذر أن تكون سببًا فى تأخير الأمة عن طريق التمكين.

* * *

فضائل وثمرات صلاة الفجر

وتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع بعض فضائل وثمرات صلاة الفجر.

(١) قربة إلى الله تعالى:

والله لو لم يكن لصلاة الفجر أى فضل سوى أنها قُربة إلى الله تعالى لكانت كافية.

- ولابد أن نعلم أن من أحب أحدًا فإنه يحرص كل الحرص على إرضائه فما ظنك بمن يحب الله (جل وعلا).

- فالله فرض علينا الصلوات الخمس وأعطى اهتمامًا خاصًا لصلاة الفجر فقال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾(١).

* ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ أى حافظ يا محمد على الصلاة فى أوقاتها من وقت زوال الشمس عند الظهيرة إلى وقت ظلمة الليل ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ أى: وأقم صلاة الفجر... وإنما عبَّر عنها بقرآن الفجر لأنه تُطلَب إطالة القراءة فيها ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ أى تشهده ملائكة الليل والنهار كما فى الحديث: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون فى صلاة العصر وصلاة الفجر..**» الحديث... قال المفسرون: فى الآية الكريمة إشارة إلى الصلوات المفروضة، فدلوك الشمس زوالها وهو إشارة إلى الظهر والعصر، وغسق الليل ظُلمته وهو إشارة إلى المغرب والعشاء، وقرآن الفجر صلاة الفجر، فالآية رمز إلى الصلوات الخمس(٢).

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٧٨).

(٢) صفوة التفاسير (٢/١٥٨).

(٢) صلاة الفجر تشهدها الملائكة:

قال ﷺ : «يتعاقبون فيكم؛ ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادى؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»(١).

* فالملائكة يكتبون أسماء الذين يصلون صلاة الفجر فى جماعة.. ويكتبون أيضًا اسم كل امرأة مسلمة تصلى الفجر حاضرًا فى بيتها وكأنها حضرته فى المسجد.. ثم يصعدون بتلك الأسماء إلى الحق (جل وعلا).

وهكذا فالذى يصلى الفجر فى جماعة تشهد له الملائكة ويذكرونه فى الملأ الأعلى.

(٣) من صلى الفجر فى جماعة كان فى ذمة الله:

قال ﷺ : «من صلى الصبح فهو فى ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشىء، فإن مَن يطلبه من ذمته بشىء، يدركه، ثم يَكُبُّه على وجهه فى نار جهنم»(٢).

فالذى يصلى الفجر فى جماعة فهو فى ذمة الله.. أى فى عهده وحمايته وضمانه وأمانه... ومعنى قوله ﷺ : **«فلا يطلبنكم الله من ذمته بشىء»** أى: فلا تنقضوا عهد الله لهذا الرجل بالأمان ولا تصيبوه بسوء فى نفسه ولا أهله ولا ماله.

* ويُحكى أن الحجَّاج بن يوسف الثقفى أراد أن يقتل رجلاً.. وكان سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم فى زيارة للحجَّاج فأمره الحجاج أن يقتل هذا الرجل.. فأخذ سالم السيف ثم سأل الرجل: هل صليت الصبح؟ فقال

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٥) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٥٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

الرجل: نعم صليت الصبح فى جماعة وجلست أذكر الله بعدها حتى شروق الشمس.

فقال له سالم: انطلق فلا حاجة لنا إلى قتلك.

فقال له الحجاج: ما منعك من قتله؟!

فقال سالم: حدثنى أبى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«من صلى الصبح كان فى جوار الله يومه»** فكرهت أن أقتل رجلاً قد أجاره الله.

فقال الحجاج لابن عمر: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟

فقال ابن عمر: نعم.

قصة طريفة

* وهناك قصة طريفة.. وهى أنه كان هناك صبىٌّ صغير اسمه أحمد وكان عمره عشر سنوات قرأ قول النبى ﷺ : **«من صلى الصبح فهو فى ذمة الله»** فطلب من والده أن يوقظه لصلاة الفجر وإلا فلن يذهب غداً إلى المدرسة... فلما حان وقت صلاة الفجر ذهب والده إلى المسجد دون أن يوقظه لأنه خاف عليه من البرد.

فلما حان وقت الذهاب إلى المدرسة أيقظه والده فقال له أحمد: لن أذهب يا أبى إلى المدرسة لأنك لم توقظنى لصلاة الفجر.

وفى اليوم التالى أيقظه والده لصلاة الفجر وذهبا سويًّا لصلاة الفجر فى المسجد ثم عاد الابن وتناول وجبة الإفطار ثم ذهب إلى المدرسة لكنه كان قد تأخر قليلاً هو وبعض زملائه.

فأراد الأستاذ أن يعاقبهم... فضرب كل واحد منهم عشر ضربات بالعصا.. فلما أراد أن يعاقب أحمد قال له أحمد: لن تستطيع أن تعاقبنى اليوم يا أستاذى الفاضل.

فقال له الأستاذ: ولماذا يا أحمد؟

فقال أحمد: لأننى صليت الفجر فى جماعة فأصبحت فى ذمة الله وعهده وأمانه فهل تستطيع أن تنقض عهد الله وأمانه؟

قال الأستاذ: لا يا أحمد.. لكن احرص على أن تأتى إلى المدرسة مبكراً.

فقال له أحمد: سامحنى يا أستاذى.. وسوف آتى مبكراً إن شاء الله.

(٤) من صلى الصبح برئ من النفاق:

فقد سُئل رسول الله ﷺ عن صلاة الفجر والعشاء فقال: «لا يشهدهما منافق»[١].

وقال ﷺ: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً»[٢].

(٥) كُتب من الأبرار وكُتب فى وفد الرحمن:

قال ﷺ: «من توضأ ثم أتى المسجد، فصلى ركعتين قبل الفجر، ثم جلس حتى يصلى الفجر، كُتبت صلاته يومئذ فى صلاة الأبرار، وكُتب فى وفد الرحمن»[٣].

* فمن هم الأبرار وأين هم؟.. قال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[٤].

* وكُتب فى وفد الرحمن.. قال الحافظ ابن كثير (رحمه الله).

والوفد هم الذين يَقْدُمون على الله يوم الحشر يركبون على مراكب من نور.

---

(١) اخرجه أحمد (٥/٥٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٥) كتاب الأذان، ومسلم (٤٣٧) كتاب الصلاة.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٤١٦).

(٤) سورة المطففين: الآيات: (٢٢-٢٦).

(٦) من صلى الفجر والعشاء كتب له قيام ليلة كاملة:

قال ﷺ: «من صلى العشاء فى جماعة، فكأنما قام نصف ليلة، ومن صلى الصبح فى جماعة، فكأنما صلى الليل كله»[١].

* أى كُتب له قيام ليلة كاملة فى الثواب وليس فى الإجزاء.

مثال ذلك: من صلى الصبح فى جماعة ثم جلس فى مُصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كُتب له أجر حجة وعمرة تامة فهل يُغنى ذلك عن حج الفريضة؟.. كلا.. وذلك لأنه على الثواب ولكن ذلك لم يُجزئه عن أداء الفريضة إن استطاع.

ومثال آخر: نحن نعلم أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص) تعدل ثُلث القرآن فلو قرأها المصلى ثلاث مرات فى صلاته ولم يقرأ الفاتحة فصلاته باطلة.. لأن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن فى الثواب لكنها لا تُجزئ عن قراءة الفاتحة.

* **وعن أبى بكر بن سليمان بن أبى حَثْمة:**

«أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فَقَدَ سليمان بن أبى حثمة فى صلاة الصبح، وأن عمر غدا إلى السوق، ومسكن سليمان بين المسجد والسوق، فمرَّ على الشفاء أم سليمان، فقال لها: لم أرَ سليمان فى الصبح! فقالت: إنه بات يصلى، فغلبته عيناه! قال عمر: لأن أشهد صلاة الصبح فى جماعة أحب إلىَّ من أن أقوم ليلة»[٢].

(٧) كأنه امتلك كل ما فى الكون وتصدَّق به:

قال ﷺ: «ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها»[٣][٤].

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٥٦) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) صحيح: رواه مالك، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٤٢١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٢٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) ركعتا الفجر: هما سُنة الصبح وليس الفريضة.

أى: خيرٌ من زينة الدنيا وزهرتها الفانية.

أو: خيرٌ من أجر التصدق بالدنيا وما فيها.

* فما الذى يمنعك من صلاة الفجر؟

* انشغالك بالدنيا.... فاعلم أن الدنيا كلها لا تساوى ركعتى السُّنة فما ظنك بالفريضة.

(٨) أن البركة فى البكور:

فعن صخر الغامدى أن النبى ﷺ قال: «اللهم بارك لأمتى فى بكورها»[١].

وهذه البركة عامة فى كل شيء.

ولذلك كان صخر الغامدى (راوى هذا الحديث) يرسل تجارته فى أول النهار حتى كثر ماله لدرجة أنه كان لا يدرى أين يضعه.

بل كان النبى ﷺ يرسل جيوشه للغزو فى أول النهار.

- فمن أراد البركة فى رزقه وماله فليبدأ يومه بصلاة الفجر ثم الجلوس فى المُصلَّى حتى تشرق الشمس ثم يصلى ركعتين ويبدأ بعدها يومه.. وسيرى البركة التى لا تخطر على قلب بشر.

(٩) يفوز كل يوم بحجة وعمرة:

قال ﷺ: «من صلى الفجر فى جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة، وعمرة، تامة، تامة، تامة»[٢].

ولذلك كان النبى ﷺ يحرص كل الحرص على تلك الجلسة المباركة كل يوم.

*** ولكى تنال هذا الأجر فعليك بما يلى:**

أ- تصلى الفجر فى جماعة.

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (٢٦٠٦) كتاب الجهاد، والترمذى (١٢١٢) كتاب البيوع، وابن ماجه (٢٢٣٦) كتاب التجارات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٣٠٠).

(٢) **صحيح:** رواه الترمذى (٥٨٦) كتاب الجمعة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٤٦).

ب- تجلس فى المسجد ولا تخرج.

ج- تذكر الله ولا تنشغل بالحديث عن الأمور الدنيوية.

هـ- تنتظر حتى ترتفع الشمس مقدار رمح - أى بعد شروق الشمس بثلث ساعة - وتصلى ركعتين.

وبذلك تفوز بأجر حجة وعمرة تامة.

* وهذا الأجر عام للرجال والنساء..

فالمرأة تصلى فى بيتها مع أمها أو أختها أو ابنتها فى جماعة... وإن لم يكن معها أحد من النساء فإنها تصلى وحدها ثم تجلس فى مُصلاها إلى ما بعد الشروق بثلث ساعة ثم تصلى ركعتين فتكون قد فازت بأجر حجة وعمرة تامة.

(١٠) تدعو له الملائكة:

قال ﷺ: «يتعاقبون فيكم؛ ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر؛ ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادى؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»[١].

زاد ابن خزيمة فى صحيحه: «وتقول الملائكة: رب اغفر لهم يوم الدين».

(١١) يُسخر الله له ملكًا خاصًا يحرسه:

رُوى عن مِيثم - رجل من أصحاب النبى ﷺ - قال: «بلغنى: أن الملك يغدو برايته مع أول من يغدو إلى المسجد، فلا يزال بها معه حتى يرجع فيدخل بها منزله، وأن الشيطان يغدو برايته إلى السوق مع أول من يغدو، فلا يزال بها معه حتى يرجع فيُدخلها منزله»[٢].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٥) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) صحيح: رواه ابن أبى عاصم وأبو نعيم فى معرفة الصحابة وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٤٢٠).

* ومعنى ذلك أن أول غادٍ إلى المسجد (فى صلاة الفجر) يرسل الله له مَلَكًا يحمل راية فإذا دخل الرجل فوقف فى الصف وقف الملك فوق رأسه يحرسه من الشيطان.. فإذا قضى صلاته وانطلق إلى بيته مشى الملك معه يرفع شأنه ويُعلى قدره بين الناس.. فإذا دخل العبد بيته دخل الملك بهذه الراية معه بيته فكان بيته محروسًا من الشياطين.. وحلَّت به البركة.

(١٢) يعطيه الله النور التام يوم القيامة:

قال ﷺ: «بشِّر المشائين فى الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»(١).

* ولك أن تتخيل مسعى لحظة المرور على الصراط الذى نُصب على متن جهنم التى أُوقد عليها ألف عام حتى احمرَّت وألف عامٍ حتى ابيضَّت وألف عام حتى اسودَّت فهى الآن سوداء قاتمة.

فيأتيك نور صلاة الفجر وأنت تمر على الصراط.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (٢).

(١٣) أمان من عذاب الله:

لقد قال ﷺ: «لن يلج النار أحدٌ صلَّى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها»(٣). - يعنى صلاة الصبح والعصر.

ولذلك تأتى الفضيلة التى بعدها.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٦١) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٢٣) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٢٣).

(٢) سورة الحديد: الآيتان: (١٢، ١٣).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٣٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(١٤) عهد بدخول الجنة:

قال ﷺ: «من صلى البردين دخل الجنة»[١] - أى العصر والفجر -.

(١٥) قد يظفر بلذة النظر إلى وجه الله:

قال ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تُضامون فى رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غُروبها، فافعلوا**»[٢].

- والمقصود هنا بالصلاة: هى صلاة الفجر والعصر.

ولذلك نجد حرص سلفنا الصالح على الصلوات الخمس وبخاصة صلاة الفجر.

- فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيقظوه لصلاة الفجر وهو مطعون. فقال: نعم.. ولا حظاً فى الإسلام لمن ترك الصلاة.. ثم قام يصلى وجُرحه ينزف دمًا.

- وعلى بن أبى طالب رضي الله عنه قُتل وهو يوقظ الناس لصلاة الفجر.

- وأنس بن مالك رضي الله عنه كان يبكى كلما تذكَّر فتح مدينة (تُستر).. وذلك لأنها كانت مدينة مُحصنة حاصرها المسلمون زمانًا طويلاً ثم فتحوها.. وكان الفتح قُبيل صلاة الفجر فضاعت عليهم صلاة الفجر.. فكان أنس يبكى لضياع صلاة الفجر مرة واحدة مع أنه كان يجاهد فى سبيل الله.

- ومن هنا نعلم لماذا نصر الله هذا الجيل العظيم.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٤) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٤) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

صفات جيل التمكين

إخوانى وأحبابى: مُحال أن يُمكِّن الله لأمة تُفرط فى الصلوات الخمس - وخصوصًا صلاة الفجر -.

- انظر ماذا قال الله عن صفات أهل التمكين: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[1].

- وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [2].

ثم قال بعدها: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

- وكان النبى ﷺ يقول: «إنَّا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباح المُنذرين». . وكان لا يُرسل سراياه إلا فى الصباح.

- والحق (جل وعلا) لما أقسم بالخيول التى تخرج للجهاد فى سبيل الله قال: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ [4].

- وكان إهلاك الأمم السابقة - الذين كذبوا الرسل والأنبياء - فى وقت الصبح.

- فقال تعالى عن إهلاك قوم لوط: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[5].

---

(١) سورة الحج: الآية: (٤١).

(٢) سورة النور: الآية: (٥٥).

(٣) سورة النور: الآية: (٥٦).

(٤) سورة العاديات: الآيات: (١-٣).

(٥) سورة هود: الآية: (٨١).

وقال تعالى عن إهلاك قوم عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾[١].

- ولذلك نجد أن صلاح الدين الأيوبى (رحمه الله) لما استردَّ المسجد الأقصى من أيدى الصليبيين. . . كان أول ما اهتم به: صلاة الفجر.

- ونزول عيسى (عليه السلام) فى آخر الزمان لاستقرار العدل فى الأرض سيكون فى صلاة الفجر.

عقوبة من يترك صلاة الفجر

وكما أن من صلَّى الفجر وداوم على ذلك فإنه يفوز بتلك الثمرات التى ذكرناها. . فكذلك من تهاون فى صلاة الفجر وتركها فإنه يُعاقَب أشد أنواع العقوبات.

(١) يُحرَم من أن يكون فى ذمة الله وحمايته:

فقد قال النبى ﷺ: «من صلى الصبح فى جماعة فهو فى ذمة الله»[٢] أى فى عهده وأمانه وحمايته. . . فمن ترك صلاة الصبح خسر كل هذا.

(٢) يُحرَم من بركة البكور:

فقد دعا النبى ﷺ لأمته بأن يبارك الله لهم فى بكورهم فقال ﷺ: «اللهم بارك لأمتى فى بكورها»[٣]. . فمن ترك صلاة الفجر (الصبح) فقد حُرم من دعاء النبى ﷺ له.

(٣) يُحرَم من أجر قيام ليلة كاملة:

فقد قال ﷺ: «من صلى العشاء فى جماعة، فكأنما قام نصف ليلة، ومن صلى الصبح فى جماعة، فكأنما صلى الليل كله»[٤].

---

(١) سورة الأحقاف: الآية: (٢٥).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: أخرجه الطبرانى (٨/ ٢٤)، وأحمد (٣/ ٤٣١)، والدارمى (٢/ ٢٨٣)، وأبو داود (٢٦٠٦)، والترمذى (١٢١٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٣٠٠).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٥٦) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

فمن ترك صلاة الفجر فقد حُرم من هذا الأجر الكبير.

(٤) يستهزئ به الشيطان:

فقد ذُكر لرسول الله ﷺ رجل نام حتى أصبح فقال ﷺ: «ذاك رجلٌ بال الشيطان فى أُذنيه» (١).

أى استهزأ به الشيطان واتخذه موضعًا لقضاء حاجته.

وقال بعض أهل العلم: أى ملأ سمعه بالأباطيل.

وقال بعضهم: أى أصمّه عن سماع كل خير... فإذا سمع القرآن والذكر فلا يخشع ولا يتأثر.

(٥) يُحْرَم من دعاء الملائكة:

فهم يشهدون صلاة الفجر ويكتبون أسماء المصلين ويقولون: «رب اغفر لهم يوم الدين».. فمن ترك صلاة الفجر حُرم من دعاء الملائكة.

(٦) يُحْرَم من أجر حجة وعمرة تامة:

فقد قال ﷺ: «من صلى الفجر فى جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة، وعمرة، تامة، تامة، تامة» (٢).

فمن ترك صلاة الصبح حُرم من هذا الأجر الكبير.

(٧) يُضرَب على قلبه النفاق:

فقد قال ﷺ: «إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا» (٣).

وفى هذا الحديث إشارة إلى أن من تكاسل عن هاتين الصلاتين فهو منافق.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٧٠) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٧٧٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٥٨٦) كتاب الجمعة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٤٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٤) كتاب الأذان، ومسلم (٦٥١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٨) يُضرَب عليه الكسل ويشعر بضيق فى صدره:

فقد قال ﷺ: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عُقد، يضرب مكان كل عقدة: عليك ليلٌ طويلٌ فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلَّت عقدة، فإن توضأ، انحلَّت عقدة، فإن صلى انحلت عُقَدُه كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[١].

* وفرقٌ شديد بين رجل مطمئن الفؤاد راضى النفس بما وفقه الله لفعل الطاعات.. وبين رجلٍ لم يوفقه الله فأصبح خبيث النفس.

(٩) يُعرض نفسه لعذاب القبر:

فقد قال ﷺ: «إنه أتانى الليلة اثنان وإنهما ابتعثانى وإنهما قالا لى: انطلِق وإنى انطلقت معهما وإنَّا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغ[٢] رأسه فيتدهده[٣] الحجر ها هنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصحّ رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثلما فعل به المرة الأولى» قال: «قلت لهما: سبحان الله ما هذا؟» - فكان الرد - «أما الرجل الذى أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ بالقرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة»[٤].

(١٠) يُحرَم من هذا الأمان من النار:

فقد قال ﷺ: «لن يلج النار أحدٌ صلَّى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها»[٥].

فمن ترك صلاة الفجر حُرِم من هذا الأمان من النار.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) يثلغ: أى يشدخه.

(٣) يتدهده: أى يتدحرج.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٦٣٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(١١) يُحرَم من هذا العهد بدخول الجنة :

فقد قال ﷺ : «من صلى البردين دخل الجنة»[١] - أى العصر والفجر - فمن ترك صلاة الفجر فقد حُرم من هذا العهد بدخول الجنة -.

(١٢) يُحرم من النور التام يوم القيامة :

فقد قال ﷺ : «بشِّر المشائين فى الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»[٢].

فمن ترك صلاة الفجر حُرم من النور التام يوم القيامة.

(١٣) يُخشَى أن يُحرم من لذة النظر إلى وجه الله تعالى :

فقد قال ﷺ : «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تُضامون فى رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غُروبها، فافعلوا»[٣].

* **والمقصود هنا بالصلاة:** أى صلاة الفجر وصلاة العصر.

قال العلماء: وفى هذا الحديث دليل على أن من حافظ على هاتين الصلاتين رُزق لذة النظر إلى وجه الله تعالى.. ومن تهاون حُرم.

* * *

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٤) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٥) المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٦١) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٢٣) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٢٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٤) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٣) المساجد ومواضع الصلاة.

الأسباب المعينة على صلاة الفجر

وأخيراً فقد يسأل سائل ويقول: ما هى الأسباب المعينة على صلاة الفجر؟

وسوف أذكر لحضراتكم بعض الأسباب المعينة على صلاة الفجر.

(١) الاستعانة بالله:

فلا يستطيع العبد أن يفعل أى طاعة إلا إذا أعانه الله على فعلها ولذلك قال النبى ﷺ : **«إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»**(١).

(٢) الإخلاص:

لأنه من الصعب أن يواظب على صلاة الفجر إنسان ليس عنده إخلاص... بل إن الله (عز وجل) حين يرى إخلاص العبد فى عمل أى طاعة فإنه يعينه ويوفقه.

(٣) العزيمة الصادقة:

وأقولها بكل صراحة ووضوح: إن من أراد أن يصلى الفجر فى جماعة فسوف يصليها إن شاء الله... فالمسألة تحتاج إلى إخلاص وعزيمة وأخذ بالأسباب.. كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ (٢).

(٤) التفكر فيما أعده الله للمحافظين على صلاة الفجر:

وهذا نراه واضحًا جليًّا فى فضائل وثمرات صلاة الفجر.

(٥) التفكر فيما أعده الله للمتهاونين فى صلاة الفجر:

وهذا نراه واضحًا جليًّا فى العقوبات المترتبة على ترك صلاة الفجر.

(٦) البعد عن الذنوب والمعاصى:

فقد يُحرم العبد من صلاة الفجر أو من قيام الليل بسبب ذنوبه.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٤٦).

فقد جاء رجل إلى الحسن البصرى (رحمه الله) فقال له: إنى أُعد طهورى وأفعل كل شىء من أجل أن أقوم الليل فلا أقوم.

فقال له الحسن: قيَّدتك ذنوبك.

* وكما قيل:

رأيتُ الذنوب تُميت القلوب
وقد يورثُ الذُّلَّ إدمانُها
وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوب
وخيرٌ لنفسك عصيانُها

(٧) الصحبة الصالحة:

فالصاحب قد يعينك على صلاة الفجر وذلك بأن يوقظك للصلاة أو يتصل عليك أو يرسل لك رسالة على المحمول وبذلك يكون عونًا لك على فعل تلك الطاعة.

ولذلك أوصانا النبى ﷺ فقال: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[1].

وقال ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى»[2].

(٨) النوم بطريقة النبى ﷺ:

وذلك بأن تنام مبكرًا وتتوضأ قبل أن تنام وتقول أذكار النوم كلها.. وعلى رأسها آية الكرسى حتى يحفظك الله من كيد الشيطان.. ثم تنام على الشِّق الأيمن وتذكر الله (عز وجل).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٤٥).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٣٢) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٩٥) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٤١).

(٩) التخفُّف من الطعام والشراب:

لأن من أكل كثيرًا نام كثيرًا وفاته الخير الكثير.

ومَن أكل قليلاً نام قليلاً واستثمر عمره فى فعل الخير.

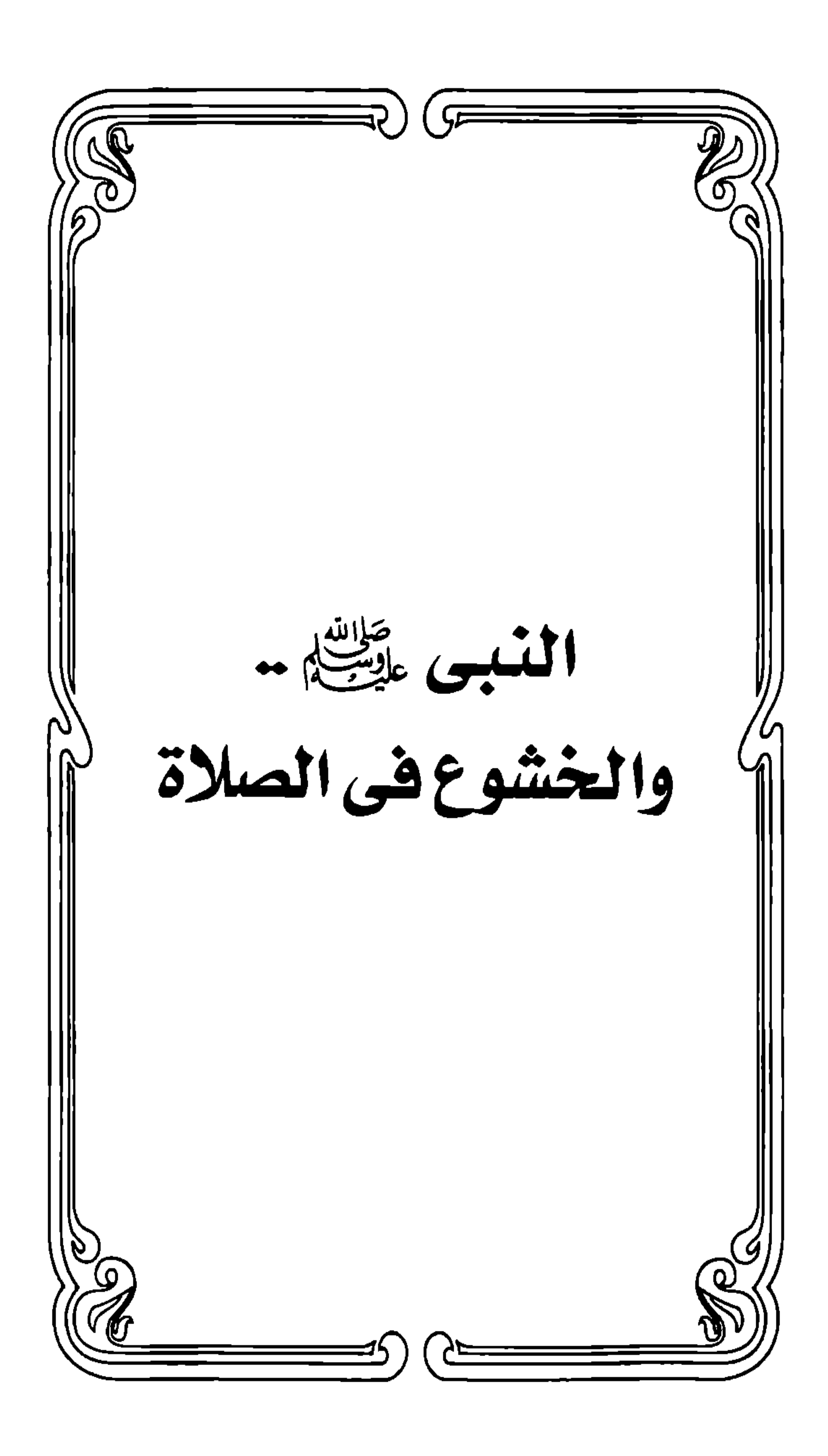
فما عليك إلا أن تتناول وجبة عشاء خفيفة حتى تستطيع أن تستيقظ لصلاة الفجر.

(١٠) الأخذ بالأسباب:

وذلك بأن تضبط المنبه قبل صلاة الفجر بساعة لتقوم وتصلى قيام الليل ثم الفجر ثم تجلس فى المسجد لبعد شروق الشمس بثلث ساعة تذكر الله ثم تصلى ركعتين لتفوز بأجر حجة وعمرة تامة تامة.

* أسأل الله ألا يحرمنى وإياكم من لذة وحلاوة صلاة الفجر.

* * *



النبى ﷺ - والخشوع فى الصلاة

النبى ﷺ .. والخشوع فى الصلاة

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذِن لنا بالدخول.

فلما دخلنا وجدنا النبى ﷺ جالسًا مع بعض أصحابه يوصيهم بهذه الوصية الغالية ويقول: **«خمس صلوات افترضهن الله عز وجل، من أحسن وضوءهن، وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وخشوعهن؛ كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل، فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذَّبه»**(١).

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة الخشوع فى الصلاة.

نعمة الخشوع

إن الصلاة أعظم أركان الدين العملية، والخشوع فيها من المطالب الشرعية، ولما كان عدو الله إبليس قد أخذ العهد على نفسه بإضلال بنى آدم وفتنتهم، وقال: **﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾**(٢) صار من أعظم كيده صرف الناس عن الصلاة بشتَّى الوسائل،

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٥) كتاب الصلاة، والنسائى (٤٦١) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١٤٠١) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٤٢).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٧).

والوسوسة لهم فيها لحرمانهم لذه هذه العبادة، وإضاعة أجرهم وثوابهم، ولما استسلم الكثيرون للشيطان فى هذا الأمر، ولما كان الخشوع أول ما يُرفع من الأرض ونحن فى آخر الزمان، انطبق فينا قول حذيفة رضي الله عنه: «أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، ورُبَّ مُصلٍّ لا خير فيه، ويوشك أن تدخل المسجد فلا ترى فيهم خاشعًا»(١).

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(٢)

أى: خائفون ساكنون «والخشوع هو السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع، والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته»(٣). والخشوع هو قيام القلب بين يدى الرب بالخضوع والذل(٤).

ومحل الخشوع فى القلب، وثمرته على الجوارح، والأعضاء تابعة للقلب، فإذا فسد خشوعه بالغفلة والوساوس فسدت عبودية الأعضاء والجوارح، فإن القلب كالملك والأعضاء كالجنود له فبه يأتمرون، وعن أمره يصدرون، فإذا عُزل الملك بفقد القلب لعبوديته ضاعت الرعية وهى الجوارح.

وأما التظاهر بالخشوع فممقوت؛ لأنه من علامات النفاق.

والخشوع فى الصلاة إنما يحصل لمن فرَّغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرة عين كما قال النبى ﷺ: «.. وجُعلت قرة عينى فى الصلاة»(٥).

وقد ذكر الله الخاشعين والخاشعات فى صفات عباده الأخيار، وأخبر أنه

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٥٢١).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان: (١، ٢).

(٣) تفسير ابن كثير ط. دار الشعب (٦/ ٤١٤).

(٤) المدارج (١/ ٥٢٠).

(٥) صحيح: رواه النسائى (٣٩٣٩) كتاب عشرة النساء، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٢٤).

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(١).

ومن فوائد الخشوع: أنه يخفف أمر الصلاة على العبد.

قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(٢) والمعنى: أى مشقة الصلاة ثقيلة إلا على الخاشعين(٣).

والخشوع أمر عظيم شأنه، سريع فَقْدُه، نادر وجوده خصوصًا فى زماننا وهو من آخر الزمان،... قال النبى ﷺ: «أول شىء يُرفع من هذه الأمة الخشوع، حتى لا ترى فيها خاشعًا»(٤).

«قال بعض السلف: الصلاة كجارية تُهدَى إلى ملك الملوك، فما الظن بمن يُهدى إليه جارية شلاَّء أو عوراء أو عمياء أو مقطوعة اليد والرجل أو مريضة أو دميمة أو قبيحة، حتى يهدى إليه جارية ميتة بلا روح.. فكيف بالصلاة يهديها العبد ويتقرب بها إلى ربِّه تعالى؟ والله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وليس من العمل الطيب صلاة لا روح فيها. كما أنه ليس من العتق الطيب عتق عبد لا روح فيه»(٥).

* وفى فضل الخشوع ووعيد مَن تَركه يقول النبى ﷺ: «خمس صلوات افترضهن الله تعالى، مَن أحسن وضوءهن وصلاَّهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذَّبه»(٦).

وقال عليه الصلاة والسلام فى فضل الخشوع أيضًا: «من توضأ فأحسن

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٥).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٤٥).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٢٥).

(٤) صحيح: أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٢/ ١٣٦) قال الهيثمى: إسناده حسن. وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٦٩).

(٥) المدارج (١/ ٥٢٦).

(٦) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٥) كتاب الصلاة، والنسائى (٤٦١) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١٤٠١) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٤٢).

الوضوء ثم صلى ركعتين يُقبل عليهما بقلبه ووجهه - وفى رواية: لا يُحدِّث فيهما نفسه - غُفر له ما تقدم من ذنبه - وفى رواية: إلا وجبت له الجنة -» [١].

حكم الخشوع

والراجح فى حكم الخشوع أنه واجب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٢]. وهذا يقتضى ذَمّ غير الخاشعين.. والذَّمُّ لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محرَّم، وإذا كان غير الخاشعين مذمومين دلَّ ذلك على وجوب الخشوع.. ويدل على وجوب الخشوع فيها أيضًا قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٣]أخبر سبحانه وتعالى أن هؤلاء هم الذين يرثون فردوس الجنة، وذلك يقتضى أنه لا يرثها غيرهم.. وإذا كان الخشوع فى الصلاة واجبًا وهو المتضمن للسكون والخشوع[٤] فمن نَقَر نقْر الغراب لم يخشع فى سجوده، وكذلك من لم يرفع رأسه فى الركوع ويستقر قبل أن ينخفض لم يسكن؛ لأن السكون هو الطمأنينة بعينها، فمن لم يطمئن لم يسكن، ومن لم يسكن لم يخشع فى ركوعه ولا فى سجوده، ومن لم يخشع كان آثمًا عاصيًا.. ويدل على وجوب الخشوع فى الصلاة أن النبى ﷺ توَّعد تاركيه كالذى يرفع بصره إلى السماء فإنه حركته ورفعه وهو ضد حال الخاشع[٥].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤٣٣) كتاب الرقاق.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٤٥).

(٣) سورة المؤمنون: الآيات: (١-١١).

(٤) هكذا فى الأصل، ولعلها الخضوع.

(٥) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٥٣-٥٥٨).

إخفاء الخشوع

كان حذيفة رضي الله عنه يقول: إياكم وخشوع النفاق، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع. وقال الفُضيل بن عياض: كان يُكره أن يُرىَ الرجل من الخشوع أكثر مما فى قلبه.

ورأى بعضهم رجلاً خاشع المنكبين والبدن، فقال: يا فلان، الخشوع هاهنا، وأشار إلى صدره، لا هاهنا وأشار إلى منكبيه[1].

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - مبيِّنًا الفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق: «خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحب والحياء وشهود نعمة الله وجناياته هو، فيخشع القلب لا محالة فيتبعه خشوع الجوارح. وأما خشوع النفاق فيبدو على الجوارح تصنُّعًا وتكلُّفًا والقلب غير خاشع، وكان بعض الصحابة يقول: أعوذ بالله من خشوع النفاق، قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يُرى الجسد خاشعًا والقلب غير خاشع. فالخاشع لله عبدٌ قد خمدت نيران شهوته، وسكن دخانها عن صدره، فانجلى الصدر وأشرق فيه نور العظمة؛ فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذى حُشى به، وخمدت الجوارح وتوقَّر القلب واطمأن إلى الله وذكره بالسكينة التى نزلت عليه من ربه فصار مخْبِتًا له، والمخبت: المطمئن، فكذلك القلب المخبت قد خشع واطمأن كالبقعة المطمئنة من الأرض التى يجرى إليها الماء فيستقر فيها، وعلامته أن يسجد بين يدى ربه إجلالاً له وذلاً وانكسارًا بين يديه، سجدة لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه... فهذا خشوع الإيمان.

---

(١) المدارج (١/ ٥٢١).

وأما التماوت وخشوع النفاق فهو حال عند تكلُّف إسكان الجوارح تصنُّعًا ومراءاة ونفسه فى الباطن شابة طرية ذات شهوات وإرادات، فهو يتخشع فى الظاهر وحية الوادى وأسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة(١).

مراتب الناس فى الصلاة

أمر الخشوع كبير، وشأنه خطير، ولا يتأتى إلا لمن وفقه الله لذلك، وحرمان الخشوع مصيبة كبيرة، وخَطْبٌ جلل، ولذلك كان النبى ﷺ يقول فى دعائه: «اللهم إنى أعوذ بك من قلب لا يخشع ...»(٢).

والخاشعون درجات، والخشوع من عمل القلب يزيد وينقص، فمنهم من يبلغ خشوعه عنان السماء، ومنهم من يخرج من صلاته لم يعقل شيئًا، والناس فى الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذى انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثانى: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكنه قد ضيَّع مجاهدة نفسه فى الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه فى دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو فى صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئًا منها، بل همَّه كله

(١) كتاب الروح (ص ٣١٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٢) كتاب الذكر والدعاء، بنحوه.

مصروف إلى إقامتها كما ينبغى وإكمالها وإتمامها، . . . قد استغرق قلبَه شأنُ الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدى ربه عز وجل، ناظراً بقلبه إليه، مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حُجُبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره فى الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا فى صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به.

فالقسم الأول مُعاقَب، والثانى مُحاسَب، والثالث مُكفَّرٌ عنه والرابع مثاب، والخامس مُقرب من ربه؛ لأن له نصيبًا ممن جُعلت قرَّة عينه فى الصلاة، فمن قرَّت عينه بصلاته فى الدنيا، قرت عينه بقربه من ربه - عز وجل - فى الآخرة، وقرَّت عينه أيضًا به فى الدنيا، ومن قرت عينه بالله قرَّت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات(١).

الخشوع وروحانيات العبد فى صلاته

* واريد أن أبدأ هذا العنصر بهذه القصة المؤثرة.

فعن جابر بن عبد الله الأنصارى، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب (رجل) امرأة رجل من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً - راجعًا - أتى زوجها وكان غائبًا، فلما أُخبر الخبر حلف لا ينتهى حتى يهريق فى أصحاب محمد ﷺ(٢)، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً، فقال: «مَن رجل

(١) الوابل الصيب: ص ٤٠-٤١ .

(٢) اى يصيب دمًا.

يكلؤنا[1] ليلتنا هذه؟ » قـال: فانتـدب رجل من المهاجـرين، ورجل آخر من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: «فكونا بفَم الشِّعب»، قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادى، (وهما عمار بن ياسر وعبَّـاد بن بِشر)، فلما خرج الرجـلان إلى فم الشعب، قال الأنصارى للمهاجرين: أى الليل تحب أن أكفيـكه: أوله أم آخره؟ قال: بل اكفنى أوله، قال: ونام (عـمار بن ياسر) وقـام (عباد) ينظـر إلى الكون من حوله، فإذا به يرى الليل هادئًا وكأن الكون كله يسبح بصوت خافت فتاقت نفسه إلى أن يقرأ وهو يصلى - ليجمع بين الحـسنيين - قال ابن إسحاق: فـاضطجعُ المهاجرى (عـمار) فنام وقـام الأنصارى (عـباد) يـصلى. قال: وأتى الرجل فلمـا رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة[2] القوم، قال: فرمى بسهم، فوضعه فيه، قال: فنزعه ووضعه فثبت قائمًا، قال: ثم رماه سهمًا آخر، فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه، وثبت قائمًا، ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهبَّ[3] صاحبه فقال: اجلس فقد أُثبِتُّ[4] قال: فوثب، فلما رآهمـا الرجل عرف أن قـد نذرا به، فهـرب، قال: ولمـا رأى المهاجـرى ما بالأنصارى من الدماء، قال: سبحان الله! أفـلا أهببتنى - أيقظتنى - أول ما رماك؟ قال: كنت فى سـورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حـتى أنفدها، فلما تابع علىَّ الرمى ركـعت فآذنتك، وايم الله لولا أن أُضيع ثغـرًا أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفدها [5].

---

(١) يكلؤنا: يحفظنا.

(٢) الربيئة: الطليعة الذى يحرس القوم.

(٣) أهب: أيقظ.

(٤) أُثبِتُّ: أى جُرحت جرحًا لا يمكن التحرك منه.

(٥) أخرجه أبو داود فى كتـاب الطهارة باب الوضوء من الدم (١/ ١٩٨)، وأحمد فى مسنده (٣/ ٣٤٣، ٣٥٩) وابن خزيمـة فى صحيـحه (١/ ٣٦)، وابن حبـان فى صحيـحه (٢/ ح١٠٩٣)، والحاكم فى مستدركه (١/ ١٥٦)، والبيهقى فى السنن الكبرى (١/ ١٤٠) قلت: وإسناده حسن.

* ولقد سألت نفسى عن السر فى هذا الموقف العجيب.. فوجدت أن السر فى هذا الموقف هو حبه الشديد لله (جل وعلا) وحبه للصلاة والقرآن.. وهذا كله لأنه لا يرى غير الآخرة.. لا يرى إلا الجنة والنار... ومن أجل ذلك كان النبى ﷺ يُكثر من ذكر الجنة والنار.

*** مقارنة عابرة:**

أريدك أن تقارن بين شاب ذاهب للقاء حبيبته التى لا تحل له وكيف أنه قد تجهَّز وارتدى أجمل ثيابه ووضع أجمل العطور وذهب وهو فى قمة الفرح حتى يكاد قلبه أن يطير من شدة الفرح.

قارن بينه وبين شاب تقى نقى قد تجهز للصلاة وذهب إليها وهو فى قمة الشوق للقاء الله (جل وعلا)... ثم تأمل فى حالك وأنت ذاهب إلى الصلاة هل تجد نفسك سعيدًا أم أن الصلاة أصبحت عادة لا تشعر فيها بأى تدبر أو خشوع.

*** الخشوع روح الصلاة:**

وأريدك أن تتخيل أيضًا لو أنه مات أحب الناس إلى قلبك فإنك تكون حريصًا على أن تُسرع فى دفنه وتتخلص منه قبل أن يتعفن.. لكن تخيل لو عادت إليه الروح فهل من الممكن أن تُفرط فيه؟.. كلا.. بل ستزداد له حبًّا.

ما الذى تغير؟.. لا شىء سوى عودة الروح.

- فهكذا الصلاة.. روحها الخشوع.. فإذا خرجت الروح فلا قيمة لها.

- قيل للحسن كيف كنتم تصلون؟

قال: كنا نصلى وكأننا على الصراط... والجنة عن اليمين والنار عن الشمال والكعبة أمامنا وملك الموت وراءنا ينتظر قبض أرواحنا بعد تلك الصلاة ونحن جميعًا بين يدى الله.. فإذا فرغنا من الصلاة لا ندرى هل قُبلت أم رُدَّت علينا.

*** لقاء مع الملك:**

بل تخيل أنك واقف الآن أمام ملك من ملوك الدنيا فهل تستطيع أن تلتفت ولا تنظر إليه وهو يكلمك؟!. . . كلا لا تستطيع.

- ولله المثل الأعلى.. فتخيل نفسك فى صلاتك أنك واقف بين يدى مالك الملك وملك الملوك (جل وعلا) فكيف تلتفت ولا تخشع؟!.

قال ﷺ: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن» - وكان من بينها -: **«وآمركم بالصلاة، وإذا قمتم إلى الصلاة؛ فلا تلتفتوا فإن الله عز وجل يُقبل بوجهه على عبده ما لم يلتفت»**[١].

*** الالتفات فى الصلاة قسمان:**

(١) التفات القلب إلى غير الله:

وذلك بأن تكون واقفًا بين يديه فى الصلاة وأنت تفكر فى الزوجة والأولاد والأموال والمشاريع والعقارات.

(٢) التفات البصر:

وكلاهما منهىٌ عنه ويُنقص من أجر الصلاة.

فقد روى البخارى أن النبى ﷺ سُئل عن الالتفات فى الصلاة فقال: «ذلك اختلاسٌ يختلسه الشيطان من صلاة العبد»[٢].

*** وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين:**

إن من أعظم الأسباب التى تجعل الصلاة ثقيلة على العبد: عدم الخشوع ولذا قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٣].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٨٦٣) كتاب الأمثال، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٢٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٥١) كتاب الأذان.

(٣) سورة البقرة: الآية: (٤٥).

قال ثابت البنانى: كابدت الصلاة عشرين سنة ثم تلذذت بها عشرين أخرى فوالله إنى لأدخل فى الصلاة فأحمل هَمَّ خروجى منها.

وقال أبو سليمان الدارانى: إن أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم وإنه لتمر بالقلب ساعات يكاد يطير بها فرحًا حتى أقول: لو كان أهل الجنة فى مثل ما أنا فيه من النعيم إنهم لفى سعادة ونعيم.

*** النبى ﷺ يستعيذ بالله من قلب لا يخشع:**

ولقد كان النبى ﷺ يستعيذ بالله من قلبٍ لا يخشع فكان يقول: «...اللهم إنى أعوذُ بك من علم لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشعُ، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها»[١].

*** تذكر نعم الله عليك:**

أريدك أن تجلس مع نفسك وتتذكر نعم الله عليك: نعمة البصر والسمع والكلام واليدين والرجلين.. وقبل ذلك كله نعمة الإسلام.

ثم اسأل نفسك: ألا تستحق تلك النعم كلها أن تُفرغ قلبك لله (جل وعلا) وأن تخشع وأنت واقف بين يديه.

*** تأمل معى ما حدث لعروة بن الزبير (رحمه الله):**

فعن هشام بن عروة عن أبيه قال: وقعت الأكلة فى رجله فقيل له: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: إن شئتم... فجاء الطبيب فقال: أسقيك شرابًا يزول فيه عقلك. فقال: امضِ لشأنك ما ظننت أن خلقًا يشرب شرابًا ويزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه. قال: فوضع المنشار على ركبته اليسرى ونحن حوله فما سمعنا له حسًا، فلما قطعها جعل يقول: لئن أخذتَ لقد أبقيت، ولئن ابتليتَ لقد عافيت، وما ترك حزبه من القراءة تلك الليلة[٢].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٢) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٠-٢١).

وقال عامر بن صالح عن هشام بن عروة: إن أباه خرج إلى الوليد بن عبد الملك حتى إذا كان بوادى القرى وجد فى رجله شيئًا فظهرت به قرحة، ثم ترقَّى به الوجع، .فلما قَدِم على الوليد قال: يا أبا عبد الله اقطعها. قال: دونك. فدعا له الطبيب وقال له: اشرب المُرقِّد فلم يفعل، فقطعها من نصف الساق، فما زاد على قوله: حَسٍّ حَسٍّ. فقال الوليد: ما رأيت شيخًا أصبر من هذا.

وأُصيب عروة فى هذا السفر بابنه محمد، ركضته بغلة فى اسطبل فلم نسمع منه كلمة فى ذلك، فلما كان بوادى القرى قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[1]، اللهم كان لى بنون سبعة فأخذت منهم واحدًا وأبقيت لى ستة، وكان لى أطراف أربعة فأخذت طرفًا وأبقيت ثلاثًا، فإن ابتليت لقد عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت[2].

*** وبدأت رحلة الخشوع:**

الصلاة موقفٌ قُدسى للمصلى مع ربه ومعبوده الحق، يكرر فيه تعهداته والتزاماته واعترافاته التى احتوت عليها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والتى بتحقيقها يكون المرء مسلمًا.

وهذه التعهدات والالتزامات والإقرارات، منها العقائدى، ومنها القولى، ومنها العملى، وبيان ذلك[3]:

*** الوضوء:**

أريدك أن تستشعر عند الوضوء أنك تُطهر جسدك وروحك وقلبك فى وقت واحد.. أريدك أن تُطهر قلبك من الغل والحقد والحسد والنفاق والرياء.

قال ﷺ: «إذا توضأ الرجلُ المسلمُ خرجت خطاياه من سمعه وبصره

(١) سورة الكهف: الآية: (٦٢).

(٢) تاريخ الإسلام (٦/٢٤٧).

(٣) الخشوع فى الصلاة / لابن رجب (ص:٥).

ويديه ورجليه، فإن قعد قعد مغفوراً له»(١).

- فالذنوب تخرج والقلب يطهر وأبواب الجنة الثمانية تتفتح لك بعد الوضوء.

قال ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين، فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء»(٢).

* **التكبير:**

وهو اعتراف يلتزم به المصلى قولاً واعتقادًا بأن الله أكبر من كل شىء فى ذاته، وصفاته، وحقوقه. . . ، ومن حقوقه امتثالُ أوامره واجتناب نواهيه فى الاعتقادات، والعبادات، والأخلاق، والآداب، . . . فى كل الأحوال.

* **قراءة الفاتحة:**

قال النبى ﷺ: «قال الله عز وجل: قسَّمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل: فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حَمدنى عبدى، فإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثنى علىَّ عبدى، فإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله: مجَّدنى عبدى، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال الله: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل»(٣).

* **موافقة تأمين الملائكة:**

فاستشعر أنك وأنت تقول «آمين» أن تأمينك قد وافق تأمين الملائكة.

قال ﷺ: «إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده؛ فقولوا: اللهم ربنا لك

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٨).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى (٥٥) كتاب الطهارة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٦٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٩٥) كتاب الصلاة.

الحمد؛ فإنه مَن وافق قولهُ قول الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه»[1].

*** قراءة سورة من القرآن:**

اقرأ سورة أو جزءًا من سورة بعد الفاتحة واحرص على أن تتعلم تفسير تلك الآياتِ التى تصلى بها... واحرص على أن تحفظ كثيرًا حتى تتلذذ بالصلاة والانتقال بين السور.. وتذكَّر أن القرآن سيشفع لك يوم القيامة.

فقد قال ﷺ: «القرآن شافعٌ مُشفَّع، وماحلٌ مُصدَّق، مَن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»[2].

وأنك سوف ترتقى فى درجات الجنة بالقرآن.

فقد قال ﷺ: «يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارقَ ورتِّل كما كنت تُرتل فى دار الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها»[3].

*** الركوع:**

وهو التزام عملى، يحنى فيه المصلى رأسه وظهره طاعة، وخضوعًا، وتذللاً لمعبوده، وهو به يُعطى تعهدًا أن يُديم الطاعة والامتثال لأوامر معبوده، واجتناب نواهيه فمن حنى ظهره فى الصلاة طاعة لله ثم تمرد بعدها عن بعض أوامره، أو تجرأ على بعض نواهيه لدواعى هواه وشهوته، فقد ناقض هذا الالتزام على حسب ما ساء من فعله.

* وأريك أن تحنى قلبك قبل ظهرك وأن تذل وتخضع لله (جل وعلا).

*** التسبيح:**

وهو قول المصلى فى ركوعه: سبحان ربى العظيم، وفى سجوده: سبحان ربى الأعلى، وهو التزام قولى يُنزه المصلى فيه معبوده الحق جل جلاله عن

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٨٢) كتاب الأذان، ومسلم (٤١٠) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: أخرجه ابن حبان (١/ ٣٣١)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢/ ٣٥١) وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٤٣).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٩١٥) كتاب فضائل القرآن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨١٢٢).

النقائص فى صفاته، أو فى أفعاله، أو فى حقوقه... ومن حقوقه تعظيمه فى كل حال، وتقديم طاعته على طاعة النفس، والوالدين، والرؤساء، وغيرهم، فمن سبَّح الله فى ركوعه وسجوده ثم تجرأ على معاصيه خارجها، فقد انتقص تسبيحُه معبودَه بحسب معصيته[١].

* **الوقوف:**

أن تحمد الله على أن جعل صُلبك يستقيم مرة أخرى وأن تتذكر أنك ستقف بين يديه يوم القيامة.

قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيُكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة»[٢].

* **السجود:**

وهو غاية الخضوع، حيث يضع المصلى أشرف أعضائه الظاهرة على التراب أو الأرض، فالسجود تعهُّد عملى والتزام بالطاعة المطلقة للمعبود الحق فى كل الأحوال، فلا يُستثنى فيها حالة شهوة، أو حالة هوى نفس، فمن عفَّر وجهه بالتراب، وخضع فى السجود غاية الخضوع، فإذا انصرف من صلاته عاد إلى طاعة نفسه بمعصية الله، وطاعة المخلوقين بمعصية الله، واتباع الهوى بمعية الله، فقد كذَّب نفسه بنفسه بحسب معصيته[٣].

* وكلما نزلت وسجدت لله كلما اقتربت وارتفعت مكانتك.

قال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»[٤].

وقال ﷺ: «وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»[٥].

---

(١) الخشوع فى الصلاة / لابن رجب (ص:٦-٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٤٣) كتاب التوحيد، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٣) الخشوع فى الصلاة (ص:٧).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٤٨٢) كتاب الصلاة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

وعن ربيعة بن كعب الأسلمى قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لى: «سَلْ» فقلت: أسألك مرافقتك فى الجنة قال: «أوَ غير ذلك» قلت: هو ذاك قال: «فأعنِّى على نفسك بكثرة السجود»(١).

* اسجد مرة أخرى:

فسجدة واحدة لا تكفى.. انزل واشعر بالذل والخضوع لله لكى يرفع الله قدرك ومنزلتك عنده فى الدنيا والآخرة.

* التشهد:

- التحيات لله والصلاة والطيبات: استشعر عظمة الله..

- السلام عليك أيها النبى: سلِّم على النبى ﷺ مع المعرفة أن النبى ﷺ سيرد عليك.

- قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصلى ويسلم علىَّ إلا رَدَّ الله علىَّ روحى فأرد السلام»(٢).

- السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين: الآن قيمتك ارتفعت... سلِّم على نفسك وستحتاج لصحبة الصالحين....

- أشهد أن لا إله إلا الله: أنت متأكد بوجوده رغم عدم رؤيتك له.

- اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم: تذكر الأمم التى قبلك؛ حيث أنك منتمى لهم وليس للحضارة الغربية.

* التسليم:

فأنت تُسلِّم على الجانب اليمين للملك اليمين لكتابة الحسنات ثم تُسلم

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٨٩) كتاب الصلاة.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٢٠٤١)، والبيهقى (٥/ ٢٤٥)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٧٩).

على الجانب الشمال على الملك الذى يكتب السيئات وكأنك تقول له: تُبت إلى الله يا ملك الشمال.

*** أذكار الصلاة:**

تبدأ الأذكار التى بعد الصلاة بالاستغفار ثلاثًا.

وكأنك تقول: أستغفر الله على التقصير الذى حدث فى الصلاة.

*** ثم تقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام»** حيث أن هذه الجملة ستقولها لله (جل وعلا) فى الجنة عندما يُكشف الحجاب.. وينادى الله: يا أهل الجنة سلامٌ عليكم.

فيقولون: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

*** ثم تقول:** اللهم أعنِّى على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك.

لتكون الصلاة القادمة جميلة مثل هذه الصلاة.

كيف تخشع فى صلاتك

أما عن الأسباب المعينة على الخشوع فى الصلاة فهى:

*** الاستعانة بالله (جل وعلا):**

* فمن المعلوم أن العبد لا يستطيع أن يفعل أى طاعة إلا إذا أعانه الله عليها ولذلك قال النبى ﷺ: **«إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله....»**(١).

فمن استعان بالله على أن يرزقه الخشوع فى الصلاة فإن الله يرزقه الخشوع فى الصلاة.

*** الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:**

الشيطان عدو لنا، ومن عداوته قيامه بالوسوسة للمصلى كى يذهب خشوعه ويُلبِّس عليه صلاته.

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

ولهذا قيل لبعض السلف: «إن اليهود والنصارى يقولون: لا نُوسْوَس، قال: صدقوا، وما يصنع الشيطان بالبيت الخَرِب»(١).

«وقد مُثِّل ذلك بمثالٍ حسن، وهو ثلاثة بيوت: بيت للملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره، وبيت للعبد فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره، وبيت خال صِفر لا شيء فيه، فجاء اللص يسرق من أحد البيوت، فمن أيها يسرق؟(٢).. من المؤكد أنه سيسرق من بيت العبد وذلك لأنه لا يستطيع أن يقترب من بيت الملك ولن يفعل شيئًا بالبيت الخرب وهكذا فإن الشيطان لن يفعل شيئًا بقلب الكافر ولا يستطيع أن يقترب من قلب المؤمن القوى لأن نور إيمان العبد يحرق الشيطان.. وإنما يسرق الشيطان من قلب العبد الذى يكون إيمانه ضعيفًا.

عن أبى العاص ﷺ قال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يُلبسِّها علىَّ، فقال رسول الله ﷺ : **«ذاك شيطان يُقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذْ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثًا»** قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى(٣).

ومن كيد الشيطان للمصلى ما أخبرنا عنه ﷺ وعن علاجه فقال: «إن أحدكم إذا قام يصلى جاء الشيطان فلبَّس عليه - يعنى خلط عليه صلاته وشكَّكه فيها - حتى لا يدرى كم صلى، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس»(٤).

ومن كيده كذلك ما أخبرنا عنه رسول الله ﷺ بقوله: «إذا كان أحدكم فى الصلاة فوجد حركة فى دُبره أحدث أو لم يُحدث، فأشكل عليه، فلا ينصرف حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا»(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٦٠٨).

(٢) الوابل الصيب ص: (٤٣).

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٠٣٣) كتاب السلام.

(٤) **صحيح:** رواه البخارى (٧٥١) كتاب الأذان.

(٥) **صحيح:** رواه مسلم (٣٦٢) كتاب الحيض.

* **البعد عن المعاصى:**

فإن من عقوبة المعصية... المعصية بعد المعصية.

قال تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

وذلك الران يحول بين العبد وبين الخشوع فى الصلاة.

- فما عليك إلا أن تتوب إلى الله وتُكثر من الاستغفار لكى يرزقك الله نعمة الخشوع فى الصلاة.

* **حفظ اللسان:**

أن تحفظ لسانك من الغيبة والنميمة والكذب وغير ذلك من الآفات التى تُمرض القلب وتحول بينك وبين الخشوع فى الصلاة.

* **البعد عن المظالم:**

فعندما تصلى وأنت سليم الصدر لكل من حولك فسوف تنشغل بصلاتك وتخشع فيها بقلبك وجوارحك.. أما إذا كنت ظالمًا لمن حولك فإنك ستنشغل لا محالة فى صلاتك بتدبير المكائد وشهوة الانتقام... وكما يقولون: سلامة القلب لا يعدلها شىء.

فابتعد عن المظالم قدر استطاعتك.. وإذا وقعت فى مظلمة فتحلل منها لكى تسعد فى الدنيا والآخرة.

* **أن تخرج الدنيا من قلبك:**

وليس معنى ذلك أنى أريد منك أن تترك العمل والدراسة وأن تهجر النجاح.. بل أريدك أن تكون ناجحًا غنيًا صاحب مركزٍ مرموق بشرط أن تجعل الدنيا فى يديك ولا تجعلها فى قلبك حتى لا تشغلك فى صلاتك فتفقد نعمة الخشوع فى الصلاة.

* **تذكر الموت فى الصلاة:**

لقوله ﷺ: «اذكر الموت فى صلاتك، فإن الرجل إذا ذكر الموت فى صلاته لحرىٌ أن يُحسن صلاته، وصلِّ صلاة رجل لا يظن أنه يصلى غيرها»[2].

---

(١) سورة المطففين: الآية: (١٤).

(٢) حسن: أخرجه الديلمى (١/ ٤٣١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٤٩).

وفى هذا المعنى أيضاً وصية النبى ﷺ لأبى أيوب رضي الله عنه لما قال له: «إذا قمت فى صلاتك فصلِّ صلاة مودّع»[(١)]. يعنى صلاة من يظن أنه لن يصلى غيرها.

*** الصدقة:**

وهذا من أعجب الأسباب.. فقد قال النبى ﷺ: «داووا مرضاكم بالصدقة»[(٢)]. فمن كان قلبه متعلقًا بالدنيا فهو مريض.. ولعل الله أن يجعل الصدقة سببًا فى شفائه فيخشع.

*** الاستعداد للصلاة والتهيؤ لها:**

ويحصل ذلك بأمور منها: الترديد مع المؤذن، والإتيان بالدعاء المشروع بعده: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته»، والدعاء بين الأذان والإقامة، وإحسان الوضوء والتسمية قبله، والذكر والدعاء بعده والاعتناء بالسواك، وهو تنظيف وتطييب للفم الذى سيكون طريقًا للقرآن بعد قليل؛ لحديث: «طهروا أفواهكم للقرآن»[(٣)]. وأخذ الزينة باللباس الحسن النظيف.

قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[(٤)].

وكذلك الاستعداد بستر العورة وطهارة البقعة، والتبكير والمشى إلى المسجد بسكينة ووقار، وعدم التشبيك بين الأصابع وانتظار الصلاة، وكذلك تسوية الصفوف والتراص فيها؛ لأن الشياطين تتخلل الفُرج بين الصفوف.

*** الطمأنينة فى الصلاة:**

كان النبى ﷺ يطمئن حتى يرجع كل عظم إلى موضعه[(٥)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٤١٢)، وابن ماجه (٤١٧١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٤٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٣/ ٢٨٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٥٨).

(٣) **صحيح**: أخرجه البزار فى «مسنده» (ص ٦٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٢١٣).

(٤) سورة الأعراف: الآية: (٣١).

(٥) صحيح إسناده فى صفة الصلاة ص١٣٤ ط: ١١، وعند ابن خزيمة نحوه كما ذكر الحافظ فى الفتح (٢/ ٣٠٨).

وأمر بذلك المسيء صلاته وقال له: «لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك»[1].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته»، قال: يا رسول الله، كيف يسرق صلاته؟ قال: «لا يُتم ركوعها ولا سجودها»[2].

*** الصلاة إلى سُترة والدنو منها[3]**

قال عليه الصلاة والسلام: «إذا صلى أحدكم إلى سُترة فليدنُ منها لا يقطع الشيطان عليه صلاته»[4].

والسُّنَّة فى الدنوّ من السترة أن يكون بينه وبين السترة ثلاثة أذرع وبينها وبين موضع سجوده ممرّ شاة كما ورد فى الأحاديث الصحيحة[5].

وأوصى النبى ﷺ المصلى بأن لا يسمح لأحد أن يمرّ بينه وبين سترته فقال: «إذا كان أحدكم يصلى فلا يدع أحدًا يمر بين يديه، و ليدرأه ما استطاع فإن أبَى فليقاتله فإن معه القرين»[6].

*** وضع اليمنى على اليسرى على الصدر**

كان النبى ﷺ إذا قام فى الصلاة «وضع يده اليمنى على اليسرى»[7].

و«كان يضعهما على الصدر»[8].

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّا معشر الأنبياء أُمرنا أن نضع أيماننا على

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٨٥٦) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٤٢٠).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٣١٠)، قال الهيثمى (٢/ ١٢٠): رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٨٦).

(٣) بقية هذه العناصر بتصرف من كتاب (٣٣ سببًا للخشوع فى الصلاة) للشيخ محمد صالح المنجد (حفظه الله).

(٤) صحيح: أخرجه الطبرانى (٢/ ١٣٩) ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٧).

(٥) البخارى انظر الفتح ١/ ٥٧٤، ٥٧٩

(٦) صحيح: رواه مسلم (٥٠٦) كتاب الصلاة.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٤٠١) كتاب الصلاة.

(٨) أبو داود رقم ٧٥٩ وانظر إرواء الغليل (٢/ ٧١).

شمائلنا فى الصلاة»[1].

.. وسُئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن المراد بوضع اليدين إحداهما على الأخرى حال القيام فقال: هو ذلّ بين يدى العزيز[2].

*** النظر إلى موضع السجود:**

لما ورد عن عائشة «كان رسول الله ﷺ إذا صلى طأطأ رأسه ورمى ببصره نحو الأرض»[3].

«ولما دخل الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج عنها»[4].

*** تدبر الآيات المقروءة وبقية أذكار الصلاة والتفاعل معها**

القرآن نزل للتدبر ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[5] ولا يحصل التدبُّر إلا بالعلم بمعنى ما يقرأ فيستطيع التفكّر فينتج الدمع والتأثُّر.

وهنا يتبين أهمية الاعتناء بالتفسير... قال ابن جرير رحمه الله: «إنى لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله «أى: تفسيره» كيف يلتذ بقراءته»[6].

ومما يُعين على التدبّر كثيراً ترديد الآيات ومعاودة النظر فى المعنى وكان النبى ﷺ يفعل ذلك فقد جاء أنه ﷺ «قام ليلة بآية يرددها حتى أصبح وهى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[7]»[8].

---

(١) صحيح: أخرجه الطبرانى فى الكبير (١١/ ١٩٩) وفى الأوسط (٢/ ٢٤٧). قال الهيثمى (٣/ ١٥٥): رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٨٦).

(٢) الخشوع فى الصلاة، ابن رجب ص: ٢١

(٣) رواه الحاكم ١/ ٤٧٩ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الألبانى فى صفة الصلاة ص ٨٩ .

(٤) رواه الحاكم فى المستدرك ١ / ٤٧٩ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى، قال الألبانى وهو كما قالا ؛ إرواء الغليل ٢/ ٧٣ .

(٥) سورة ص: الآية: (٢٩).

(٦) مقدمة تفسير الطبرى لمحمود شاكر ١/ ١٠ .

(٧) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٨) رواه ابن خزيمة (١/ ٢٧١)، وأحمد (٥/ ١٤٩)، وهو فى صفة الصلاة ص(١٠٢).

ومما يعين على التدبر أيضًا حفظ القرآن والأذكار المتنوعة فى الأركان المختلفة ليتلوها ويذكرها ليتفكّر فيها.

ومن التجاوب مع الآيات التأمين بعد الفاتحة وفيه أجر عظيم.

قال رسول الله ﷺ: «إذا أمَّنَ الإمام فأمِّنوا فإنه مَن وافق تأمينُهُ تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه»(١) وهكذا التجاوب مع الإمام فى قوله سمع الله لمن حمده فيقول المأموم ربنا ولك الحمد وفيه أجر عظيم... فعن رفاعة ابن رافع الزرقى قال: كنا يومًا نصلى وراء النبى ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف قال: «من المتكلم»، قال: أنا، قال: «رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أول» (٢).

*** أن يقطع قراءته آية آية:**

وذلك أدعى للفهم والتدبر وهى سنة النبى ﷺ كما ذكرت أم سلمة ﵂ قراءة رسول الله ﷺ «بسم الله الرحمن الرحيم» وفى رواية: ثم يقف ثم يقول، الحمد لله رب العالمين، ثم يقف ثم يقول: الرحمن الرحيم، وفى رواية: ثم يقف ثم يقول: ملك يوم الدين» يقطِّع قراءته آيةً آية(٣).

*** ترتيل القراءة وتحسين الصوت بها:**

كما قال الله عز وجل: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾(٤) وكانت قراءته ﷺ «مفُسرة حرفًا حرفا»(٥).

ومما يعين على الخشوع أيضًا تحسين الصوت بالتلاوة وفى ذلك وصايا

(١) رواه البخارى رقم ٧٤٧.
(٢) رواه البخارى الفتح ٢/ ٢٨٤.
(٣) رواه أبو داود رقم ٤٠٠١ وصححه الألبانى فى الإرواء وذكر طرقه ٢/ ٦٠.
(٤) سورة المزمل: الآية: (٤).
(٥) مسند أحمد ٦/ ٢٩٤ بسند صحيح - صفة الصلاة: ص: ١٠٥.

نبوية منها قوله ﷺ : «زيِّنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسنًا»(١)

وليس المقصود بتحسين الصوت: التمطيط والقراءة على ألحان المطربين وإنما جمال الصوت مع القراءة بحزن... كما قال النبى ﷺ : «إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذى إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله»(٢).

* أن يعلم أن الله يُجيبه فى صلاته»

قال النبى ﷺ : «قال الله عز وجل قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال الله: حمدنى عبدى فإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثنى علىّ عبدى، فإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله: مجّدنى عبدى، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال الله: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل»(٣).

وينبغى إجلال هذه المخاطبة وقدرها حقّ قدرها، قال رسول الله ﷺ : «إن أحدكم إذا قام يصلى فإنما يناجى ربه فلينظر كيف يناجيه»(٤).

* التنويع فى السور والآيات والأذكار والأدعية فى الصلاة»

وهذا يُشعر المصلى بتجدد المعانى والانتقال بين المضامين المتعددة للآيات والأذكار... وهذا ما يفتقده الذى لا يحفظ إلا عددًا محدودًا من السور «وخصوصًا قصارها» والأذكار، فالتنويع من السنّة وأكمل فى الخشوع.

---

(١) أخرجه الحاكم ١/ ٥٧٥ و هو فى صحيح الجامع رقم ٣٥٨١ .

(٢) رواه ابن ماجه ١/ ١٣٣٩ وهو فى صحيح الجامع رقم ٢٢٠٢ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة (٣٩٥).

(٤) مستدرك الحاكم ١/ ٢٣٦ وهو فى صحيح الجامع رقم ١٥٣٨ .

*** أن يأتى بسجود التلاوة إذا مرّ بموضعه:**

• من آداب التلاوة السجود عند المرور بالسجدة... وقد وصف الله فى كتابه الكريم النبيين والصالحين بأنهم ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[1] قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «أجمع العلماء على شرعية السجود هاهنا اقتداءً بهم واتباعًا لمنوالهم»[2].

وسجود التلاوة فى الصلاة عظيم وهو مما يزيد الخشوع.

قال الله عز وجل: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[3].

فينبغى المحافظة على سجود التلاوة فى الصلاة خصوصًا وأن سجود التلاوة فيه ترغيم للشيطان وتبكيت له وذلك مما يضعف كيده للمصلى.

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قرأ ابن آدم السجدة، فسجد اعتزل الشيطان يبكى، يقول: يا ويلى، أُمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأُمرت بالسجود فأبيت، فلى النار»**[4].

*** التأمل فى حال السلف فى صلاتهم:**

وهذا يزيد الخشوع ويدفع إلى الاقتداء فـ« لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته فلما وقف فى محرابه واستفتح كلام سيده خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين فانخلع قلبه وذهل عقله»[5].

كان ابن الزبير إذا قام فى الصلاة كأنه عود من الخشوع، وكان يسجد فأتى المنجنيق فأخذ طائفة من ثوبه وهو فى الصلاة لا يرفع رأسه.

---

(١) سورة مريم: الآية: (٥٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢٣٨ .

(٣) سورة الإسراء: الآية: (١٠٩).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٨٩) كتاب الإيمان.

(٥) الخشوع فى الصلاة/ ابن رجب ص: ٢٢ .

وكان مسلمة بن بشار يصلى فى المسجد فانهدم طائفة منه فقام الناس وهو فى الصلاة لم يشعر، ولقد بلغنا أن بعضهم كان كالثوب المُلقَى، وبعضهم ينفتل من صلاته متغير اللون لقيامه بين يدى الله عز وجل. وبعضهم إذا كان فى الصلاة لا يعرف من على يمينه وشماله. وبعضهم يصفرّ وجهه إذا توضأ للصلاة، فقيل له إنا نراك إذا توضأت للصلاة تغيرت أحوالك، قال: إنى أعرف بين يدى مَن سأقوم، وكان على بن أبى طالب رضي الله عنه إذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه، فقيل له: ما لك ؟ فيقول: جاء والله وقت أمانة عَرَضَها اللـه على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتُها. وكان سعيد التنوخى إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته. وبلغنا عن بعض التابعين أنه كان إذا قام إلى الصلاة تغير لونه، وكان يقول: أتدرون بين يدى من أقف ومن أناجى... فمن منكم لله فى قلبه مثل هذه الهيبة ؟ (١).

وقالوا لعامر بن عبد القيس: أتحدّث نفسك فى الصلاة؟ فقال: أوَ شيءٌ أحبُ إلىّ من الصلاة أحدّث به نفسى؟! قالوا: إنا لنحدّث أنفسنا فى الصلاة، فقال: أبالجنة والحور ونحو ذلك ؟ قالوا لا، ولكن بأهلينا وأموالنا. فقال: لأن تختلف الأسِنّة فىّ أحبُّ إلىّ (٢).

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إذا دخل فى الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة(٣).

قارن بين هذا وَبيِّن ما يفعله بعضنا اليوم.. هذا ينظر فى ساعته وآخر يصلح هندامه وثالث يعبث بأنفه ومنهم من يبيع ويشترى فى الصلاة وربما

---

(١) سلاح اليقظان لطرد الشيطان: عبد العزيز السلمان ص: ٢٠٩ .

(٢) أى لأن يكثر طعن الرماح فى جسدى أحب إلىَّ من أن أحدث نفسى فى الصلاة بأمور الدنيا.

(٣) الكواكب الدريّة فى مناقب المجتهد ابن تيمية لمرعى الكرمى ص: ٨٣ دار الغرب الإسلامى.

عدّ نقوده وبعضهم يتابع الزخارف في السجاد والسقوف أو يحاول التعرّف على من بجانبيه.

تُرى لو وقف واحد من هؤلاء بين يدى عظيم من عظماء الدنيا هل يجرؤ على فعل شىء من ذلك؟!!!

*** معرفة مزايا الخشوع فى الصلاة:**

ومنها:

- قوله ﷺ: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيُحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تُؤت كبيرة، وذلك الدهر كله»(١).

- أن الأجر المكتوب بحسب الخشوع ...كما قال ﷺ: «إن العبد ليصلى الصلاة ما يُكتب له منها إلا عُشرها، تُسعها، ثُمنها، سُبعها، سُدسها، خُمسها، رُبعها، ثُلثها، نصفها» (٢).

- أنه ليس له من صلاته إلا ما عقل منها... كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه **«ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها» (٣).**

- إن الأوزار والآثام تنحطُّ عنه إذا صلّى بتمام وخشوع... كما قال النبى ﷺ: **«إن العبد إذا قام يصلى أُتى بذنوبه كلها فوُضعت على رأسه وعاتقيه فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه» (٤).**

- أن الخاشع فى صلاته إذا انصرف منها وجد خفّة من نفسه، وأحسَّ بأثقال قد وُضعت عنه، فوجد نشاطًا وراحة وروحًا، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها، لأنها قرّة عينه ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحه فى الدنيا،

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٢٨) كتاب الطهارة.

(٢) رواه الإمام أحمد ٤/ ٣٢١ وهو فى صحيح الجامع ١٦٢٦ .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٢/ ٦١٢).

(٤) **صحيح:** رواه البيهقى (٣/ ١٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٧١).

فلا يزال كأنه فى سجن وضيق حتى يدخل فيها، فيستريح بها، لا منها، فالمحبون يقولون: نصلى فنستريح بصلاتنا، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم ﷺ : «يا بلال أرحنا بالصلاة» ولم يقل أرحنا منها.

وقال ﷺ : «جُعلت قرة عينى فى الصلاة» فمن جُعلت قرّة عينه فى الصلاة، كيف تقرّ عينه بدونها وكيف يطيق الصبر عنها ؟ [١].

*** الاجتهاد بالدعاء فى مواضعه فى الصلاة وخصوصًا فى السجود:**

- وقد ثبت الدعاء فى الصلاة عن النبى ﷺ فى مواضع معينة هى السجود وبين السجدتين وبعد التشهد وأعظم هذه المواضع السجود لقوله ﷺ : «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»[٢].

*** تحريك السبابة:**

وهذا أمر أهمله كثير من المصلين فضلاً عن جهلهم بفائدته العظيمة وأثره فى الخشوع

قال النبى ﷺ : «لهى أشد على الشيطان من الحديد»[٣] أى أن الإشارة بالسبابة عند التشهد فى الصلاة أشد على الشيطان من الضرب بالحديد لأنها تذكّر العبد بوحدانية الله تعالى والإخلاص فى العبادة وهذا أعظم شىء يكرهه الشيطان نعوذ بالله منه[٤].

ولأجل هذه الفائدة العظيمة كان الصحابة رضوان الله عليهم يتواصون بذلك ويحرصون عليه ويتعاهدون أنفسهم فى هذا الأمر الذى يقابله كثير من الناس فى هذا الزمان بالاستخفاف والإهمال، فقد جاء فى الأثر ما يلى: «كان أصحاب النبى ﷺ يأخذ بعضهم على بعض. يعنى: الإشارة

---

(١) الوابل الصيّب ٣٧.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٤٨٢) كتاب الصلاة.

(٣) حسن: أخرجه أحمد (١١٩/٢)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صفة الصلاة (ص ١٥٩).

(٤) الفتح الربانى للساعاتى ١٥/٤

بالإصبع فى الدعاء»[١].

والسنة فى الإشارة بالسبَّابة أن تبقى مرفوعة متحرّكة مشيرة إلى القبلة طيلة التشهد.

* **الأذكار الواردة بعد الصلاة:**

فإنه مما يعين على تثبيت أثر الخشوع فى القلب وما حصل من بركة الصلاة وفائدتها.

ولا شك أن من حفظ الطاعة الأولى وصيانتها إتباعها بطاعة ثانية، وكذلك فإن المتأمل لأذكار ما بعد الصلاة يجد أنها تبدأ بالاستغفار ثلاثًا فكأن المصلى يستغفر ربه عما حصل من الخلل فى صلاته وعما حصل من التقصير فى خشوعه فيها، وكذلك فإن من المهم المحافظة على النوافل فإنها تَجبر النقص فى الفرائض والذى يشمل الإخلال بالخشوع.

وبعد الكلام عن تحصيل الأسباب الجالبة للخشوع يأتى الحديث عن:

ثانيًا: دفع الموانع والشواغل التى تصرف عن الخشوع وتكدر صفوه

* **إزالة ما يشغل المصلى من المكان:**

عن أنس رضي الله عنه قال: كان قِرام[٢] لعائشة سترت به جانب بيتها، فقال لها النبى ﷺ : **«أميطى[٣] عنى هذا فإنه لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى»[٤].**

ويدخل فى هذا: الاحتراز من الصلاة فى أماكن مرور الناس وأماكن

---

(١) رواه ابن أبى شيبة بسند حسن كما فى صفة الصلاة ص:١٤١ .

(٢) ستر فيه نقش وقيل ثوب ملوّن.

(٣) أزيلى.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٥٩٥٩) كتاب اللباس.

الضوضاء والأصوات المزعجة وبجانب المتحدثين وفى مجالس اللغو واللغط وكل ما يشغل البصر.

- وكذلك تجنب الصلاة فى أماكن الحرّ الشديد والبرد الشديد إذا أمكن ذلك فإن النبى ﷺ أمر بالإبراد فى صلاة الظهر بالصيف لأجل هذا.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور، ويفعل العبادة بتكرُّه وتضجُّر، فمن حكمة الشارع أن أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحرّ، فيصلى العبد بقلب حاضر، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والإقبال على الله تعالى»[١].

*** أن لا يصلى فى ثوب فيه نقوش أو كتابات أو ألوان أو تصاوير تشغله:**

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قام النبى الله ﷺ يصلى فى خميصة ذات أعلام[٢] فنظر إلى علمها فلما قضى صلاته قال: **«اذهبوا بهذه الخميصة إلى أبى جهم بن حذيفة وأتونى بأنبجانيّة - كساء ليس فيه تخطيط ولا تطريز ولا أعلام -، فإنها ألهتنى آنفا فى صلاتى»** وفى رواية: **«شغلتنى أعلام هذه»** وفى رواية: «كانت له خميصة لها علم، فكان يتشاغل بها فى الصلاة»[٣].

*** أن لا يصلى ويحضرته طعام يشتهيه:**

قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة بحضرة طعام»[٤].

فإذا وُضع الطعام وحضر بين يديه أو قُدِّم له، بدأ بالطعام لأنه لا يخشع إذا تركه وقام يصلى ونفسه متعلِّقة به. بل إن عليه أن لا يعجل حتى تنقضى حاجته منه لقوله ﷺ: **«إذا قُرِّب العَشاء وحضرت الصلاة، فابدؤوا به قبل**

(١) الوابل الصيّب ط. دار البيان ص: ٢٢ .

(٢) أى: كساء مخطط ومربّع.

(٣) الروايات فى صحيح مسلم (١/ ٣٩١) رقم ٥٥٦ .

(٤) رواه مسلم رقم ٥٦٠ .

أن تصلوا صلاة المغرب. ولا تعجلوا عن عشائكم» وفى رواية: «إذا وُضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء ولا يعجلنّ حتى يفرغ منه»[١].

*** أن لا يصلى وهو حاقن أو حاقب:**

لاشكّ أن مما ينافى الخشوع أن يصلى الشخص وقد حصره البول أو الغائط ولذلك «نهى رسول الله ﷺ أن يصلى الرجل وهو حاقن» والحاقن أى الحابس البول[٢]. . والحاقب: هو حابس الغائط.

ومن حصل له ذلك فعليه أن يذهب إلى الخلاء لقضاء حاجته ولو فاته ما فاته من صلاة الجماعة فإن النبى ﷺ قال: «إذا أراد أحدكم أن يذهب الخلاء وقامت الصلاة فليبدأ بالخلاء»[٣].

بل إنه إذا حصل له ذلك أثناء الصلاة فإنه يقطع صلاته لقضاء حاجته ثم يتطهر ويصلى لأن النبى ﷺ قال: «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان»[٤] وهذه المدافعة بلا ريب تذهب بالخشوع. ويشمل هذا الحكم أيضًا مدافعة الريح.

*** أن لا يصلى وقد غلبه النعاس:**

وقد جاء ذكر السبب فى ذلك: فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد، حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يستغفر فيسب نفسه»[٥].

وقد يحصل هذا فى قيام الليل وقد يصادف ساعة إجابة فيدعو على نفسه

---

(١) متفق عليه: البخارى كتاب الأذن، باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة، وفى مسلم رقم ٥٥٧- ٥٥٩.

(٢) رواه ابن ماجه فى سننه رقم ٦١٧ وهو فى صحيح الجامع رقم ٦٨٣٢.

(٣) رواه أبو داود رقم ٨٨ وهو فى صحيح الجامع رقم ٢٩٩ .

(٤) صحيح مسلم رقم ٥٦٠ .

(٥) رواه البخارى رقم ٢٠٩ .

وهو لا يدرى، ويشمل هذا الحديث الفرائض أيضًا إذا أمن بقاء الوقت[1].

*** ألا يصلى خلف المتحدث أو النائم:**

لأن النبى ﷺ نهى عن ذلك فقال: «لا تصلوا خلف النائم ولا المتحدث»[2].

- أما أدلة النهى عن الصلاة خلف النائم فقد ضعّفها عدد من أهل العلم[3].

وقال البخارى - رحمه الله تعالى - فى صحيحه: باب الصلاة خلف النائم، وساق حديث عائشة: كان النبى ﷺ يصلى وأنا راقدة معترضة على فراشه[4].

«وكره مجاهد وطاوس ومالك الصلاة إلى النائم خشية أن يبدو منه ما يلهى المصلى عن صلاته..»[5].

فإذا أُمن ذلك فلا تُكره الصلاة خلف النائم والله أعلم.

*** عدم الانشغال بتسوية الحصى:**

روى البخارى رحمه الله تعالى عن معيقيب رضي الله عنه «أن النبى ﷺ قال فى الرجل يسوى التراب حيث يسجد قال: **إن كنت فاعلاً فواحدة**»[6].

ويدخل فى الكراهية مسح الجبهة والأنف وقد سجد النبى ﷺ فى ماء وطين وبقى أثر ذلك فى جبهته ولم يكن ينشغل فى كل رفع من السجود بإزالة ما علق فالاستغراق فى الصلاة والخشوع فيها يُنسى ذلك ويشغل عنه وقد قال النبى ﷺ : **«إن فى الصلاة شُغلاً»**[7].

---

(١) فتح البارى: شرح كتاب الوضوء: باب الوضوء من النوم.

(٢) رواه أبو داود رقم ٦٩٤ وهو فى صحيح الجامع رقم ٣٧٥ وقال حديث حسن.

(٣) منهم أبو داود فى سننه كتاب الصلاة: تفريع أبواب الوتر: باب الدعاء، وابن حجر فى فتح البارى شرح باب الصلاة خلف النائم: كتاب الصلاة.

(٤) صحيح البخارى: كتاب الصلاة.

(٥) فتح البارى الموضع السابق.

(٦) فتح البارى ٣/٧٩ .

(٧) رواه البخارى فتح البارى ٣/ ٧٢ .

*** عدم التشويش بالقراءة على الآخرين:**

قال رسول الله ﷺ: «ألا إن كلكم مُناجٍ ربه، فلا يُؤذينَّ بعضكم بعضًا، ولا يرفع بعضكم على بعض فى القراءة» أو قال: «فى الصلاة»[1].

وفى رواية: «لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن»[2].

*** ترك الالتفات فى الصلاة:**

لحديث أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الله عز وجل مُقبلاً على العبد وهو فى صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفت انصرف عنه»[3].

الأول: التفات القلب إلى غير الله عز وجل.

الثانى: التفات البصر... وكلاهما مَنهىٌّ عنه ويُنقص من أجر الصلاة.

وقد سُئل رسول الله ﷺ عن الالتفات فى الصلاة فقال: «اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»[4].

«ومثل من يلتفت فى صلاته ببصره أو قلبه مثل رجل استدعاه السلطان فأوقفه بين يديه وأقبل يناديه ويخاطبه وهو فى خلال ذلك يلتفت عن السلطان يمينًا وشمالاً، وقد انصرف قلبه عن السلطان فلا يفهم ما يخاطبه به لأن قلبه ليس حاضراً معه فما ظنّ هذا الرجل أن يفعل به السلطان؟.

أليس أقل المراتب فى حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتًا مبعدًا قد سقط من عينيه..، فهذا المصلى لا يستوى والحاضر القلب المقبل على الله تعالى فى صلاته الذى قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه فامتلأ قلبه من هيبته وذلَّت عُنقه له، واستحيى من ربه أن يُقبل على غيره أو يلتفت عنه وبين صلاتيهما كما قال حسان بن عطية: إن الرجلين ليكونان فى الصلاة الواحدة، وإن ما بينهما فى الفضل كما بين السماء والأرض، وذلك أن

---

(١) رواه أبو داود ٢ / ٨٣ وهو فى صحيح الجامع رقم ٧٥٢ .

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ٣٦) وهو فى صحيح الجامع (١٩٥١).

(٣) رواه أبو داود رقم ٩٠٩ وهو فى صحيح أبى داود.

(٤) رواه البخارى: كتاب الأذان باب: الالتفات فى الصلاة.

أحدهما مقبل بقلبه على الله عز وجل والآخر ساهٍ غافل»(١)

وأما الالتفات لحاجة فلا بأس به... روى أبو داود عن سهل بن الحنظلية قال: «ثُوِّب بالصلاة - صلاة الصبح - فجعل رسول الله ﷺ يصلى وهو يلتفت إلى الشِّعب».

قال أبو داود: «وكان أرسل فارسًا من الليل إلى الشِّعب يحرس».

وهذا كحمله أُمامة بنت أبى العاص، .. وفتحه الباب لعائشة ونزوله من المنبر لما صلى بهم يُعلمهم، وتأخره فى صلاة الكسوف، وإمساكه الشيطان وخنقه لما أراد أن يقطع صلاته، وأمره بقتل الحيةَ والعقرب فى الصلاة، وأمره بردّ المار بين يدى المصلى ومقاتلته، وأمره النساء بالتصفيق وإشارته فى الصلاة وغير ذلك من الأفعال التى تُفعَل لحاجة، ولو كانت لغير حاجة كانت من العبث - المنافى للخشوع - المنهى عنه فى الصلاة»(٢).

*** عدم رفع البصر إلى السماء:**

وقد ورد النهى عن ذلك والوعيد على فعله فى قوله ﷺ: «إذا كان أحدكم فى الصلاة فلا يرفع بصره إلى السماء، أن يلتمع بصره» (٣)وفى رواية: **«ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى صلاتهم»** وفى رواية: **«عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء فى الصلاة»**(٤) فاشتد قوله فى ذلك حتى قال: **«لينتهُنَّ عن ذلك أو لتُخطَفنَّ أبصارهم»**(٥).

*** ألا يبصق أمامه فى الصلاة:**

لأنه مما ينافى الخشوع فى الصلاة والأدب مع الله لقوله ﷺ ...:

---

(١) الوابل الصيب لابن القيم. دار البيان ص: ٣٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٢/ ٥٥٩.

(٣) رواه أحمد ٥/ ٢٩٤ وهو فى صحيح الجامع رقم ٧٦٢ .

(٤) رواه مسلم رقم ٤٢٩.

(٥) رواه الإمام أحمد ٥/ ٢٥٨ والبخارى فى صحيحه كتاب الأذان باب رفع البصر إلى السماء فى الصلاة.

«إذا كان أحدكم يصلى فلا يبصق قِبَل وجهه فإن الله قِبَل وجهه إذا صلى»[١].

وإذا كان المسجد مفروشًا بالسجاد ونحوه كما هو الغالب فى هذا الزمان فيمكنه إذا احتاج أن يُخرج منديلاً ونحوه فيبصق فيه ويردّه.

*** مجاهدة التثاؤب فى الصلاة:**

قال رسول الله ﷺ: «إذا تثاءَب أحدُكم فى الصلاة فليكظِم ما استطاع فإن الشيطان يدخل»[٢].

وإذا دخل الشيطان يكون أقدر على التشويش على خشوع المصلى بالإضافة إلى أنه يضحك من المصلى إذا تثاءب.

*** عدم الاختصار فى الصلاة:**

- **عن أبى هريرة قال:** «نهى رسول الله ﷺ عن الاختصار فى الصلاة»[٣] والاختصار هو أن يضع يديه على خصره.

فعن زياد بن صبيح الحنفى قال: صليت إلى جنب ابن عمر فوضعت يدى على خاصرتى فضرب يدى فلما صلى قال: هذا الصَّلب فى الصلاة وكان رسول الله ﷺ ينهى عنه[٤].

وقد جاء فى حديث مرفوع أن التخصّر راحة أهل النار والعياذ بالله[٥].

*** ترك السدل فى الصلاة:**

لما ورد أن رسول الله ﷺ «نهى عن السدل فى الصلاة وأن يغطى الرجل فاه»[٦]. فى عون المعبود[٧] قال الخطّابى: السدل: إرسال الثوب حتى

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه رقم ٣٩٧ .

(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٢٩٣ .

(٣) رواه أبو داود رقم ٩٤٧ وهو فى صحيح البخارى كتاب العمل فى الصلاة، باب الخصر فى الصلاة.

(٤) رواه الإمام أحمد ٢/ ١٠٦ وغيره وصححه الحافظ العراقى فى تخريج الإحياء: أنظر الإرواء ٢/ ٩٤ .

(٥) رواه البيهقى عن أبى هريرة مرفوعًا. قال العراقى: ظاهر إسناده الصحة.

(٦) رواه أبو داود رقم ٦٤٣ وهو فى صحيح الجامع رقم ٦٨٨٣ وقال: حديث حسن.

(٧) ٢/ ٣٤٧ .

يصيب الأرض. ونقل فى مرقاة المفاتيح[١]: السدل منهى عنه مطلقًا لأنه من الخيلاء وهو فى الصلاة أشنع وأقبح. وقال صاحب النهاية: أى يلتحف بثوبيه ويُدخل يديه من داخل فيركع ويسجد. وقيل بأن كانت اليهود تفعله. وقيل: السدل: أن يضع الثوب على رأسه أو كتفه ويرسل أطرافه أمامه أو على عضديه فيبقى منشغلاً بمعالجته فيخلّ بالخشوع بخلاف ما لو كان مربوطًا أو مُزررًا لا يُخشى من وقوعه فلا يُشغل المصلى حينئذ ولا ينافى الخشوع.

أما النهى عن تغطية الفم فمن العلل التى ذكرها العلماء فى النهى عنه أنه يمنع حسن إتمام القراءة وكمال السجود[٢].

*** ترك التشبه بالبهائم:**

- لما أن الله كرّم ابن آدم وخلقه فى أحسن تقويم، كان من المعيب أن يتشبه الآدمى بالبهائم وقد نُهينا فى الصلاة عن مشابهة عدد من هيئات البهائم وحركاتها فى الصلاة لما فى ذلك من منافاة الخشوع أو قبح الهيئة التى لا تليق بالمصلى.. فمما ورد فى ذلك: «نهى رسول الله ﷺ فى الصلاة عن ثلاث: عن نقر الغراب وافتراش السبع وأن يوطن الرجل المقام الواحد كإيطان البعير»[٣] قيل معناه أن يألف الرجل مكانًا معلومًا من المسجد مخصوصًا به يصلى فيه كالبعير لا يُغير مناخه فيوطنه[٤] وفى رواية: «نهانى عن نقرة كنقرة الديك، وإقعاء كإقعاء الكلب، والتفات كالتفات الثعلب»[٥].

وأخيرًا

فإنى أسأل الله «جل وعلا» أن يرزقنى وإياكم نعمة الخشوع فى الصلاة وأن يتقبل منا جميعًا صالح الأعمال.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

---

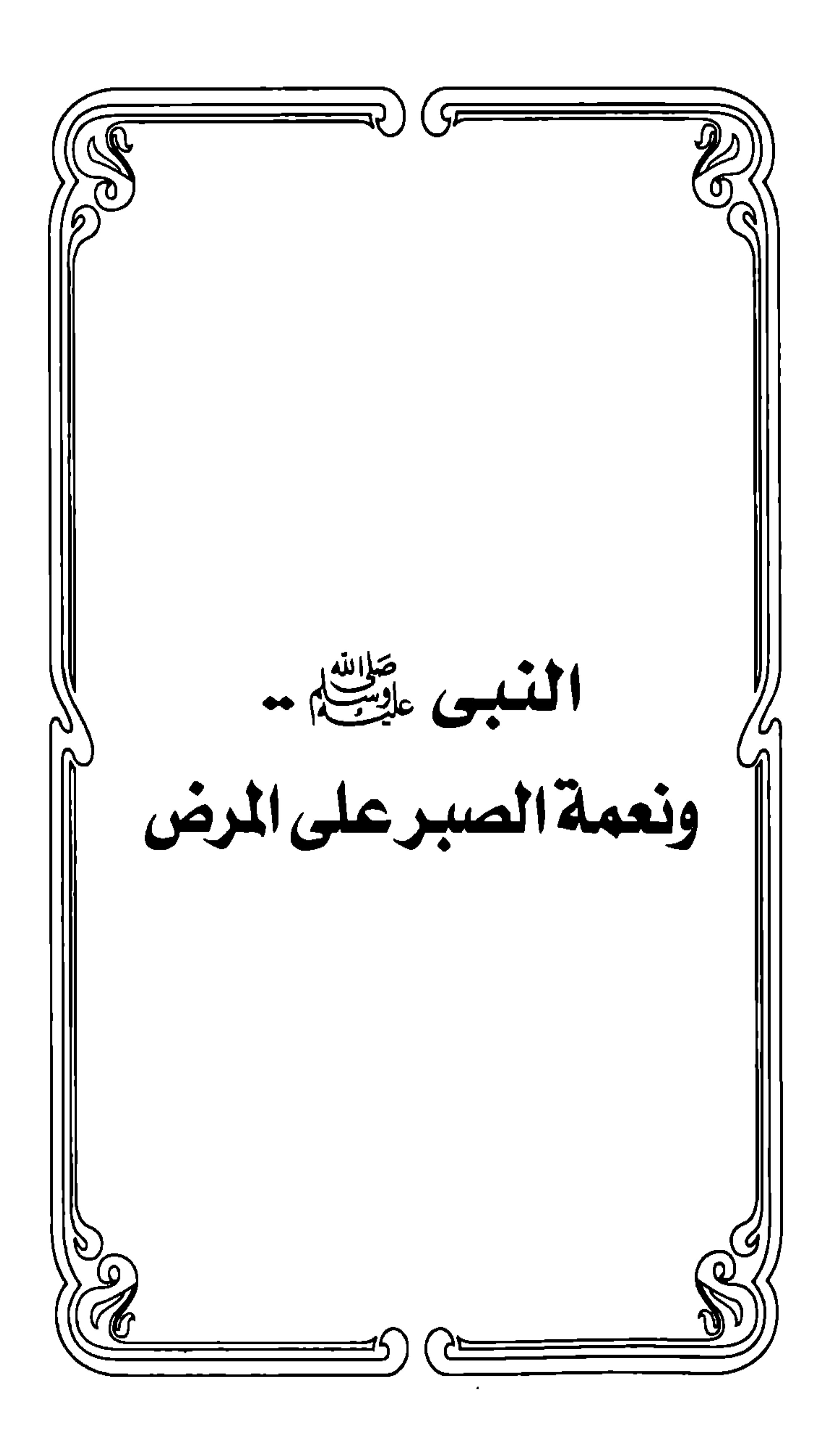
(١) ٢/٢٣٦ .

(٢) مرقاة المفاتيح ٢/٢٣٦ .

(٣) رواه أحمد ٣/٤٢٨ .

(٤) الفتح الربانى ٤/٩١ .

(٥) رواه الإمام أحمد ٢/٣١١ وهو فى صحيح الترغيب رقم ٥٥٦ .



النبى ﷺ ـ ونعمة الصبر على المرض

النبى ﷺ.. ونعمة الصبر على المرض

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سارَ فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.

فلما دخلنا وجدنا النبى ﷺ جالسًا مع بعض أصحابه يُعلمهم فضل الصبر على المرض وفضل عيادة المرضى فقال ﷺ: **«ما من مسلم يُشاك شوكة فما فوقها إلا كُتبت له بها درجة ومُحيت عنه بها خطيئة»**(١).

وقال ﷺ: **«ما من مسلم يعودُ مسلما غُدوةً إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يُمسى، وإن عادهُ عشية صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف فى الجنة»**(٢).

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة الصبر على المرض ولنتعرف على فضل عيادة المريض.

* * *

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٢) كتاب البر والصلة.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى (٩٦٩) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٦٧).

الابتلاء سنة ثابتة

لابد أن نعلم أن الابتلاء سُنة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، والمؤمن يعلم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان وأنه لا راحة إلا في جنة الرحمن (جل وعلا).

فالعبد مُبتلَى في كل شيء، فيما يسره ويحبه، وفيما يسوؤه ويكرهه، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[(١)].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة»[(٢)].

أيها الأخ الحبيب: تلفَّت يمنة ويَسرة فهل ترى إلا مبتلى وهل تشاهد إلا منكوبًا، في كل دار نائحة، وعلى كل خدٍّ دمعة، وفي كل وادٍ بنو سعد.

كم من المصائب، وكم من الصابرين، فلست أنت وحدك المصاب بل مصابك أنتَ بالنسبة لغيرك قليل، كم من مريض على سريره من أعوام يتقلب ذات اليمن وذات والشمال، يئن من الألم ويصيح من السقم.

كم من رجل وامرأة فقدا فلذات أكبادهما في ميعة الشباب وريعان العمر.

كم من مكروب ومَدين ومصاب ومنكوب.

آن لك أن تتعزَّى بهؤلاء، وأن تعلم علم اليقين أن هذه الحياة سجنٌ للمؤمن، ودار للأحزان والنكبات، تصبح القصور حافلة بأهلها وتمسى خاوية على عروشها.

ولك في الرسول ﷺ قدوة، وقد وُضِعَ السلي على رأسه وأُدميت قدماه، وشُجَّ وجهه، وحوصر في الشِّعب حتى أكل ورق الشجر، وطُرِد من مكة، وكُسرت ثنيته، ورُمي عرض زوجته الشريف، وقُتل سبعون من أصحابه، وفقد ابنه وأكثر بناته في حياته، وربط الحجر على بطنه من الجوع، واتُّهم بأنه شاعر ساحر كاهن مجنون كذاب، . . . صانه الله من ذلك، وهذا

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٣٥).

(٢) تفسير ابن جرير (١٧/ ٢٥).

بلاء لابد منه وتمحيص لا أعظم منه، وقد قُتل قبل زكريا وذُبح يحيى، وهجر موسى، ووضع الخليل فى النار، وسار الأئمة على هذا الطريق فضرج عمر بدمه، واغتيل عثمان، وطُعن علىّ، وجُلدت ظهر الأئمة وسُجن الأخيار، ونُكّل بالأبرار ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾ (١)(٢).

- أبشِر أيها المريض بفجرٍ قريب ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ (٣)... لا تضق ذرعًا فمن المحال دوام الحال وأفضل العبادة انتظار الفرج، والأيام دول، والحكيم كل يوم هو فى شأن، ولعل الله يُحدث بعد ذلك أمرًا، وإن مع العسر يسرًا، فلا يأس ولا قنوط فالدنيا ظلٌ زائل، والموعد عند حوض النبى ﷺ لتشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا تظمأ بعدها أبدًا ثم يأخذ بيديك إلى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فوائد الأمراض.. والحكمة منها

وقد يسأل سائل ويقول: وهل للأمراض فوائد؟

نقول: بلى إن لها فوائد كثيرة ولكن لا يعلمها إلا من لامس الإيمان شغاف قلبه.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله-: «ولو ذهبنا نذكر ما يطَّلع عليه أمثالنا من حكمة الله فى خلقه وأمره لزاد ذلك على عشرة آلاف موضع، مع قصور أذهاننا، ونقص عقولنا ومعارفنا، وتلاشيها وتلاشى علوم الخلائق

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢١٤).

(٢) لا تحزن / الشيخ عائض القرنى (ص:٣٨-٤٠) بتصرف.

(٣) سورة المائدة: الآية: (٥٢).

جميعهم فى علم الله كتلاشى ضوء السراج فى عين الشمس. وهذا تقريب وإلا فالأمر فوق ذلك». اهـ[١].

وللأمراض والأسقام - خاصة - فوائد وحكم، أشار ابن القيم إلى أنه أحصاها فزادت على مائة فائدة[٢].

وسأذكر لكم بعض تلك الفوائد:

(١) تكفير الذنوب والسيئات:

* **أخى الحبيب:** إن مرضك سبب فى تكفير الذنوب والسيئات التى اقترفتها؛ لأن المرض قد يكون عقوبة على بعض الذنوب كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [٣].

* **قال ﷺ: «ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب، وما يدفع الله عنه أكثر»**[٤]. والاختلاج: الحركة والاضطراب.

وتعجيل العقوبة للمؤمن فى الدنيا خيرٌ له، حتى تكفَّر عنه ذنوبه، ويلقى الله سالمًا طاهرًا منها، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافَى به يوم القيامة»**[٥].

* **وقال ﷺ: «ما يصيب المسلم من نَصَب، ولا وَصَب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يُشاكها؛ إلا كفَّر الله بها من خطاياه»**[٦].

وقال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده

---

(١) شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص:٤٣٢).

(٢) شفاء العليل (ص:٥٢٥).

(٣) سورة الشورى: الآية: (٣٠).

(٤) **صحيح**: أخرجه الطبرانى فى الصغير (٢/ ٢١٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٥٢١).

(٥) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٨).

(٦) **صحيح**: رواه البخارى (٥٦٤٢) كتاب المرضى.

وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة»[١].

(٢) استخراج عبودية الضراء (وهى الصبر):

فالله (عز وجل) يبتلى عباده بالسراء والضراء فيستخرج منه عبودية السراء وهى الشكر وعبودية الضراء وهى الصبر، فإذا كان العبد مؤمنًا حقًّا ظهرت عبوديته واضحة جلية فى كل الأحوال كما قال عليه الصلاة والسلام: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكَر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبَّر فكان خيرًا له»[٢].

(٣) إيقاظ العبد من غفلته:

فكم من عبدٍ كان تائهًا شاردًا لم يسجد لله سجدة واحدة وإذا به لما مرض تذكَّر ربه ومولاه فترك الذنوب والمعاصى، وأقبل على ربه بالتوبة والاستغفار والندم على عمره الذى مضى، وفتح صفحة جديدة كلها طاعة لله (عز وجل).

أخى الحبيب: إن المرض يُريك فقرك وحاجتك إلى الله، وأنه لا غنى لك عنه طرفة عين، فيتعلق قلبك بالله وتُقبل عليه بعد أن كنت غافلاً عنه، فيكون البلاء حينئذ خيرًا لك من النعمة... قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «مصيبة تُقبل بها على الله خير لك من نعمة تُنسيك ذكر الله»[٣].

(٤) صحة وطهارة القلوب والأرواح:

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض أمر لا يحس به إلا من فيه حياة، ... فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومشاقها»[٤].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٩) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٨١٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) قاعدة فى المحبة (ص:١٦٧).

(٤) تسلية أهل المصائب (ص:١٠٢).

وقال فى موضع آخر: «لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده فى الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حامية له من هذه الأدواء، وحفظًا لصحة عبوديته، واستفراغًا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلى بنعمائه كما قيل:

قد يُنعم الله بالبلوى وإن عَظُمت

ويبتلى الله بعض القوم بالنِّعَم(١)

(٥) أن يعلم العبد قدر النعمة:

فمن بين فوائد المرض أن يعرف العبد قدر النعمة التى كان يعيش فيها قبل المرض... فإن العبد قد ينغمس فى التمتع بتلك النعم وهو لا يشكر ربه (عز وجل) فإذا داهمه المرض وفَقَد تلك النعمة ولو لفترة قصيرة فإنه عند ذلك يشعر بقدر النعمة ويعلم قدر المنعم (جل وعلا) فيكون ذلك حاديًا له بعد الشفاء لأن يستعمل تلك النعم كلها فى طاعة الله (جل وعلا).

(٦) أن تتذكر حال إخونك المرضى:

إن العبد إذا عاش مُعافىً فى بدنه طوال حياته فإنه قد لا يشعر بآلام إخوانه المرضى وبالتالى لا يقوم بأى حق من حقوقهم.. أما إذا ابتُلى العبد بأى مرض فإنه بذلك يتذكر حال إخوانه المرضى والمعاناة التى يعيشون فيها فيقوم بحقوقهم التى لطالما غفل عنها فيتعهدهم بالزيارة والتخفيف من مصابهم ومواساتهم وقضاء حوائجهم والدعاء لهم.. إلى غير ذلك من الحقوق.

---

(١) عدة الصابرين (ص: ١٦١).

(٧) النجاة من النار:

والعبد إذا مرض فصبر واحتسب ورضى بقضاء الله فإن ذلك يكون سببًا للنجاة من النار.

كما قال ﷺ: «**الحُمَّى حظ كل مؤمن من النار**»(١).

ومن المعلوم أن المرض يكون سببًا فى تكفير الذنوب والسيئات.. فيلقى العبد ربه نقيًا طاهرًا فيكون ذلك سببًا فى نجاته من النار.

(٨) دخول جنة الرحمن (جل وعلا):

لقد أخبرنا الحبيب المصطفى ﷺ أن الجنة لا تُنال إلا بما تكرهه النفس فقال ﷺ: «**حُفت الجنة بالمكاره وحُفت النار بالشهوات**»(٢).

والمكاره هى كل ما تكرهه النفس ويشق عليها. وهذا يتناول مجاهدة النفس فى القيام بالطاعات واجتناب المعاصى، والصبر على المصائب والتسليم لأمر الله فيها (٣).

ولهذا جاء فى حق من أُصيب بفقد بصره قوله عليه الصلاة والسلام - كما عند البخارى - يقول الله عز وجل: «**إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه - أى: عينيه - فصبر عوضته منهما الجنة**»(٤).

(٩) رفع الدرجات:

ومن فوائد المرض أن العبد إذا ابتُلى فصبر فإنه يتحصل بذلك على الحسنات بل وتُرفع له الدرجات.

---

(١) **صحيح**: رواه القضاعى فى «مسند الشهاب» (٧/ ١-٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٨٢١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٢٣) كتاب الجنة.

(٣) انظر الفتح (١١/ ٣٢٠).

(٤) **صحيح**: رواه البخارى (٥٦٥٣) كتاب المرضى.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يُشاك شوكة فما فوقها، إلا كتبت له بها درجة، ومُحيت عنه بها خطيئة»[١][٢].

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: تأملوا معى تلك الهدية الغالية من كلام رسول الله ﷺ حيث قال: «إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمله، فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يُبلغه إياها»[٣].

وقال ﷺ: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله فى جسده أو فى ماله أو فى ولده، ثم صبَّره على ذلك، حتى يُبلغه المنزلة التى سبقت له من الله تعالى»[٤].

* من يُرد الله به خيراً يُصب منه:

ومن خلال ما تقدم نعلم يقيناً أن المرض منحة ربانية من الله (عز وجل) على عباده المؤمنين ولذا قال سيد المرسلين ﷺ: - كما عند البخارى -: «من يُرد الله به خيراً يُصب منه».

ولكون المرض والبلاء نعمة كان الصالحون يفرحون به كما يفرح الواحد منا بالرخاء، فقد ذكر النبى ﷺ ابتلاء الأنبياء والصالحين بالمرض والفقر وغيرهما ثم قال: «وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء»[٥].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٢) كتاب البر والصلة.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فى الفتاوى (١٠/ ١٢٤): «المصائب التى تجرى بلا اختيار العبد كالمرض وموت العزيز عليه وأخذ اللصوص ماله إنما يثاب على الصبر عليها، لا على نفس ما يحدث من المصيبة، لكن المصيبة يكفر بها خطاياه، فإن الثواب إنما يكون على الأعمال الاختيارية وما يتولد عنها. اهـ.

(٣) حسن: أخرجه ابن حبان (٧/ ١٦٩)، والحاكم (١/ ٤٩٥)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٢٥).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٣٠٩٠) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح أبى داود (٢/ ٥٩٧).

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٢٤) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٤٤).

* قال وهب بن منبه - رحمه الله -: «إن مَن قبلكم كان إذا أصاب أحدهم بلاء عدَّه رخاءً، وإذا أصابه رخاء عدَّه بلاءً»(١).

وقال بعض الحكماء: «رُب محسود على رخاءٍ هو شقاؤه، ومرحوم من سقم هو شفاؤه، ومغبوط بنعمة هى بلاؤه»(٢).

* وقال بعض السلف: «يا ابن آدم، نعمة الله عليك فيما تكره أعظم من نعمته عليك فيما تحب»(٣).

وقال بعضهم: «ارضَ عن الله فى جميع ما يفعله بك، فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك، فإياك أن تفارق الرضى عنه طرفة عين، فتسقط من عينه»(٤).

* ومن رحمته سبحانه بعباده أن نغَّص عليهم الدنيا وكدَّرها، لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا إليها، ويرغبوا فى النعيم المقيم فى داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان، فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم»(٥). اهـ.

ومما يناسب هذا المبحث هذا الحديث العجيب فى معناه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: دخل أعرابى على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «هل أخذتك أم مِلدَم قط؟» قال: وما أم ملدم؟ قال: «حَرٌّ يكون بين الجلد واللحم» قال: ما وجدت هذا قط. قال: فهل أخذك هذا الصداع قط؟ قال: وما هذا الصداع؟ قال: «عرقٌ يضرب على الإنسان فى رأسه» قال: ما

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى (٤/ ٣٢٧).

(٢) العقد الفريد (٣/ ١٤٥).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٢١٦).

(٤) المدارج (٢/ ٢١٦).

(٥) إغاثة اللهفان (٢/ ١٧٥).

وجدت هذا قط. فلما ولَّى، قال ﷺ : «من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا»(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنكم ترون الكافر من أصحِّ الناس جسمًا، وأمرضهم قلبًا، وتلقون المؤمن من أصحِّ الناس قلبًا، وأمرضهم جسمًا، وايم الله لو مرضت قلوبكم، وصحَّت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجُعلان»(٢).

الأسباب التى تعينك على الصبر

أما عن الأسباب التى تعينك على الصبر على المرض فهى كثيرة جداً وسأكتفى بذكر أهم تلك الأسباب:

(١) الفوز بمعية الله ومحبته:

إن صبرك على مرضك يجعلك تفوز بمعية الله فقد قال (جل وعلا): ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٣) بل يجعلك تفوز بمحبة الله فقد قال (جل وعلا): ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤).

(٢) الفوز بالصلاة والرحمة والهدى من الله:

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (٥).

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: نعم العدلان ونعمت العلاوة

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٢)، قال الهيثمى (٢/ ٢٩٤) : إسناده حسن . والحاكم (١/ ٤٩٨) وقال : صحيح على شرط مسلم، وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن.

(٢) الزهد لهناد (ص:٢٤٧).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٤٦).

(٥) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

للصابرين. . يعنى بالعدلين الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الهدى.

فإذا علمت أنك إذا صبرت على المرض فسوف تظفر بتلك البشريات فإن ذلك يكون حاديًا لك على الصبر.

(٢) التأسى بأهل المصائب:

فإن ذلك يُهون عليك آلام المرض وشدته. . فمهما بلغت آلامك فلابد أن تجد من هو أشد تألُّمًا منك.

قال ابن القيم - رحمه الله -: «ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسى بأهل المصائب، ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة؟! ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة؟! وأنه لو فتَّش العالم لم يرَ فيهم إلا مُبتلى، إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه وإن سرور الدنيا أحلام نوم، أو كظلٍّ زائل، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن سرَّت يومًا ساءت دهرًا، وإن متعت قليلاً منعت طويلاً، وما ملأت دارًا خيرة إلا ملأتها عبرة، ولا سرَّته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لكل فرحة ترحة[(١)]، وما ملئ بيت فرحًا إلا مُلئ ترحًا.

وقال ابن سيرين - رحمه الله -: ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء. . .»[(٢)].

وذكر ابن الجوزى - رحمه الله - أنه حدَّثه من قرأ فى الكتب أن ذا القرنين لما رجع من مشارق الأرض ومغاربها وبلغ أرض بابل مَرِض مرضًا شديدًا، فلما خاف أن يموت كتب إلى أمه: يا أماه، اصنعى طعامًا، واجمعى من قدرت عليه، ولا يأكل طعامك من أُصيب بمصيبة، واعلمى هل وجدت لشيء قرارًا باقيًا وخيالاً دائمًا؟! إنى قد علمت يقينًا أن الذى أذهب إليه خير من مكانى. قال: فلما وصل كتابه صنعت أمه طعامًا، وجمعت

(١) الترح ضد الفرح وهو الحزن والهم والهلاك. انظر ترتيب القاموس (١/ ٣٦٤)، النهاية (١/ ١٨٦).
(٢) زاد المعاد (٤/ ١٩٠).

الناس، وقالت: لا يأكل هذا من أصيب بمصيبة، فلم يأكلوا، فعلمت ما أراد، فقالت: من يبلغك عنى أنك وعظتنى فاتعظت، وعزيتنى فتعزيت، فعليك السلام حيًّا وميتًا»[1].

(٤) العلم بأن المرض مقدر من عند الله:

ومن الأسباب التى تعينك على الصبر أن تعلم يقينًا أن هذا المرض قد قدَّره الله عليك كما قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ﴾[2].

وقال جل وعلا: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[3].

قال ابن جرير - رحمه الله -: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يقول: ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهدى قلبه، يقول: «يوفِّق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه»[4]. اهـ.

وقال علقمة - رحمه الله - فى تفسير هذه الآية: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويُسلِّم»[5].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول - كما عند مسلم-: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»[6].

(٥) أن تعلم أن الله أرحم بك من الأم بطفلها الرضيع:

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[7].

---

(١) تسلية أهل المصائب (ص: ٢٠-٢١).

(٢) سورة التوبة: الآية (٥١).

(٣) سورة التغابن: الآية: (١١).

(٤) تفسير ابن جرير (٢٨/ ١٢٣).

(٥) تفسير ابن جرير (٢٨/ ١٢٣) تفسير ابن كثير (٨/ ١٦٣).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣) كتاب القدر.

(٧) سورة الأعراف: الآية: (١٥٦).

فالله لا يبتليك ليعذبك وإنما يبتليك ليطهرك ويقربك... وتأمل معى أيها الأخ الحبيب هذا المشهد المهيب:

* **عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:** قَدِم على النبى ﷺ سَبْىٌ، فإذا امرأة من السبى تحلب ثديها تسعى إذ وجدت صبيًا فى السبى أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبى ﷺ: **«أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار؟»** قلنا: لا وهى تقدر أن لا تطرحه، فقال: **«الله أرحم بعباده من هذه بولدها»**[1].

(٦) التوكل على الله والاستعانة بالصبر والصلاة:

ومن تسلية أهل المصائب: أن يستعينوا بالله ويتكلوا عليه، ويتعزوا بعزاء الله تعالى، ويمتثلوا أمره فى الاستعانة بالصبر والصلاة.

فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3].

(٧) أن ترضى باختيار الله لك:

أن تعلم أن الله (عز وجل) هو الذى اختار لك هذا المرض وهذا البلاء فما عليك إلا أن ترضى وتُسلِّم.. فالله أعلم بما يُصلحك وهو الحكيم الذى يضع الشىء فى موضعه... فمن الناس من لا ينصلح حاله إلا بالمرض ومنهم من لا ينصلح حاله إلا بالصحة.

(٨) أن تتذكر فوائد المرض وثمراته:

ومن أسباب الصبر على المرض أن تتذكر فوائد المرض وثمراته فإن هذا المرض إما أن يكون رفعًا لمنزلتك وقد قصَّر بك عملك عن بلوغ تلك المنزلة،

---

(١) **متفق عليه:** صحيح البخارى: (٥٩٩٩) كتاب الآداب، ومسلم (٢٧٥٤) كتاب التوبة.

(٢) سورة الطلاق: الآية: (٣).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).

أو إنه لتكفير ذنب لو لم يُكفَّر لأدَّى إلى هلاكك، وهو - أيضًا - سبب فى تكثير الحسنات ودخول الجنات والنجاة من النار وطهارة القلب من الأمراض التى تهلكه، إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة والحِكَم الجليلة.

(٩) أن تعلم أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها:

* **قال على بن أبى طالب رضي الله عنه: «إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور»**(١).

وليعلم المصاب أن الجزع لا يرد المصيبة، بل يضاعفها، وهو فى الحقيقة يزيد فى مصيبته، بل يعلم المصاب أن الجزع يُشمتُ عدوه، ويسوءُ صديقه، ويُغضب ربه، ويسرُّ شيطانه، ويُحبط أجره، ويُضعف نفسه. وإذا صبر واحتسب أخزى شيطانه، وأرضَى ربه، وسرَّ صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يُعزوه؛ فهذا هو الثبات فى الأمر الدينى.

(١٠) أن تعلم أن البلاء علامة على محبة الله لك:

ومن أسباب الصبر على المرض أن تعلم أن البلاء علامة على محبة الله لك إذا كنت صابرًا محتسبًا فلقد قال ﷺ: **«إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط»**(٢).

(١١) أن المرض يخلصك من الكبر والعجب:

ومن كمال رحمة الله (عز وجل) أن العبد قد يكون به من الكبر والعجب ما يجعله سببًا لهلاكه فيبتليه الحق (جل وعلا) ليُخرج من قلبه الكبر والعجب ويجعل قلبه مستكينًا متواضعًا خاشعًا لله فيكون ذلك سببًا للفوز برحمة الله

---

(١) منهاج العابدين للغزالى (ص:٢٣٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٤٥٦) كتاب الحدود، والترمذى (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١١٠).

ورضوانه وجنتـه. . . فلقد قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر....»[١].

(١٢) قد يكون الخير كله فى هذا المرض:

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٢].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: فى هذه الآية عدة حِكَم وأسرار ومصالح للعبد؛ فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتى بالمحبوب، والمحبوب قد يأتى بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرَّة من جانب المسرَّة، ولم ييأس أن تأتيه المسرَّة من جانب المضرَّة لعدم علمه بالعواقب؛ فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد[٣].

(١٣) أن تنظر إلى ما أبقاه الله عليك من النعم:

وعليك أيها الأخ الحبيب ألا تنظر إلى النعمة التى سلبها الله منك بل انظر إلى سائر النعم التى أبقاها الله عليك.

فلا تكن ممن يذكر المصائب وينسى النعم.

قال الحسن البصرى - رحمه الله - فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[٤] **قال:** «يذكر المصائب وينسى النعم».

وتأمل معى كيف أن عروة بن الزبير - رحمه الله - لما قُطعت رجله ومات ولده فى نفس اليوم جلس يذكر نعم الله عليه قبل أن يذكر هذا البلاء **فقال:** «اللهم إنه كان لى بنون سبعة فأخذت واحدًا وأبقيت لى ستة، وكان لى أطراف أربعة فأخذت واحدًا وأبقيت لى ثلاثة، ولئن أخذت لقد أبقيت، ولئن

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٩١) كتاب الإيمان.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢١٦).

(٣) الفوائد (ص: ٢٠٠).

(٤) سورة العاديات: الآية: (٦).

ابتليت فقد عافيت... وما ترك جزأه من القرآن فى تلك الليلة.

قال ابن القيم - رحمه الله-: «تهوين البَلِيَّة بأمرين، أحدهما: أن يعدّ نعم الله عليه، وأياديه عنده، فإذا عجز عن عدّها، وأيس من حصرها - هان عليه ما هو فيه من البلاء، ورآه - بالنسبة إلى أيادى الله ونِعَمه - كقطرة من بحرٍ،... الثانى: تذكر سوالف النعم التى أنعم الله بها عليه، فهذا يتعلق بالماضى، وتعداد أيادى المنن يتعلق بالحال»[1] اهـ.

وأنشد محمود الوراق - رحمه الله -:

يا أيها الظالم فى فعله
والظلم مردود على من ظلم
إلى متى أنت وحتى متى
تشكو المصيبات وتنسى النعم

(١٤) التحصن بالعلم النافع:

قد يحصل للعابد الجاهل بمصيبته من الجزع ما يسوء الناظر إليه والسامع عنه من الاعتراض على الأقدار.

فلا شىء أنفع من العلم؛ لأن العالم لو حصل له هلع شديد فى مصيبته، يعلم أنها زلة منه، فيدرى كيف يتنفس؛ والعابد الجاهل كلما غاص إلى أسفل يظن أنه صاعد إلى فوق.

(١٥) التعرف على فضيلة الصبر:

ومما يعينك على الصبر أن تتعرف على فضيلة الصبر فقد قال ﷺ - كما عند مسلم - : «.. والصبر ضياء»... وعليك أن تُصبِّر نفسك فإنه بذلك يحصل لك الصبر فقد قال ﷺ : «ومن يتصبر يُصبره الله»[2].

---

(١) مدارج السالكين (٢/١٦٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦٩) كتاب الزكاة، ومسلم (٢٠٥٣) كتاب الزكاة.

(١٦) معرفة أحوال السلف الصالح عند المرض:

فقد كان الواحد منهم يفرح بالمرض والبلاء رغبة فيما عند الله من الأجر والثواب.

قال أحنف: لقد ذهبت عينى منذ أربعين سنة ما ذكرتها لأحد.

وكان أحدهم إذا مرض يقول: إن حلاوة الأجر أنستنى مرارة الألم.

(١٧) أن تعلم أن تشديد البلاء يخص الأخيار:

قال ﷺ: **«أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان فى دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقةٌ ابتُلى على قدر دينه فما يبرحُ البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»**[1].

(١٨) أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك:

وإذا ابتُلى العبد بمرض أو حادث سيارة فما عليه إلا أن يرضى بقضاء الله ولا يفتح على نفسه بابًا من أبواب الشيطان فيقول: لو أنى فعلت كذا لكان كذا... ولذا قال ﷺ: **«احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شىء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قُلْ: قدر الله وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»**[2].

ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما قال عليه الصلاة والسلام: **«لو أن الله عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذَّبهم وهو غير ظالمٍ لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحدٍ ذهبًا فى سبيل الله ما قَبِله**

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٨) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٢٣) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٩٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٤) كتاب القدر.

الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطاك لم يكن ليصيبك، ولو متَّ على غير هذا لدخلت النار»[1].

(١٩) أن تتذكر ما فى البلاء من اللطائف والفوائد:

ومن بين تلك الفوائد التى يجنيها العبد من البلاء: تذكير العبد بذنوبه فربما تاب منها إلى الله عز وجل.

قال بعض السلف: إن العبد ليمرض فيذكر ذنوبه فيخرج منه دمعة مثل رأس الذباب من خشية الله فيغفر له.

* **ومنها:** زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها وانكسار العبد لله عز وجل، وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين.

* **ومنها:** أنها توجب من العبد الرجوع إلى الله عز وجل والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة، وذلك من أعظم فوائد الابتلاء.

* **ومنها:** أن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات إلى المخلوق، ويوجب له الإقبال على الخالق وحده.

* **ومنها:** رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم، فإن العبد إذا أحسَّ بألم الابتلاء رَقَّ قلبه لأهل البلاء ورحمهم.

* **ومنها:** معرفة قدر نعمة العافية، فإن النعم لا تُعرف أقدارها إلا بعد فقدها، فلا يعرف نعمة العافية إلا من ذاق مرارة المرض[2].

(٢٠) أن تحمد الله على أن المصيبة لم تكن فى الدين:

فكل مصيبة فى دنيا الإنسان قد تُعوَّض بخيرٍ منها، أما مصيبة الدين فخسارة لا تُعوَّض.

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (٤٦٩٩) كتاب السنة، وابن ماجه (٧٧) فى المقدمة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٤٤).

(٢) نور الاقتباس فى مشكاة وصية النبى ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما وفوائد الابتلاء للعز بن عبد السلام - نقلاً من تسلية المصاب للدكتور أحمد فريد (ص: ٤١).

وكان ﷺ يُعلم أمته هذا الدعاء: «... ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا...»[(١)] .

وقد حكى ابن أبى الدنيا عن شريح أنه قال: إنى لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات وأشكره.

إذ لم تكن أعظم مما هى، وإذ رزقنى الصبر عليها، وإذ وفقنى للاسترجاع لما أرجوه فيه من الثواب، وإذ لم يجعلها فى دينى.

(٢١) أن تعلم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان:

ومن أسباب الصبر على المرض علمك بأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وهى محل للأنكاد والأسقام والأحزان، وأنها حقيرة عند خالقها سبحانه.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[(٢)] قال سعيد ابن أبى الحسن - رحمه الله - فى تفسير هذه الآية: «يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة»[(٣)] .

ومن أمثال العرب: «من حدّث نفسه بطول البقاء فليوطن نفسه على المصائب».

وقال أبو الحسن التهامى - رحمه الله - فى ذم الدنيا:

طُبعت على كَدَرٍ وأنت تريدها
صفوًا من الأقذاء والأكدارِ
ومُكلِّف الأيام ضد طباعها
متطلب فى الماء جذوة نارِ
وإذا رجوت المستحيل فإنما
تبنى الرجاء على شفيرٍ هارِ[(٤)]

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٣٥٠٢) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٦٨).

(٢) سورة البلد: الآية: (٤).

(٣) تفسير ابن جرير (٣٠/ ١٩٧).

(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٣٨٠).

وقد قال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (١).

(٢٢) أن تتذكر الموت:

قال ﷺ: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات، فما ذكره عبدٌ قط وهو فى ضيق إلا وسَّعه عليه، ولا ذكره وهو فى سعة إلا ضيقها عليه» (٢).

فمن علم أنه سيرحل عن هذه الدنيا لا محالة فإنه يستوى عنده البلاء والعافية لأن أهم ما يشغله أن يلقى الله وهو راضٍ عنه.

(٢٣) انتظار الفرج من عند الله (جل وعلا):

ومما يتسلى به المصاب أن يُحسن الظن بالله (جل وعلا) ويعلم أن الله سيجعل له فرجًا ومخرجًا، فقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٣).

وقال ﷺ فى وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا» (٤).

ولرُب نازلة يضيق بها الفتى
ذرعًا وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فُرجت وكان يظنها لا تُفرجُ

(٢٤) أن مرارة الدنيا هى بعينها حلاوة فى الآخرة:

فإن العبد المؤمن إذا رضى بقضاء الله وصبر على مرضه فإنه سينسى كل آلامه وأحزانه مع أول غمسة فى جنة الرحمن (جل وعلا).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) رواه البيهقى وابن حبان وحسنه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢١١).

(٣) سورة الشرح: الآيتان: (٥-٦).

(٤) رواه أحمد والخرائطى عن أنس - السلسلة الصحيحة (٢٣٨٢).

* قال ﷺ: «يُؤتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيُصبغ فى جهنم صبغة؛ ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويُؤتَى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة؛ فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مَرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مرّ بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»[1].

(٢٥) أن تستحضر هذا المشهد المهيب:

ومن الأسباب التى تعينك على الصبر على المرض أن تستحضر هذا المشهد المهيب من مشاهد يوم القيامة حيث قال ﷺ: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطَى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرضت فى الدنيا بالمقاريض»[2].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

(٢٦) أن تتذكر عذاب أهل النار:

فإن العبد إذا تذكر عذاب أهل النار وما يقاسونه فيها من الحرق والجوع والعطش والحرمان من النظر إلى وجه الله (عز وجل) فإن ذلك يُهوِّن عليه آلام المرض فإن كل عذاب دون النار عافية وكل نعيم دون الجنة سراب.

* كانت امرأة من العابدات بالبصرة تُصاب بالمصاب فلا تجزع، فذكروا لها ذلك، فقالت: ما أُصاب بمصيبة فأذكر معها النار إلا صارت فى عينى أصغر من الذباب.

(٢٧) التطلع إلى نعيم الجنة:

ومن أسباب الصبر على المرض علمك بأن وراء هذه الدار الدنيا دارًا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٤٠٢) كتاب الزهد وحسنه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨١٧٧).

(٣) سورة الزمر: الآية: (١٠).

أعظم منهـا وأجل قدرًا، وأنك لابد مرتحـل إليها إن كنت مـن أهلها، وهى الجنة التى أعدها الله لأوليائه.

* قال ﷺ : «قال الله تعالى: أعـددتُ لعبادى الصالحـين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[(١)]»[(٢)] .

وقال ﷺ : «ينادى مناد، إن لكم أن تصحُّوا فـلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكمّ أن تشبُّوا فـلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا» فذلك قوله - عز وجل -: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(٣)]»[(٤)] .

* وعليك أن تتـذكـر أدنى أهل الجنة منزلة. فـقد قـال ﷺ : «سأل موسى ﷺ ربه، ما أدنى أهل الجنـة منزلة؟ قال: هو رجلٌ يجىءُ بعـدما أدخل أهل الجنة الجنة، فـيقـال له: ادخل الجنة. فيـقـولُ: أى رب كيف وقـد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخـذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يـكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا؟ فيـقول: رضيت رب، فيقـول: لك ذلك ومثله ومثله ومـثله ومثله، فيقول فى الخامسة: رضيت رب، فيقول: موسى هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذّت عينك، فيقـول: رضيت رب، قال موسى: رب فـأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرستُ كرامتهم بيـدى وختمت عليها، فلم ترَ عينٌ، ولم تـسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر»[(٥)].

* بل يخبر النبى ﷺ عن آخـر أهل الجنة دخولاً الجنة أن الله عز وجل

---

(١) سورة السجدة: الآية: (١٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومـسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٤٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٨٩) كتاب الإيمان.

يقول له: «... اذهب فادخل الجنة. فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقولُ: أتسخر بى، أو أتضحك بى وأنت الملك»[(١)][(٢)].

لا تخف من الموت بسبب المرض

فإن المرض لا يقرِّب من الموت كما أن الصحة والعافية لا تباعد منه.. فالله -عزَّ وجلَّ- هو الذى يملك مقادير الأمور وهو الذى يعلم آجال العباد فقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[(٣)].

وقد جاء فى حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن المَلَكَ يبعث إلى الجنين بعد مائة وعشرين يومًا - بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح.

وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه:

فكم من صحيح مات من غير علَّة
وكم من عليلٍ عاش حينًا من الدهرِ
وكم من فتى يُمسى ويُصبح آمنًا
وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدرى

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٧١) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٦) كتاب الإيمان.

(٢) بتصرف من كتاب (السلسلة الذهبية/ الجزء الثالث) للمصنف.

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٣٤).

لا تستسلم للمرض ... وأحسن الظن بالله

فكم من مريض تعلق قلبه بكلام طبيبه ولم يتعلق قلبه بخالق السماوات والأرض -جل وعلا- . . . فإذا قال له الطبيب: لم يبق من عمرك إلا ستة أشهر وإذا بالمريض يصاب بحالة من الحزن واليأس . . . . ولم يعلم هذا المسكين أن الكلمة الأولى والأخيرة إنما تكون لله -جل وعلا-. فلا يعلم مقادير العباد وأعمارهم إلا الله -جل جلاله-.

- وإنما عليك أن ترضى وتُسلِّم لقضاء الله وأن تُحسن الظن بالله -جل وعلا- فإن عشت عشت كريمًا وقد فزت بالأجر الكبير وإن مت فهنيئًا لك حين أحسنت الظن بالله فقد قال ﷺ - كما عند مسلم -: **«لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله»**[1].

* وكم سمعنا عن أناسٍ أصيبوا بأمراض خطيرة وجعل الله شفاءهم فى شربة من ماء زمزم أو دعوة صالحة خرجت من قلب أخٍ صالح أو. . . . . .
وإليك هذين المثالين: المثال الأول لرجلٍ كافرٍ كان يحب الحياة فلم يستسلم للمرض.

والمثال الثانى لامرأة مسلمة جعل الله شفاءها فى ماء زمزم.

ذكر دايل كارنيجى قصة رجل أصابته قرحة فى أمعائه بلغ من خطورتها أن الأطباء حددوا له أوان وفاته، وأوعزوا إليه أن يجهز كفنه. قال: وفجأة اتخذ «هانى» - اسم المريض - قرارًا مدهشًا، إنه فكر فى نفسه: إذا لم يبق لى فى هذه الحياة سوى أمدٍ قصير، فلماذا لا أستمتع بهذا الأمد على كل وجه؟ لطالما تمنيت أن أطوف حول العالم قبل أن يدركنى الموت، ها هو ذا الوقت الذى أحقق فيه أمنيتى. وابتاع تذكرة السفر، فارتاع أطباؤه، وقالوا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضي الله عنه.

له: إننا نحذرك، إنك إن أقدمت على هذه الرحلة فستُدفن فى قاع البحر!! لكنه أجاب: كلا، لن يحدث شيء من هذا، لقد وعدتُ أقاربى ألا يُدفن جثمانى إلا فى مقابر الأسرة.

وبدأ الرجل رحلة مُشبعة بالمرح والسرور، وأرسل خطابًا لزوجته يقول فيه: لقد شربت وأكلت ما لذ وطاب على ظهر السفينة، وأنشدت القصائد، وأكلت ألوان الطعام كلها حتى الدسم المحظور منها، وتمتعت فى هذه الفترة بما لم أتمتع به فى ماضى حياتى. ثم ماذا؟!

ثم يزعم دايل كارنيجى أن الرجل صح من علته، وأن الأسلوب الذى سار عليه أسلوب ناجع فى قهر الأمراض ومغالبة الآلام!!

لا تحزن أيها المريض ... فأجرك لا ينقص

إذا كان العبد حريصًا على فعل الطاعات حال صحته فإن من كمال رحمة الله بهذا العبد أنه إذا مرض فأدَّى الفرائض لكنه عجز عن أداء بعض السنن والنوافل فإن الله يأمر الملائكة أن يكتبوا له من الأجر مثلما كان يعمل وهو صحيح.

روى البخارى أن النبى ﷺ قال: «إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا»(1).

***بل وفى الحديث القدسى أن النبى ﷺ قال: «قال تعالى: إذا ابتليتُ عبدًا من عبادى مؤمنًا فحمدنى وصبر على ما بليته، فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا، ويقول الرب عز وجل للحفظة، إنى أنا قيَّدت عبدى هذا وابتليته، فأجروا له ما كنتم تُجرون له قبل ذلك من الأجر، وهو صحيح»**(2).

---

(1) صحيح: رواه البخارى (٢٩٩٦) كتاب الجهاد والسير.

(2) حسن: رواه أحمد (١٦٦٦٩) من حديث شداد بن أوس بن ثابت ﷺ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٠٠٩).

أخى المريض ... أبشر بكل خير

ونحن نعلم أن من أعظم أنواع الهموم التى يعانى الناس منها: كثرة الأمراض وشدة فتكها بالصحة والشباب ولذلك سأذكر لكم ما يخفف عن المريض ثقل البلاء:

أما عن الأمور التى تخفف عن المريض ثقل البلاء فهى كثيرة .... ونذكر منها ما يلى:

١- **معرفة أن الله يحبك**: «إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه»، وإذا أحبك الله جاءت ثمرة المحبة «كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يُبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه»[1].

٢- **ملاحظة حُسن الجزاء**: فلو جاءك رجل وقال: سأضربك ضربة بيدى، ثم أعطيك مائة ألف جنيه، فهل ستشعر بألم الضرب؟! بالطبع لا (ولله المثل الأعلى) فلك أن تتخيل أن الله يبتليك ويقول لك: إن ثمن هذا البلاء هو الجنة!! لا شك أن حلاوة الأجر ستُنسيك مرارة الألم.

٣- **انتظار الفرج**: فإنك إذا جاءك المرض تكون بين حالين، إما أن تموت صابرًا محتسبًا فلك الأجر العظيم، وإما أن تُشفى محتسبًا أيضًا فلك سعادة الدارين، واعلم أن الله لطيف بعباده ... ومن لُطفه تعالى بعباده أن تكون أنت فى قمة البلاء، وعلى الرغم من ذلك يُلقى الله فى قلبك الراحة والرضا بقضاء الله والثقة فى الأجر والثواب من عند الله تعالى.

٤- **تهوين البلية**: وذلك بأن تحمد الله على البلاء فى الدنيا وليس فى الدين، وتحمده أيضًا أنه لم يكن أشد من ذلك.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

٥- **سماع سير أهل البلاء:** فإن ذلك يهون عليك البلاء. وذلك لأن سماع سيرتهم يجعل الإنسان يشعر بأن هناك من ابتُلى بمثل هذا البلاء - فيتصبر بسيرته -[١].

فضل عيادة المريض

* **عن البراء بن عازب ؓ قال:** أمرنا رسول الله ﷺ: بعيادة المريض، واتباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإبرار المقسم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعى، وإفشاء السلام[٢].

* **وعن أبى هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال:** «حق المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»[٣].

* **قال الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله):**

ذهب بعض العلماء إلى أنها فرض كفاية، فإذا لم يقم بها أحد فإنه يجب على من علم بحال المريض أن يعوده؛ لأن النبى ﷺ جعل ذلك من حقوق المسلم على أخيه، ولا يليق بالمسلمين أن يعلموا أن أخاهم مريض ولا يعوده أحد منهم؛ لأن هذا قطيعة وأى قطيعة!.

وهذا القول هو الراجح: أن عيادة المرضى فرض كفاية، ومن المعلوم أن غالب المرضى يعودهم أقاربهم وأصحابهم وتحصل بذلك الكفاية، لكن لو علمنا أن أحدًا أجنبيًا فى البلد مريض، وليس معروفًا، وقد علمت أنه لم يَعده أحد فإن الواجب عليك أن تعوده؛ لأن ذلك من حقوق المسلمين بعضهم على بعض..

---

(١) رسالة إلى أهل البلاء/ للمصنف (ص: ١٩، ٢٠).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٢٣٩) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٠٦٦) كتاب اللباس.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٢٤٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

والمستحب لمن عاد المريض أن يسأل عن حاله كيف أنت؛ وعن عبادته: كيف تتوضأ؛ كيف تصلى؛ وعن معاملاته: هل لك حقوق على الناس؛ أو هل للناس حقوق عليك.

ولا تُطِل الجلوس عنده؛ لأنه ربما يملّ؛ لأن حال المريض غير حال الصحيح، فربما يمل ويحب أن تقوم عنه؛ ليأتى إليه أهله وما أشبه ذلك، ولكن إذا رأيت أن المريض مستأنس بك، ويفرح أن تبقى، وأن تطيل الجلوس عنده، فهذا خير ولا بأس به... وهذا ربما يكون سببًا فى شفائه؛ لأن من أسباب الشفاء إدخال السرور على المريض. فمثلاً إذا جئت مريضًا وقلت له: أنت اليوم أحسن من أمس، حتى وإن لم يكن أحسن من جهة المرض لكن تقول: أحسن من أمس؛ لأنك زدت خيرًا، ما بين أمس واليوم صليت خمس صلوات، استغفرت، هللت، كذلك زاد أجرك بالمرض، وذلك حتى يدخل عليه السرور.

وإذا أردت أن تقوم واستأذنت تقول: أتأذن لى. فإن هذا أيضًا مما يسره؛ لأنه ربما يود أن تبقى فلا يأذن لك، ثم احرص غاية الحرص على أن توجهه إلى فعل الخير فى هذا المرض. وقول الخير فى هذا المرض، فتقول: قد يُقدِّر الله المرض على الإنسان فيكون خيرًا له، فيتفرغ للذكر ولقراءة القرآن وما أشبه ذلك لعله يتتبه ويكون لك أجر السبب[1].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تَعُدْنى، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلانًا مَرِض فلم تَعُدْه، أما علمت أنك لو عُدته لوجدتنى عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تُطعمنى، قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت أنك

---

(١) شرح رياض الصالحين / للشيخ ابن عثيمين (٣/ ٣٤-٣٥) بتصرف.

لو أطعمته لوجدت ذلك عندى؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى»(١).

* قال الشيخ ابن عثيمين: كذلك إذا مرض عبد من عباد الله الصالحين فإن الله سبحانه وتعالى يكون عنده؛ ولهذا قال: «أما إنك لو عُدته لوجدتنى عنده» ولم يقل: لوجدت ذلك عندى كما قال فى الطعام والشراب بل قال: «لوجدتنى عنده» وهذا يدل على قرب المريض من الله عز وجل. ولهذا قال العلماء: إن المريض حَرِىٌّ بإجابة الدعاء إذا دعا لشخص أو دعا على شخص، وفى هذا دليل على استحباب عيادة المريض، وأن الله سبحانه وتعالى عند المريض وعند من عاده؛ لقوله: «لوجدتنى عنده»(٢).

* وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل فى خُرفة الجنة حتى يرجع» قيل: يا رسول الله وما خُرفة الجنة؟ قال: «جناها»(٣).

* وعن على رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف فى الجنة»(٤).

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٩) كتاب البر.

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/ ٣٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٨) كتاب البر.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٣/ ٩٦٩) كتاب الجنائز - باب ما جاء فى عيادة المريض، وأبو داود (٣/ ٣٠٩٨-٣٠٩٩) وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٦٧) والسلسلة الصحيحة (١٣٦٧).

ما يُدعى به للمريض

* عن عائشة رضي الله عنها، أن النبى ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشىء منه، أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبى ﷺ، بأصبعه هكذا، ووضع سُفيان ابن عُيينة الراوى سبابته بالأرض ثم رفعها وقال: «بسم الله، تُربةُ أرضنا، بريقة بعضنا، يُشفى به سقيمنا، بإذن ربنا»(١).

ووجه ذلك: أن التراب طهور كما قال النبى ﷺ: «جُعلت تربتها لنا طهورًا»(٢) وريق المؤمن طاهر أيضًا، فيجتمع الطهوران مع قوة التوكل على الله عز وجل والثقة به فيشفى بها المريض، ولكن لابد من أمرين:

١- قوة اليقين فى هذ الداعى بأن الله سبحانه وتعالى سوف يشفى هذا المريض بهذه الرقية.

٢- قبول المريض لهذا وإيمانه بأنه سينفع.

أما إذا كانت المسألة على وجه التجربة فإن ذلك لا ينفعه؛ لأنه لابد من اليقين أن ما فعله النبى ﷺ حق، ولابد أن يكون المحل قابلاً - وهو المريض - لابد أن يكون مؤمنًا بفائدة ذلك، وإلا فلا فائدة؛ لأن الذين فى قلوبهم مرض لا تزيدهم الآيات إلا رجسًا إلى رجسهم والعياذ بالله(٣).

* وعنها أن النَّبىَّ ﷺ كان يعُودُ بعضَ أهْلِه يَمْسَحُ بيده اليُمنَى ويقول: «اللَّهمَّ ربَّ النَّاسِ، أذْهِب البَأسَ، واشْفِ أنْتَ الشَّافِى، لا شِفَاءَ إلا

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٠/٥٧٤٥) كتاب الطب باب: رقية النبى ﷺ، ومسلم (٢١٩٤) كتاب السلام/ باب: استحباب الرقية من العين - قال جمهور العلماء: المراد بأرضنا هنا جملة الأرض وقيل: أرض المدينة خاصة لبركتها والريقة أقل من الريق (مسلم بشرح النورى: ١٤/٢٦٣-٢٦٤). ومعنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شىء، فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل ويقول هذا الكلام فى حال المسح.

(٢) رواه مسلم (٥٢٢) كتاب المساجد.

(٣) شرح رياض الصالحين (٣/٤١).

شفاؤُكَ، شفاءً لا يُغادرُ سَقَمًا»(١).

* وعنْ سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه قال: عادَني رسول الله ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا»(٢).

* وعن أبي عبد الله عثمانَ بنِ أبي العاصِ رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وَجَعًا يجدُهُ في جَسده، فقال له رسول الله ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ على الذى تألَّمَ من جسَدكَ وقُلْ: بِسْمِ الله ثلاثًا، وقُلْ سَبْعَ مرَّاتٍ: أعُوذُ بعِزَّةِ الله وقُدْرَته من شَرِّ ما أجِدُ وأُحاذِرُ»(٣).

فهذا من أسباب الشفاء أيضًا، فينبغى للإنسان إذا أحسَّ بألم أن يضع يده على هذا الألم ويقول: «بسم الله ثلاثًا، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» يقولها سبع مرات، إذا قاله موقنًا بذلك مؤمنًا به وأنه سوف يستفيد من هذا فإنه يسكن الألم بإذن الله عز وجل، وهذا أبلغ من الدواء الحِسِّى كالأقراص، والشراب والحقن؛ لأنك تستعيذ بمن بيده ملكوت السموات والأرض، فالذى أنزل هذا المرض، هو الذى يجيرك منه(٤).

* وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ عادَ مَريضًا لَمْ يَحْضُرْهُ أجَلُهُ، فقال عِنْدَهُ سَبْعَ مرَّاتٍ: أسألُ الله العَظِيمَ ربَّ العَرْشِ العَظِيمِ أنْ يَشْفِيَكَ، إلا عافاهُ الله من ذلك المرضِ»(٥).

* وعنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخَلَ على أعْرابيٍّ يَعُودُهُ، وكانَ إذا دخَلَ عَلَى مَن يَعُودُهُ قال: «لا بَأس، طَهُورٌ إن شاءَ الله»(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٤٣) كتاب الطب، ومسلم (٢١١٩) كتاب السلام.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٢٨) كتاب الوصية.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠٢) كتاب السلام.

(٤) شرح رياض الصالحين (٣/٤٣).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٣١٠٦) كتاب الجنائز، والترمذى (٢٠٨٣) كتاب الطب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٨٨).

(٦) صحيح: رواه البخارى (٥٦٥٦) كتاب المرضى.

* وعن أبى سعيد الخُدْرىِّ ﷺ أن جبْريلَ أتى النَّبىَّ ﷺ فقال: «يا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ قال: نَعَم، قال: بِسمِ الله أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَىءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفسٍ أوْ عَيْنِ حاسِدٍ، الله يشْفِيكَ، بِسْمِ الله أَرْقِيكَ»[1].

هذا دعاء من جبريل أشرف الرسل، للنبى ﷺ أشرف الرسل، لكن جبريل أشرف الرسل الملكيين، وأما محمد ﷺ فأشرف الرسل البشريين، يقول له: «اشتكيت؟» قال: «نعم» وفى هذا دليل على أنه لا بأس أن يقول المريض للناس: إنى مريض إذا سألوه، وأن هذا ليس من باب الشكوى، الشكوى أن تشتكى الخالق للمخلوق، تقول: أنا أمرضنى الله بكذا وكذا، تشكو الرب للخلق، هذا لا يجوز، ولهذا قال يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾[2] لكن إذا أخبر المريض بمرضه على سبيل الإخبار لا الشكوى فلا بأس، ولهذا بعض العامة يقول: إخبار لا شكوى، وهذا طيب.

وفيه أيضا دليل: على أنه ينبغى أن نقرأ على المريض بهذه الرقية: «بسم الله أرقيك» يعنى: أقرأ عليك «من كل شىء يؤذيك»: من مرض، أو حزن، أو همّ، أو غم... إلخ.

«من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك»... «من شر كل نفس» من النفوس البشرية أو نفوس الجن أو غير ذلك أو «عين حاسد» أى: ما يسمونه الناس بالعين، وذلك أن الحاسد - والعياذ بالله - الذى يكره أن يُنعم الله على عباده بنعمه... نفسه خبيثة شريرة، وهذه النفس الخبيثة الشريرة قد ينطلق منها ما يصيب المحسود، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[3] ويكون المحسود مهمومًا بسبب هذه العين، ولهذا قال: «أو عين حاسد الله يشفيك» أى:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٨٦) كتاب السلام.

(٢) سورة يوسف: الآية: (٨٦).

(٣) سورة الفلق: الآية: (٥).

يبرئه ويزيل سقمه «بسم الله أرقيك» فبدأ بالبسملة فى أول الدعاء وفى آخره، فإذا دعا الإنسان بما جاء فى السنة فهذا خير؛ لأن كل ما جاء فى السنة، فإن مراعاته أفضل، وإذا لم يعرف هذا الدعاء فادع بالمناسب: شفاك الله، عافاك الله، أسأل الله لك الشفاء، أسأل الله لك العافية، وما أشبه ذلك.

وفى هذا الحديث دليل: على أن النبى ﷺ كغيره من البشر، يصيبه المرض، وفيه أيضا أن القراءة على المريض لا تنافى كمال التوكل، بخلاف الذى يطلب من الناس أن يقرءوا عليه ففيه شيء من نقص التوكل، لأنه سأل الخلق، واعتمد على سؤالهم، لكن إذا جاء إنسان يقرأ عليه ولم تمنعه فإن ذلك لا شيء فيه ولا يُعَدُّ نقصًا فى التوكل، ولهذا قرأ النبى ﷺ على غيره وقُرئ عليه أيضا فذلك لا ينافى كمال التوكل إذا كان بغير سؤال. والله الموفق(١).

آداب عيادة المريض

*** الأدب الأول: النية الصالحة:**

وذلك بأن ينوى بعيادة أخيه التماس الأجر من الله تعالى، والفوز بموعوده من الثواب، وأداء حق أخيه عليه تطييبًا لقلبه، وترسيخًا للأخوة والمودة بينهما.

*** الأدب الثانى: أن لا يتأخر فى الذهاب لعيادته:**

وخصوصًا إذا طال مرضه، فلا يتأخر عنه، فإن ذلك مما يُحزنه ويؤثر فيه، لكن ينبغى أن يعجل فى الذهاب إليه.

*** الأدب الثالث: عيادة المريض فى وقت لا يشق عليه:**

فلا يذهب للعيادة فى وقت مبكر جدًا، أو متأخر جدًا، فإن المريض قد

---

(١) شرح رياض الصالحين / للشيخ ابن عثيمين (٣/ ٤٤-٤٥).

يكون نائمًا، أو نحو ذلك. فالأفـضل الذهاب فى الأوقات التى اعتاد الناس عيادة المريض فيها، ويكون فيها المريض متهيئًا لاستقبال زواره.

*** الأدب الرابع: سؤال أهل المريض عنه وعن صحته:**

فإن ذلك مما يجبر خـاطرهم، ويُسكِّن قلوبهم، فإنه لما خرج على ﷺ من عند رسـول الله ﷺ فى وجعـه، سـأله الناس: «يا أبا حسن! كـيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئًا . .[1].

*** الأدب الخامس: القعود عند رأس المريض:**

وهذا من السـنة فإن النبى ﷺ لما عاد الغلام اليهـودى الذى كان يخدمه قعد عند رأسه[2] وهذا فيه إراحة للمريض وإيناس له، كـما أنه يجعل العائد فى وضع يسمح له بوضع يده على رأس المريض لرقيته، أو ليمسك بيده، أو نحو ذلك.

*** الأدب السادس: سؤال المريض عن حاله:**

وهذا مما يُطيب قلبـه كذلك، وهو سنة عن النبى ﷺ فـإنه ﷺ عاد رجلاً من أصحـابه فقال له: **«كيف تجدك؟»** قال: والله يا رسول الله! إنى أرجو الله وإنى أخاف ذنوبى.

فقال رسـول الله ﷺ: «لا يجتمعـان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجـو، وآمنه مما يخاف»[3] ويُسن للمريض الا يقـول إلا خيرًا، وأن يُثنى على الله تعالى بما هو أهله.

*** الأدب السابع: تبشير المريض بثواب المرض:**

فـإن ذلك مما يُهوِّن عليـه المرض، ويطيب خـاطره، ويعينه على الرضـا بقضاء الله، ويرفع روحه المعنوية، ويذكره بثواب الصبر على المرض.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٤٤٧) كتاب المغازى.

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٣٥٦) كتاب الجنائز.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٩٨٣) كتـاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٦١) كتاب الزهد، وصححـه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٦٢٠).

*** الأدب الثامن: تذكير المريض بوجوب الصبر على القضاء وأمره بالرضا:**

فإن ذلك مما يعينه على الصبر والرضا إذا كان فاقدًا لذلك، وينبغى تذكيره بعظم الأجر على الصبر، والرضا بالقضاء، وأن الصبر على قضاء الله من أعظم أسباب دخول الجنة.

*** الأدب التاسع: وضع اليد على المريض:**

مع الدعاء له كما يأتى، فإنه أظهر للمحبة، والمريض يشعر بالراحة النفسية من ذلك، وهذه الراحة النفسية لها أكبر الأثر عليه.

*** الأدب العاشر: الدعاء للمريض ورقيته:**

وذلك لقول النبى ﷺ، وفعله، ورقية جبريل إياه.

*** الأدب الحادى عشر: النصح للمريض بعدم الشكوى متسخطًا:**

فإن من اشتكى متسخطًا فإنه يشكو الله إلى الخلق، والله أرحم به من نفسه، وهل يغنى عنه الخلق شيئًا؟

*** الأدب الثانى عشر: نهى المريض عن تمنى الموت:**

إذ إن الكثير من الناس يتمنى فى مرضه - إذا كان شديدًا - أن يموت، ولا يدرى أن المرض كفارة لذنوبه، وأن الموت فيه انقطاع عمله، وأنه إن يؤخر فلعله يُستعتب ويتوب.

*** الأدب الثالث عشر: تذكير المريض بإحسان الظن بالله تعالى:**

لأنه قد يموت فى مرضه ذلك، فينبغى أن يحسن الظن بالله عز وجل، ويغلب الرجاء على الخوف.

*** الأدب الرابع عشر: تذكيره بالوصية:**

حتى لا يموت على غير وصية، فإنه ينبغى للمسلم أن تكون وصيته جاهزة على الدوام.

*** الأدب الخامس عشر: عدم التطويل فى المكث عند المريض:**

خصوصًا إذا كان الكلام يشق عليه، أو يحتاج إلى مزيد من الراحة فإنه قد يستثقل العُوَّاد فى هذه الحال، وقد يضرونه بطول الاستيقاظ وكثرة الكلام.

*** الأدب السادس عشر: وصية أهله بالصبر على خدمته والإحسان إليه:**

وقد ذكر ذلك الإمام النووى رحمه الله تعالى وغيره[1]، وهو من الأدب الواجب الاهتمام به، فإن أهله قد يستثقلونه، وخصوصًا إذا طال مرضه، أو اشتد وشق عليهم خدمته، أو كان مرض موت.

*** الأدب السابع عشر: تكرار الزيارة مرارًا:**

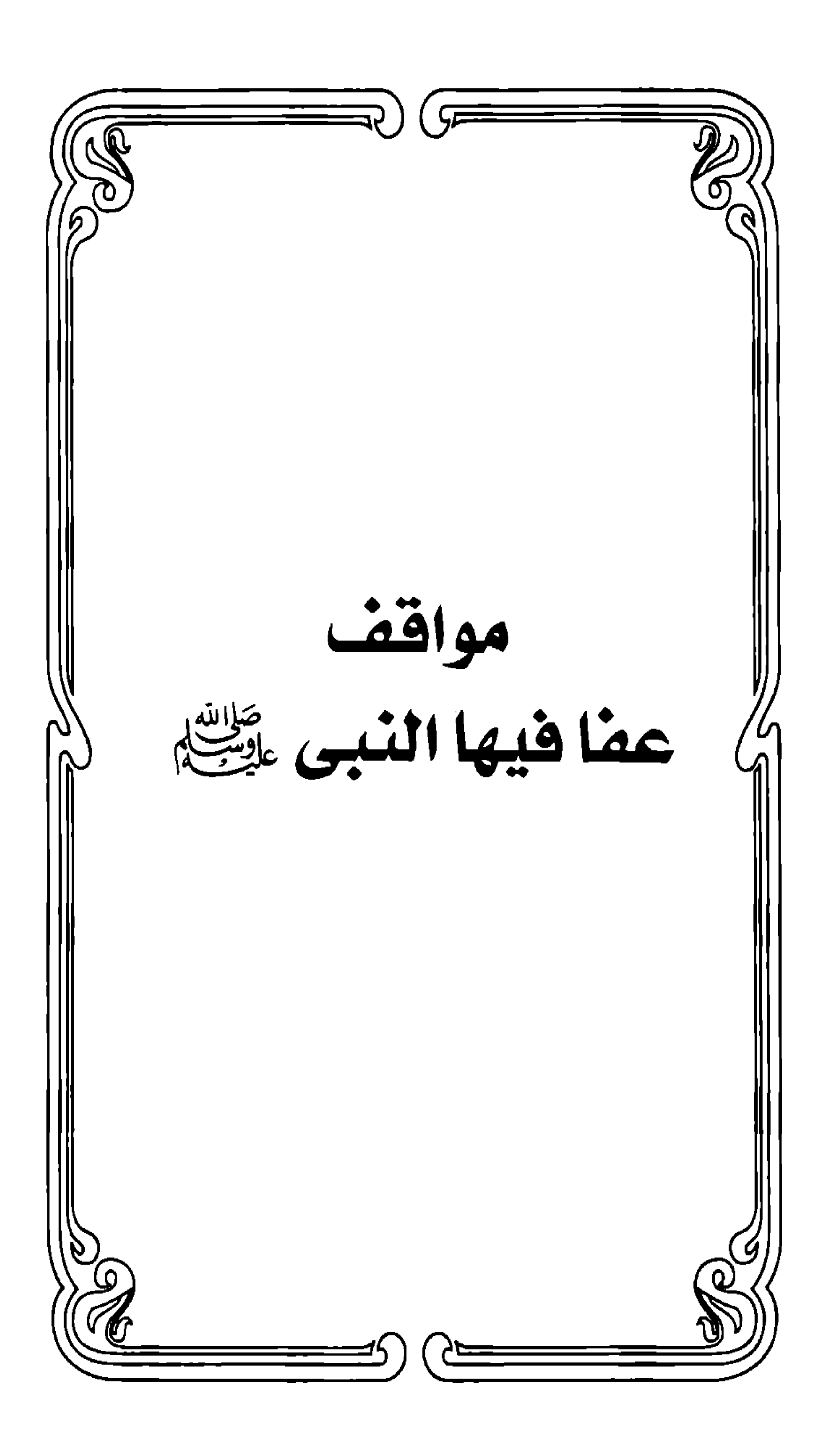
وخصوصًا إذا طال مرضه، واشتد، فإنه يحتاج إلى أن يشعر بدوام سؤال الناس عنه، وعدم نسيانهم له، فإن هذا يطيب نفسه جدًّا، ولعله يشفى - إن شاء الله - إذا تحسنت حالته النفسية.

* أسأل الله (جل وعلا) أن يشفى جميع مرضى المسلمين، وأن يرزقهم الأجر والثواب على صبرهم على هذا البلاء.

* * *

---

(١) رياض الصالحين (٣٩١).



مواقف
عفا فيها النبى ﷺ

مواقف عفا فيها النبى ﷺ

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه... ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذِن لنا بالدخول فلما دخلنا وجدنا الحبيب المصطفى ﷺ جالسًا مع بعض أصحابه وهو يُعلمهم خُلقًا عظيمًا من أعظم أخلاق المسلمين... ألا وهو خُلق العفو... فقال لهم: «ما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا»[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع خُلق العفو.

نعمة العفو

ها هو خلق عظيم من أخلاق الرسول ﷺ ينبغى أن نتحلى به... ألا وهو خُلق العفو والصفح.

* وما أجمل أن نعفو عن الناس ونسامح ونصفح عمن أساء إلينا... فهذا من أعظم الأبواب لجلب المودة والمحبة بين العباد.

* قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(١) .

فإذا قذفك شخص بسبةٍ فاقذفه بالعفو عنه واقذفه بالكلام الطيب.

إذا أساء شخص إليك فأحسن إليه، فلن يزال معك من الله ظهير عليه ما دمت على عفوك وإحسانك.

* إذا ظلمك شخص فتجاوز عنه: فإن الله يدافع عنك، فالله سبحانه وتعالى يدافع عن المظلوم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٢).

* إن الله سبحانه وتعالى قد قال فى كتابه الكريم: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾(٣)، هذا فى حق من عاقب بمثل ما عوقب به، لينصرنه الله!! فكيف بالذى ترك حقه كله لله؟!

* فالزم جانب العفو فإن العفو من شيم المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٤).

وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (٦).

* وقال النبى ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»(٧).

---

(١) سورة فصلت: الآيتان: (٣٤، ٣٥).

(٢) سورة الحج: الآية: (٣٨).

(٣) سورة الحج: الآية: (٦٠).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٣٤).

(٥) سورة التغابن: الآية: (١٤).

(٦) سورة الشورى: الآية: (٤٠).

(٧) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

* وقد صَحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ارحموا تُرحموا، واغفروا يُغفر لكم ..»[1].

* وصَحّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى»[2][3].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة العفو والصفح.

*** النبي ﷺ يحض الأمة على العفو:**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[4].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال[5]، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً[6]، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله[7]»[8].

---

(١) قال الشيخ مصطفى العدوي: أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥، ٢١٩) وعبد بن حميد في المنتخب (بتحقيقي ٣٢٠)، والبخاري في الأدب المفرد (حديث ٣٨٠) والحديث صحيح لشواهده.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٦٠٧٩) من طريقين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وابن ماجه (٤١٨٩) كتاب الزهد، وهو صحيح بمجموع طريقيه، والله أعلم.

(٣) فقه الأخلاق/ الشيخ مصطفى العدوي (ص: ٨١، ٨٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦١١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٩٠٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) «ما نقصت صدقة من مال» :ذكروا فيه وجهين: أحدهما معناه: أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات، فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية. وهذا مدرك بالحس والعادة. والثاني أنه: وإن نقصت صورته، كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة.

(٦) «وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا»: فيه أيضًا وجهان: أحدهما على ظاهره، ومن عُرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب، وزاد عزه وإكرامه، والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك.

(٧) «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»: فيه أيضًا وجهان: أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه. والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة رفعه فيها بتواضعه في الدنيا. قال العلماء: وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة. وقد يكون المراد الوجهين معًا في جميعها في الدنيا والآخرة.

(٨) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

* وقال ﷺ: «من كتم غيظًا، وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من الحور العين، يزوجه منها ما شاء»[١].

* وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا»[٢].

هذا هو النبى ﷺ

* عن أبى إسحاق قال: سمعت أبا عبد الله الجدلى يقول: سألت عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخَّابًا فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح[٣].

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التى فى القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٤]، قال فى التوراة: يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا[٥] للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ[٦] ولا غليظ[٧] ولا سخاب بالأسواق[٨]، ولا

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٧٧٧) كتاب الأدب، والترمذى (٢٠٢١) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤١٨٦) كتاب الزهد، وأحمد (١٥١٩٢)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥١٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٠١٦) كتاب البر والصلة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٥٨٢٠).

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٤٥).

(٥) حرزًا: وعاء حصينًا لحفظ الأمين.

(٦) فظ: الفظ هو الجافى السيئ.

(٧) غليظ: شديد صعب.

(٨) سخاب بالأسواق: بمعنى الصياح بصوت عالٍ وهى بالسين والصاد.

يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينًا عُميًا، وآذانا صُمًّا، وقلوبًا غلفًا»[1].

صور مشرقة من عفو النبي ﷺ

وهذا نبينا محمد ﷺ نال من العفو الثريا فهذه قريش بالغت فى أذاه ﷺ وأحكمت قبضتها منه ثم أخرجته من بين أهله وعشيرته.... قتلوا من أصحابه فى يوم أُحد سبعين وجرحوا آخرين،... جُرح ﷺ وكُسرت رباعيته وشُج وجهه ﷺ وهو يقول: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون».

ثم أمكنه الله منهم فعاد فاتحًا مكة ومعه أكثر من عشرة آلاف معهم السيوف مُسلطة على رؤوس قريش، وهو يقول لهم: «ما ترون أنى فاعل بكم؟» فقالوا: خيرًا أخٌ كريم، وابن أخٍ كريم.

* عجبًا!!

هل نسوا ما كانوا يفعلونه بهذا الأخ الكريم!!

أين سبُّكم فيه وقولكم أنه: مجنون.. ساحر.. كاهن؟!

ما دام أخًا كريمًا.. وأبوه أخ كريم!! فلماذا حاربتموه؟!

أين تعذيبكم للمسلمين الضعفاء..

هذا بلال واقف.. وآثار التعذيب لا تزال فى ظهره..

وتلك نخلة قريبة قُتلت عندها سمية.. وزوجها ياسر..

وهذا ابنهما عمار مع المسلمين يشهد..

اليوم تقولون: أخ كريم؟!

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢١٢٥) كتاب البيوع.

أين حَبْسكم لهذا النبى الكريم مع المسلمين الضعفاء.. ثلاث سنين فى شِعب بنى عامر.. حتى أكلوا ورق الشجر من شدة الجوع..؟!!

ما رحمتم بكاء الصغير.. ولا أنين الشيخ الكبير.. ولا حاملاً ولا مرضعًا!!

أين حربكم له فى بدر.. وأُحُد.. وتحزبكم عليه فى الخندق؟ واليوم.. هو أخ كريم!!

أين منعكم له من دخول مكة معتمرًا.. لما جاءكم قبل سنين.. وتركتموه محبوسًا فى الحديبية.. ممنوعًا من دخول مكة؟

أين صَدُّكم لعمه أبى طالب عن الإسلام وهو على فراش الموت؟

أين..؟

أين..؟

شريط طويييل من الذكريات المؤلمة يمر أمام عينيه ﷺ.. وهو ينظر إلى وجوه كفار قريش بين يديه.. ويقلب طرفه فى فجاج الحرم.. وربما امتد بصره إلى جبال مكة حول الحرم.. أو إلى شوارعها وطرقاتها.. ليس هو فقط.. بل تمر هذه الذكريات أمام عينى أبى بكر وعمر..

وعثمان وعلى..

وبلال وعمار..

فكل واحد من هؤلاء.. له مع قريش قصة حزينة..

كان ﷺ يستطيع أن يُنزل بهم أقسى أنواع العقوبة.. فهم أعداء محاربون.. معتدون.. خونة.. نعم خونة.. خانوا صلح الحديبية.. واعتدوا..

كانوا مجرمين.. متحيرين.. لا يدرون ماذا سيفعل بهم..

فإذا به ﷺ يدوس على الأحقاد.. ويحلق بهمته عااااليًا.. ويقول

كلمة يهتف بها التاريخ: «اذهبوا.. فأنتم الطلقاء..».

فينطلقون.. مستبشرين.. تكاد أرجلهم تطير من الفرح..

أحقًّا عفا عنا؟!!

ثم يتلفت ﷺ ينظر حول الكعبة.. فإذا ثلاثمائة وستون صنمًا.. تُعبد من دون الله.. عند بيته المعظم.. !!

فجعل ﷺ يضربها بيده الكريمة.. فتهوى.. وهو يقول:

«جاء الحق.. وزهق الباطل.. جاء الحق.. وما يبدئُ الباطل وما يعيد..»(١).

والذى يتتبع سيرة النبى ﷺ يرى سجلاً حافلاً من صور العفو.

* **عن عائشة** رضي الله عنها **قالت:** ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شىء من محارم الله تعالى، فينتقم لله ـ عز وجل ـ(٢).

* ونحن نعلم أن النبى ﷺ عفا عن وحشىٍّ الذى قتل عمه حمزة بن عبد المطلب فى غزوة أُحد.

* وعفا عن رأس المنافقين عبد الله بن أُبى بن سلول الذى كان يكره النبى ﷺ ويحاربه ويدبر له المؤامرات الحقيرة لإيذائه وكان منها أنه اتهم زوجة النبى ﷺ أم المؤمنين عائشة بأنها فعلت الفاحشة ومع كل هذا عفا عنه النبى ﷺ وصلى عليه بعد موته.

* بل عفا النبى ﷺ عن حاطب بن أبى بلتعة لما أراد أن يُفشى سرَّ فتح مكة للمشركين.. فعفا عنه النبى ﷺ لأنه شَهِد غزوة بدر ولذلك لما قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق. قال: **«إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر**

---

(١) استمتع بحياتك / د. محمد العريفى (ص: ٣٠٠-٣٠١).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٣٢٨) كتاب الفضائل.

فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» [١].

* وعفا النبى ﷺ عن عكرمة بن أبى جهل الذى ظل يحاربه أكثر من عشرين سنة... وكان النبى ﷺ قد أباح دمه فى يوم فتح مكة... ومع ذلك لما طلبت أم حكيم زوجة عكرمة من رسول الله ﷺ أن يعفو عن عكرمة عفا عنه النبى ﷺ وجاء عكرمة وأسلم بين يدى الرسول ﷺ وكان من خيرة الناس بعد ذلك حتى مات شهيدًا فى معركة اليرموك.

* بل عفا النبى ﷺ عن رجل يهودى آذى النبى ﷺ وعمل له سحرًا.. ومع ذلك عفا عنه النبى ﷺ.

* وعفا النبى ﷺ عن المرأة اليهودية التى دعته إلى الطعام بعد غزوة خيبر ووضعت له السم فى الشاة التى أكل منها... ومع ذلك عفا عنها النبى ﷺ.

* وعفا النبى ﷺ عن الرجل الأعرابى الذى بال فى المسجد فلما أراد الصحابة أن يضربوه نهاهم عن ذلك وقال: **«دعوه وهريقوا على بوله سَجلاً من ماء أو ذَنوبًا من ماء فإنما بُعثتم مُيسرين ولم تُبعثوا معسرين»** [٢].

* ولو استطردنا فى الأمثلة لوجدنا الكثير والكثير من عفو النبى ﷺ عن كل من أساء إليه حتى نتعلم منه العفو والصفح فهو أسوتنا وقدوتنا ﷺ.

فأعرض عنهم

إياك أن تنشغل بكلمات الحاسدين والحاقدين فإنك ستخسر وقتك وعمرك، وقبل ذلك ستخسر قلبك .... لا تلتفت إلى هؤلاء فإنهم قُطاع طُرق يريدون أن يؤخروك عن دعوتك وأن يشغلوك عن السير قدر

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٠٧) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٩٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠) كتاب الوضوء.

الاستطاعة. . . . بل اجعل كل ذلك دافعًا لك لأن تنجح أكثر وأكثر.

كان قائد البحرية الأمريكية فى الحرب العالمية الثانية رجلاً لامعًا، يحرص على الشهرة، فتعامل مع مرؤوسيه الذين كالوا له الشتائم والسباب والإهانات، حتى قال: أصبح اليوم عندى من النقد مناعة، لقد عجم عودى، وكبرت سنى، وعلمتُ أن الكلام لا يهدم مجدًا ولا ينسف سُورًا حصينًا.

وكان الرئيس الأمريكى «إبراهام لينكولن» يقول: أنا لا أقرأ رسائل الشتم التى تُوجَّه إلىَّ، لا أفتح مظروفها فضلاً عن الرد عليها، لأننى لو اشتغلت بها لما قدَّمت شيئًا لشعبى. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[1].

* فالشاهد: أننى أريد منك أن تعفو عن كل هؤلاء ولا تنشغل بما يقولون حتى لا تُضيع وقتك فى الرد عليهم والتشفِّى منهم فوقتك أثمن من ذلك . . . فافعل معهم كما فعل النبى ﷺ بأهل مكة الذين آذوه وطردوه وقتلوا أصحابه فلما عاد إليهم فاتحًا منتصرًا قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ولو انشغل النبى ﷺ بما يقولون ويفعلون لما وجد وقتًا لإقامة الدولة الإسلامية . . . . ولما وجد وقتًا لتعليم أصحابه وأمته من بعده.

قابل الإساءة بالإحسان..

عندما تتعامل مع الناس فإنهم يعاملونك فى الغالب على ما يريدون هم. . لا على ما تريد أنت. . فليس كل من قابلته ببشاشة بادلك بشاشة مثلها. . فبعضهم قد يغضب ويسىء الظن ويسألك: مم تضحك؟!

ولا كل من أهديت له هدية. . ردَّ لك مثلها. . فبعضهم قد تهدى إليه

(١) سورة النساء: الآية: (٨١).

ثم يغتابك فى المجالس ويتهمك بالسَّفه وتضييع المال..!!

ولا كل من تفاعلت معه فى كلامه.. أو أثنيت عليه وتلطفت معه فى عباراتك قابلك بمثلها.. فإن الله قسَّم الأخلاق كما قسَّم الأرزاق.. والمنهج الربانى هو: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[1].

وبعض الناس لا حلَّ له ولا إصلاح إلا أن تتعامل معه بما هو عليه.. فتصبر عليه أو تفارقه..

ذُكر أن أشعب سافر مع رجل من التجار.. وكان هذا الرجل يقوم بكل شىء من خدمة وإنزال متاع وسقى دواب.. حتى تعب وضجر.. وفى طريق رجوعهما.. نزلا للغداء.. فأناخا بعيريهما ونزلا.. فأما أشعب فتمدد على الأرض.. وأما صاحبه فوضع الفرش.. وأنزل المتاع.. ثم التفت إلى أشعب وقال: قُم اجمع الحطب وأنا أقطع اللحم..

فقال أشعب: أنا والله مُتْعَب من طول ركوب الدابة.. فقام الرجل وجمع الحطب.. ثم قال: يا أشعب! قم أشعل الحطب..

فقال: يؤذينى الدخان فى صدرى إن اقتربت منه.. فأشعلها الرجل..

ثم قال: يا أشعب! قم ساعدنى لأقطع اللحم..

فقال: أخشى أن تصيب السكين يدى.. فقطع الرجل اللحم وحده..

ثم قال: يا أشعب! قم ضع اللحم فى القدر واطبخ الطعام..

فقال: يتعبنى كثرة النظر إلى الطعام قبل نضوجه..

فتولى الرجل الطبخ والنفخ.. حتى جهز الطعام وقد تعب..

فاضجع على الأرض.. وقال: يا أشعب! قم جهز سفرة الطعام.. وضع الطعام فى الصحن..

---

(١) سورة فصلت: الآية: (٣٤).

فقال أشعب: جسمى ثقيل ولا أنشط لذلك..

فقام الرجل وجهز الطعام ووضعه على السفرة..

ثم قال: يا أشعب! قم شاركنى فى أكل الطعام..

فقال أشعب: قد استحييت والله من كثرة اعتذارى وها أنا أطيعك الآن.. ثم قام وأكل!!

فقد تلاقى من الناس من هو مثل أشعب.. فلا تحزن.. وكن جبلاً..

كان المربى الأول ﷺ يتعامل مع الناس بعقله لا بعاطفته.. كان يتحمل أخطاء الآخرين ويرفق بهم.. وانظر إليه ﷺ وقد جلس فى مجلس مبارك يحيط به أصحابه.. فيأتيه أعرابى يستعينه فى دية قتيل.. أى: هذا الرجل قد قتل - هو أو غيره - رجلاً.. فأقبل يريد من النبى ﷺ أن يعينه بمال يؤديه إلى أولياء المقتول.. فأعطاه رسول الله ﷺ شيئًا.. ثم قال تلطفًا معه: **«أحسنت إليك؟».**

قال الأعرابى: لا.. لا أحسنت ولا أجملت..

فغضب بعض المسلمين وهمُّوا أن يقوموا إليه.. فأشار النبى ﷺ إليهم أن كفُّوا.. ثم قام ﷺ إلى منزله.. ودعا الأعرابى إلى البيت فقال له: **«إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك»**.. فقلت ما قلت..

ثم زاده ﷺ شيئًا من مال وجده فى بيته.. فقال: **«أحسنت إليك؟».**

فقال الأعرابى: نعم فجزاك الله من أهلٍ وعشيرة خيرًا..

فأعجبه ﷺ هذا الرضا منه.. لكنه خشى أن يبقى فى قلوب أصحابه على الرجل شىء.. فيراه أحدهم فى طريق أو سوق.. فلا يزال حاقدًا عليه.. فأراد أن يَسُلَّ ما فى صدورهم..

فقال له ﷺ: «إنك كنت جئتنا فأعطيناك.. فقلت ما قلت.. وفى نفس أصحابى عليك من ذلك شىء.. فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى..

حتى يذهب عن صدورهم..».

فلما جاء الأعرابى.. قال ﷺ: «إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال.. وإنا قد دعوناه فأعطيناه.. فزعم أنه قد رضى»..

ثم التفت إلى الأعرابى وقال: «أكذاك؟».

قال الأعرابى: نعم فجزاك الله من أهلٍ وعشيرة خيراً..

فلما همَّ الأعرابى أن يخرج إلى أهله.. أراد ﷺ أن يعطى أصحابه درسًا فى كسب القلوب.. فقال لهم: «إن مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه.. فاتبعها الناس.. يعنى: يركضون وراءها ليمسكوها.. وهى تهرب منهم فزعًا.. ولم يزيدوها إلا نفوراً..

فقال صاحب الناقة: خلُّوا بينى وبين ناقتى.. فأنا أرفق بها وأعلم بها..

فتوجَّه إليها صاحب الناقة فأخذ لها من قشام الأرض.. ودعاها.. حتى جاءت واستجابت.. وشد عليها رحلها.. واستوى عليها..

ولو أنى أطعتكم حيث قال ما قال.. دخل النار..» يعنى: لو طردتموه.. لعله يرتد عن الدين.. فيدخل النار.. (١).

وما كان الرفق فى شىء إلا زانه.. وما نُزع من شىء إلا شانه.. ﴿وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾(٢).

ذُكر أنه ﷺ لما فتح مكة.. جعل يطوف بالبيت.. فأقبل فضالة بن عمير.. رجل يُظهر الإسلام.. فجعل يطوف خلف النبى ﷺ.. ينتظر منه غفلة.. ليقتله..!!

---

(١) ضعيف: رواه: البزار (٨٧٩٩)، وأبو الشيخ فى «الأمثال»؛ كلاهما من طريق إبراهيم بن الحكم بن ابان، وهو ضعيف، قال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء: بطوله أخرجه البزار وأبو الشيخ من حديث أبى هريرة بسند ضعيف .

(٢) سورة فصلت: الآية: (٣٤).

فلما دنا من النبى ﷺ .. انتبه ﷺ إليه.. فالتفت إليه وقال: «أفضالة؟!».

قال: نعم.. فضالة يا رسول الله..

قال: «ماذا كنت تحدث به نفسك؟».

قال: لا شىء.. كنت أذكر الله.. !!

فضحك النبى ﷺ .. ثم قال: **«استغفر الله»..**

قال فضالة..: ثم وضع رسول الله ﷺ يده على صدرى..

فسكن قلبى.. فوالله ما رفع رسول الله ﷺ يده عن صدرى.. حتى ما خلق الله شيئًا أحب إلىَّ منه..[(١)].

حكاية صياد السمك

يُروى أن صيادًا يصطاد السمك، ويُطعم منه أطفاله وزوجته، خرج يومًا للصيد، فوقع فى شبكته سمكة كبيرة ففرح بها، ثم أخذها ومضى إلى السوق ليبيعها، ويصرف ثمنها فى مصالح عياله.

فلقيه بعض الظلمة من أعوان السلطان، فرأى السمكة معه، فأراد أخذها منه، فمنعه الصياد، فرفع الظالم خشبة كانت بيده، فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة، وأخذ السمكة منه غصبًا بلا ثمن.

فدعا الصياد عليه فقال: إلهى! جعلتنى ضعيفًا، وجعلته قويًّا عنيفًا، فخذ لى بحقى منه عاجلاً، فقد ظلمنى ولا صبر لى إلى الآخرة.

ثم إن ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة إلى منزله، وسلَّمها إلى زوجته، وأمرها أن تشويها، فلما أخذتها أفلتت السمكة من يديها، وفتحت فمها وضربته فى أصبع يده ضربة طار بها عقله. فقام وشكا إلى الطبيب ألمًا فى يده، فلما رآها قال له: إن دواءها أن تُقطع الإصبع، لئلا يسرى الألم

(١) استمتع بحياتك (ص: ١٥٠-١٥٣).

إلى بقية الكفّ.

فقطع إصبعه، فانتقل الألم والوجع إلى الكف واليد، وازداد تألمًا، وارتعدت من الخوف فرائصه، فقال له الطبيب: ينبغى أن تُقطع اليد إلى المعصم لئلا يسرى الألم إلى الساعد فقطعها، فانتقل الألم إلى الساعد.

فمازال هكذا كلما قطع عضوًا انتقل الألم إلى العضو الذى يليه.

حتى خرج هائمًا على وجهه، مستغيثًا إلى ربه ليكشف عنه ما نزل به.

فرأى شجرة فقصدها، فأخذه النوم عندها فنام، فرأى فى منامه قائلاً يقول: يا مسكين! إلى كم تُقطع أعضاؤك؟ امضِ إلى خصمك الذى ظلمته فاطلب منه أن يسامحك، فانتبه من النوم، وفكَّر فى أمره، فعلم أن الذى أصابه من جهة الصياد، فدخل المدينة، وسأل عن الصياد، وأتى إليه، ووقع بين يديه يتمرّغ على رجليه، وطلب منه أن يسامحه ودفع إليه شيئًا من ماله، وتاب من فعله، فرضى عنه الصياد وعفا عنه، فسكن فى الحال ألمه، وانتهت فى التو محنته.

هيا نفتح صفحة العفو من جديد

هيا لنبدأ مرة أخرى ونفتح صفحة العفو من جديد فنعفو عن كل من ظلمنا أو أساء إلينا لنفوز بعفو الله ورحمته ومغفرته... فإنه من عفا عن الناس عفا الله عنه... ومن غفر للناس غفر الله له... ومن رحم الناس رحمه الله فى الدنيا والآخرة.

* **ولذلك كان دعاء ليلة القدر: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنى»**[1] لأن العفو أعظم وأبلغ من المغفرة فإن الله إذا غفر لعبد ولم يعفُ عنه فإنه يحاسبه يوم القيامة على ذنوبه ولكن لا يعذبه عليها أما إن عفا الله عن العبد

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٨٥٠) كتاب الدعاء، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٢٣).

فإنه يمحو ذنوبه من الصحيفة فلا يحاسبه ولا يعاقبه.

فمن أراد أن يفوز بعفو الله فعليه أن يعفو عن كل من ظلمه أو أساء إليه.

من فوائد العفو والغفران

(١) العفو والغفران من مظاهر حسن الخلق.

(٢) كلاهما دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(٣) كلاهما دليل على سعة الصدر وحسن الظن.

(٤) كلاهما يثمر محبة الله ـ عز وجل ـ ثم محبة الناس.

(٥) العفو أمان من الفتن وعاصم من الزلل.

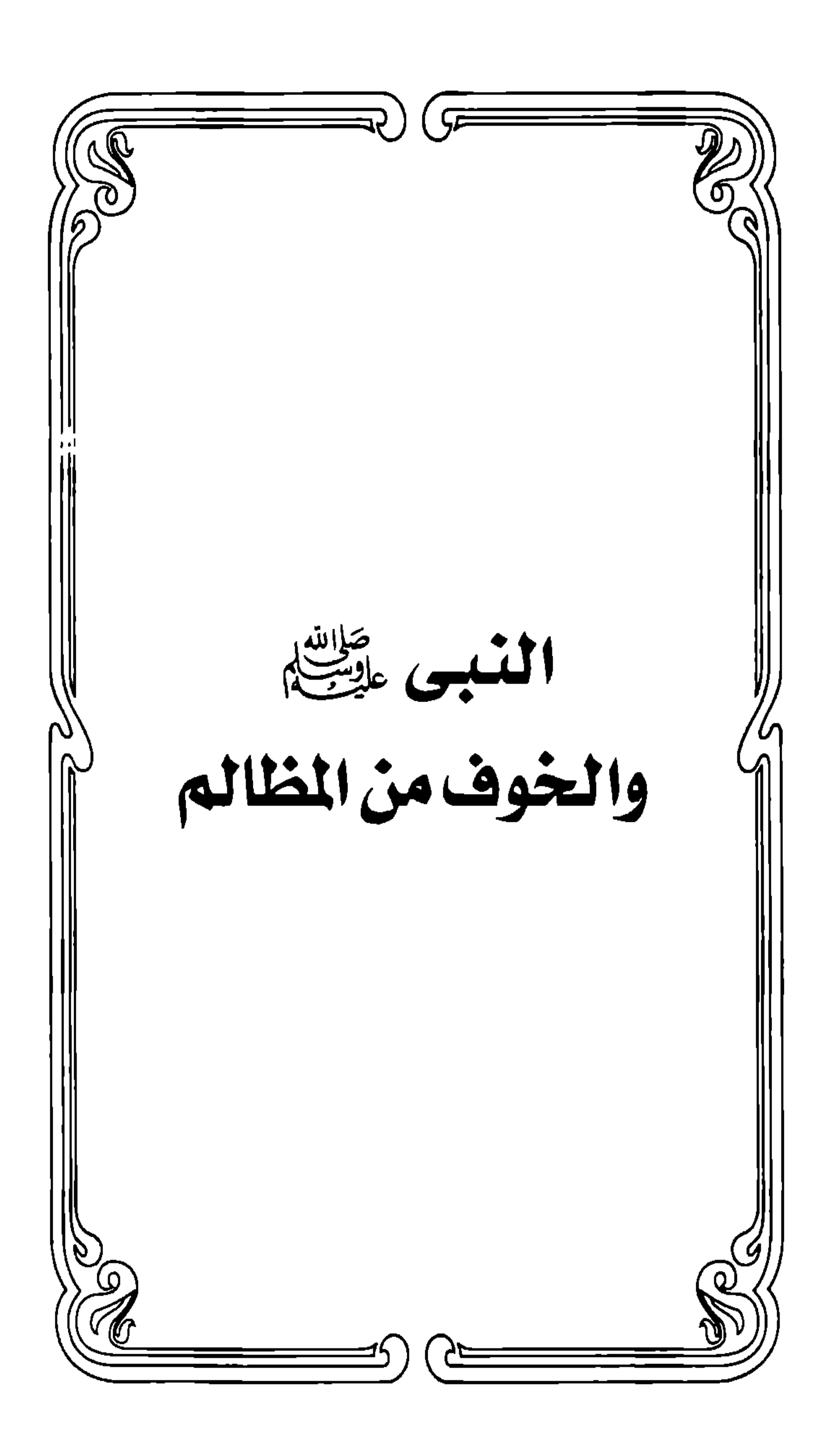
(٦) الغفران دليل على كمال النفس وشرفها.

(٧) كل من العفو والغفران يهيئ المجتمع والنشء الصالح لحياة أفضل.

(٨) كلاهما طريق نور وهداية لغير المسلمين[١].

* * *

(١) نضرة النعيم (٧/ ٢٩١٠).



النبى ﷺ
والخوف من المظالم

النبى ﷺ والخوف من المظالم

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.

* فلما دخلنا وجدنا النبى ﷺ جالسًا مع بعض أصحابه يحذرهم من الوقوع فى أى مظلمة من مظالم العباد حتى لا تضيع حسناتهم بسبب تلك المظالم فقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس دونها حجاب»[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش فى هذه الليلة المباركة بقلوبنا وأرواحنا مع أمر المظالم حتى نحذر من الوقوع فى أى مظلمة من مظالم العباد.

زمن المظالم

إننا نعيش فى زمن لو أردنا أن نُطلق عليه اسمًا لم نجد له إلا اسمًا واحدًا: (زمن المظالم)... كثرت فيه المظالم بشكل عجيب لا يخطر على قلب بشر... وكل هذا من أجل الدرهم والدينار والمنصب والجاه والدنيا التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

* إن الظلم مرتعه وخيم... وعاقبته مؤلمة... ونهايته مدمرة.

---

(١) حسن: رواه أحمد (٣/ ١٥٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٦٧).

*وحسبك أن الملك الجبار - جل وعلا - هو الذى تكفل بنصرة المظلوم فهل تستطيع أن تكون خصمًا لفاطر السماوات والأرض - جل جلاله -؟!

قال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحملُ على الغمام، يقول الله: وعزَّتى وجلالى لأنصرنكِ ولو بعد حين»[1]. ...

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تصعد إلى السّماء كأنها شرارة»[2].

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافرًا، فإنهُ ليس دونها حجابٌ»[3].

*وهناك أمثلة محفورة فى العقول لا ننساها أبدًا من صور الظلم وعاقبة الظالمين.

*فهذا أبو جهل الذى كان من أعدى أعداء النبى ﷺ ولطالما دبر المؤامرات تلو المؤامرات لقتل النبى ﷺ ... انظر معى وتأمل كيف كانت عاقبته.

عن عبد الرحمن بن عوف قال: إنى لفى الصف يوم بدر، إذ التفتُّ فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن، فكأنى لم آمن لمكانهما إذ قال لى أحدهما سرًّا من صاحبه: يا عم، أرنى أبا جهل، فقلت: يا ابن أخى، ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله، أو أموت دونه وقال لى الآخر سرًّا من صاحبه مثله. قال: فما سرنى أننى بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين، حتى ضرباه وهما ابنا عفراء.

وفى الصحيحين أيضًا: من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (٤/ ٨٤)، من حديث خزيمة بن ثابت رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٧).

(٢) صحيح: رواه الحاكم، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٨).

(٣) حسن: رواه أحمد (١٢١٤٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٦٧).

«من ينظر ماذا صنع أبو جهل؟». قال ابن مسعود: أنا يا رسول الله. فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء، حتى برد. قال: فأخذ بلحيته، قال: فقلت: أنت أبو جهل[1]؟ فقال: وهل فوق رجل قتلتموه، أو قال: قتله قومه.

* وهذا أبو لهب - عم النبى ﷺ - الذى كان من أشد الناس إيذاءً للنبى ﷺ.

* لقد كان أبو لهب كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغض له، والازدراء به. والتنقص له ولدينه.

وانظر إلى نموذج من نماذج كيد أبى لهب لدعوة الرسول ﷺ، التى عاداها من اليوم الأول للدعوة.

روى الإمام أحمد، عن ربيعة بن عبّاد من بنى الديل - وكان جاهليًّا فأسلم - قال: رأيت النبى ﷺ فى الجاهلية، فى سوق ذى المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا». والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب. يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب[2].

- فتأمل معى كيف كان جزاء أبى لهب - عليه من الله ما يستحق.

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: رماه الله بالعدسة فقتلته. فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثًا، ما دفناه حتى أنتن، وكانت قريش تتقى هذه العدسة، كما تتقى الطاعون، حتى قال لهما رجل من قريش: ويحكما، ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته لا تدفنانه؟ فقالا: إنا نخشى عدوة هذه القرحة. فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه، فوالله ما غسلوه إلا قذفًا بالماء عليه من

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (٧/ ٣٤٢): والتقدير: أنت المقتول يا أبا جهل؟ وخاطبه بذلك مقرِّعًا له ومتشفيًا منه؛ لأنه كان يؤذيه بمكة أشد الأذى.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١٥٥٩٣) ومواضع، من حديث ربيعة بن عباد رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح السيرة النبوية ص (١٤٣).

بعيد، ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدارٍ، ثم رخموا عليه بالحجارة.

*وهذا عقبة بن أبى معيط، هذا الشقى الذى آذى رسول الله ﷺ، وانفرد بما لم يفعله أحد، ووضع رجله على عنق أطهر الخلق رسول الله ﷺ، فقُطعت عنقه جزاء وفاقًا.

وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبى قال: لما أمر النبى ﷺ بقتل عقبة قال: أتقتلنى يا محمد، من بين قريش؟ قال: «**نعم، أتدرون ما صنع هذا بى، جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقى وغمزها، فما رفعها حتى ظننت أن عينَى ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة، فألقاه على رأسى وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسى**».

وذهب عقبة إلى مزبلة التاريخ، وأُطيح بعنقه جزاء كفره وعناده وحسده للإسلام ورسوله ﷺ.

*وهذا عامر بن الطفيل يكيد للرسول ﷺ، ويحاول اغتياله، فيدعو عليه ﷺ، فيبتليه الله بغدةٍ فى نحره، فيموت لساعته، وهو يصرخ من الألم.

*وأربد بن قيس يؤذى رسول الله ﷺ، ويسعى فى تدبير قتله، فيدعو عليه، فيُنزل الله عليه صاعقةً تحرقه هو وبعيره.

*واختفى سفيان الثورى خوفًا من أبى جعفر المنصور، وخرج أبو جعفر يريد الحرم المكىَّ وسفيان داخل الحرم، فقام سفيان وأخذ بأستار الكعبة، ودعا الله عز وجل أن لا يُدخِل أبا جعفر بيته، فمات أبو جعفر عند بئر ميمون قبل دخوله مكة.

*وقبل أن يَقتُل الحجاجُ سعيدَ بن جبير بوقتٍ قصير، دعا عليه سعيدٌ وقال: اللهم لا تسلطه على أحد بعدى. فأصاب الحجاجَ خُراجٌ فى يده، ثم

انتشر فى جسمه، فأخذ يخور كما يخور الثور، ثم مات فى حالةٍ مؤسفة.

* وأحمد بن أبى دؤاد القاضى المعتزلى يُشارك فى إيذاء الإمامَ أحمدَ بن حنبل فيدعو عليهم فيُصيبه الله بمرض الفالج فكان يقول: أمَّا نصف جسمى، فلو وقع عليه الذباب، لظننت أن القيامة قامت، وأمَّا النصف الآخر، فلو قُرض بالمقاريض ما أحسستُ.

* ويدعو أحمد بن حنبل أيضًا على ابن الزَّيَّات الوزير، فيسلط الله عليه من أخذه، وجعله فى فرن من نار، وضرب المساميرَ فى رأسه.

الظلم إيذان بهلاك الأمم

إن الظلم إيذانٌ بهلاك الأمم.. فما من أمة ظهر فيها الظلم إلا كان ذلك سبب هلاكها.

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [(١)].

وقال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾[(٢)].

* قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى-: «إن الناس لم يتنازعوا فى أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يُروى: أن الله ينصر الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة، ولو كانت مؤمنة»[(٣)].

* ومن أجل ذلك حرم الله (جل وعلا) الظلم على نفسه وجعله بيننا مُحرمًا فقال تعالى كما فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم: «يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا»[(٤)].

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٥٩).

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (١٤).

(٣) الحسبة (ص: ١٧٠).

(٤) رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

* وحذَّر النبى ﷺ أمته من الظلم فقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمام، يقول الله: وعزتى وجلالى لأنصرنَّك ولو بعد حين»(١).

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»(٢).

فهى سريعة الوصول.

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب»(٣).

وقال ﷺ: «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه»(٤).

* ولما أرسل النبى ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن أوصاه ببعض الوصايا الغالية وكان من بينها: «... واتقِ دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(٥).

* وفى «الصحيحين» أن النبى ﷺ قال: «إن الله ليُملى للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته». ثم قرأ «﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(٦)» (٧).

* وفى «الصحيحين» أن النبى ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه...»(٨).

* وفى «الصحيحين» أن النبى ﷺ قال: «من ظلم قيد شبرٍ من الأرض

---

(١) حسن: رواه أحمد (٧٩٨٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٨٧٠).

(٢) صحيح: رواه الحاكم عن ابن عمر، كما نص على ذلك العجلونى فى كشف الخفاء (١/٣٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٢٨).

(٣) حسن: رواه أحمد (١٢١٤٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٦٧).

(٤) حسن: رواه أحمد (٨٥٧٧)، والطيالسى فى مسنده (١/٣٠٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٨٢).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٤٨) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٩) كتاب الإيمان.

(٦) سورة هود: الآية: (١٠٢).

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٨٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٥٨٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٨) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب.

طُوِّق من سبع أرضين»(١).

* وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «لا تُقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفلٌ من دمها لأنه كان أول مَن سَنَّ القتل»(٢).

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا *فالظلم ترجع عُقباه إلى الندمِ*

تنام عيناك والمظلوم منتبهٌ *يدعو عليك وعين الله لم تنمِ*

فيا خسارة من نام وأعين الناس ساهرة تدعو عليه، ويا فوز من نام وأعين الناس ساهرة تدعو له... قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(٣).

* **قال إبراهيم التيمى:** إن الرجل ليظلمنى فأرحمه.

وسُرِقت دنانير لرجل صالح من خُراسان، فجعل يبكى، فقال له الفضيل: لِمَ تبكى؟ قال: ذكرت أن الله سوف يجمعُنى بهذا السارق يوم القيامة، فبكيت رحمة له.

أنواع الظلم

قال بعض الحكماء: الظلم ثلاثة:

الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٤) وإياه قصد بقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(٥).

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢٤٥٣) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٦١٢) كتاب المساقاة.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٣٣٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٧٧) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات.

(٣) سورة هود: الآية: (١٨).

(٤) سورة لقمان: الآية: (١٣).

(٥) سورة هود: الآية: (١٨).

والثاني: ظلم بينه وبين الناس، وإياه قصد بقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(١) وبقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾(٢).

والثالث: ظلم بينه وبين نفسه، وإياه قصد بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾(٣) وقوله: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾(٤).

وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فإن الإنسان في أول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه(٥).

الجهل والظلم.. أصل كل شر

* قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: «الإنسان خُلق في الأصل ظلومًا جهولاً، ولا ينفك عن الجهل والظلم إلا بأن يعلمه الله ما ينفعه، ويلهمه رشده، فمن أراد به خيرًا علمه ما ينفعه، فخرج به عن الجهل، ونفعه بما علمه فخرج به عن الظلم ومن لم يرد به خيرًا أبقاه على أصل الخلقة. فأصل كل خيرٍ هو العلم والعدل، وأصل كل شر هو الجهل والظلم». وقد جعل الله سبحانه للعدل المأمور به حدًّا، فمن تجاوزه كان ظالمًا معتديًا، وله من الذم والعقوبة بحسب ظلمه وعدوانه»(٦).

* * *

---

(١) سورة الشورى: الآية: (٤٠).

(٢) سورة الشورى: الآية: (٤٢).

(٣) سورة فاطر: الآية: (٣٢).

(٤) سورة القصص: الآية: (١٦).

(٥) المفردات (ص: ٣١٥-٣١٦).

(٦) إغاثة اللهفان (٢/ ١٣٦-١٣٧) بتصرف.

خوف النبى ﷺ من المظالم

إن الخوف من المظالم ملأ قلوب الأنبياء والصالحين رُعبًا وخوفًا من قصاص يوم القيامة.

* فها هو النبى ﷺ يطلب من أحد أصحابه أن يقتص منه خوفًا من أن يلقى الله (عز وجل) يوم القيامة بأى مظلمة.

* عن محمد بن على بن الحسين أبى جعفر الباقر: «أن النبى ﷺ كان يتخطى بعرجون فأصاب به سواد بن غُزية الأنصارى فقال: «يا رسول الله أوجعتنى، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنى [1]»، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: «استقد» قال: فاعتنقه فقبَّل بطنه، فقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟».

قال يا رسول الله: «حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك... فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال له خيرًا» [2].

* ولذا كان النبى ﷺ يقول: «اللهم إنى أتخذ عندك عهدًا لن تُخلفنيه؛ فإنما أنا بَشَرٌ، فأيما مؤمن آذيته، أو شتمته، أو جلدته، أو لعنته، فاجعلها له صلاةً وزكاة وقربة بها إليك يوم القيامة» [3].

* * *

---

(١) أقدنى: خذ لى الحق من نفسك.

(٢) الإصابة فى تمييز الصحابة (٢/ ٩٥)، وسنده حسن إلا أنه مرسل، وبسنده ما جاء عن عبد الله بن جبير الخزاعى فى مجمع الزوائد (٦/ ٢٨٩)، وقال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله ثقات على ما فى عبد الله بن جبير من ضعف كما جاء فى التهذيب (٥/ ١٦٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٦١) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٠١) كتاب البر والصلة والآداب.

خوف الصحابة والتابعين من المظالم

ولقد ورث أصحاب النبى ﷺ ومَن بعدهم هذا الخوف من المظالم.

* فتعالوا بنا لنرى بعض الصور المشرقة التى توضح مدى خوفهم من الوقوع فى المظالم.

وأنا والله ما نسيتها بعد!!!!

عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: مر عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وأنا فى السوق وهو مارٌّ فى حاجة له، ومعه الدِّرة قال: هكذا أمط عن الطريق يا سلمة، قال: ثم خفقنى بها خفقة، فما أصاب إلى طرف ثوبى، فأمطت عن الطريق، فسكت عنى حتى كان فى العام المقبل فلقينى فى السوق فقال: يا سلمة أردت الحج العام؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأخذ بيدى، فما فارقت يدى يده حتى دخل بى بيته، فأخرج كيسًا فيه ستمائة درهم فقال: يا سلمة استعن بهذه، واعلم أنها من الخفقة التى خفقتك عام أول، قلت: والله يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتى ذكرتنيها! قال: وأنا والله ما نسيتها بعد.

يا عمر.. عدلت فأمنت فنمت!!!

أرسل قيصر روما رسولاً إلى عمر بن الخطاب لينظر أحواله ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال: أين ملككم؟ فقالوا: ما لنا ملك، بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة، فخرج الرسول فى طلبه، فرآه نائمًا فى الشمس على الأرض فوق الرمل الحار وقد وضع جبته كالوسادة والعرق يسقط من جبينه وقد بلَّ الأرض، فلما رآه على هذه الحال وقع الخشوع فى قلبه

وقال: رجل لا يقر للملوك قرار من هيبته وتكون هذه حاله! ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت، وملكنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهرًا خائفًا، أشهد أن دينك الدين الحق ولولا أننى أتيت رسولاً لأسلمت، ولكنى أعود وأسلم».

رحلة العدل مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

* إنه عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى الراشد الذى يقول فيه مالك ابن دينار: يقولون: مالك زاهد!.. أى زهد عندى؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، أتته الدنيا فاغرة فاها، فتركها جملة!

أجل، فلم يكن فى خلافته سوى قميص واحد يلبسه، فكان إذا غسلوه جلس فى المنزل حتى ييبس، وهو الذى نشأ وشب فى أحضان النعيم.

ودخل على امرأته يومًا فسألها أن تُقرضه درهمًا يشترى به عنبًا، فلم يجد عندها شيئًا.. فقالت له: أنت أمير المؤمنين وليس فى خزائنك ما تشترى به عنبًا؟! فقال: هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غدًا فى نار جهنم.

وقد اجتهد فى مدة ولايته ـ مع قصرها ـ حتى رد المظالم، وصرف إلى كل ذى حقٍّ حقه، وكان مناديه ينادى فى كل يوم: أين الغارمون؟ أين الراغبون فى الزواج؟ أين اليتامى؟ أين المساكين؟ حتى أغنى كلاًّ من هؤلاء.

ومع عدله وزُهده، وردِّه للمظالم، وشدته على نفسه وأقاربه كان يناجى ربه فيقول: اللهم إن عمر ليس أهلاً أن تناله رحمتك، ولكن رحمتك أهلٌ أن تنال عمر..

وأثنى عليه رجل فقال له: جزاك الله عن الإسلام خيرًا يا أمير المؤمنين. فقال: بل جزى الله الإسلام عنى خيرًا.

* * *

حصّن مدينتك بالعدل ونقّ طرقها من الظلم

* كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه: «أما بعد، فإن مدينتنا قد خربت، فإن يرَ أمير المؤمنين أن يقطع لنا ما نرمّها به فعل».

فكتب إليه عمر: «أما بعد، فقد فهمت كتابك، وما نكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابى هذا فحصّنها بالعدل، ونقّ طرقها من الظلم فإنه مرمتها، والسلام»[(١)].

* وكتب إليه واليه على خراسان يستأذنه فى أن يرخّص له باستخدام بعض القوة والعنف مع أهلها قائلاً فى رسالته له: «إنهم لا يُصلحهم إلا السيف والسوط» فكان رده التقى الحازم: «كذبت.. بل يصلحهم العدل والحق، فابسط ذلك فيهم، واعلم أن الله لا يُصلح عمل المفسدين».

* قال سفيان الثورى: «أئمة العدل خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز»، وقال: «لا أوافق رأى أحد أحب إلىّ من عمر بن عبد العزيز؛ لأنه كان إمام هدى»[(٢)].

ذهبت لذات الظالمين بما ظلموا

* للظالمين يقول الإمام ابن الجوزى - رحمه الله-:

أما سمعتم منادى ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾[(٣)] ؟!

أما ينذركم إعلام ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾[(٤)] ؟!

أما يفصم عُرى عزائمكم ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾[(٥)] ؟!

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ١٩٢).

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى (ص: ٧٤).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٥٩).

(٤) سورة هود: الآية: (١٠٢).

(٥) سورة الأنبياء: الآية: (١١).

أما يقصر من قصوركم ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾[1] ؟!

أما سمعتم هاتف العبر ينادى: ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾[2] ؟!

يا هذا، ظلمك لنفسك غاية فى القبح، ألا إنّ ظلمك لغيرك أقبح، ويحك إن لم تنفع أخاك فلا تؤذه، وإن لم تعطه فلا تأخذ منه، لا تشابهنّ الحية، فإنها تأتى إلى الموضع الذى قد حفره غيرها فتسكنه، ولا تتمثلنّ بالعقاب... فى الحيوانات أخيار وأشرار كبنى آدم، فالتقط خير الخلال وخَلِّ خسيسها[3].

ذهبت لذات الظالمين بما ظلموا وبقى العار، وداروا إلى دار العقاب وملك الغيرُ الدار، وخلوا بالعذاب فى بطون تلك الأحجار، فلا مغيث ولا أنيس، ولا رفيق ولا جار.

أما علموا أن الله جار المظلوم ممن جار، فإذا قاموا يوم القيامة زاد البلاء على المقدار ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[4] لا يغرنك صفاء عيشهم كل الأخير أكدار ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[5].

* قال الشاعر:

إذا جار الأمير وكاتباه
وقاضى الأرض داهن فى القضاء
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ
لقاضى الأرض من قاضى السماء

---

(١) سورة الحج: الآية: (٤٥).

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٤٠).

(٣) المدهش لابن الجوزى (ص: ٥٥٠ ـ ٥٥١).

(٤) سورة إبراهيم: الآية: (٥٠).

(٥) سورة إبراهيم: الآية: (٤٢).

وقال أبو العتاهية:

أمـــــا والله إن الـظـلــم لـؤم
ومـــا زال المسيء هـــو الـظـلـوم
إلـى ديان يـوم الـديـن نمـضـي
وعـنـد الله نجـتـمـع الخـصـوم
سـتـعلم فى الحـســاب إذا التـقـينا
غــداً عـنـد الإلـه مَـن المـلـوم[1]

الدواوين عند الله ثلاثة

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:

«والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشرك به، فإن الله لا يغفر أن يشرك به. وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئًا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا، فإن الله تعالى يستوفيه كله. وديوان لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه ـ عز وجل ـ فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محواً، فإنه يُمحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك. بخلاف ديوان الشرك، فإنه لا يُمحى إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يُمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها. ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله ـ عز وجل ـ حرم الجنة على أهله، فلا تدخل الجنة نفس مشركة»[2].

* * *

(١) الآداب الشرعية (١١/ ١٨١).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص:٣٣).

إذا أوذيت فتذكر تلك المشاهد

* إذا أوذيت فلا تحزن . . . وتذكَّر مشاهد التـوحيد عند استقبال الأذى من الناس:

أول مشـهـد العفو: وهو مشهد سلامـة القلب، وصفائه ونقائه لمن آذاك، وحبُّ الخيـر وهي درجة زائدة. وإيصال الخيـر والنفع له، وهي درجة أعلى وأعظم، فهي تبدأ بكظم الغيظ وهو: أن لا تُؤذى من آذاك، ثم العفو، وهو أن تسامحـه، وأن تغفر له زلَّته، والإحسـان، وهو: أن تبادله مكان الإساءة منـه إحسـانًا منك، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[٢]، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾[٣].

وفي الأثر: «إن الله أمرني أن أصل من قطعني، وأن أعفوَ عمن ظلمني، وأن أعطي من حرمني».

ومشهد القضاء: وهي أن تعلم أنه ما آذاك إلا بقضاء من الله وقدر، فإن العبد سبب من الأسباب، وأن المقدر والقاضي هو الله، فتسلِّم وتُذعن لمولاك.

ومشـهـد الكفـارة: وهي أن هذا الأذى كـفـارة من ذنوبك وحطٌّ من سيئاتك، ومحـوٌ لزلاتك، ورفعـة لدرجاتك ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾[٤].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٣٤).

(٢) سورة الشورى: الآية: (٤٠).

(٣) سورة النور: الآية: (٢٢).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٩٥).

من الحكمة التى يؤتاها كثير من المؤمنين، نزع فتيل العداوة، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [١]، «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» [٢].

أى: أن تلقى من آذاك ببشر وبكلمة لينة، وبوجه طليق، لتنزع منه أتون العداوة، وتطفئ نار الخصومة، ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [٣].

كن ربِّقَ البِشْـرِ إنَّ الحُرَّ شيمتُهُ
صحيفةٌ وعليها البِشْرُ عنوانُ

• ومن مشاهد التوحيد فى أذى من يؤذيك:

مشهد معرفة تقصير النفس: وهو أن هذا لم يُسلَّط عليك إلا بذنوب منك أنت، ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [٤]، ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [٥].

وهناك مشهد عظيم، وهو مشهدٌ تحمدُ الله عليه وتشكره، وهو: أن جعلك مظلومًا لا ظالمًا.

وبعض السلف كان يقول: اللهم اجعلنى مظلومًا لا ظالمًا. وهذا كابنَى آدم، إذ قال خيرُهما: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [٦].

وهناك مشهد لطيف آخر، وهو: مشهد الرحمة وهو: أن ترحم من

---

(١) سورة فصلت: الآية: (٣٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٠) كتاب الإيمان، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٥٣).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٦٥).

(٥) سورة الشورى: الآية: (٣٠).

(٦) سورة المائدة: الآية: (٢٨).

آذاك، فإنه يستحق الرحمة، فإن إصراره على الأذى، وجرأته على مجاهرة الله بأذية مسلم: يستحق أن ترقَّ له، وأن ترحمه، وأن تنقذه من هذا، «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»(١).

ولما آذى مسطح أبا بكر فى عرضه وفى ابنته عائشة، حلف أبو بكر لا ينفق على مسطح، وكان فقيراً ينفق عليه أبو بكر، فأنزل الله: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾(٢) قال أبو بكر: بلى أحب أن يغفر الله لى. فأعاد له النفقة وعفا عنه.

وقال عُيينة بن حُصن لعمر: هيه يا عمر؟ والله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل. فهمَّ به عمر، فقال الحرُّ بن قيس: يا أمير المؤمنين، إن الله يقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(٣)، قال: فوالله ما جاوزها عمر، وكان وقَّافًا عند كتاب الله(٤).

وقال يوسف لإخوته: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(٥).

وأعلنها ﷺ فى الملإ فيمن آذاه وطرده وحاربه من كفار قريش، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». قالها يوم الفتح، وفى الحديث: «ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»(٦).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٣) كتاب المظالم والغصب، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) سورة النور: الآية: (٢٢).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٩٩).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٤٦٤٢) كتاب تفسير القرآن، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) سورة يوسف: الآية: (٩٢).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦١١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٩) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

قال ابن المبارك:

إذا صاحبت قومًا أهلَ وُدٍّ
فكن لهمُ كذى الرَّحِمِ الشفيقِ
ولا تأخذْ بزلَّة كلِّ قومٍ
فتبقى فى الزمان بلا رفيقِ

قال بعضهم: موجود فى الإنجيل: اغفر لمن أخطأ عليك مرةً سبعَ مرات. ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[1].

أى: من أخطأ عليك مرة، فكرِّرْ عليه العفو سبع مرات؛ ليَسلم لك دينك وعرضك، ويرتاح قلبك، فإن القصاص من أعصابك ومن دمك، ومن نومك ومن راحتك ومن عِرضك، وليس من الآخرين.

قال الهنود فى مَثَل لهم: «الذى يقهر نفسه، أشجع من الذى يفتح مدينة». ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾[2][3].

لا تحزن أيها المظلوم فالله ناصرك

لا تحزن أيها المظلوم ولا تيأس فالله -جل وعلا- معك وسينصرك .. فإن لم تأخذ حقك فى الدنيا؛ فسوف يضاعف لك الأجر فى الآخرة وستأخذ من حسنات من ظلمك حتى ترضى.

* وحسبُك أنك تنتظر يومًا يجمع الله فيه الأولين والآخرين ... والحكَم العدل هو الله -جل وعلا- ... والشهود الملائكة.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[4].

---

(١) سورة الشورى: الآية: (٤٠).

(٢) سورة يوسف: الآية: (٥٣).

(٣) لا تحزن (ص: ٢٣٥- ٢٣٨).

(٤) سورة الأنبياء: الآية: (٤٧).

وقال تعالى تسلية للمظلومين: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾(١) .

قال أبو الدرداء: إياك ودمعة اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنها تسرى بالليل والناس نيام.

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما تدرى بما صنع الدعاء

سهام الليل نافذة ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء

فيمسكها إذا ما شاء ربى ... ويرسلها إذا نفذ القضاء

وبالمثال يتضح المقال

وكما يقال: وبالمثال يتضح المقال... فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع هاتين القصتين لنرى كيف يستجيب الحق - جل وعلا- لدعوة المظلوم.

* ففى الحديث الذى رواه مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه رضي الله عنه أن أروى بنت أويسٍ ادَّعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئًا من أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم. فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذى سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طُوِّقه إلى سبع أرضين». فقال له مروان: لا أسألك بيِّنة بعد هذا. فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها فى أرضها. فما ماتت حتى

---

(١) سورة إبراهيم: الآيتان: (٤٢ ، ٤٣).

ذهب بصرها. ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت.

* **وفي الحديث الذي رواه البخاري عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال:** «شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر رضي الله عنه فعزله واستعمل عليهم عمارًا فشكوا حتى ذكروا أنه لا يُحسن يُصلي فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أصلي العشاء فأركد في الأوليين وأخفُّ في الأُخريين قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلاً - أو رجالاً - إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجدًا إلا سأل عنه ويثنون معروفًا حتى دخل مسجدًا لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له أسامة ابن قتادة يُكنَّى أبا سعدة قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياء وسمعة فأطِل عمره وأطل فقره وعَرِّضهُ للفتن، وكان بعد إذا سُئل يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيته بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبَرِ، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن[1].

* **مرَّ رجل برجل قد صلبه الحجاج فقال:** يا رب إن حِلْمك على الظالمين قد أضرَّ بالمظلومين!!

فنام تلك الليلة فرأى في منامه أن القيامة قد قامت، وكأنه قد دخل الجنة، فرأى ذلك المصلوب في أعلى عليين، وإذا منادٍ ينادي: حلمي على الظالمين، أحلَّ المظلومين في أعلى عليين.

* **وها هو أحمد بن أبي دؤاد الإيادي:** المعتزلي قاضي المعتصم، الذي جر البلاد إلى محنة خلق القرآن، وبسببه أُهين علماء الأمة وعُذبوا وسُجنوا وقُتلوا.

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٧٥٥) كتاب الأذان.

بسبب ابن أبى دؤاد هذا قُتل أحمد بن نصر الخزاعى، وسُجن الإمام أحمد وعُذّب بالسياط، ودعا عليه الإمام أحمد، فحبسه الله فى جسده كما حُبس الإمام، ودخل عليه وعاده عبد العزيز الكنانى، وقال له: لم آتك عائدًا، بل لأحمد الله أن سجنك فى جلدك[١].

قال ابن كثير: ابتلاه الله بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى بقى طريحًا فى فراشه، لا يستطيع أن يحرك شيئًا من جسده، وحُرم لذة الطعام والشراب والنكاح، وغير ذلك، جعل نصف جسده لو سقط عليه ذباب فكأنما نهشته السباع، والنصف الآخر لو نهشته السباع لم يحس به[٢].

وقد دخل عليه بعضهم فقال: والله ما جئتك عائدًا، وإنما جئتك لأعزيك فى نفسك، وأحمد الله الذى سجنك فى جسدك الذى هو أشد عليك عقوبة من كل سجن، ثم خرج عنه داعيًا عليه بأن يزيده الله ولا ينقصه مما هو فيه، فازداد مرضًا إلى مرضه، وقد صودر فى العام الماضى سنة ٢٣٨ بأموال جزيلة جدًا، ولو كان يحمل العقوبة لوضعها عليه المتوكل، وكذا ابنه أبو الوليد محمد، صودر بألف ألف دينار ومائتى دينار ومات قبل أبيه بشهر[٣].

انظر كيف أذله الله وحبسه فى جسده، وأهين قبل موته، والجزاء من جنس العمل.

قال الإمام أحمد: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز حين تمر، فلما مات إمام أهل السنة كانت جنازته أكبر جنازة فى التاريخ.

قال عبد الوهاب الوراق: ما بلغنا أنه كان للمسلمين جمع أكثر منهم على جنازة أحمد بن حنبل إلا جنازة كانت فى بنى إسرائيل[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٠، ١٧١).

(٢) البداية والنهاية (١٠/ ٣٣٥، ٣٣٦).

(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٣٦).

(٤) مناقب الإمام احمد (ص٥٠٤).

ولما أنزلت رأس أحمد بن نصر من على الصلب كان يومًا مشهودًا وصدق الله قول أحمد، فأحمد ابن أبى دؤاد وهو قاضى قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته، ولم يلتفت إليه، ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان (١).

* وها هو الإمام البخارى (رحمه الله) يتعرض لفتنة كبيرة كما كان يتعرض أمثاله لتلك الفتنة زيادة فى الإيمان ومضاعفة فى الأجر، ورفعة فى الدرجة، وتأهيلاً للنفس حتى تصبر على ما هو أعظم من ذلك.

وهذه الفتنة هى أن أمير خُراسان (خلف بن أحمد بن خالد) حقد على الإمام البخارى أعظم حقد وتأججت فى فؤاده نار الغضب ليفتك به إلا أنه يعلم مكانة الشيخ عند الناس وحبهم له، فعمل على مضايقته والإضرار به، فأخرجه من بلده الذى وُلد فيه وتربَّى على ترابه «بخارى» وطرده عنها ليكون بعيدًا عن أهله، وبعيدًا عن عشيرته، وعن طلابه وأحبابه ومعارفه.

فحزن الإمام البخارى لذلك لأنها جناية ليس لها مبرر، ولأن معارفه الذين يتلقون عنه سيتأثرون بهذا الانقطاع، ويتأثر هو لقلة معارفه فى البلد التى سيخرج إليها، فلما غادر بلده رفع يديه إلى السماء فى وقت خلوة غفل عنها الكثير ونامت فيها العيون وعجزت فيها القوى إلا قوة الله تعالى ثم أخذ يدعو ويقول: «اللهم عليك به فإنه لا يُعجزك». وكأن لسان حاله يقول: أشكو إليك ضعفى وقلة حيلتى أنت وليى من دون الناس، وناصرى من دونهم وأنت القادر العظيم فاجعله عبرة لغيره، . . . ومن حكمة الله تعالى أن جولة الباطل مرة، وأما الحق فجولته إلى قيام الساعة، استجاب الله تعالى دعوة هذا الإمام المظلوم ورفعها فوق الغمام وقال: لأنصرنك ولو بعد حين، فما مضى عليها إلا عدة أيام وإذا بهذا الأمير يُطرد من الإمارة ويودع

---

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٣٥٦).

السجن وتوضع القيود فى قدميه والأغلال فى عنقه ويُغرَّب عن أهله فى سجنٍ مُظلم كما غَرَّب الإمام عن أهله وقومه، وصودرت أمواله، وأُركب على حمار يطاف به على البلاد ليُشهَّر به بعد تسويد وجهه والتحذير منه، وانقلبت الموازين وأصبح العزيز ذليلاً والذليل عزيزًا، واستمر مُعذبًا فى السجن مدة طويلة حتى مات سنة ثلاث وسبعين ومائتين.

قال الإمام ابن كثير: هذا جزاء من تعرض لأهل الحديث والسنن.

حكاية صياد السمك

يروى أن صيادًا يصطاد السمك، ويقوّت منه أطفاله وزوجته، خرج يومًا للصيد، فوقع فى شبكته سمكة كبيرة ففرح بها، ثم أخذها ومضى إلى السوق ليبيعها، ويصرف ثمنها فى مصالح عياله.

فلقيه بعض الظلمة من أعوان السلطان، فرأى السمكة معه، فأراد أخذها منه، فمنعه الصياد، فرفع الظالم خشبة كانت بيده، فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة، وأخذ السمكة منه غصبًا بلا ثمن.

فدعا الصياد عليه فقال: إلهى! جعلتنى ضعيفًا، وجعلته قويًّا عنيفًا، فخذ لى بحقى منه عاجلاً، فقد ظلمنى ولا صبر لى إلى الآخرة.

ثم إن ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة إلى منزله، وسلَّمها إلى زوجته، وأمرها أن تشويها، فلما أخذتها أفلتت السمكة من يديها، وفتحت فاها، ونكزته فى أصبع يده نكزة طار بها عقله. فقام وشكا إلى الطبيب ألمًا فى يده، فلما رآها قال له: إن دواءها أن تُقطع الأصبع، لئلا يسرى الألم إلى بقية الكفّ.

فقطع إصبعه، فانتقل الألم والوجع إلى الكف واليد، وازداد تألمًا، وارتعدت من الخوف فرائصه. فقال له الطبيب: ينبغى أن تُقطع اليد إلى المعصم لئلا يسرى الألم إلى الساعد فقطعها. فانتقل الألم إلى الساعد.

فما زال هكذا كلما قطع عضواً انتقل الألم إلى العضو الآخر الذى يليه، حتى خرج هائمًا على وجهه، مستغيثًا إلى ربه ليكشف عنه ما نزل به.

فرأى شجرة فقصدها، فأخذه النوم عندها فنام، فرأى فى منامه قائلاً يقول: يا مسكين! إلى كم تُقطع أعضاؤك؟ امضِ إلى خصمك الذى ظلمته فارضه، فانتبه من النوم، وفكَّر فى أمره، فعلم أن الذى أصابه من جهة الصياد، فدخل المدينة، وسأل عن الصياد، وأتى إليه، ووقع بين يديه يتمرّغ على رجليه، وطلب منه الإقالة مما جناه، ودفع إليه شيئًا من ماله، وتاب من فعله، فرضى عنه الصياد وعفا عنه، فسكن فى الحال ألمه، وانتهت فى التوِّ محنته[١]، والجزاء من جنس العمل ..

كسرى والمرأة العجوز

وذكر بُزرجمهر حكيم فارس: أن عجوزًا فارسية كان عندها دجاج فى كوخ مجاور لقصر كسرى الحاكم، فسافرت إلى قرية أخرى، فقالت: يا رب أستودعك الدجاج. فلما غابت،عدا كسرى على كوخها ليوسع قصرَه وبستانه، فذبح جنودُه الدجاج، وهدموا الكوخ، فعادت العجوز فالتفتت إلى السماء وقالت: يا رب، غبتُ أنا فأين أنت؟! فأنصفها الله وانتقم لها، فعدا ابن كسرى على أبيه بالسكين فقتله على فراشه. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾[٢]، ... ليتنا جميعًا نكون كخيْرَى ابنَى آدم القائل: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾[٣] «كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل»، إن عند المسلم مبدأ ورسالة وقضية أعظم من الانتقام والتشفى والحقد والكراهية.

(١) المستطرف (١/١٨٧، ١٨٨).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٣٦).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٢٨).

ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

كم رأينا أناسًا يسعى الواحد منهم ليدبر لأخيه المكائد والمصائب؛ ولكن يشاء الله -جل وعلا- أن من حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

* حُكى أن خدم بعض الملوك وجدوا طفلاً فى الطريق؛ فالتقطوه فأمر الملك بتربيته وضمه إلى أهل بيته وسماه (أحمد اليتيم)، فلما نشأ ظهرت عليه أمارات النجابة والذكاء فهذبه وعلمه ولما حضرته الوفاة أوصى به ولى عهده فضمه إليه واصطفاه وأخذ عليه العهد أن يكون له وفيًّا وخادمًا أمينًا وبعد ذلك قدمه فى أعماله فصار حاكمًا على جميع حاشية الأمير ومتصرفًا فى شؤون قصره. وفى أحد الأيام أمره أن يُحضر شيئًا من بعض حجراته فذهب ليحضر فرأى بعض جوارى الأمير الخاصة به مع شاب من الخدم يفسقان ويزنيان، فتوسلت إليه الجارية أن يكتم هذا الخبر ووعدته بكل ما يطلب وراودته عن نفسه لتأمن شره فقال لها: معاذ الله أن أخون الأمير أزنى وقد أحسن إلىَّ؟! ثم تركها وانصرف على أن يكتم السر ولكن الجارية أوجست فى نفسها خيفة وتوهمت أن أحمد اليتيم سيفشى أمرها للأمير فما كان إلا أن انتظرت الأمير حتى حضر إلى قصره ثم ذهبت إليه باكية شاكية فسألها ما خبرها؟ فقالت: إن أحمد اليتيم راودها عن نفسها وكان يريد أن يقهرها على الزنا فلما سمع الأمير ذلك غضب واشتد غضبه وعزم على قتله ثم دبر قتله فى الخفاء حتى لا يعلم الناس بقتله وبسبب هذا القتل.

فقال لكبير خدمه: إذا بعثت إليك أحدًا بطبق يطلب منك كذا وكذا فاقطع رأسه وضع الرأس فى الطبق وابعث بها إلىَّ فأجاب الخادم بالسمع والطاعة وفى يوم من الأيام أحضر الأمير أحمد اليتيم، وقال له: اذهب إلى فلان الخادم وقل له: يعطيك كذا وكذا. فامتثل الأمر وذهب إلا أنه لقى فى

طريقه بعض الخدم فأرادوا أن يُحكموه بينهم فى أمر فاعتذر وقال: إنه مكلف بقضاء أمر الأمير فقالوا: نبعث فلانًا الخادم نائبًا عنك ليحضر ما تطلبه حتى تفصل فى شأننا فأجابهم إلى ما طلبوا فأرسلوا واحدًا منهم هو الشاب الذى سبق له الزنا بالجارية فلما ذهب أخذه رئيس الخدم إلى المكان الذى أعده ثم قطع رأسه على غرة ثم وضعها فى الطبق وغطاها وجاء بها إلى الأمير فلما أبصر الطبق رفع الغطاء فرأى رأسًا غير رأس أحمد اليتيم فأحضر الأمير أحمد اليتيم فسأله عما فعل فأخبره بما كان فقال الأمير: أتعرف لهذا الخادم ذنبًا؟ فقال: نعم إنه فعل كذا وكذا مع الجارية وعاد وقد سألانى بالله أن أكتم الخبر فلما سمع الأمير ذلك أمر بقتل الجارية وعاد إلى ما كان عليه من محبة أحمد وإكرامه، وكانت هذه عاقبة الوفاء ونهاية الخيانة: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[1].

كما تدين تُدان

*اعلم أيها الأخ الحبيب أن ما تفعله مع أخيك فإنه سلفٌ ودَينٌ فاحذر من أن تفعل مع أخيك ما لا تحب أن يفعله هو معك فإنه كما تدين تُدان وما تزرعه اليوم تحصده غدًا.

*وإليك هذه القصة التى تؤكد لك هذا الكلام .... وبالمثال يتضح المقال:

كانت هناك طالبة جامعية فى عمر الزهور فى العشرين من عمرها ... جميلة وعاطفية ومن عائلة متواضعة ذات أخلاق كريمة، وكانت لها صديقة تحبها حبًا شديدًا وكانت تلك الصديقة لها أخٌ ليس عنده أى رصيد من الدين أو الخُلق فاستطاع بمكره أن يستميل قلب تلك الفتاة وأخذ يداعبها

(١) سورة فاطر: الآية: (٤٣).

بكلامه المعسول حتى أخذت تلك الفتاة تذوب من كلامه.

وأخذ يخطط للإيقاع بتلك الفتاة البريئة فى مصيدته . . . وبعد مراوغة وتخطيط ووعود كاذبة استطاع أن يوقع تلك الفريسة السهلة وأن يسلبها أعز ما تملكه أى فتاة فى هذه الحياة.

وأحست تلك الفتاة بضياع مستقبلها، بل وضياع دينها بعد أن أصبحت حاملاً من الزنى . . . وظلت تتصل بهذا الذئب لكى ينفذ وعوده لها بالزواج، ولكنه كان يتهرب منها . . . وبدأت أعراض الحمل تظهر عليها وأحست الفتاة بأن الأرض ضاقت عليها بما رحبت وضاقت عليها نفسها فماذا تصنع فى تلك المصيبة.

وأخذت تطارده فى كل مكان حتى استطاعت أن تكلمه، وأن تطلب منه أن يتزوجها، فما كان منه إلا أن فكر فى فكرة لا تخطر على قلب إبليس. . . فيا ترى ما هى تلك الفكرة؟

قال لتلك الفتاة: أنا على استعداد لأن أتزوجك، ولكن بشرط أن تأتى غداً الساعة الرابعة إلى الشاليه الذى أمتلكه فى المكان الفلانى لتقابلى أمى فإن رأتك أمى ووافقت على زواجى منك فسوف أتزوجك.

وفى نفس الوقت اتفق هذا الذئب مع مجموعة من الذئاب البشرية لكى يذهبوا إلى الشاليه فى نفس الموعد، ليغتصبوا تلك الفتاة ثم يدخل عليها بعد ذلك ليقول لها: أنا لا أستطيع أن أتزوج من فتاة فُعل بها كل هذا.

ووافقت الفتاة على الذهاب إلى الشاليه فى الموعد المحدد ظنًّا منها أن الله هداه وأنه سيستر عرضها . . . لكنها لم تكن تعلم ماذا يدبر لها.

وفى الموعد المحدد قامت تلك الفتاة لتذهب إلى الشاليه للقاء والدته - كما كان يزعم- وإذا بأخيها يصاب بألم شديد فى بطنه فكانت بين نارين. . . بين أن تذهب إلى الشاليه وبين أن تذهب بأخيها الوحيد إلى

المستشفى فما كان منها إلا أن اتصلت بصديقتها - أخت ذلك الذئب - وقالت لها: إننى على موعد الآن مع والدتك فى الشاليه ولكن أخى مريض وسأذهب معه إلى المستشفى فأرجو منك أن تذهبى إلى الشاليه لتخبرى والدتك أننى سأحضر إليها بعد ساعة فوافقت أخت هذا الشاب وهى لا تعرف ما يدبره أخوها لتلك الفتاة.

وذهبت أخت هذا الذئب إلى الشاليه ظنًّا منها أن أمها هناك وهى لا تعرف لأن أمها فى هذا الوقت كانت خارج البيت، المهم أنها ذهبت إلى الشاليه وبمجرد أن دخلت حتى انقض عليها الذئاب وانتهكوا عرضها وسلبوها أغلى ما تملكه أى فتاة وتركوها جثة هامدة . . . وبعد ساعة من الزمن جاء هذا الذئب ليرى ما صنعوه بتلك الفتاة، وليكون هذا المشهد مبررًا له؛ لأن يرفض الزواج منها . . . ولكن كانت أكبر مفاجأة فى انتظاره !!

دخل الذئب وسأل أصحابه: ماذا صنعتم؟ قالوا: فعلنا كل ما طلبت منا وزيادة . . وها هى بالداخل جثة هامدة من شدة الاعتداء عليها. . فدخل ونظر إلى الفتاة وإذا بها أخته مُلقاة فى حالة يرثى لها فلم يستطع أن يتكلم كلمة واحدة بل خرج صامتًا وأصحابه يكلمونه وهو لا يرد عليهم حتى وصل إلى سيارته وفتح الباب ثم دخل السيارة، وفتح التابلوه وتناول مسدسًا وأطلق الرصاص على نفسه فمات فى التو واللحظة . . .﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

أهدى هذه القصة لكل شاب يعيش علاقة محرمة مع أى فتاة: أقول له: اتق الله فى أعراض المسلمات واعلم أنه كما تدين تدان والجزاء من جنس العمل[1].

* * *

(١) قصص وعبر (الجزء الثانى) / للمصنف (ص: ٤٠ -٤٢).

إن فى ذلك لعبرة

أذكر أن أحد الأصدقاء من طلبة العلم وحفظة القرآن.. كان رجلاً صالحًا.. يأتيه بعض الناس أحيانًا يقرأ عليهم شيئًا من القرآن كرقية شرعية.. وقد شفى الله تعالى على يديه من شاء..

دخل عليه يومًا من الأيام رجل تبدو عليه علامات الثراء..

جلس بين يدى الشيخ وقال: يا شيخ.. أنا عندى آلام فى يدى اليسرى تكاد تقتلنى.. لا أنام فى ليل.. ولا أرتاح فى نهار..

ذهبت إلى عدد كبير من الأطباء.. أجروا لى الفحوصات.. عملوا تمارين.. فما وجدت فائدة أبدًا.. الألم يزيد ويشتد حتى انقلبت حياتى عذابًا..

يا شيخ.. أنا تاجر وعندى عدد من المؤسسات والشركات.. فأخشى أن أكون أُصبت بعين حاسدة.. أو وضع لى أحد الأشرار سحرًا..

قال الشيخ: قرأت عليه سورة الفاتحة.. وآية الكرسى.. وسورة الإخلاص والمعوذتين..

لم يظهر عليه تأثُّر!!

خرج من عندى شاكرًا.. رجع إلىَّ بعد أيام يشكو الألم نفسه..

قرأت عليه.. ذهب ورجع.. وقرأت عليه.. لم يظهر عليه أى تحسُّن..

قلت له لما اشتد عليه الألم: قد يكون ما أصابك هو عقوبة على شىء فعلته.. من ظلم أحد الضعفاء.. أو أكل حقوقهم..

أو ظلمت أحدًا فى ماله فمنعته حقه.. أو غير ذلك.. فإن كان هناك

شىء من ذلك فسارع إلى التوبة مما جنيت.. وأعِدْ الحقوق إلى أهلها.. واستغفر الله مما مضى..

التاجر لم يُعجبه كلامى.. وقال - بكبر -: أبدًا.. ما ظلمت أحدًا.. ولم أعتدِ على شىء من حقوق الناس.. وأشكُرك على نصيحتك..

وخرج.. مرت أيام وغاب الرجل عنى.. خشيت أن يكون وجد علىَّ فى نفسه.. ولكن لا علىَّ فهى نصيحة أسديتها إليه..

تفاجأت به يومًا فى مكانٍ ما.. لقينى فأقبل إلىَّ مُسلِّمًا مسرورًا..

سألته: هاه.. ما الأخبار؟

قال: الحمد لله.. الآن يدى بخير.. بغير طبٍّ ولا علاج!!

قلت: كيف؟

قال: لما خرجت من عندك.. جعلت أفكر فى نصيحتك.. وأستعيد شريط ذكرياتى فى ذهنى.. وأفكر!!

ترى هل ظلمت أحدًا؟!

هل أكلت حق أحد؟!

فتذكرت أنى قبل سنوات لما كنت أبنى قصرى.. كان بجانبه أرض رغبت فى ضمِّها إليه ليكون أجمل.. كانت الأرض ملكًا لامرأة أرملة توفى زوجها وخلَّف أيتامًا..

أردتها أن تبيع الأرض فأبت.. وقالت: وماذا أفعل بقيمة الأرض.. بل تبقى لهؤلاء الأيتام حتى يكبروا.. أخشى أن أبيعها ويتشتت المال..

أرسلت إليها مرارًا لشرائها.. وهى تأبى على ذلك..

قلت: فماذا فعلت؟

قال: انتزعت الأرض منها بطرقى الخاصة..

قلت: طرقك الخاصة!!

قال: نعم.. علاقاتى الواسعة.. ومعارفى.. استخرجت ترخيصًا ببناء الأرض وضممتها إلى أرضى..

قلت: وأم الأيتام؟!!

قال: سمعت بما حصل لأرضها فكانت تأتى وتصرخ بالعمال الذين يعملون لتمنعهم من البناء.. وهم يضحكون منها يظنونها مجنونة..

وفى الواقع أننى أنا المجنون ليس هى..

كانت تبكى وترفع يديها إلى السماء.. هذا ما رأيته بعينى.. ولعل دعاءها فى ظلمة الليل كان أعظم..

قلت: هاه.. أكمل..

قال: رحت أسأل وأبحث عنها.. حتى عثرت عليها.. فبكيت واعتذرت.. ولا زلت بها حتى قبلت منى تعويضًا عن تلك الأرض.. ودعت لى وسامحتنى..

فوالله ما إن خفضت يديها.. حتى دبَّت العافية فى بدنى..

ثم أطرق التاجر برأسه قليلاً.. ثم رفعه وقال: ونفعنى دعاؤها - بإذن الله - نفعًا عجز عنه طب الأطباء..[1].

قصة مؤثرة

* وهذه قصة واقعية من أيامنا هذه، ترسلها زوجة إلى جريدة الأهرام، ونشرها محرر «بريد الجمعة» عبد الوهاب مطاوع فى مقالة تحت عنوان «الضوء الأخير!».

تقول صاحبة القصة: دفعنى للكتابة إليك بيتا الشعر اللذان قرأتهما فى ردك على إحدى الرسائل ويقولان:

(١) استمتع بحياتك / د. محمد العريفى (ص٣١٣-٣١٥).

إنما الدنيا هبات

وعوار مُستردَّه

شدة بعد رخاء

ورخاء بعد شده

فأردت أن أروى لك قصتى عسى أن تكون عبرة لغيرى. فأنا زوجة وأم لفتاة بالسنة النهائية بإحدى الكليات النظرية ولابن شاب متزوج ولديه طفلان، وزوجى ضابط عسكرى بالمعاش، ونعيش فى أحد أحياء القاهرة، ومنذ أن بدأت حياتى مع زوجى ونحن نعيش حياة رغدة، وقد استعنت طوال حياتى الزوجية على تربية أولادى بمربيات عديدة، لا أتذكر عددهن من كثرتهن، ولا عجب فى ذلك، فقد كانت كل واحدة منهن لا تمكث عندى أكثر من شهرين، ثم تفر من قسوة زوجى العدوانى بطبعه. والذى لا أعرف هل اكتسب عدوانيته هذه خلال رحلة حياته أم إنها وراثية فيه، فقد كان يتفننُ فى تعذيب أى مربية تعمل عندنا، ولا أنكر أنى شاركته فى بعض الأحيان جريمته.

ومنذ خمسة عشر عامًا، وابنتى فى السابعة من عمرها، وابنى فى المرحلة الإعدادية جاءنا مزارع من معارف زوجى، ومن أبناء بلدته، يصطحب معه ابنته الطفلة ذات الأعوام التسعة، فاستقبله زوجى بكبرياء وترفع. وقال المزارع البسيط: إنه أتى بابنته لتعمل عندنا مقابل عشرين جنيهًا فى الشهر ووافقنا، وترك المزارع المكافح طفلته الشقراء، فانخرطت الطفلة فى البكاء، وهى تمسك بجلباب أبيها، وتستحلفه ألا يتأخر عن زيارتها، وألا ينسى أن يسلم لها على أمها وإخوتها، وانصرف الرجل دامع العينين، وهو يعدها بما طلبت. وبدأت الطفلة حياتها الجديدة معنا، فكانت تستيقظ فى الصباح الباكر قبل أن يستيقظ طفلاى لتساعدنى فى إعداد طعام الإفطار

لهما، ثم تحمل الحقائب المدرسية، وتنزل بها إلى الشارع، وتظل واقفة مع ابنتى وابنى حتى يحملهما أتوبيس المدرسة، وتعود للشقة فتتناول طعام إفطارها وكان غالبًا من الفول بدون زيت، وخبز على وشك التعفن، وفى بعض الأحيان قد نجود عليها بقليل من العسل الأسود أو الجبن، ثم تبدأ فى ممارسة أعمال البيت من تنظيف وشراء الخضروات والمسح، وتلبية النداءات حتى منتصف الليل، فتسقط على الأرض كالقتيلة وتستغرق فى النوم. وعند أى هفوة أو نسيان أو تأجيل أداء عمل مطلوب ينهال عليها زوجى ضربًا بقسوة شديدة، فتتحمل الضرب باكية صابرة، ورغم ذلك فقد كانت طفلة فى منتهى الأمانة والنظافة والإخلاص لمخدوميها، تفرح بأبسط الأشياء، وتغنى غناءً حزينًا خافتًا يعبر عن شوقها لبلدتها وأمها وإخوتها وهى تغسل الأطباق، ورغم اعترافى بأنى كنت شريكة لزوجى فى قسوته على الخادمات، وتفننه فى تعذيبهن، حتى أنه كان أحيانًا يختلق الأسباب لضرب أى خادمة تعمل عندنا، إلا أنه كانت تأخذنى الشفقة فى بعض الأحيان بهذه الفتاة، لطيبتها، وانكسارها وإخلاصها، فأناشد زوجى ألا يضربها، وأقول له: إنها قد كبرت وتعوّدت على طباعنا، وتحمّلتنا كثيرًا فلا داعى للاستمرار فى ضربها، فكان يقول لى مقهقهًا: إنه لو لم يضربها فإنها ستطلب منه أن يضربها؛ لأنها قد تعوّدت عليه، وأن هذا الصنف من الناس لا تجدى معه المعاملة الطيبة، واستمرت الفتاة تتحمل العذاب فى صمت وصبر، وأتذكر الآن بأننى حين كان العيد يأتى ويخرج طفلاى مبتهجين مهللين، بينما تبقى هذه الطفلة التى تماثلهما فى العمر تنظف وتغسل دون شفقة، وبعد أن تنتهى من أعمالها الشاقة ترتدى فستانًا قديمًا لكنه نظيف، لأنها كانت تحرص على نظافة ملابسها البسيطة، أما أبوها فلم تره تلك الطفلة إلا مرات معدودة بعد عملها عندنا، فقد انقطع عن زيارتها بعد شهور، وبدأ يرسل أحد أقاربه

لاستلام أجـرتها الشهرية، كمـا لم تر أمها وإخوتهـا إلا فى ثلاث مناسبات محددة، الأولى حين مات شقيقها الأكبر فى حادث عند عودته من الأردن، وكانت الفتاة المحـرومة تُعلق أملاً كبيرًا على عـودته، وتحلم بأن ينتشلها من العذاب الذى تعانيه عندنا، فإذا به يلقى مصرعـه، وتفقد آخر أمل لها فبكته بحرقة وسرًا حتى لا يراها زوجى، فتلقى عقابًا على يديه.

والمرة الثـانية لم تكن تعطفًـا منا عليـها، وإنما كـانت تخلصًا منهـا فى الحقـيقة فـقد كـانت مريضة بمرضٍ مُـعدٍ، وخشـينا على طفلينا من انتـقال العدوى إليهما، فأبعدناها إلى بلدتها بحجة أن ترى أمها وإخوتها.

وكانت المرة الثالثة عنـد وفاة أبيها بعد أن دخلت مرحلة الصبـا، واستقر الحزن والانكسـار فى قلبها.

وأرجو أن تصدقنى يا سـيدى، إذ ليس لدىّ ما يبرر أن أدعى شيئًـا غير صادق، وأنا كتبت لك بإرادتى، إذا قلت إنى أبكى الآن كلما تذكرت قـسوة عقابنا لها إذا أخطأت أى خطأ، وكـان لا بد أن تخطئ، كأى طفلة، وكأى إنسان، فـقد كان زوجى يصعـقها بسلك الكهـرباء! وكثيرًا مـا حرمناها من وجبة العشاء فى ليالى البرد القاسـية، فباتت على الطوى جائعة. ولا أتذكر أنها نامت ليلة لمدة سنوات طويلة دون أن تبكى!

وسوف تتسـاءل ولماذا تحـملت كل هذا العذاب ولـم تهـرب بجلدها من جحيـمكم؟ وأجيبك بأن الفتـاة حين قاربت سن الشبـاب خرجت ذات يوم لشراء الخضـروات ولم تعد، فسأل زوجى البواب عنها، وعـرف إنها كانت تتحدث لفـترات طويلة مع شاب يعمل لدى جـزّار بنفس الشارع، وأنه من المحتمل أن تكون قد اتفقـت معه على أن يتـزوجها وينتشلها من هذه الحياة، فلم يمض أسبوع حتى كـان نفوذ زوجى قد تكفل بإحضارها من مخـبئها، واستـقبلناها عند عودتها اسـتقبـالاً حافلاً بكل أنواع العذاب، فـقام زوجى

بصعقها بالكهـرباء، وتطوّع ابنى بركلها بعنف، بينما بكت ابنتى وهى تقول لأبيها: حرام يا بابا حرام.. حرام.. ففقد سيطرته على نفسه واستدار إليها وضربها هى أيضًا، وكانت المرة الأولى فى حياتها التى يضربها فيها أبوها!

وعادت الفتاة لحياتها الشقية معنا، واستسلمت لمصيرها، واستمر الوضع كما كان عليه، تخطئ أو تؤجل عـمل شىء بعض الوقت، فيضربها زوجى ضربًا مبرحًا، ونخرج فى الأجازات إلى منطقة الأهرامات لنستمتع بشىء من اللحم، ونترك لها بـقايا طعام الأسبوع لتـأكله.. إلخ ثم. شيئًا فشـيئًا بدأنا نلاحظ عليها أن الأكواب والأطبـاق تـسقط من يديها، وأنها تتعثـر كثيرًا فى مشيـتها، فعرضناهـا على الطبيب فأكّد لنا أن نظرها قـد ضعف جدًا، وأنه ينسحب تدريجيًا، وأنها لا ترى حاليًا ما تحت قدميها، أى أنها أصبحت شبه كفيفـة، ورغم ذلك فلم نرحمها، وظلت تقوم بكل أعـمال نظافة المسكن، وتخرج لشراء الخضر كما كانت تفعل، بل وكـثيرًا ما صفعتها إذا عادت من السـوق بخـضروات ليـست طازجة وكثـيرًا ما كـانت تفعل لضـعف بصرها الشديد، فأشفـقت عليها زوجة البواب، فكانت تُجلسهـا فى مدخل العمارة وتذهب هى لشـ اء الخضـروات لهـا، حتى تنقـذها من الإهانة والضـرب، واستمـر الحال هكذا لفترة من الزمن، ثم خرجت الفـتاة ذات يوم من البيت بعد أن أصبحت كفيفة تقـريبًا، ولم تعد إليه مرة أخرى، ولم نهتم بالبحث عنها هذه المرة.

ومضت السنوات فأحيل زوجى للـتقاعد، واستقبل حيـاة الفراغ - وفقد المنصب والنفوذ - أسوأ استـقبال فتضاعفت عصبـيته وثوراته، وانفلاتاته إلى حد غير محتمل، ومع ذلك فقد تحملته بسبب عشرة السـنين.

وتخرّج ابنى فى الجـامعة وعـمل، ثم أراد أن يخطب إحدى زمـيلاته، فخطبناهـا له، وهى فتاة رائعـة الجمال، وتزوجـها وسعـدنا بها واكـتملت

سعادتنا حين عرفنا أنها حامل، ثم جاءت اللحظة السعيدة، ووضعت مولودها فإذا بنا نكتشف لصدمتنا القاسية أنه كفيف لا يبصر، وتحولت الفرحة إلى سحابة كثيفة من الحزن القاتم، وبدأنا الرحلة الطويلة مع الأطباء بلا فائدة، واستسلم ابنى وزوجته للأمر الواقع، وانطفأ الأمل فى قلبيهما، وأدخلنا حفيدنا الموعود بالعناء حضانة للمكفوفين، وقررت زوجة ابنى ألا تحمل مرة أخرى خوفًا من تكرار الكارثة، لكن الأطباء طمأنوها إلى أن هذا مستحيل؛ لأنه لا توجد صلة قرابة بينها وبين زوجها تؤكد العوامل الوراثية، وشجعوها على الحمل وإنجاب طفل آخر يعيد البسمة إلى حياتها وزوجها، وشجعناها نحن أيضًا على ذلك على أمل أن يُرزق ابننا بطفل طبيعى يخفف من حزنه وصدمته فى طفله الأول. وحملت زوجة ابنى، وأنجبت طفلة جميلة شقراء نزلت إلى الحياة، فتوقفت قلوبنا حتى زفّ الطبيب البُشرى بأنها ترى وتبصر، كالأطفال العاديين، وسعدنا بها سعادة مضاعفة، وانهالت عليها وعلى شقيقها اللعب والملابس والهدايا، وبعد سبعة شهور، لاحظنا عليها أن نظرها مُركَّز فى اتجاه واحد لا تحيد عنه، فعرضناها على أخصائى عيون للاطمئنان على سلامة عينيها، فإذا به يصدمنا بحقيقة أشد هولاً، وهى أنها لا ترى إلا مجرد بصيص من الضوء، وأنها معرضة أيضًا لفقد بصرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ورأى زوجى ذلك، فأصيب بحالة نفسية فسدت معها أيامه، وكره كل شيء، ثم تطورت حالته حتى نصحنا الطبيب بإدخاله مصحة نفسية لعلاجه من الاكتئاب، وانقبض قلبى، وأحسست بهموم الدنيا تطأ صدرى بقسوة، وفى ضيقى وأحزانى تذكرت فجأة الفتاة الكسيرة التى هربت من جحيمنا كفيفة بعد أن أمضت معنا عشر سنوات ذاقت خلالها أهوال الصعق بالكهرباء والضرب والهوان والحرمان، وساءلت نفسى فى جزع هل هذا عقاب السماء لنا على ما فعلنا بها؟

وأصبحت صورة هذه الفتاة اليتيمة التى أهملنا علاجها وتسببنا فى كف بصرها تطاردنى فى وحدتى،... وتعلّق أملى فى عفو ربى عما جنينا فى أن أجد هذه الفتاة، وأكفر عما فعلنا بها، ورحت أسأل الجميع حتى دلنا أحد الجيران إلى مكانها، وعلمنا أنها تعمل خادمة بأحد المساجد، فذهبت إليها وأحضرتها لتعيش معى ما بقى لى من أيامى، ورغم كل قسوة الذكريات فقد فرحت بسؤالى عنها وسعيى إليها لإعادتها، وحفظت العشرة التى لم نحفظها، وعادت معى تتحسس الطريق وأنا أمسك بيدها. وفرحت بسماع صوت ابنتى الشابة التى طالما أحبتها هذه الفتاة الطيبة فى طفولتها وصباها، وبسماع صوت ابنى الذى عرف الهمّ طريقه إلى قلبه، واستقرت الفتاة معنا، وأصبحت أرعاها بل وأخدمها هى وحفيدىّ الكفيفين.. وأملى ودعائى لربى أن يغفر لى ما كان، وأن أقول لمن نضبت الرحمة من قلوبهم: إن الله حىّ لا ينام، فلا تقسوا على أحد فسوف يجىء يوم تطلبون فيه الرحمة من أرحم الراحمين، وتندمون على ما فعلتم فى قوتكم وجبروتكم.

هذه هى قصتى يا سيدى التى دفعنى بيتا الشعر اللذان قرأتهما فى ردك لأن أرويها لك، وأرجو أن يقرأها الجميع ويعتبروا بما فيها والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

ثم رد المحرر عبد الوهاب مطاوع على هذه معلقًا:

وهكذا كان الجزاء دائمًا من جنس العمل، ومع ذلك فما أكثر الخطايا والآثام، وما أقل الاعتبار.

* * *

(١) جريدة الأهرام - بريد الجمعة الصفحة ١٦ تاريخ ١٥/١/١٩٩١.

من مغبة الظلم

إن الظالم يجنى ثمرات ظلمه فى الدنيا والآخرة، فقد قال ﷺ : «ما من ذنبٍ أجدر أن يُعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم»[1].

* ومضار الظلم كثيرة ولكن حسبُنا أن نقف على بعضها:

(١) يجلب غضب الرب وسخطه ويتسلط على الظالم بشتى أنواع العذاب.

(٢) قبول دعاء المظلوم فيه.

(٣) يخرب الديار وبسببه تنهار الدول.

(٤) تحاشى الخلق عن الظالم ويعدهم منه لخوفهم من بطشه.

(٥) معصيته متعدية للغير.

(٦) دليل على ظلمة القلب وقسوته.

(٧) عدم الأخذ على يد الظالم يفسد الأمة.

(٨) يجلب كره الرسول ﷺ .

(٩) صَغار الظالم عند الله وذلته.

(١٠) الظالم يُحرم شفاعة رسول الله ﷺ [2].

* بل وفوق ذلك كله فإن الله -عز وجل- يحرمه من نعمة الهداية ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[3]؛ لأن المعصية لو كانت فيما بين العبد وبين ربه - عز وجل- فإن الله يقبل توبته بل ويبدل سيئاته إلى حسنات... أما مظالم العباد فلا بد للعبد أن يتحلل منها.

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٠٢) كتاب الأدب، والترمذى (٢٥١١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٢١١) كتاب الزهد، وأحمد (١٩٨٦١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٠٤).

(٢) نضرة النعيم (١٠/٤٩٢٦).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٥١).

* بل إن الله - عز وجل- يحرم الظالم من محبته ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[١]. . . ولنا أن نتخيل إنسانًا يعيش فى أرض الله. . . والله يبغضه ولا يحبه. .

لا ظلم اليوم

لا تحزن إن سُلب مالك فى الدنيا فسوف تجده يوم القيامة حسنات كثيرة. . . . ولا تحزن إن ظُلمت فى الدنيا فسوف يقتص الله لك ممن ظلمك يوم القيامة. . . ولا تحزن إن بخسك الناس حقك فى الدنيا فسوف تأخذ حقك كاملاً يوم القيامة.

إذا جار الوزيرُ وكاتباهُ *وقاضى الأرض أجحف فى القضاءِ*

فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ *لقاضى الأرض من قاضى السماءِ*

نُقل عن «كانت» الفيلسوف الألمانى أنه قال: «إن مسرحيَّة الحياة الدنيا لم تكتمل بعد، ولا بدَّ من مشهد ثان، لأننا نرى هنا ظالمًا ومظلومًا ولم نجد الإنصاف، وغالبًا ومغلوبًا ولم نجد الانتقام، فلا بدَّ إذن من عالم آخر يتمُّ فيه العدل».

قال الشيخ على الطنطاوى مُعلِّقًا: وهذا الكلام اعتراف ضمنى باليوم الآخر والقيامة، من هذا الأجنبى.

* إن يقين العبد فى أن الله سيجمع الأولين والآخرين يوم القيامة فى أرض المحشر - فى محكمة العدل الإلهية - يجعله مطمئنًّا قرير العين هادئ البال لأنه يعلم أن الله سيقتص له ممن ظلمه.

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٤٠).

... إذن فلا داعى للحزن ما دام العبد لن يضيع حقه أبدًا .... وسيشفى الله صدره ممن ظلمه في الدنيا أو الآخرة.

* فأما فى الدنيا فحسبُه أن الله يحرمه نعمة الهداية وأنه يحرمه من محبته بل ومن محبة الخلق.

* وأما فى الآخرة فحسبُك أن تعلم أنه لن يجاوز الجسر ظالمٌ وأنه لن يدخل عبدٌ جنة الرحمن (جل وعلا) إلا بعد أن يقتص منه لمن ظلمهم.

* ولقد أخبر النبى ﷺ أن الله - عز وجل- سيحكم بين الدواب فى تلك المظالم التى كانت بينها فى الدنيا... فما ظنكم بالمظالم التى بين العباد. قال ﷺ : **«لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»**[1]... والجلحاء هى التى ليس لها قرن.

* ومن أجل ذلك أمرنا النبى ﷺ أن نتحلل من المظالم قبل أن نلقى الله -عز وجل- فقال ﷺ : **«من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه»**[2].

* **قال عمر بن عبد العزيز:** «إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس، فاذكر قدرة الله تعالى عليك، ونفاد ما تأتى إليهم وبقاء ما يأتون إليك»[3].

* **وفى بعض المأثورات:** «إذا كان يوم القيامة يجتمع الظلمة وأعوانهم ومن ألاق لهم دواة وبرى لهم قلمًا، فيُجعلون فى تابوتٍ ويُلقون فى جهنم»[4].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٢) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب.

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣١).

(٤) بصائر ذوى التمييز (٣/ ٥٤٣) ـ والكبائر للذهبى (ص: ١١٢).

* ويا لها من حسرة عندما يرى الظالم حسناته وهى تُوزَّع على كل من ظلمهم فقد قال ﷺ: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال ﷺ: «إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طُرح فى النار»(١).

* وحسبنا أن نتأمل قول الحق - جل وعلا-: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾(٣).

* * *

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) سورة طه: الآية: (١١١).

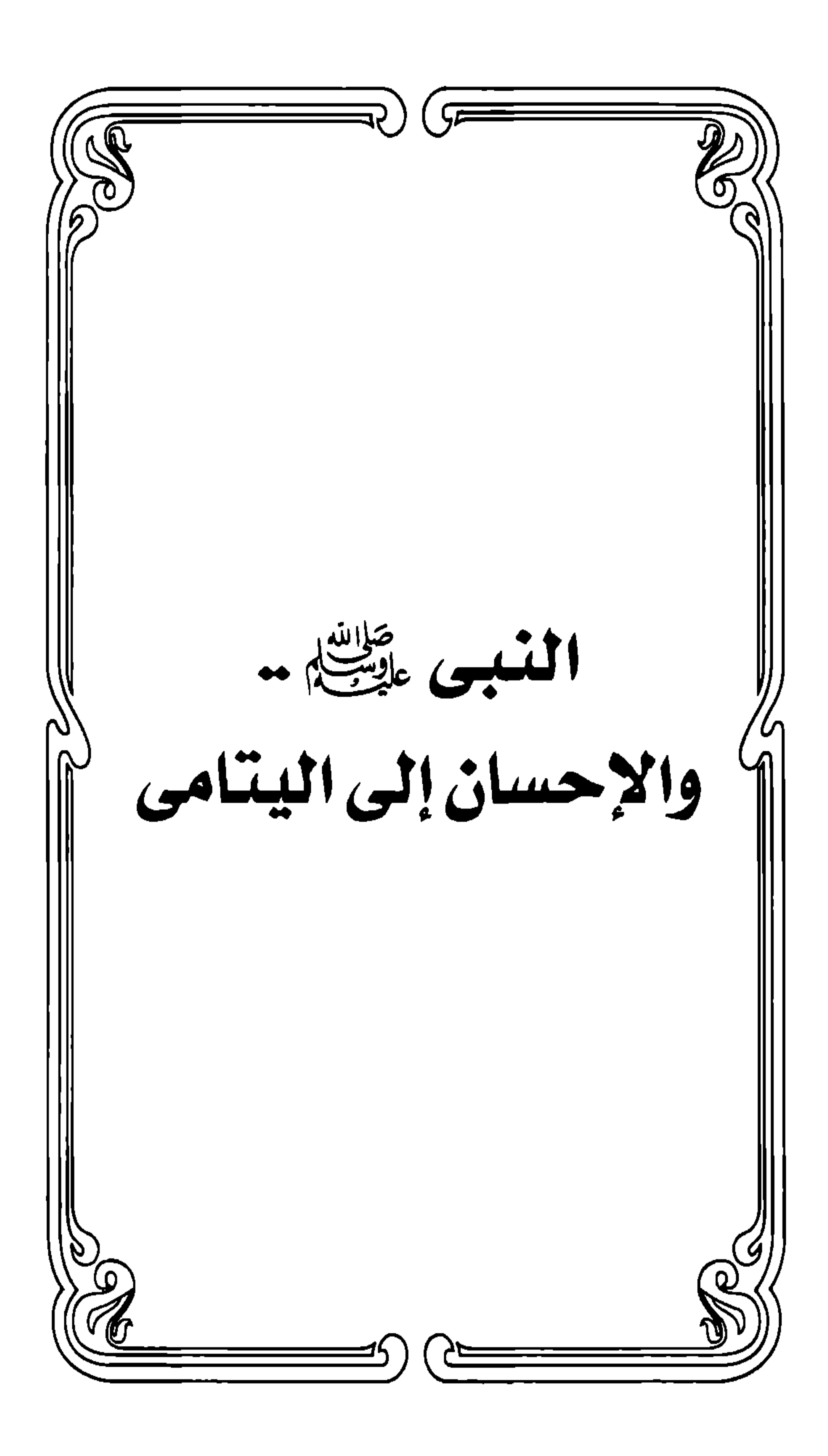
(٣) سورة إبراهيم: الآيات: (٤٢-٤٥).

وأخيرًا

احرص أخى الحبيب.. واحرصى أختى الفاضلة على أن تتحللوا من مظالم العباد قبل أن نقف بين يدى الله فى يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

* أسأل الله أن يملأ قلوبنا حبًا لكل المسلمين وأن يَحُول بيننا وبين ظلم العباد وأن نلقاه يوم نلقاه وليس فى رقابنا مظلمة واحدة لأحدٍ من البشر.

* * *



النبى ﷺ
والإحسان إلى اليتامى

النبى ﷺ .. والإحسان إلى اليتامى

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.

* فلما دخلنا وجدنا النبى ﷺ جالسًا مع بعض أصحابه يعلمهم ويربيهم.. وفجأة دخل عليه رجل يشكو إليه قسوة فى قلبه فتبسم النبى ﷺ وقال له: **«أتحب أن يلين قلبك وتُدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يَلِنْ قلبك وتُدرك حاجتك»**[(١)].

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة الإحسان إلى اليتامى.

* * *

(١) رواه الطبرانى فى الكبير وصححه العلامة الالبانى فى صحيح الجامع (٨٠).

حق اليتيم

إننى فى تلك السطور القليلة أدعو نفسى وإخوانى فى كل الأقطار والأمصار إلى إجابة نداء الواحد القهار للإحسان إلى اليتامى بالليل والنهار فإن الأمة المسلمة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

ونحن فى دعوتنا هذه نريد أن تنهض الأمة من كبوتها ليحمل القوى فيها الضعيف ويحمل الغنى فيها الفقير، ويحمل العالم فيها الجاهل وبذلك تتكامل سواعد الأمة وترجع مرة أخرى خير أمة أُخرجت للناس.

قال ﷺ : «كيف يقدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويها وهو غير متعتع»(١).

فكيف يقدس الله أمة ضاعت فيها حقوق اليتامى الذين لا يجدون لها معينًا إلا الله جل وعلا بعد أن حُرموا من أب رحيم يحنو عليهم ويمسح دمعتهم ويُشبع جوعتهم، ولقد قال النبى ﷺ : **«فى كل ذات كبدٍ حرّى أجر»**(٢).

فإن لك أجرًا فى كل لقمة أو شربة ماء تسوقها لحيوان أعجم فكيف بمن يسوق لقمة إلى فم يتيم يتجرع مرارة اليُتم؟!..

بل لقد أخبر النبى ﷺ أنه **«غُفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركى يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خُفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغُفر لها بذلك»**(٣)، فكيف بمن يحمل فى كفه شربة ماء لطفل يتيم ... فيا

---

(١) صحيح: رواه البيهقى (١٠/ ٩٤)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/ ٢٥٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٩٧).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٦٨٦) كتاب الأدب، وأحمد (١٧١٣١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٢٦٣).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٣٢١) كتاب بدء الخلق.

مَنْ أكرمك الله بنعمة المال لا تبخل وأقبل بمالك لتنقذ يتيمًا من مرارة الفقر والحرمان ولا تحرم نفسك من أن يكون مالك قائدًا لك إلى جنات الخلد ورضوان الرحيم الرحمن فإن «صدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وفعل المعروف يقى مصارع السوء»[١].

وقفة لطيفة

فإن قال قائل: لماذا لم يعتبر الشارع مَن فقد أمه يتيمًا كالذى فقد أباه؟

كان الجواب:

لأن الأب هو الذى يعول الصغير، ويرعى شؤونه، ويقوم بتأديبه وتعليمه ... وتعاليم الإسلام تحث على معاملة اليتيم معاملة حسنة، وذلك مراعاة لنفسيته؛ لأنه لما فقد أباه شعر بالحاجة الشديدة إلى من يقوم بحمايته، ويقوى عزيمته، ويشد أزره... لما فقد أباه شعر بالوحشة والذلة والانكسار فكان لابد من تعويضه ... لئلا ينحرف ... فجاء الإسلام ليعالج هذا كله[٢].

يُتم النبى ﷺ كان تشريفًا لكل يتيم إلى قيام الساعة

فى سيرة المصطفى ﷺ ما تطيب به خواطر اليتامى فى كل زمان ومكان فقد توفى والده قبل أن يولد، ونشأ فى كفالة جده عبد المطلب يلقى من الرعاية والعناية ما يعوضه عن فقد أبيه، ... يقول ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم، وكان يوضع لعبد المطلب فراشٌ فى ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك، حتى يخرج

(١) صحيح: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٣/ ٢٤٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٦٠).

(٢) منهاج الصالحين (ص: ٦٠٥).

إليـه، لا يجلس عليـه أحد من بنيـه إجلالاً لـه، قال ابن إسـحـاق: فكان رسول الله ﷺ يأتى وهو غلامٌ جَفرٌ، حتى يجلس عليه، فيأخذُهُ أعمامهُ، ليؤخروه عنه، فـيقول عبد المطلب إذا رأى منهـم ذلك: دعوا ابنى، فوالله، إن لهُ لشأنًا، ثُمَّ يُجلسُـهُ معه على الفـراشِ، ويمسح ظهره بيده، ويسُـرُّهُ ما يراه يصنع(١). وبعد أن توفى عبـد المطلب وعُمرُهُ ﷺ قد جـاوز الثمانى سنوات بقليل، انتقلت كفـالته - أخذًا بوصيةِ جَدِّه - إلى عـمِّهِ الشَّقيق أبى طالب(٢)، فنهضَ أبو طالبِ بحقِّ ابن أخـيـه على أكملِ وجْـه وضمَّـهُ إلى ولْده، وقدَّمَهُ عليـهم واختَصَّهُ بفضلِ احـترَامٍ وتَقْديرٍ، فكَانَ لاَ يَنامُ إلا وَهُوَ إلَى جِوَارِه ويَصطَحبُهُ مَعَهُ مَا أمكَنَتْهُ الصُّحبَةُ(٣).

* قِيلَ لمُحَمَّدِ بْنِ جَـعْفَرٍ الصَّادقِ: لِمَ أُوتِمَ النبىُّ ﷺ مِنْ أبَوَيْهِ؟ فَقَالَ: لئلاَّ يكونَ لمخلوقٍ عليه حقٌّ (٤).

* قال النَّيـسَابُورِىُّ: قال أهلُ التـحقيق: الحكمـةُ فى يُتمِ النبى ﷺ أن يَعرف قدر الأيتام، فيقوم بأمرهم، وأن يُكرِمَ اليتيمَ المُشارِكَ لهُ فى الاسْمِ (٥).

الحث على كفالة اليتيم والإحسان إليه

فقد أمرنا رب العالمين جل وعلا فى كـتابه بالإحسـان إلى اليتامى فى كل زمان ومكان، بل إنه سـبحانه قـد أخذ العهـد والميثـاق على الأمم قبلنا أن يحسنوا إلى اليتـامى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِى إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾(٦).

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٩٤).

(٢) انظر: خاتم النبيين للشيخ أبى زهرة (١/ ١٦٦)، والرحيق المختوم للمباركفورى (٦٦).

(٣) انظر السابق.

(٤) تفسير القرطبى (٢٠/ ٩٦).

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان - بهامش تفسير الطبرى (٣٠/ ١١١).

(٦) سورة البقرة: الآية: (٨٣).

* بل إن الإحسان إلى اليتامى مقترن بتحقيق العبودية لله -جل وعلا- فقد قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾[1].

* وتتعاقب الآيات التى تحض على الإحسان إلى اليتامى.

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

لا يُطعم اليتيم إلا المخلصون الذين يرثون الجنة

قال تعالى فى حق المخلصين: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ أى: ويطعمون الطعام ابتغاء وجه الله مع شهوتهم له وحاجتهم إليه... ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ فكان الجزاء لمن أطعم اليتيم ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾....[3] فيا له من أجر عظيم.

نبيان يقيمان جدارًا ليتيمين! فأين من يتأسى بهما؟!

فى ظل تلك الرحلة المباركة التى صحب فيها نبى الله (موسى) و(الخضر) عليهما السلام[4]. فكان من بين الأحداث التى ذُكرت أنهما قاما ببناء جدار ليتيمين فى تلك المدينة فلما سأله موسى عليه السلام عن سبب

---

(١) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٢٠).

(٣) سورة الإنسان: الآيات: (٨-١٢).

(٤) مع الاعتراف بأن العلماء قد اختلفوا فى ذلك: هل كان الخضر نبيًا أو كان عبدًا صالحًا ... والراجح - والله أعلم - أنه كان نبيًا.

ذلك قال: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[١] فإن كان أنبياء الله قد فعلوا هذا الخير فى حق اليتامى فأين من يتأسى بهم فى بناء جدران اليتامى التى لا تجد من يقيمها[٢]؟!

ثمرات وفضائل كفالة اليتامى

١- كفالة اليتيم والإحسان إليه امتثال لأمر الله:

فإن الذى أمر بذلك هو الله -جل وعلا-... ولذلك قرن الله (عز وجل) بين عبوديته وبين الإحسان إلى اليتامى فقال (جل وعلا): ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[٣] فمن أحسن إلى اليتامى فقد أطاع الله فيما أمره.

٢- إكرام لمن شارك رسول الله ﷺ فى صفة اليتم:

فى إكرام اليتيم والقيام بأمره إكرام لمن شارك رسول الله ﷺ فى صفة اليُتم، وفى هذا دليل على محبته ﷺ.

٣- تحل البركة على من يكفلون اليتامى:

فإن من كفل يتيمًا وأحسن إليه فإن البركة تحلُّ عليه وعلى أسرته.

* وتأمل معى ما حدث فى بيت أبى طالب - عم النبى ﷺ - عندما كان فقيرًا ومع ذلك لما كفل الحبيب محمدًا ﷺ عرفت البركة طريقها إلى بيته.

فلقد كان أبو طالب فقيرًا وكانت زوجته تشعر بأن أولادها لا يشبعون

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٨٢).

(٢) «أنا وكافل اليتيم فى الجنة»/ للمصنف (ص: ٨-١٠).

(٣) سورة النساء: الآية: (٣٦).

من الطعام أبدًا فلما عاش الحبيب ﷺ بينهم دخلت البركة لأول مرة فى هذا البيت الكريم وبخاصة فى طعام الأولاد إذا أكل معهم الحبيب ﷺ .

* فكان عيال أبى طالب إذا أكلوا جميعًا أو فُرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يغذيهم أو يعشيهم يقول: كما أنتم حتى يأتى ابنى، فيأتى رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضل من طعامهم.

وإن كان لبنًا شرب رسول الله ﷺ أولهم، ثم تناول القعب - القدح - فيشربون منه، فيروون عن آخرهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرب قعبًا وحده. .. فيقول أبو طالب: إنك لمبارك.

وكان الصبيان يصبحون شُعثًا رُمصًا [١]، ويصبح رسول الله ﷺ دهينًا كحيلاً [٢].

٤- من أراد أن يلين قلبه ويدرك حاجته فليرحم اليتيم وليمسح رأسه وليطعمه من طعامه:

* يروى أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له ﷺ : **«أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك»**[٣].

- **وفى رواية قال: «ادن اليتيم منك وألطفه وامسح رأسه وأطعمه من طعامك فإن ذلك يلين قلبك ويدرك حاجتك»**[٤].

---

(١) الرمص: وسخ أبيض جامد يجتمع فى موق العينين.

(٢) انظر عيون الأثر (١/ ٥١)، والسيرة الحلبية (١/ ١٨٩).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى كما فى الترغيب والترهيب (٣/ ٢٣٧) ومجمع الزوائد (٨/ ١٦٠)، وقالا: فى إسناده من لم يسم، وبقية مدلس، ورواه عبد الرزاق فى الجامع (١١/ ٩٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠).

(٤) حسن: رواه البيهقى (٤/ ٦٠)، والخرائطى فى مكارم الأخلاق (ص ٢١٨)، وابن عساكر (٤٧/ ١٥٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٠).

فيا من تشعر بقسوة قلبك ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك وأدنه منك وألطفه فسوف يلين قلبك وتدرك حاجتك بإذن الله جل وعلا.

٥- كفالة اليتيم من الأخلاق الحميدة التى أقرها الإسلام وامتدح أهلها:

* عن السائب بن عبد الله ؓ قال: جيء بى إلى النبى ﷺ يوم فتح مكة - جاء بى عثمان بن عفان وزهير - فجعلوا يُثنون عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«لا تُعلمونى به، قد كان صاحبى فى الجاهلية»**. قال: قال: نعم يا رسول الله، فنِعم الصاحب كنت. قال: فقال: **«يا سائب! انظر أخلاقك التى كنت تصنعها فى الجاهلية فاجعلها فى الإسلام: اقرِ الضيف، وأكرمِ اليتيم، وأحسن إلى جارك»**[1].

* بل لقد أثنى النبى ﷺ على صالح نساء قريش لشدة الرأفة والرحمة باليتيم.

* **عن أبى هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نساء ركبن الإبل[2] صالح نساء قريش. أحناه[3] على يتيم فى صغره، وأرعاه على زوج فى ذات يده[4]»[5].**

٦- سلامة المجتمع من الحقد والكراهية:

كَفَالَةُ اليتيم تساهمُ فى بناءِ مُجتمَعٍ سليمٍ خالٍ من الحِقدِ والكَرَاهيَّةِ، وتَسودهُ رُوحُ المحبَّةِ والوُدِّ.

---

(١) رواه أحمد (١٥٠٧٤) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

(٢) ركبن الإبل: أى نساء العرب، ولهذا قال أبو هريرة فى الحديث: لم تركب مريم بنت عمران بعيراً قط. والمقصود أن نساء قريش خير نساء العرب.

(٣) أحناه: أى أشفقه. والحانية على ولدها: التى تقوم عليهم بعد يُتم فلا تتزوج. فإن تزوجت فليست بحانية. والمعنى: أحناهن.

(٤) ذات يده: أى شأنه المضاف إليه.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٨٢) كتاب النكاح، ومسلم (٢٥٢٧) كتاب فضائل الصحابة.

٧- دليل على صلاح المرأة التى أوقفت حياتها على كفالة أيتامها:

كَفَالَةُ اليتيم دليلٌ على صلاح المرأة إذا مات زوجُها فَعَالت أولادها وخيريَّتهَا فى الدنيا وفوزها بالجنة ومصاحبة الرسول ﷺ فى الآخِرة.

* **وعن أبى هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أنه تأتى امرأة تبادرنى، فأقول لها: ما لك، وما أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتامٍ لى»**(١).

ماذا كانت مؤهلات تلك المرأة لكى تنال هذه الدرجة الرفيعة؟ لا شىء سوى أنها قامت بتربية اليتامى!... لا شىء سوى أنها عكفت على تربية اليتامى والإحسان إليهم!

تأمل أى منزلة هذه؟! إنها أفضل وأشرف منزلة، فيا سعادة من نال جواره ويا سعد من كان رفيقه فى الجنة ... ويا شقاء من أُبعد عن رفقته ﷺ ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾(٢).

* **أخى الحبيب:**

إن كان لديك شوق أن تكون مع النبى ﷺ فى الجنة، فأحسن معاملة اليتيم ... إن كان لديك شوق أن تكون مع سيد الأولين والآخرين، وقائد الغُرّ المحجلين، فأدخل السرور على قلب يتيم .... امسح رأسه ... أُكس بدنه ... أضحك من اليتامى وجوهًا شق الحزن فى خدودها أخاديد!

«ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» فامسح رؤوس اليتامى تُعط من الله الأجر العظيم، والخير العميم(٣).

٨- الفوز بالحسنات بالمسح على رأس اليتيم:

* **عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «من مَسحَ رأسَ يتيمٍ لم يمسحه**

---

(١) أخرجه أبو يعلى وذكره الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٦٢)، وذكره الحافظ ابن حجر فى الفتح (١٠/ ٤٣٦) بإسناد لا بأس به، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (٥٣٧٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

(٣) منهاج الصالحين (ص: ٦٠٧).

إلا لله كان له بكل شعرة مرّت عليها يدهُ حسناتٌ، ومن أحسنَ إلى يتيمة أو يتيمٍ عنده كنت أنا وهو فى الجنة هاتين» وفرّق بين أصبعيهِ السَّبَّابة والوُسطَى(١).

٩- الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله:

قال ﷺ: «الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار»(٢) فالأرملة التى تُوفى عنها زوجها وقد يكون ترك لها أولاداً يتامى قد تجرعوا غُصص اليُتم منذ نعومة أظفارهم، فهم أحوج ما يكون إلى يدٍ حانية تمتد لتمسح جراحاتهم من على صفحات قلوبهم المنكسرة ومن هذا المنطلق حثّ النبى ﷺ أصحاب القلوب الرحيمة على أن يتسابقوا من أجل هؤلاء اليتامى ومن أجل تلك الأم التى انكسر فؤادها بموت زوجها. فمن سعى عليها وعلى أولادها فهو كالمجاهد فى سبيل الله وكالذى يقوم الليل ليناجى ربه وهو كذلك كالذى يصوم النهار ... فأين أصحاب العقول وأين المشمرون للفوز بهذا الأجر العظيم وتلك المكانة السامية؟!!

١٠- صحبة النبى ﷺ فى الجنة:

قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا - وأشار بالسبّابة والوسطى وفرّج بينهما-»(٣).

وفى رواية: «أنا وكافل اليتيم له أو لغيره فى الجنة والساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله»(٤).

* قال ابن بطال: حقٌ على من سمع هذا الحديث- يعنى قول الرسول ﷺ -:

---

(١) أحمد (٥/ ٢٥٠)، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٩٠): رواه أبو داود باختصار ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٥٣) كتاب النفقات، ومسلم (٢٩٨٢) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٠٠٥) كتاب الأدب.

(٤) أخرجه الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد (٨/ ١٦٠) قال الهيثمى: رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط وفيه ليث بن أبى سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٧٦).

«أنا وكافل اليتيم فى الجنة»- أن يعمل به ليكون رفيق النبى ﷺ فى الجنَّة، ولا منزلة فى الآخرة أفضل من ذلك(١).

روى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود كُن لليتيم كالأب الرحيم وكن للأرملة كالزوج الشفيق واعلم أنه كما تزرع كذا تحصد.

وقال داود عليه السلام فى مناجاته: إلهى ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك؟ قال: جزاؤه أن أظله فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى.

وإطعام اليتامى من أعظم صفات أهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾(٢).

اليتيم يأخذ بيديك إلى الجنة

أيها الأخ الحبيب ... أيتها الأخت الفاضلة:

تعرَّفوا على اليتامى واذهبوا إليهم وقدموا لهم الطعام والشراب والكساء فإن اليتامى لهم دولة يوم القيامة.

فإن كان اليتيم مؤمنًا ومن أهل الجنة فإن الله - جل وعلا - عندما يأمر الملائكة بأن يأخذوه إلى الجنة ... يقول لليتيم: اذهب فانظر فى أرض المحشر فمن أطعمك فىَّ طُعمة أو كساك فىَّ كسوة، أو سقاك فىَّ شربة ماء فخذ بيديه وأدخله الجنة!!!

فيا لها من لحظة عندما تكون فى كُرب يوم القيامة فى ذلك اليوم الذى يبلغ طوله خمسين ألف سنة ... والناس حُفاة عُراة غُرلاً والشمس قد دنت فوق الرؤوس والناس وقوف بلا طعام، ولا شراب، ولا ظل وقد خاض أحدهم فى عرقه حتى ألجمه إلجامًا .. وجيء بجهنم لها سبعون ألف زمام

(١) فتح البارى (١٠/ ٤٥١).

(٢) سورة الإنسان: الآية: (٨).

مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها فتزفر زفرة تكاد تتفلت منهم فلا يبقى مَلَكٌ مُقرب، ولا نبيٌّ مرسَل إلا جثى على ركبتيه وقال: يا رب سلِّم. سلِّم.

فبينما أنت فى هذا الكرب وفى تلك الشدة التى وصفها الله تعالى بقوله: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[1] وبقوله: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾[2]، تجد يتيمًا كنت قد قدمت له الطعام والشراب فى الدنيا فيأتيك ويقول لك: ألست أنت الذى قدمت لى الطعام والشراب فى يوم كذا وكذا؟! فتقول: نعم. فيأخذ بيديك ويقول لك: فإن الله أمرنى أن آخذ بيديك إلى جنته ومستقر رحمته.

فيا له من موقف أجد قلمى عاجزًا عن وصفه ... إنها الفرحة التى لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من زخرف ومتاع. فلو أنك تملك الدنيا بأسرها لافتديت بها من هول يوم المحشر فها أنت الآن قد أنعم الله عليك بالمال فارحم يتامى المسلمين فكن عونًا لهم فى الدنيا يكن الله فى عونك فى الدنيا والآخرة.

صور مشرقة من الإحسان إلى اليتامى

وها هى صور مشرقة من الإحسان إلى اليتامى نسوقها إليكم عسى أن تكون حاديًا لنا جميعًا إلى الإحسان لليتامى.

*** قصة تملأ القلب نورًا:**

قال أحد السلف: كنت فى بداية أمرى مُكبًّا على المعاصى وشرب الخمر فظفرت يومًا بصبى يتيم فقير فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته وكسوته، وأدخلته الحمام وأزلت شعثه وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر فبتُّ ليلة بعد ذلك فرأيت فى النوم أن القيامة قد قامت ودُعيت إلى الحساب وأمر

---

(١) سورة الحج: الآية: (٢).

(٢) سورة المزمل: الآية: (١٧).

بى إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصى فسحبتنى الزبانية ليمضوا بى إلى النار وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجروننى سحبًا إلى النار وإذا بذلك اليتيم قد اعترضنى بالطريق وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربى حتى أشفع له إلى ربى فإنه قد أحسن إلىّ وأكرمنى . . .

فقالت الملائكة: إنا لم نؤمر بذلك وإذا النداء من قِبل الله تعالى يقول: خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه.

قال: فاستيقظت وتُبت إلى الله عز وجل وبذلت جهدى فى إيصال الرحمة إلى الأيتام. فيا إخوانى هيا بنا نبذل جهدنا لإيصال الرحمة إلى الأيتام فلعل الله أن ينفعنا بدعواتهم وشفاعتهم لنا يوم القيامة . . . فلنُسرع الخُطا إلى هذا الخير ولسان حال كل واحد منا: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[1].

● **قصة المرأة العلوية:**

ورُوى أنه كان هناك رجل قد نزل فى بلد من بلاد العجم.

وله زوجة وله منها بنات، وكانوا فى سعة ونعمة، فمات الزوج، وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة.

فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء، واتفق خروجها فى شدة البرد، فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة ومضت تحتال لهم فى القوت، فمرت بجَمعين. جَمع على رجل مسلم، وهو شيخ البلد. وجَمع على رجل مجوسى، وهو ضامن البلد. فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له. وقالت: أنا امرأة علوية، ومعى بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة، وأريد الليلة قوتهم . . . فقال لها: أقيمى عندى البينة أنك علوية شريفة . . . فقالت: أنا امرأة غريبة ما فى

---

(١) سورة طه: الآية: (٨٤).

البلد من يعرفنى، فأعرض عنها.

فمضت من عنده منكسرة القلب، فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسى فشرحت له حالها، وأخبرته أن معها بنات أيتامًا، وهى امرأة شريفة غريبة، وقصَّت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم. فقام وأرسل بعض نسائه، وأتوا بها وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام، وألبسهن أفخر اللباس، وباتوا عنده فى نعمة وكرامة.

قال: فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامه كأن القيامة قد قامت وقد عُقد اللواء على رأس النبى ﷺ، وإذا القصر من الزمرد الأخضر ... شُرفاته من اللؤلؤ والياقوت، وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان، فقال: يا رسول الله لمن هذا القصر؟ قال: لرجل مسلم موحد. فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد. فقال رسول الله ﷺ: لما قصدتك المرأة العلوية قلت: أقيمى عندى البينة أنك علوية، فكذا أنت أقم عندى البينة أنك مسلم: فانتبه الرجل حزينًا على ردِّه المرأة خائبة، ثم جعل يطوف بالبلد، ويسأل عنها، حتى دُلَّ عليها أنها عند المجوسى، فأرسل إليها فأتاه فقال له: أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها. فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقنى من بركاتهم ما لحقنى. قال: خذ منى ألف دينار وسلمهن إلىّ. قال: لا أفعل. فقال: لابد منهن. فقال له: إن الذى تريده أنت أنا أحق به، والقصر الذى رأيته فى منامك خُلق لى. أتدل علىَّ بالإسلام؟ فو الله ما نمت البارحة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية، ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك، وقال لى رسول الله ﷺ: العلوية وبناتها عندك؟. قلت: نعم يا رسول الله. قال: القصر لك، ولأهل دارك، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة، خلقك الله مؤمنًا فى الأزل، قال: فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله.

.. فانظــر رحمك الله إلى بركــة الإحسان إلــى الأرملة والأيتام مــا أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا[1]..

● قصة عجيبة:

قال بعض الصالحين:

دخلت إلى «مصــر» فوجدتُ حــدَّادًا يُخرج الحديد بيــده من النار ويقلّبه على السِّندال ولا يجد لذلك ألمًا، فقلتُ فى نفسى: هذا عبد صالح لا تعدو عليه النار، فدنوتُ منه وسلّمت عليه فردّ علىَّ السلام، فقلتُ له: بالذى مَنَّ عليك بهذه الكرامة إلا ما دعوت لى، فـبكى وقال: والله يا أخى ما أنا كما ظننت.

فقلتُ له: يا أخى إن هذا الذى تفعله لا يقدر عليه إلا الصالحون.

فقال: إن لهذا الأمر حديثًا عجيبًا.

فقلت له: إن رأيت أن تُعرفنى به فافعل.

قال: نعم، قــال: كنتِ يومًا من الأيام جــالسًا فى هذه الدكــان، وكنت كثير التخليط، إذ وقفت علىَّ امرأة لم أر قطّ أحسن منها وجهًا، فقالت: يا أخى هل عندك شىء لله؟

.. فلما نظرت إليها فُتنتُ بها وقلتُ لها:

هل لك أن تمضى معى إلى البيت وأدفع ما يكفيك؟

فنظرت إلىّ زمانًا طويلاً فذهبت وغابت عنىّ طويلاً ثم رجعت وقالت: يا أخى قد أحوجتنى الضرورة إلى ما ذكرت.

قال: فقفلت الدكان ومضيتُ إلى البيت، فقالت لى:

يا هذا إن لى أطفالاً وقد تركتهم علــى فاقة شديدة فإن رأيت أن تعطينى شيئًا أذهب به إليهم وأرجع إليك فافعل.

---

(١) الكبائر للإمام الذهبى - تحقيق د. أسامة عبد العظيم (١٢١، ١٢٢).

قال: فأخـذتُ عليهـا العهـود والمواثيق ودفعتُ لهـا بعضًـا من الدراهم فمـضت وغابت ساعـة ثم رجعت فـدخلتُ بها إلى البيـت وأغلقت الباب

فقالت: لمَ فعلت هذا؟

فقلتُ لها: خوفًا من الناس!

فقالت: ولِمَ لا تخاف من رب الناس؟!

فقلتُ لها: إنه غفور رحيم.

ثم تقدمت إليـها فوجدتهـا تضطرب كما تضطرب السعـفة فى يوم ريح عاصف، ودموعُها تتحدّر على خدّيها فقلت لها:

مِمَّ اضطرابك وبكاؤك؟

فقالت: خوفًا من الله عزّ وجل.

ثم قالت لى: يا هذا إن أنت تركتنى لله دعوت الله لك ألا يعذّبك بالنار فى الدنيا والآخرة.

قال: فقمت وأعطيتها جميع ما عندى وقلت لها:

يا هذه قد تركتك خوفًا من الله عزّ وجل.

فلمّا فـارقتنى غلبـتنى عينى فنمت فـرأيت امرأة لم أر قطّ أحـسن منها وجهًا وعـلى رأسها تاج من الياقـوت الأحمر، فقـالـت لى: جزاك الله عنا خيرًا.

قلت لها: من أنت؟

قالت: أنا أمُّ الصِّبيـة التى أتتك وتركتـها خـوفًا من الله عـز وجل لا أحرقك الله بالنار فى الدنيا ولا فى الآخرة.

ثم أفقـتُ من نومى ومن ذلك الوقت لم تعدُ علىَّ الـنار وأرجو أن لا تعدو علىَّ فى الآخرة».

* * *

وقفات هامة

يقال: إنه يوجد فى العالم الإسلامى أكثر من خمسة ملايين يتيم يحتاجون إلى كفالة، ونحن لن نتكلم اليوم عن جمعيات كبار لكفالة الأيتام أو عن وزارات تكفل الأيتام وتعمل فى ذلك، لأننا فى كلامنا لا نعتمد هذه الأشياء الرسمية... وليس ذلك تقليلاً من شأنها لكن نريد من كل واحد منا أن يكون له جهد ذاتى فى موضوعاتنا.

زُرت أحد البلاد العربية فإذا بعدد اليتامى أربعمائة ألف لم يُكفل منهم إلى الآن إلا خمسون ألفًا والباقى لا يزالون يحتاجون إلى كفالة.

رأيت والله بعض هؤلاء يمشون فى الشارع يسألون الناس.

أحيانًا الجمعيات الخيرية لا تستطيع أن تقوم عليهم أو لا يكون عندها من المصادر المالية ما يمكنها من أن ترعى بها هؤلاء الأيتام.

- فأين جيرانهم؟

أين مُدرسوهم؟

أين الناس الذين يرونهم فى الشارع؟

لماذا لا يستطيعون أن يعاونوهم؟

من الأشياء التى نستطيع أن نفعلها مع هؤلاء: أن نُهديهم، وأن نذهب لمدارسهم، وأن نعرف المتفوقين منهم ونشجعهم على هذا التفوق، وعلى إبداعهم وعلى مشاركتهم الوجدانية، وهذا كله له دور وأثر كبير فى الشخص وفى اليتيم نفسه.

فلا بد أن يشعر بالعطف والحنان الخارجى.

وحبذا لو نفعل هذا معه دون أن نُشعره بأن هذا بسبب يُتمه.

والشخص الذى يفعل هذا تُفتح له الأبواب من حيث لا يدرى بسبب

دعوة من هذا اليتيم.

ومن يُحسن إلى الناس يُحسن الله تعالى إليه... الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [1].

إن مواساة أهل اليتيم ومواساة الأم فيه إشعارها بأن المجتمع معها وهذا بلا شك نوع من الخير.

* بعض الذين يتعاملون مع الأيتام يتعاملون معهم بدلال زائد.

لما جاء رجل إلى النبى ﷺ قال: يا رسول الله، إن فى حجرى يتيمًا. فما يحل لى وما يحرم؟ يعنى كيف أتعامل معه... قال النبى ﷺ: **«ما كنت مؤدبًا ولدك فأدبه مثله»**، مثلما تضرب ولدك اضربه.

وذلك لئلا يبين أنك تعامله على أنه يتيم.

فعلينا أن نحرص على أن نصنع منهم أناسًا يغيرون مجرى التاريخ، فالإمام أحمد رحمه الله نشأ يتيمًا مات أبوه وعمره ثلاث سنوات، والشافعى أيضًا نشأ يتيمًا وسفيان الثورى نشأ يتيمًا، والأوزاعى إمام من أئمة الفقه نشأ يتيمًا.

ويكفيك أن رسول الله ﷺ وُلد أصلاً يتيمًا ومع ذلك غيَّر مجرى الدنيا.

وغيرهم كثير نشؤوا أيتامًا، ومع ذلك استطاعوا أن يكون لهم أثر فى التاريخ.

ومعى رسالة من أحد اليتامى يقول فيها: على المجتمع ألا ينظر لليتيم نظرة الشفقة، فنحن تعبنا من هذه النظرة، نحن نريد الاحترام من الآخرين.

* أنا أذكر أن أحد الإخوة أحضر لقيطًا ليربيه وليُرضعه مع ولده واتفق مع زوجته أن يقول للناس: إن هذا ابنى وهو فعلاً ابنه من الرضاع -

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٩٥).

فوافقت الزوجة وقالت: جزاك الله خيرًا؛ فهذا أرحم من أن تتزوج علىَّ فى الحقيقة وقالوا للناس هذا بالكذب، وربى الولد عنده، والناس يظنون أنه ابنه ولا يشكون لحظة فى ذلك.

- صحيح أن هناك أوراقًا رسمية لا يطلع عليها أحد؛ لكن لا يعلم أنه ليس ابنه إلا هو وزوجته حتى أبناؤه الكبار لا يعلمون.

ويقول: لله الحمد، كان راتبى قليلاً وكانت الحالة ميسورة، وبعدما جاء عندنا هذا اليتيم، أتت الدنيا كلها إلينا، وأصبح كل شىء متيسرًا، فزاد المعاش وتحسنت الأمور المالية والنفسية وكل شىء، وإضافة إلى محبة الناس، والراحة مع الزوجة؛ وصارت الطمأنينة فى البيت والراحة.

بل يذكر أنه فعل كما فعل أصحاب الكهف الذين أُطبقت عليهم الصخرة، وكانوا يذكرون أعمالهم الصالحة ويدعون الله بها. يقول: فى بعض الأحيان حين تتعقد الأمور وتصعب أذكر الله سبحانه وتعالى بهذا الشىء وأقول: اللهم إن كنت تعلم أنى ما ربيت اليتيم إلا ابتغاء وجهك؛ فافرج عنى كذا وكذا. فتنفرج.

وهنا سألناه سؤالاً: أحيانًا ثقافة المجتمع عندنا ربما تحول بين بعض الناس وبين أن يفعل كهذا الرجل.

فكيف تلقت زوجتك وتقبلت أن تأتى بولد وتربيه مع أولادها ويكبر معهم؟

وكيف تقبل المجتمع الذى حولك هذا الأمر؟

فقال: بداية أنا جاءتنى الفكرة بسبب إحدى قريباتى، وكانت قد أتت بطفل وشجعتنى على هذا الأمر بسبب قولها لى: إن تربيتها لليتيم فتحت لها أبواب الرزق وكل شىء.

فعرضت هذا الموضوع على زوجتى وفى بداية الأمر كانت رافضة وبعد

الإقناع ولله الحمد أتينا باليتيم، وبعدما أتينا به كان الناس سواء من أقاربى أو من أقاربها مستنكرين لهذا الأمر؛ لكن بداية الأمر كانت صعبة جداً.

توجد بعض دور الأيتـام التى بها مـجموعة مـن الأيتام الرُّضَّع الذين لا يزالون فى الأشـهر الأولى، يمكن للإنسـان أن يتـفق مع الدار، وأن يأخـذ بعضهم إذا كانت زوجته تُرضع حتى تُرضعه؛ لأجل أن يصبح ولداً له أو إذا كـانت زوجتـه لها أخت مُـرضعـة، فليـحاولوا أن يرضعـه من تتحـقق به المحرمية.

المقـصـود: أن عـيش هؤلاء الأيتـام فى أسـر خـيـر من عـيـشـهم فى مجموعات.

ومن يخـجل أن يـأخـذ طفـلاً من دور الأيتـام أو عـنده شىء من هذا القبيل؛ يمكنه أن يستعيض عن هذا بجار له يتيم أو قريب يتيم.

* ولو رفضت الزوجة فكيف أقنعها؟

يمكن ذلك عن طريق تذكيرها بالأجر العظيم والثواب الجزيل.

ويقول لـها الزوج: نأخـذ هذا الولد وإذا لم ينصلح حاله بـعد شـهر أو شهرين أو ثلاثة؛ نعيده إلى دار الأيتام مرة ثانية.

ويذكر بعض النـاس وهو من المهتمـين بهذا الأمر أنه حـصلت له بعض المواقف منها أنه كان فى إحدى المتنزهات وكان مـعه مجموعة من الأيتام من أصحاب الظروف الخاصة - مجهـولى الأبوين - فكانت توجد مجموعة من القرود يلعبون على جانب الطريق فأراد بعض الأيتام أن يذهبوا إليهم ويلعبوا معهم، وأكبرهم فى أولى إعدادى يعنى فى سن الثانية عشرة تقريبًا.

وفى أثناء نزولنا كـان يوجد أحد الآباء وكـان معه مـجموعـة أيضًا من أبنائه؛ وكان هناك مشهد مؤثر؛ ألا وهو أنه كان هناك قرد صغير تحتضنه أمه كى لا يرمى عليه الأولاد شيئًا فيؤذيه.

فأراد الأب أن يقول لهم كلمة فى بر الوالدين؛ لكن بطريقة حقيقية فقال لكل الموجودين بما فيهم الأيتام الذين معى: انظروا يا شباب إلى هذه الأم كيف تحمى أولادها؟ وبدأ يتكلم كلامًا طويلاً جدًّا عن الأم.

فجأة سكت جميع الأيتام الذين معى ثم تكلم أحد الأيتام وقال: أنا أمنيتى أن تكون هذه أمى، ولو كانت قردة.

المشكلة: أننا قد نكون عرفنا حجم المشكلة التى يعانى منها الأيتام أصحاب الظروف الخاصة؛ لكن نسأل الله أن يعوضهم فى الآخرة أو فى الدنيا بأحد من أصحاب القلوب الرحيمة.

ويحكى هذا الرجل أن كثيراً منهم نجح فى الحياة وفى الدراسة. ولوحظ أن بعض هؤلاء الأيتام سواء مجهولوا الأبوين أو غيرهم عندهم عدم ثقة بأنفسهم، وهذا يخرب حياته أكثر من نظرة المجتمع.

وأيضًا مجموعة كبيرة منهم يتمحورون حول مشكلتهم ويقولون: مشكلتى أنى يتيم واليتيم يحتاج إلى عطف.

*** عندى بعض الحقائق سأعرضها عليكم:**

* كنت أبحث فى المنظمات التنصيرية وكيف يكون عملها فى استغلال الأيتام خاصة فى البلدان التى يقع فيها شىء من اضطهاد المسلمين.

أنتم تعرفون الاضطهاد الذى وقع على أفغانستان، وعلى العراق.

فالعراق وحدها وصل عدد الأيتام فيها إلى مليونين ونصف يتيم. ومثل ذلك فى أفغانستان، وعدد كبير فى الصومال، وفى تشاد.

مع الأسف بعض الدول الظالمة تُحدث مشاكل فى هذه الدول الأخرى المسلمة، ثم ترسل بعض ذلك منظماتها ليبدؤوا فى هذا العمل الحقير.

ففى العراق دخل إليها مائة منظمة تنصيرية بحجة الإغاثة والمساعدة.

وبعد تسونامى فى عام ٢٠٠٤م مباشرة دخلت المنظمات التنصيرية،

وأول مدرسة أنشئت للأيتام كان فيها ثلاثمائة يتيم ثم بعد ذلك صاروا يأخذون الأيتام ويرحلون بهم إلى الخارج حتى انتبهت إليهم الحكومة الأندونيسية ومنعتهم من أن يسافروا بالأطفال تحت سن ستة عشر عامًا: لكن بعد خراب مالطا.

بل إن أحد المُنصِّرين كتب وقال: نحن لا نأتي إليهم لنُنَصِّرهم مباشرةً، لكننا نعمل لهم أعمالاً تجعل هؤلاء الصغار يسألون: لماذا أنتم رُحماء؟ لماذا نحن فقراء؟ لماذا تساعدوننا؟ لماذا تضحكون لنا؟

فنقول لهم: إن يسوع هو الذى يأمرنا بذلك... يسوع هو الذى أرسلنا إليكم، ونحو ذلك.

توجد منظمة اسمها (وورلد هيلب) المساعدة العالمية أيضًا جاءت إلى «أتشيه» المدينة التى نُكبت فى تسونامى وكان لها أيضًا دور قوى جدًا فى التنصير، كانوا يأتون بالمنصرين كل أربعة أو خمسة فى طائرة تحمل أكثر من أربعمائة راكب، ولا يوجد بها إلا هؤلاء المنصرون الذين يمكن أن يأتوا فى أى طائرة أخرى، لكن الطائرة تكون فارغة ليس فيها سوى هؤلاء الأربع أو الخمسة الركاب ثم يرجعون بها وقد امتلأت.

فينبغى علينا أن نكون كما قال الله عز وجل: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [1]، ينبغى علينا أن نكون صادقين فى العناية بهم؛ لعل الله تعالى أن يكفينا الشر بذلك[2].

* **وفى الختام:** أسأل الله (جل وعلا) أن يملأ قلوب المسلمين رأفة ورحمة لهؤلاء الأيتام الذين انكسرت قلوبهم بموت آبائهم.

.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

---

(١) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٢) ضع بصمتك/ د. محمد العريفى (ص: ٢٣٦-٢٤١) بتصرف.



النبى ﷺ وصُحبة الصالحين

النبى ﷺ ...وصُحبة الصالحين

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

- فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذِن لنا بالدخول.

فلما دخلنا وجدنا النبى ﷺ جالسًا مع بعض أصحابه وهو يوصيهم وصية غالية ويقول: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى**»[1].

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا فى هذه الليلة مع نعمة الصحبة الصالحة.

اصحب الأخيار حتى لا تحزن

اعلم أيها الأخ الحبيب:

أن الصاحب كصاحبه، وأن القرين بالقرين، وأن الناس أشكال كأشكال الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والدجاج مع الدجاج، والنسور مع النسور، والصقور مع الصقور، كلٌ مع شكله، والطيور على أشكالها تقع، والخليل على دين خليله.

ففر من قرين السوء فرارك من الأسد، فهو أجرب مُعدٍ يُقودك إلى جهنم

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٢) كتاب الأدب والترمذى (٢٣٩٥) كتاب الزهد وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٣٤١).

إن أجبته قذفك فيها، وسيكون لك عدواً بين يدى الله الواحد الأحد، ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾(١) .

ها هو عُقبة بن أبى معيط، كان يجلس مع النبى ﷺ بمكة، ولا يؤذيه وكان كافراً، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه ﷺ يؤذونه، وكان لابن أبى معيط صديق كافر غائب بالشام، وقد ظنت قريش أن عقبة قد أسلم لما يعامل النبى ﷺ من معاملة حسنة، فلما قدم خليله من الشام قالت قريش: ها هو خليلك.. ابن أبى معيط قد أسلم، فغضب خليله وقرينه غضباً شديداً وأبى أن يكلِّم عقبة، وأبى أن يسلم عليه حتى يؤذى النبى ﷺ ، فاستجاب عقبه له وآذى النبى ﷺ حتى إنه خنقه بتلابيبه ذات مرة، وحتى أنه بصق فى وجهه الشريف مرة أخرى، فاستأثر بكل حقارة ولؤم على وجه الأرض فى تلك الساعة، وكان عاقبته أن مات يوم بدر كافراً، فأنزل الله فيه وفى أمثاله قرآنا يُتْلَى إلى يوم القيامة ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾(٢) .

فإياك وصديق السوء، فإنه يعدى كما يعدى الصحيحَ الأجربُ.

إذا كنت فى قوم فصاحبْ خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينه
فكُلُّ قرين بالمقارن يقتدى(٣)

* فاحرص أيها الأخ الحبيب على صحبة الأخيار الذى يأخذون بيديك إلى جنَّة الله -جلَّ وعلا- ورضوانه.

---

(١) سورة الزخرف: آية (٦٧).

(٢) سورة الفرقان: آية (٢٧-٢٩).

(٣) هكذا علمتنى الحياة/ للشيخ الحبيب على القرنى - حفظه الله- (ص: ٧٦، ٧٧).

- فالمؤمن ينتفع بإخـوانه الصالحين فى الدنيا والآخرة.. فـأما فى الدنيا فـهم الذين يحـرصـون كل الحـرص على إيصـال المنافع الدينيـة والدنيـوية لإخوانهم، ويحرصون على دفع المضار عن إخوانهم.

- وأما فى الآخرة فإن المؤمنين يشفع بعـضهم لإخوانهم؛ ليدخلوا الجنة إذا أذِنَ الله لهم بذلك -سبحانه وتعالى.

الناس كمعادن الأرض

لو تأملت فى الناس لوجـدت أن لهم طبـائع كطبائع الأرض.. فـمنهم الرفـيق اللين.. ومنهم الصلب الخـشن.. ومنهم الـكريم كالأرض المنـبتـة الكريمـة.. ومنهم البخـيل كالأرض الجـدباء التى لا تُمسك مـاءً ولا تُنبت كلأً.. إذن الناس أنواع..

ولو تأملت لوجـدت أنك عـند تعـاملك مع أنواع الأرض تراعى حـال الأرض وطبيعتها.. فطريقة مشيك على الأرض الصلبة تختلف عن طريقتك فى المشى على الأرض اللينة.. فـأنت حَذِر متأنٍّ فى الأولى.. بينمـا أنت مرتاح مطمئن فى الثانية.. وهكذا الناس..

قال ﷺ: «إن الله تعـالى خلق آدم من قبـضة قـبضـها من جمـيع الأرض فجاء بنو آدم عـلى قدر الأرض فجاء منهم: الأحمـر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسهل، والحزن، والخبيث، والطيب»[1]..

فعند تعـاملك مع الناس انتبـه إلى هذا - وانتبهى - سـواء تعاملت مع قريب كأب وأم و زوجة وولد.. أو بعيد كجار وزميل وبائع..

ولعلك تلاحظ أن طبائع الناس تـؤثر فيهم حتى عند اتخـاذ قراراتهم.. وحتى تتيقن من ذلك.. اعمل هذه التـجربة: إذا وقعت بينك وبين زوجتك

(١) أخرجـه أحمد (٤/٤٠٦)، وأبو داود (٤٦٩٣) كتـاب السنة ، والترمذى (٢٩٥٥) ، كـتاب تفسـير القرآن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٥٩)..

مشكلة.. فاستنشر أحد زملائك ممن تعلم أنه صلب خشن.. قل له: زوجتى كثيرة المشاكل معى.. قليلة الاحترام لى.. فأشِر علىَّ..

كأنى به سيقول: الحريم ما يصلح معهن إلا العين الحمراء!! اضربها واجعل شخصيتك قوية عليها!! كن رجلاً!!

وبالتالى قد تثور أنت ويخرب عليك بيتك بهذه الكلمات.. أكمل التجربة.. اذهب إلى صديق آخر تعرف أنه هيِّن لين لطيف.. وقل له ما قلت للأول.. ستجد حتمًا أنه يقول: (يا أخى هذه أم عيالك.. وما فيه زواج يخلو من مشاكل.. اصبر عليها.. وحاول أن تتحملها.. وهذه مهما صار فهى زوجتك.. وشريكتك فى الحياة).. فانظر كيف صارت طبيعة الشخص تؤثر فى آرائه وقراراته [1].

ولذلك أمرنا النبى ﷺ بصحبة الصالحين ونهانا عن صحبة الطالحين.

فالصاحب ساحب إما أن يأخذ بيديك إلى مرضاة الله (جل جلاله)، وإما أن يأخذ بيديك إلى معصية الله؛... ولذلك جاءت وصية الحبيب المصطفى ﷺ حينما قال: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى**»[2].

* * *

---

(١) استمتع بحياتك/ د. محمد العريفى (ص: ٧٦).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٢) كتاب الأدب والترمذى (٢٣٩٥) كتاب الزهد، وأحمد (٣/٣٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٤١).

لن تجد صديقًا مثاليًا .... فلا تحزن

فمن الناس من يريد صديقًا تتوافر فيه كل المميزات ولا يوجد فيه أى شىء من العيوب والنقائص . . . وكأنه بذلك يريد أن يكون صديقًا لنبى من الأنبياء - صلوات ربى وسلامه عليهم-.

* **أخى الحبيب:** إن طلب الكمال من المُحال.

- **قال أحد السلف:** نحن ما رضينا عن أنفسنا فكيف نرضى عن غيرنا؟!

وقال بعض البُلغاء: لا يُزهدنَّك فى رجلٍ حمدتَ سيرتَه، وارتضيتَ وتيرتَه، وعرفتَ فَضْلَه، وبطنت عقله - عيبٌ خفى - تحيط به كثرة فضائله، أو ذنبٌ صغيرٌ تستغفر له قوة وسائله، فإنك لن تجد - ما بقيت - مهذبًا لا يكون فيه عيب، ولا يقع منه ذنب، فاعتبر بنفسك بعدُ ألا تراها بعين الرضا، ولا تجرى فيها على حُكم الهوى، فإن فى اعتبارك بها، واختبارك لها، ما يواسيك مما تطلب، ويعطفك على من يذنب، وقد قال الشاعر:

ومن ذا الذى تُرضى سجاياه كلها

كفى المرء نُبلاً أن تُعَدَّ معايبُه

* **ونصيحتى لك:** أنه إذا حدثت هفوة من صديقك فاعف عنه وانظر إلى بحار حسناته وستجد أن تلك الهفوة ستذوب فى تلك البحار.

وهفوة الصديق لا تخلو إما أن تكون فى دينه بارتكاب معصية أو فى حقك بتقصيره فى الأخوة . . . أما ما يكون فى الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فعليك التلطف فى نصحه بما يقوم أوده - اعوجاجه - ويجمع شمله ويعيد إلى الصلاح والورع حاله.

وفى حديث عمر وقد سأل عن أخ كان قد آخاه، فخرج إلى الشام، فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال: ما فعل أخى؟ قال: ذلك أخو الشيطان

قال: مه، . . . قال إنه قارف الكبـائر حتى وقع فى الخمر. قال: إذا أردت الخروج فآذنى فكتب عند خروجه إليه «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حم ① تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ② غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾[1]. ثم عاتبه تحـت ذلك وعزله. فلما قرأ الكتـاب بكى وقال: «صدق الله . . . نصح لى عـمـر فتـاب ورجع . . . وكـذلك حُكى عن أخـوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقيل لأخيه: ألا تقطعه وتهجره، فقال: أحوج ما كـان إلىَّ فى هذا الوقت لما وقع فى عـثرته أن آخذ بيـده وأتلطف له فى المعاتبة وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه».

قال جعفر بن سليمان: مهما فترت فى العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعـة فيرجع إلىَّ نشاطى فى العبـادة وفارقنى الكـل وعملت عليه أسـبوعًا . . . وهـذا التحقـيق وهو أن الصداقة لحـمة كلحـمة النسب والقريب لا يجوز أن يُهجَر بالمعصية، ولذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ فى عشـيرته: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2]. ولم يقل إنى برىء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب.

وإلى هذا أشـار أبو الدرداء لما قـيل له: ألا تبغض أخـاك وقد فـعل كذا؟ فقال: إنما أبغض عمله وإلا فهـو أخى وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة. ولذلك قيل لحكيم: أيمـا أحب إليك أخوك أو صديقك؟ فـقال: إنما أحب أخى إذا كان صـديقًا لى. وكـان الحسن يقـول: كم من أخ لم تلده أمك. ولذلك قيل: القرابة تحتاج إلى مودة والمودة لا تحتاج إلى قرابة.

وقال بعضهم: الصبر على مضض الأخ خير من معـاتبته، والمعاتبة خير من القطيعة، والقطيعة خير من الوقيعة. وينبغى أن لا يبالغ فى البغضة عند

---

(١) سورة غافر: الآيات: (١ - ٣).

(٢) سورة الشعراء: الآية: (٢١٦).

الوقيعة. قال تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

وقال على رضي الله عنه: «أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: «لا يكن حبك كلفًا ولا بغضك تلفًا، وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك».

ترك المعاتبة من المروءة

إن أردت أن تكون محبوبًا لدى الناس فاعف عنهم واترك معاتبتهم قدر استطاعتك فإن الناس لا يحبون من يعاتبهم أو يوبخهم.

* وتأمل معى كيف أنه لما حدثت هفوة يسيرة بين ابن السماك - واعظ هارون الرشيد - وبين صديقٍ له فقال له هذا الصديق: الميعاد بينى وبينك غدًا نتعاتب.

فقال له ابن السماك: بل بينى وبينك غدًا نتغافر!

وهو جواب يأخذ بمجامع القلوب، ملؤه فقه وواقعية، يشير إلى وجود قلب وراء هذا اللسان يلدغه واقع المسلمين، وتؤلمه أسباب تفرقهم.

فلماذا التعاتب المكفهر بين الإخوة؟ كل منهم يطلب من صاحبه أن يكون معصومًا!

أليس التغافر أولى واطهر وأبرد للقلب؟

أليس جمال الحياة أن تقول لأخيك كلما صافحته: رب اغفر لى ولأخى، ثم تضمر فى قلبك أنك قد غفرت له تقصيره تجاهك؟

---

(١) سورة الممتحنة: الآية: (٧).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى (١٩٩٧) كتاب البر والصلة، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٨) موقوفًا على (على).

أو ليس عبوس التعاتب تعكيرًا تصطاد الفتن فيه كيف تشاء؟

بلى والله...

وما أحسن قول الشاعر:

من اليوم تعارفنا ... ونطوى ما جرى منا

فلا كان ولا صار ... ولا قلتم ولا قلنا

وإن كان ولا بد ... من العتبى فبالحسنى

ثم يأبى إلا أن يزيد مرحه - مع إخوانه - فيبدّل نغمته قائلاً:

تعالوا بنا نطوى الحديث الذى جرى ... ولا سمع الواشى بذاك ولا درى

تعالوا بنا حتى نعود إلى الرضا ... وحتى كأن العهد لم يتغيّرا

لقد طال شرح القال والقيل بيننا ... عفا الله عن ذاك العتاب الذى جرى

ثم يبدل نغمته ثالثة، ويتملّق أصحابه؛ ليديم محبة أخويَّة لذيذة قد ذاق طعمها الفريد، فيقول:

تعالوا نخلِّ العتبَ عنا ونصطلح ... وعودوا بنا للوصل فالعود أحمدُ

ولا تخدشوا بالعتب وجه محبة ... له بهجة أنوارها تتوقَّدُ[1]

* * *

(١) انظر العوائق (ص: ١٢٩ - ١٣١).

كن سليم الصدر لإخوانك

يقال إن أطول الناس أعمارًا وأسعدهم عيشًا وأهدأهم بالاً من سلمت صدورهم وطهرت سرائرهم وزكت بواطنهم، فلا يحسدون أحدًا ولا يحملون الغلّ والحقد على أحد . . . يناموون ملء جفونهم بلا غم ولا قلق ولا أرق، . . . ويسهر غيرهم، لأن قلوبهم قد امتلأت غشًا وحقدًا وحسدًا، فقلوبهم مشتعلة، فكيف يقرّ لهم قرار، وكيف يغمض لهم جفن؟[1].

* فالمؤمن سليم الصدر لا يحسد ولا يحقد.

وإن أدنى ثمرات المحبة التى يغرسها الإيمان فى قلب المؤمن هى سلامته من الغل والحسد، فإن أنوار الإيمان كفيلة أن تُبدد دياجير الحسد من قلبه، وبذلك يُمسى ويُصبح سليم الصدر، نقى الفؤاد، يدعو بما دعا به الصالحون: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

المؤمن لا يحسد، لأن الحسد - كما سمّاه رسول الله - «داء» من أدواء الأمم، داء نفسى يصنع بالروح ما تصنع الأوبئة بالأجسام، فهو غم على صاحبه، ونكد دائم له، وغيظ لقلبه لا ينتهى أمده، بل هو داء جسدى أيضًا، يُنهك القُوى، ويُؤذى البدن، ويُغيِّر الوجه.

والمؤمن لا يحسد، لأنه يحب الخير لعباد الله جميعًا، وهو لا يعارض ربه فى رعاية خلقه أو تقسيم رزقه ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾[3].

إنه مؤمن بعدل ربه فيما قسم من حظوظ، وما وزع من مواهب، ويعتقد

---

(١) لا تحزن وكن مطمئنًا (ص: ٢٩).

(٢) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٣٠).

أن قضاءه تعالى فى خلقه صادر عن حكمة بالغة يعرف منها ويجهل، وقد قيل: «الحاسد جاحد، لأنه لم يرض بقضاء الواحد» ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾(١).

ومن هنا نرى المؤمن لا يفرح بالمصيبة تنزل بغيره، ولا يحزن للنعمة يسوقها الله إلى عبد من عباده.

والمؤمن لا يحسد، لأن همته منوطة بما هو أرفع وأبقى من الدنيا التى يتنافس عليها الناس، ويتحاسدون، وإنما يوجه همته إلى معالى الأمور، إلى المعانى الباقية: إلى الآخرة والجنة.

روى البخارى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا حسد إلا فى اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويُعلمها»(٢)... ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾(٣).

وقال ابن سيرين: ما حسدتُ أحدًا على شىء من أمر الدنيا ... إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهى حقيرة فى جنب الجنة؟ وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على الدنيا وهو يصير إلى النار؟

والمؤمن لا يحقد، لأنه عفو كريم، يكظم غيظه وهو يستطيع أن يُمضيه، ويعفو وهو قادر على الانتقام، ويتسامح وهو صاحب الحق، لا يشغل نفسه بالخصام والعداوات، فالعمر لا يتسع لمثل هذا العداء، والدنيا لا تستحق عنده هذا العناء. فكيف يُسلم قلبه للعداوة والأحقاد فتنهشه أفاعيها السامة؟

وكيف يبيت وفى قلبه لأخيه شحناء العداء فيبيت بعيدًا عن رحمة الله؟ فى الحديث: **«تُعرضُ الأعمال كل يوم اثنين وخميس، فيغفر اللهُ عز وجل فى**

---

(١) سورة النساء: الآية: (٥٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣) كتاب العلم، ومسلم (٨١٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) سورة المطففين: الآية: (٢٦).

ذلك اليوم لكل امرئ لا يُشرك بالله شيئًا، إلا امرءًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا»[١].

والمؤمن لا يحسد ولا يبغض، لأن الحسد والبغضاء من بذور الشيطان، والمحبة والصفاء من غرس الرحمن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾[٢].

هذا - وسلامة القلب من الضغن والحسد أول ما يتصف به المؤمن، بل أدنى ما يتصف به. ولا يكمل إيمان المؤمن حتى يُحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه[٣].

إن سلامة صدرك لإخوانك سبب فى دخول الجنة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة»، فطلع رجلٌ من الأنصار تنطف لحيته[٤] من وضوئه، وقد تعلق نعليه فى يديه الشمال، فلما كان الغد قال النبى ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبى ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى. فلما قام النبيُّ ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: إنى لاحيت أبى[٥] فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى فعلت. قال: نعم.

قال أنس: وكان عبد الله يحدّث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة المائدة: الآية: (٩١).

(٣) الإيمان والحياة (ص: ١٧٦ ، ١٧٨) بتصرف.

(٤) تنطف لحيته: يتساقط منها الماء.

(٥) لاحيت أبى: أى: نازعته.

فلم يره يقوم من الليل شيئًا، غير أنه إذا تعارّ وتقلب على فراشه ذكر الله -عزَّ وجلَّ- حتى يقوم لصلاة الفجر.

قال عبد الله: غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيرًا.

فلما مضت الثلاث ليالٍ، وكدتُ أحتقر عمله قلت: يا عبد الله! إنى لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجْر، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرارٍ: **«يطلُع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة»** فطلعت أنت الثلاث مرارٍ، فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به، فلم أرك تعمل كثير عملٍ، فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟

فقال: ما هو إلا ما رأيت!!

قال: فلما ولَّيتُ دعانى فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أنى لا أجد فى نفسى لأحدٍ من المسلمين غشًّا، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه.

فقال عبد الله: هذه التى بلغت بك، وهى التى لا نطيق[1].

* **فيا أخى الحبيب:**

- كن سليم الصدر لإخوانك لتسعد فى الدنيا والآخرة.
- ارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس.
- ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس.
- لا تحمل فى قلبك غلاً ولا غشًّا ولا حقدًا لأحدٍ من المسلمين ولا تحسد أحدًا.
- لا تحزن على ما فاتك من الدنيا ... فالدنيا كلها لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد (١٢٢٨٦/١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- فى تفسيره (٣٣٨/٤): وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين.

فضائل الأخوة فى الله

إن فضائل الأخوة فى الله كثيرة جداً وسأكتفى بذكر بعضها:

(١) أنها سبب لتذوق حلاوة الإيمان:

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سرَّه أن يجد حلاوة الإيمان؛ فليُحب المرء لا يحبه إلا لله عز وجل»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث مَن كُن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يُقذَف فى النار»(٢).

(٢) محبة الأخ لأخيه من أوثق عُرى الإيمان:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أوثق عُرى الإيمان: الموالاة فى الله، والمعاداة فى الله، والحب فى الله، والبغض فى الله»(٣).

(٣) أن الاجتماع قوة:

أن الاجتماع قوة ومجالس أهل التقوى يهابها شياطين الجن والإنس، أما إذا اعتزل المؤمن إخوانه الصالحين، فإنه يصبح عُرضة للوساوس والأفكار ولذلك قال ﷺ: «عليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية»(٤).

(٤) أن رؤيتك لأهل الاستقامة تجعلك تجتهد فى طاعة الله جل وعلا . .

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٧٩٠٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٨٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٦) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٣) كتاب الإيمان.

(٣) حسن: رواه الطبرانى (١١/ ٢١٥)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٧٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٩٨).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٥٤٧) كتاب الصلاة، والنسائى (٨٤٧) كتاب الإمامة، وأحمد (٢١٢٠٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٠٦٧).

قال ﷺ : «أولياء الله تعالى الـذين إذا رُؤوا ذُكر الله تعالى»[١] فإن كان هذا الخير يحصل لمن رآهم فكيف بمن يجالسهم . .

ولهذا قال سفيان: لربما لقيت الأخ من إخوانى فأقيم شهرًا عاقلاً بلقائه.

(٥) أن مجالسة أهل التقوى تجعلك تعرف من خلالهم أناسًا آخرين من أهل الخير فيكونون لك ذخرًا فى الدنيا والآخرة.

(٦) أنهم يجعلونك فى زيادة دائمة فى العلم والعبادة: وذلك لأنهم يتسابقون دائمًا إلى الخير. . . فتكون كل يوم فى زيادة . . . ولهذا قال الحسن البصرى: من نافسك فى دينك فنافسه، ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره.

وقال عثمان بن الحكيم: اصحب من هو فوقك فى الدين ودونك فى الدنيا.

(٧) أنهم يأخذون بيديك إلى فعل الخيرات وترك المنكرات والتزود من النوافل والسعى إلى مرضاة الله جل وعلا.

(٨) أنهم يحفظون غيبتك فلا يفشوا لك سرًا، ولا ينتهكوا لك حُرمة بل يدافعون عنك فى كل زمان ومكان.

(٩) أنهم مرآة لك تتعرف من خلالهم على أخطائك وعيوبك وتسعى لإصلاحها.

قال الحسن البصرى: قد كان مَن قبلكم من السلف الصالح يلقى الرجل الرجل فيقول: يا أخى ما كل ذنوبى أُبصر، ولا كل عيوبى أعرف فإذا رأيت خيرًا فمُرنى، وإذا رأيت شرًا فانهنى. . . وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: رحم الله امرءًا أهدى إلينا مساوينا. . . . . . وكان أحدهم يَقبل موعظة أخيه فينتفع بها[٢].

(١٠) أن مجالسة أهل الصلاح اغتنام للأوقات فى العلم والتعلم والذكر وغيره.

(١١) أنك تأنس بهم فى الرخاء، وكذلك فهم عُدة فى البلاء. . . . يمدون

---

(١) **صحيح:** رواه الحكيم (٤/ ٨٠)، وابن المبارك (١/ ٧٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧٣٣).

(٢) الزهد/ للحسن البصرى (ص ١٤٣).

لك يد العون لتخفيف همك وغمك ويقدمون لك النصائح الغالية.

قال عمر بن الخطاب: «عليك بإخوان الصدق، فَعِش فى أكنافهم، فإنهم زَين فى الرخاء، وعُدة فى البلاء».

وقال رجل لداود الطائى: أوصنى. قال: «اصحب أهل التقوى، فإنهم أيسر أهل الدنيا عليك مؤونة، وأكثرهم لك معونة».

(١٢) أن مجالسهم هى مجالس المغفرة والرحمة... كما قال ﷺ: «ما جلس قوم يذكرون الله تعالى فيقومون حتى يقال لهم: قوموا قد غفر الله لكم ذنوبكم وبُدلت سيئاتكم حسنات» (١).

(١٣) أن من يجالس الصالحين تشمله بركة مجالسهم ويعمُّه الخير الحاصل لهم، وإن لم يكن عمله بالغًا مبلغهم.

كما دل على ذلك الحديث الذى رواه أبو هريرة.... وفى آخره: «قال: فيقول الله: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم، قال: فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة» وفى لفظ: «فيهم فلان عبد خطَّاء إنما مرَّ فجلس معهم، فيقول: هم الجلساء لا يشقى جليسهم» وفى لفظ: «فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» (٢).

قال أبو الفضلة الجوهرى: إن مَن أحب أهل الخير نال من بركتهم فهذا كلب أحب أهل الفضل وصحبهم فذكره الله فى محكم تنزيله.... ويعنى بالكلب: كلب أهل الكهف المذكور فى قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ (٣).

قال القرطبى فى تفسيره بعد إيراده لكلام الجوهرى: قلت: إذا كان بعض

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (٦/ ٢١٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦١٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) سورة الكهف: الآية: (١٨).

الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء، حتى أخبر الله بذلك فى كتابه جل وعلا، فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين المحبين للأولياء والصالحين[1].

(١٤) ومنها أن المرء مجبول على الاقتداء بجليسه والتأثر بعلمه وعمله وسلوكه ومنهجه فمُجالس أهل الخير يتأثر بهم.

قال سفيان بن عيينه: انظروا إلى فرعون معه هامان..... انظروا إلى الحجَّاج معه يزيد بن أبى أسلم شرٌّ منه.... انظروا إلى سليمان بن عبد الملك صحبه رجاء بن حيوة فقوَّمه وسدَّده[2].

وقال ابن مسعود: ما من شىء أدل على شىء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب[3].

وقال مالك: الناس أشكال كأشكال الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط والصعو مع الصعو، وكل إنسان مع شكله[4].

وقال عدى بن زيد:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى
إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

(١٥) أن جليسك الصالح يكفُّك عن المعاصى لحيائك منه وبذلك تعتاد ترك المعاصى لكثرة مجالسة أهل الصلاح.

(١٦) أنك تنتفع بدعائهم لك فى الحياة الدنيا - بظهر الغيب- وبعد مماتك.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٧٢) فى تفسير سورة الكهف.

(٢) كتاب العزلة (ص ١٤١).

(٣) أدب الدنيا والدين/ للماوردى (ص ١٦٧).

(٤) روضة العقلاء/ لابن حبان (ص ١٠٩).

قال عليه الصلاة والسلام: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل»[(١)].

قال عبيد الله بن الحسن لرجل: استكثر من الصديق -يعنى: الصالح- فإن أيسر ما تصيبه أن يبلغه موتك فيدعو لك[(٢)].

(١٧) إن الله أوجب محبته للمتحابين فيه:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله سبحانه وتعالى: وجبت محبتى للمتحابين فىَّ، والمتجالسين فىَّ، والمتباذلين فىَّ، والمتزاورين فىَّ»[(٣)].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن رجلاً زار أخًا له فى قرية أخرى، فأرصد[(٤)] الله سبحانه وتعالى على مدرجته[(٥)] ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لى فى هذه القرية، قال: هل لك عليه نعمة تربُّها[(٦)] عليه؟ قال: لا، غير أنى أحببته فى الله تعالى قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك، كما أحببته فيه»[(٧)].

* وقال تعالى: «حقَّت محبتى للمتحابين فىَّ، وحقت محبتى للمتواصلين فىَّ، وحقت محبتى للمتناصحين فىَّ، وحقت محبتى للمتزاورين فىَّ، وحقت محبتى للمتباذلين فىَّ .... المتحابون فىَّ على منابر من نور يغبطهم بمكانتهم النبيون والصديقون والشهداء»[(٨)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) كتاب الإخوان (ص ١١٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢١٥٢٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٣١).

(٤) أرصده لكذا: اعده له، ووكله بحفظه.

(٥) المدرجة: الطريق، سُميت بذلك، لأن الناس يمرون عليها.

(٦) يربُّها: أى يقوم بإصلاحها، وتنهض إليه بسبب ذلك.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٨) صحيح: رواه أحمد (١٨٩٤٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٢١).

(١٨) أن المحبة فى الله من الإيمان، وإفشاء السلام سبب لحصولها:

فعن أبى هريرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَ لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**(١).

قال النووى - رحمه الله -:

وأما معنى الحديث: فقوله ﷺ : **«ولا تؤمنوا حتى تحابوا» معناه:** لا يكمل إيمانكم، ولا يصلح حالكم فى الإيمان إلا بالتحابّ»(٢).

(١٩) أن الحب فى الله والبغض فى الله دليل على كمال إيمان العبد.

قال رسول الله ﷺ : **«من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»**(٣).

(٢٠) ومن فوائد المحبة فى الله أن الله يكرم من أحب عبداً لله.

وإكرام الله للمرء يشمل إكرامه له بالإيمان والعلم النافع والعمل الصالح، وسائر صنوف النعم.

عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ : **«ما أحب عبدٌ عبداً لله إلا أكرمه الله»**(٤).

(٢١) أن أعظم الأصحاب عند الله منزلة أشدهما حبًّا لصاحبه:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«ما تحابَّ اثنان فى الله -سبحانه وتعالى- إلا كان أفضلهما أشدهما حبًّا لصاحبه»**(٥).

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم (٢/ ٣٥).

(٣) **صحيح:** رواه أبو داود (٤٦٨١) كتاب السنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٩٦٥).

(٤) **صحيح:** رواه أحمد (٢١٧٢٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٥٦).

(٥) **صحيح:** رواه البخارى فى الأدب المفرد (٥٤٤)، وأبو يعلى (٦/ ١٤٣)، وابن حبان (٥٦٦)، والحاكم (٤/ ١٨٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٥٩٤).

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه**»[١] .

(٢٢) أن المرء يُحشر مع من أحب:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبى ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «**وما أعددت لها؟**» قال: لا شىء إلا أنى أحب الله ورسوله، فقال ﷺ : «**أنت مع من أحببت**»، قال أنس: فما فرحنا بشىء فرحنا بقول النبى ﷺ : «**أنت مع من أحببت**» قال أنس: فأنا أحب النبى ﷺ وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم[٢] .

وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم؟ فقال ﷺ : «**المرء مع من أحب**»[٣] .

(٢٣) المتحابون فى الله يظلهم الله فى ظل عرشه يوم القيامة:

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله -سبحانه وتعالى- يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى**»[٤] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله، -وذكر منهم- ورجلان تحابا فى الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه**»[٥] .

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى (١٩٤٤) كتاب البر والصلة، وأحمد (٦٥٣٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٦٨٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦١٦٨) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٤١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٢٤) أن المتحابين فى الله لهم منابر من نور، يجلسون عليها يوم القيامة:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله -سبحانه وتعالى-: المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور، يغبطهم[1] النبيون والشهداء»[2].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله سبحانه وتعالى: حُقت[3] محبتى للمتحابين فىَّ، وحقت محبتى للمتواصلين فىَّ، وحقت محبتى للمتناصحين فىَّ، وحقت محبتى للمتزاورين فىَّ، وحقت محبتى للمتباذلين فىَّ، المتحابون فىَّ على منابر من نور، يغبطهم النبيون والصدِّيقون، والشهداء»[4].

(٢٥) أنك تنتفع بشفاعتهم لك يوم القيامة:

إن صحبة أهل الإيمان تثمر لك الخير كله فى الدنيا والآخرة.

فأما فى الدنيا: فإنه يُذكرك بالله ويعينك على طاعته وينصرك إذا كنت فى حاجة إلى النصرة ويبذل لك كل ما يستطيع من أجل أن يُدخل عليك السرور والسعادة.

وفى الآخرة يشفع لك عند الله (عز وجل).

قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[5] ولذلك فعلينا أن نتعاهد من الآن على أنه مَن أَذِن الله له بالشفاعة يوم القيامة أن يشفع لإخوانه المؤمنين.

---

(١) الغبطة - بكسر الغين: تمنى مثل ما للمغبوط من نعمة دون تمنى زوالها عنه، وليست بحسد، والفعل غبط من باب ضرب.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٠) كتاب الزهد، وأحمد (٢١٥٧٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣١٢).

(٣) حقت: وجبت.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢١٤٩٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٢١).

(٥) سورة الزخرف: الآية: (٦٧).

قال ﷺ موضحًا هذا المشهد المهيب من مشاهد يوم القيامة - عندما يشفع المؤمنون لإخوانهم-: «...ثم يُضرب الجسرُ على جهنم، وتحلُّ الشفاعة، ويقولون: اللهم سلِّم سلِّم». قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «دحض مَزِلَّةٌ، فيه خطاطيف، وكلاليب، وحسكة تكون بنجد، فيها شويكة، يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والرِّكاب، فناجٍ مُسلَّم، ومخدوشٌ مُرسَل، ومكدوسٌ فى نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله فى استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا مَن عرفتم، فتُحرَّمُ صورهم على النار، فيُخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه. فيقولون: ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول الله عز وجل: ارجعوا، فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا به. ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا، ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا»[1].

(٢٦) أنك بمحبتك للصالحين وزيارتك لهم تقترب من الجنة شيئًا فشيئًا قال ﷺ: «ألا أخبركم برجالكم فى الجنة؟» قالوا: بلى يا رسول الله. فقال: «النبى فى الجنة، والصدِّيق فى الجنة، والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر لا يزوره إلا لله فى الجنة»[2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٤٠) كتاب التوحيد، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (١٩/ ١٤٠)، وفى الأوسط (٦/ ١١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٧).

أسباب تقوية الأخوة والمحبة

(١) إخبار من تحبه بأنك تحبه فى الله:

قال ﷺ: «إذا أحب أحدكم أخاه فليُعلمه أنه يحبه»[١]، وفى رواية: «إذا أحب أحدكم أخاه فى الله فليُعلمه فإنه أبقَى فى الألفة وأثبت فى المودة»[٢].

وكما حدث بين أبى إدريس الخولانى عندما قال لمعاذ بن جبل: والله إنى لأحبك لله .. ولك أن تتخيل معى أن أخاك المسلم أقبل عليك وقال لك: إنى أحبك فى الله .. ألا تتحرك عاطفة المحبة فى قلبك لأخيك وتشعر وقتها بأن لك مكانة فى قلب إخوانك المؤمنين فتزداد حبًّا لهم؟!!.

(٢) القصد فى الحب والبغض:

وهو ألا تبالغ فى محبتك لإخوانك فوق المقصود أو تبالغ فى كراهيتك لأعدائك .. لأنه قد ينقلب الحال فيصبح الصديق أعلم بالمضرة. ولذا قال على رضي الله عنه: «أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»[٣].

(٣) قضاء حوائج إخوانك وإدخال السرور عليهم:

قال ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تُدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضى عنه دَيْنًا أو تطرد عنه جوعًا ولأن أمشى مع أخى المسلم فى حاجة أحبّ إلىّ من أن أعتكف فى المسجد شهرًا ومن كفّ غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظًا ولو شاء أن يُمضيه أمضاه

---

(١) رواه البخارى فى الأدب (١/١٩١، رقم ٥٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٤١٧).

(٢) صحيح: رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان (ص١٢٠، رقم ٦٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٠).

(٣) صحيح: وقد تقدم.

ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجة حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يُفسد الخلُّ العسلَ»[1].

(٤) إفشاء السلام:

لقول النبى ﷺ: «والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أوَ لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[2].

(٥) كثرة الهدايا بين الإخوة:

لقوله ﷺ: «تهادوا تحابوا»[3] فالهدية لها أثر عظيم ووقع جميل فى قلوب الناس .. فالإنسان مجبول على محبة ما يُهْدَى إليه وعلى محبة صاحب الهدية ولذلك فالهدية مطلوبة لإيجاد المحبة بين المؤمنين وكذلك لدعوة الناس إلى دين الله جل وعلا.

(٦) حسن الظن بإخوانك:

وذلك لأن سوء الظن يوجد البغضاء بينهم .. وحسن الظن يجعل المؤمن يشعر بمحبة أخيه له وبقيمته وقدره عنده وتلك أمور تجلب المحبة بينهم.

(٧) تخول الزيارة:

لقوله ﷺ: «زُر غِبًّا تزدد حُبًّا»[4] وذلك لأن كثرة الزيارة قد توجد فى القلب شيئًا .. وأما قلة الزيارة تجعل الإنسان فى شوق شديد لرؤية ذلك

---

(١) حسن: رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب قضاء الحوائج (ص ٤٧ ، رقم ٣٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٣) حسن: رواه البيهقى (٦/ ١٦٩)، والبخارى فى الأدب المفرد (٥٩٤)، وأبو يعلى (١١/ ٩)، وابن عدى (٤/ ١٠٤)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الإرواء (١٦٠١).

(٤) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (٤/ ٢١)، والحاكم (٣/ ٣٩٠)، وتمام (١/ ٣٥، رقم ٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٦٨).

الإنسان . . كما قال النبى ﷺ لجبريل عليه السلام: «ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟» قال: فنزلت هذه الآية ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾(١) إلى آخر الآية(٢).

(٨) الحرص على الطاعة وترك المعصية:

فالطاعة هى التى تجمع بين المؤمنين . . . والمعصية هى التى تفرق بينهم كما قال النبى ﷺ: «ما تواداً اثنان فى الله فيُفرَّق بينهما إلا بذنب يُحدثه أحدهما»(٣).

وقال فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظله: «ورجلان تحابا فى الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه»(٤).

ولذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾(٥).

قال ابن كثير رحمه الله(٦): يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين، الذين يعملون الصالحات، وهى الأعمال التى تُرضى الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية يغرس لهم فى قلوب عباده محبة ومودة، وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ . . ثم أورد حديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلانًا فأحِبَّه، فيحبه جبريل عليه السلام، ثم ينادى فى أهل السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له

---

(١) سورة مريم: الآية: (٦٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٧٣١) كتاب تفسير القرآن.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥٣٣٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٣٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٥) سورة مريم: الآية: (٩٦).

(٦) تفسير ابن كثير (٣/١٢٨) دار الريان.

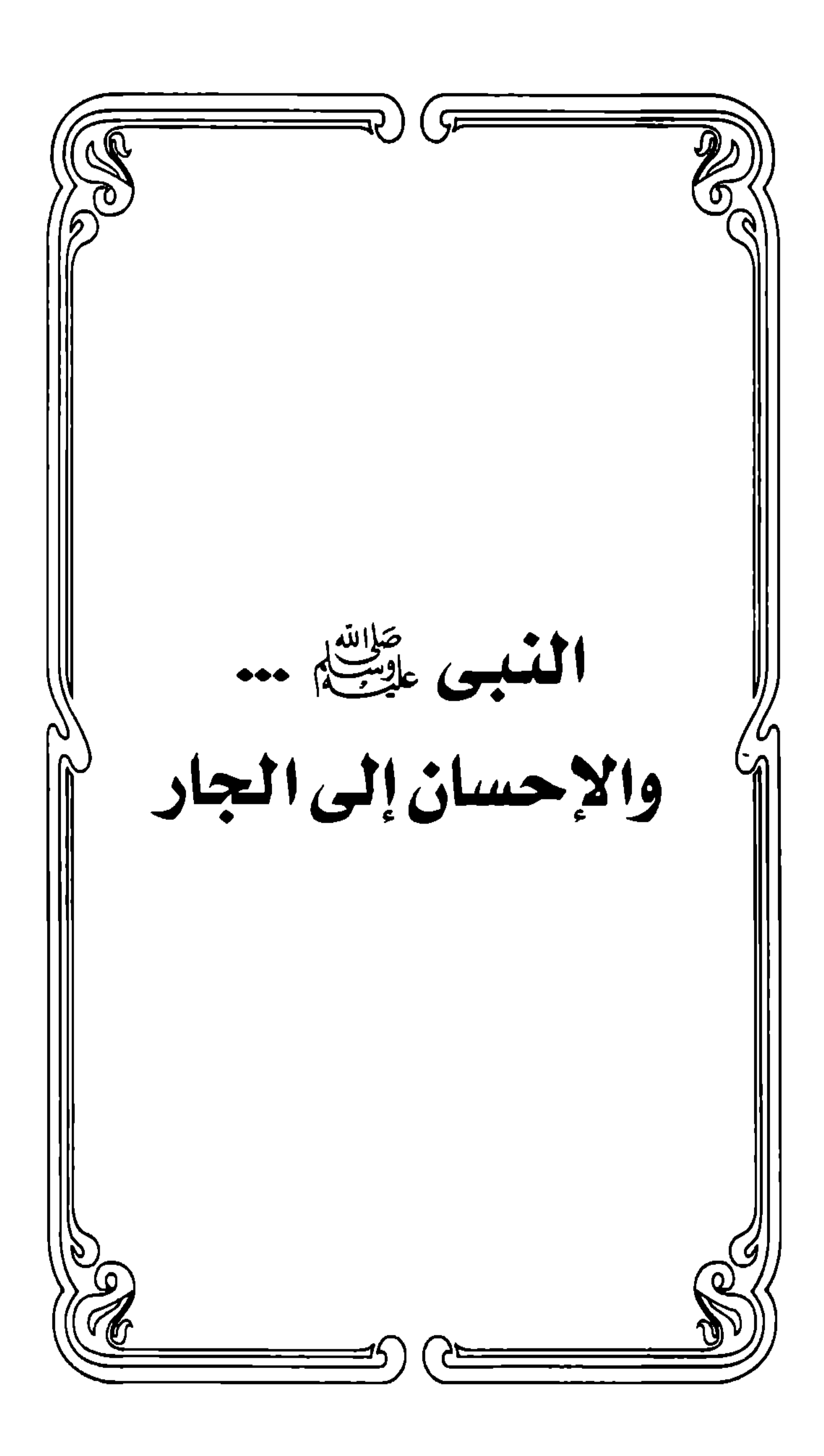
القبول فى الأرض»[1].

* كتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن مخلد: سلام عليك أما بعد، فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، فإذا أحبه الله حبَّبه إلى عباده، وإن العبد إذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه بغَّضه إلى عباده[2].

* فأسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنا لذة الحب فى الله وأن يجمعنا فى الفردوس الأعلى إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٤٠) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٣٧) كتاب البر والصلة والآداب.
(٢) إنما المؤمنون إخوة للمصنف (٨- ١١).



النبى ﷺ ...
والإحسان إلى الجار

النبى ﷺ ... والإحسان إلى الجار

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.

فلما أذن لنا النبى ﷺ ودخلنا وجدناه جالسًا بين جماعة من أصحابه ليخبرهم بهذه الوصية الغالية التى أوصاه بها جبريل (عليه السلام).

فقال لهم ﷺ: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش فى هذه الليلة بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة الإحسان إلى الجار.

حقٌ ضائع

لا شك أن حق الجار أصبح من الحقوق الضائعة فى هذا الزمان بين كثير من الناس.

فأكثر الناس لا يعانى فقط من عدم إحسان جاره إليه... بل إنه يعانى من إيذاء جاره له - ولا حول ولا قوة إلا بالله -.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٥) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٢٥) كتاب البر والصلة والآداب.

وما علم هذا الإنسان الذى يؤذى جاره أن هذا الفعل يقدح فى دينه وإيمانه فقد أقسم النبى ﷺ على ذلك فقال: **«والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن»** قيل: من يا رسول الله؟ قال: **«الذى لا يأمن جاره بوائقه»**[1].

أى لا يأمن: شروره وآثامه وأذاه.

* فتعالوا بنا لنعرف حق الجار فى ظل هذا الدين العظيم ولنبدأ صفحة جديدة نملؤها إحسانًا وإكرامًا لجيراننا حتى تعود المحبة بين المسلمين مرة أخرى كما كانت فى عهد النبى ﷺ وأصحابه والتابعين من بعدهم.

مكانة الجار فى الجاهلية والإسلام

كان العرب فى الجاهلية يُعظمون حق الجار، ويحترمون الجوار، ويعتزون بثناء الجار عليهم، ويفخرون بذلك، وكان منهم من يحفظ عورات جاره ولا ينتهكها، وقد قال عنترة بن شداد فى ذلك شعرًا:

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى

حتى يوارى جارتى مثواها

* **وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:** ثلاثة أخلاق كانت فى الجاهلية مستحبة والمسلمون أولى بها:

أولها: لو نزل بهم ضيف لاجتهدوا فى برّه.

والثانى: لو كانت لواحد منهم امرأة كبرت عنده لا يطلقها ويمسكها مخافة أن تضيع.

والثالث: إذا لحق بجاره دَينٌ أو أصابه شتت أو جهد اجتهدوا حتى يقضوا دَينه وأخرجوه من تلك الشدة[2].

---

(١) رواه البخارى (٦٠١٦) كتاب الأدب.

(٢) تنبيه الغافلين (ص: ١٠١).

وحينما جاء الإسلام أكد حق الجوار، وحث عليه، وجعله كالقرابة، حتى كاد أن يورِّث الجار من جاره؛ كما قال النبى ﷺ: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

الجيران ثلاثة

قال العلماء: «الجيرانُ ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقّان، وجار له ثلاثة حقوق. فالجار الذى له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم، فله حق الجوار، وحق الإسلام، وحق الرحم، وأما الذى له حقان فالجار المسلم. له حق الجوار وحق الإسلام. وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك، وجاء بذلك حديث لكنه ضعيف، وهذا التقسيم موافق لما جاءت به الآيات والأحاديث بالنسبة لحق المسلم وحق القريب وحق الجار، كما أنه موافق للتقسيم العقلى الاستقرائى وعلى هذا فللجار الكافر مهما كان كفره حق الجوار فى الإحسان إليه وترك إيذائه»[١] .

منزلة الجار فى الإسلام

للجار منزلةٌ عظيمةٌ، ومكانة عليَّةٌ، يدلُّ على ذلك كثرةُ النُّصوص الواردة فى الحث على الإحسان إليه، والترغيب فى ذلك، ولنَقْتَطف من تلك النُّصوص ما يلى:

١- قال الله سبحانه: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ[٢] وَالْجَارِ الْجُنُبِ[٣] ﴾[٤] .

---

(١) السلوك الاجتماعى فى الإسلام لحسن أيوب (٢٨٢، ٢٨٣).

(٢) الجار ذى القربى: الذى بينك وبينه قرابة.

(٣) الجار الجنب: الذى ليس بينك وبينه قرابة.

(٤) سورة النساء : الآية: (٣٦).

٢- وعن ابن عُمرَ وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه(١)»(٢).

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما أنه ذُبحت له شاةٌ فى أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودى؟ أهديتم لجارنا اليهودى؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (٣).

٣- وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذ جاره». وفى رواية لمسلم: «فليحسن إلى جاره»(٤).

٤- وعنه أن النبى ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن!» قيل: «من يا رسول الله؟!» قال: «الذى لا يأمن جاره بوائقه(٥)»(٦).

وفى رواية: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»(٧).

٥- وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرسن(٨) شاة»(٩).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: «يا رسول الله! إنَّ لى جارين، فإلى أيّهما أهدى؟ قال: «إلى أقربهما منك بابًا»(١٠).

---

(١) أى: ظننت أنه سيلغنى عن الله الأمر بتوريث الجار جاره. وفى هذا توكيدٌ عظيمٌ على الحثّ على رعاية حقوقه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٢٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (١٩٤٣) كتاب البر والصلة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الإرواء (٨٩١).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

(٥) البوائق: الغوائل والشرور، والمفرد: بائقة.

(٦) صحيح: رواه البخارى (٦٠١٦) كتاب الأدب.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٤٦) كتاب الإيمان.

(٨) قال الجوهرى: «الفِرسن من البعير كالحافر من الدابة». قال: «وربما استُعير فى الشاة».

(٩) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٦٦) كتاب الهبة، ومسلم (١٠٣٠) كتاب الزكاة.

(١٠) صحيح: رواه البخارى (٢٢٥٩) كتاب الشفعة.

٦- وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة فى جداره». ثم يقول أبو هريرة: «ما لى أراكم عنها معرضين؟![١]، والله، لأرمينَّ بها بين أكتافكم[٢]»[٣].

وفى رواية: «نهى رسول الله ﷺ أن يمنع جاره أن يغرز خَشَبَهُ فى داره»[٤].

٧- وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر! إذا طبخت مرقة[٥]، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك»[٦].

وفى رواية: أنَّ أبا ذرٍّ قال: إن خليلى ﷺ أوصانى: «إذا طبخت مرقًا، فأكثِر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرتك، فأصبهم منها بمعروف»[٧].

٨- وعن ابن عمرٍو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»[٨].

٩- وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «ما تقولون فى الزنا؟» قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة. فقال رسول الله ﷺ: «لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره». قال: «ما تقولون فى السرقة؟». قالوا: «حرمها الله ورسوله، فهى حرام». قال: «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره»[٩].

---

(١) يعنى: عن هذه السُّنَّة.

(٢) أى: بينكم. وفيه وجوب تمكين الجار من وضع الخشب على جدار جاره، وهو مذهب أحمد وغيره.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٦٣) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٦٠٩) كتاب المساقاة.

(٤) انظر السابق.

(٥) أى: ذا مرق من لحم دجاج، وغنم، ونحو ذلك.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٥) كتاب البر والصلة والآداب.

(٧) انظر السابق.

(٨) صحيح: رواه الترمذى (١٩٤٤) كتاب البر والصلة، وأحمد (٦٥٣٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٣).

(٩) صحيح: رواه أحمد (٢٣٣٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٤٣).

١٠- وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قيل: «يا رسول الله! إن فلانة تصلى الليل، وتصوم النهار، وفى لسانها شىء، تؤذى جيرانها، سليطة». قال: «لا خير فيها، هى فى النار». وقيل له: «إن فلانة تصلى المكتوبة، وتصوم رمضان، وتتصدق بالأثوار[1]، وليس بها شىء غيره، ولا تؤذى أحدًا». قال: «هى فى الجنة».

ولفظ الإمام أحمد: «ولا تؤذى بلسانها جيرانها»[2].

حقوق الجار

ولقد شرع الإسلام للجار حقوقًا عظيمة منها:

*** الحق الأول، الإحسان إليه،**

أما الحق الأول فإنه الإحسان إلى الجيران، فقد أمر الله سبحانه وتعالى بذلك فى كتابه فقال سبحانه: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾[3].

***وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: **«ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»[4].**

وقد أمر النبى بإكرام الجار وجعل ذلك من لوازم الإيمان، فقال: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره».**

بل أقسم النبى ﷺ على أن من يؤذى جاره، ولا يؤمَن من شروره وغوائله بأنه منتفٍ عنه الإيمان... فعن أبى شريح أن النبى ﷺ قال: **«والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن».** قيل: ومن يا رسول الله ؟ قال: **«الذى لا يأمن جاره بوائقه»[5].**

---

(١) الأثوار: هو اللَّبن الجامد المستحجر.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٩٣٨٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٥٦٠).

(٣) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٩) كتاب الأدب، ومسلم (٤٨) كتاب الإيمان.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٦) كتاب الأدب، ومسلم (٤٦) كتاب الإيمان.

* بل إن من أوليات دعوة النبى ﷺ الأمر بحسن الجوار؛ كما جاء فى قصة أبى سفيان مع هرقل أن هرقل قال لأبى سفيان: بما يأمركم، فقال أبوسفيان: (يأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء).

*** الحق الثانى: أن يحب لجاره ما يحب لنفسه من الخير:**

أيها المؤمنون، إن من الإحسان إلى الجيران سلامة القلب عليهم، وحب الخير لهم، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«والذى نفسى بيده، لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه»**[1].

وفى هذا تأكيد حق الجار، وأن الذى لا يحبّ لجاره ما يحبّ لنفسه من الخير فإنه ناقص الإيمان، وفى هذا غاية التحذير ومنتهى التنفير عن إضمار السوء للجار قريبًا كان أو بعيدًا.

*** الحق الثالث: أن يؤدى إليه كل حقوق المسلم على أخيه المسلم:**

فإن الجار أولى وأحق بها، فيحسن إليه من كل وجه، يعوده إذا مرض، ويشمته إذا عطس، وينصحه بما يراه خيراً له، ويلبى دعوته، ويتفقد أهله وأولاده فى حال غيابه أو سفره، وبعد مماته، ويتبع جنازته إذا مات، ويدعو له، ويأخذ بيده إلى الخير، إلى غير ذلك من الحقوق.

*** الحق الرابع: كف الأذى عنه:**

عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره» وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»**.

قيل: من يا رسول الله؟.

قال: «الذى لا يأمن جاره بوائقه»[2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٣) كتاب الإيمان، ورواه مسلم (٤٥) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٠١٦) كتاب الأدب.

أي: لا يأمن شره وُخطره، وفـى رواية لمسلم قال: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»(١).

وهذا فيـه تعظيم حق الجار ووجـوب كف الأذى عنه، وأن إضراره من كبـائر الذنوبِ وعظائم المعـاصى، وقد عظَّم الله (جل وعـلا) إلحاق الأذى بالجار، وغلَّظ فيه العقوبة، ففى الصـحيح عن ابن مسعود ﷺ قال: سُئل رسول الله ﷺ : أى الذنب أعظم؟ فقال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قلت: ثم أى؟ قال: «أن تقـتل ولدك خشـية أن يأكل مـعك»، قلت: ثم أى؟ قال: «أن تزانى حليلة جارك»(٢).

وقـد جـاءت الأدلة مـشـددة فى كف الأذى عن الجـار ومـحـذرة كل التحـذير، . . . . وقد رُبط عـدم الإيذاء للجار بقضـية الإيمان بـالله واليوم الآخر، ففى الحـديث عن أبى هريرة قال: «من كان يؤمن بالله واليـوم الآخر فلا يؤذ جاره»(٣).

ونبَّه على عِظم خـطر إيذاء الجار على الأعمـال الصالحة، فـفى الحديث عن أبى هريرة أنه قـيل للنبى: يا رسول الله! إن فـلانة تقوم الليـل وتصوم النهار وتفعل وتتـصدق وتؤذى جيرانها بلسانهـا، فقال رسول الله: «لا خير فيـها، هى من أهل النار»، قالوا: وفلانة تصلى المكتـوبة وتتصدق بأثوار أقط ولا تؤذى أحداً ـ يعنى: عملهـا قليل غير أنها لا تؤذى أحداً ـ فـقال رسول الله: «هى من أهل الجنة»(٤).

* ولقد ضرب رسول الله أروع الأمثلة فى كف الأذى عن الجار.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٦) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤٧٧) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٨٦) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٩٣٨٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٥٦٠).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره فقال له: «اذهب فاصبر» فأتاه مرتين أو ثلاثًا.

فقال: «اذهب فاطرح متاعك فى الطريق».

ففعل فجعل الناس يمرون ويسألونه فيخبرهم خبر جاره فجعلوا يلعنونه، فعل الله به، وفعل، وبعضهم يدعو عليه فجاء إليه جاره.

فقال: ارجع فإنك لن ترى منى شيئًا تكرهه(١).

* ويروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له:

إن لى جارًا يؤذينى ويشتمنى ويضيّق علىّ، فقال ابن مسعود: اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه.

* وشكا بعضهم كثرة الفأرة فى داره، فقيل له:

لو اقتنيت هرًّا؟

فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهرّ فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببتُ لهم ما لا أحب لنفسى!!

*** الحق الخامس: احتمال الأذى:**

وأما خامس الحقوق الكبرى فهو احتمال الأذى منهم والصبر على خطئهم والتغافل عن إساءتهم، ففى مسند الإمام أحمد عن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «**إن الله عز وجل يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة**»، وذكر فى الثلاثة الذين يحبهم: «**رجل كان له جار سوء يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يكفيه الله إياه بحياة أو موت**»(٢).

*** الحق السادس: تعظيم حُرمة الجار وصيانة عرضه وعدم خيانته:**

لا بإفشاء سره، ولا بهتك عرضه، ولا بالفجور بأهله، فإنه من أقبح

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥١٥٣) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٥٥٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٠٨٤٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٥٦٩).

الكبائر، وقد قال ﷺ لما سُئل: أى الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك». قيل: ثم أى؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قيل: ثم أى؟ قال: «أن تزانى حليلة جارك»(١)، بل ينبغى أن يحفظه فى نفسه وعرضه وماله، حتى يأمنه جاره، فقد قال ﷺ: «والله لا يؤمن - ثلاثًا - الذى لا يأمن جاره بوائقه»(٢) أى: غدره وخيانته وشروره.

وإن هذه لمن أوكد الحقوق، فبحكم الجوار قد يطَّلع الجار على بعض أمور جاره فينبغى أن يوطن نفسه على ستر جاره مستحضرًا أنه إن فعل ذلك ستره الله فى الدنيا والآخرة، أما إن هتك ستره فقد عرَّض نفسه لجزاء من جنس عمله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(٣).

* **فعن المقداد بن الأسود ﷺ قال:** قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**ما تقولون فى الزنا؟**».

قالوا: حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة.

فقال رسول الله ﷺ: «لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره»،

قال: «ما تقولون فى السرقة؟».

قالوا: حرمها الله ورسوله فهى حرام.

قال: «لأن يسرق الرجلُ من عشرةِ أبياتٍ أيسرُ عليه من أن يسرق من جاره»(٤).

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤٤٧٧) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٨٦) كتاب الإيمان.

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٦٠١٦) كتاب الأدب.

(٣) سورة فصلت: الآية: (٤٦).

(٤) **صحيح:** رواه أحمد (٢٣٣٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٤٣).

*** الحق السابع: مواساته بالمال إذا احتاج أو افتقر:**

فينبغى له أن يتفقد حال جاره إذا كان محتاجًا، فيعطيه من المال حتى من غير أن يطلب، فذلك من حق المسلم على أخيه، وحق الجار أعظم.

* وحسب المؤمن الذى يتعاون مع جاره الفقير، أن يكون أهلاً لما يشير إليه هذا الحديث الشريف: **«المسلم أخو المسلم: لا يَظلمه، ولا يُسلمه، من كان فى حاجة أخيه، كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»**(١).

* ويدخل تحت هذا المعنى أن تُقرض جارك إذا احتاج للقرض الحسن... والمراد بالقرض: ما تعارف عليه الناس من أن إنسانًا تنزل به حاجة فيعمد إلى صديق أو جارٍ أو قريب يلتمس منه أن يقرضه بعض المال ليسد حاجته ثم يرده إليه فى المدة التى حددها أو عند الميسرة.

والقرض الحسن: من سمات أهل المروءة، ومن صفات أهل التقوى. فبه يفرجون الكربات. ويحفظون الحرمات، فقد يحتاج صديقك أو جارك إلى كسوة عياله فى الشتاء أو فى الأعياد، أو يكون عليه دَينٌ حلَّ وقت سداده وليس فى يده السداد أو تحل به كارثة يعجز عن حملها أو تهدده بالإفلاس فيلجأ إليك لتقرضه ما يفرج به كربته وأنت قادر على ذلك، فإن أجبته وحققت رجاءه فيك وأمله، أعطاك الله ثوابًا يزيد ما لو تصدقت بالمال الذى أقرضته إياه...

وقد كان الناس إلى زمن قريب، يواسى بعضهم بعضًا، فإذا شعر الجار بحاجة جاره إلى معونة، بذل ماله من غير سؤال.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب.

*** الحق الثامن: مواساته بالطعام ولا سيما إذا كان فقيراً:**

فليس من حسن الجوار أن يشبع الإنسان وجاره جائع، والنبى ﷺ يقول: **«ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائع إلى جنبه»** [١]. وكثير من الناس لا يعبأ بجيرانه، فيأتى إلى بيته بالأطايب، ولا يفكر فى جيرانه الفقراء. وهذا لا ينبغى. بل إذا صنع الإنسان طعامًا فينبغى له أن يعطى جاره منه، وذلك تودداً إليه، وتطييبًا لنفسه، وتدعيمًا للمودة، وقد قال ﷺ: **«إذا طبخ أحدكم قدراً فليكثر مرقها، ثم ليناول جاره منها»** [٢] ولا يحتقر أن يرسل لجاره شيئًا بسيطًا، أو يستقله، أو يستحيى منه؛ لأنه شىء متواضع، فقد قال ﷺ: **«يا نساء المسلمات! لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»** [٣].

*** الحق التاسع: مشاركته فى أفراحه وأحزانه:**

فإذا كان عند جاره مناسبة سارة فينبغى له أن يذهب إليه، وأن يشاركه ويقاسمه فرحه، ما لم يكن فيه معصية. وإذا ألمَّت به نازلة فينبغى له أن يحضره، وأن يشاركه ويقاسمه حزنه، ويواسيه بالكلمة الصالحة، ويشد من أزره. وكل هذا من حق المسلم أصلاً على أخيه المسلم، والجار أولى بهذه الحقوق من غيره[٤].

*** الحق العاشر: النصح له، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:**

فقد يرى الجار من جاره منكراً، أو يراه تاركًا لعمل من أعمال البر، أو نحو ذلك، فيجب عليه أن ينصحه، وأن يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، فإن حقه من ذلك أوكد من حق غيره. وكثير من الناس يرى جاره

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى فى الأدب المفرد (١١٢)، وابو يعلى (٥/ ٩٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٣٨٢).

(٢) **صحيح**: رواه الطبرانى فى الأوسط (٤/ ٥٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٧٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٥٦٦) كتاب الهبة، ومسلم (١٠٣٠) كتاب الزكاة.

(٤) موسوعة الآداب الإسلامية (ص: ٣٠٠).

على معصية ومنكر فلا ينهاه، ولا يأمره بالمعروف. وهذا خيانة للجار، وتفريط فى حقه[1].

*** الحق الحادى عشر: أن يعرض عليه البيت قبل غيره إذا أراد التحول عنه:**

فإذا أراد أن ينتقل من داره فليعرضها على جاره قبل غيره، فقد يرغب فى شرائها، وكذلك أى أرض أو عقار، وقد قال ﷺ: «**من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره**»[2]، وهذا أطيب لخاطره ولقلبه. وإذا فرَّط الناس فى هذا الأمر فإنهم يفتحون بابًا للمشاحنات والمنازعات والعداوات، فالله المستعان.

*** الحق الثانى عشر: ألا يمنع جاره من غرس خشبة فى جداره:**

إذا احتاج الجار إلى ذلك، فينبغى أن يسمح له بغرس هذه الخشبة، ولا يمنعه من الانتفاع بها، فقد قال ﷺ: «**لا يمنع جارٌ جاره أن يغرس خشبه فى جداره**» [3] ثم قال أبو هريرة: «**ما لى أراكم عنها معرضين؟ والله لأرمين بها بين أكتافكم**» أى: لأصرحنَّ ولأحدثن بها بينكم مهما ساءكم ذلك وأوجعكم[4].

*** الحق الثالث عشر: عدم استطالة البنيان بحيث يحجب الشمس والهواء عن جاره:**

* فمن الضرورة أن يلاحظ الجار أن جاره الملاصق لمسكنه لابد وأن يكون بعيدًا عن إيذائه بمثل هذه الصورة التى يشير إليها هذا الحديث. والتى مضمونها كما هو واضح من النص: أنه إذا أراد الجار أن يبنى جدارًا يفصل

---

(١) موسوعة الآداب الإسلامية (ص: ٣٠٠).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٤٩٣) كتاب الأحكام، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣٥٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٦٣) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٦٠٩) كتاب المساقاة.

(٤) موسوعة الآداب الإسلامية (ص: ٢٩٩، ٣٠٠).

بينه وبين جاره، لا بد وأن يلاحظ عدم استطالة هذا الجدار حتى لا يحجب الريح - أى: الهواء - عن جاره.

وإذا رأى ضرورة ذلك فلا بد وأن يستأذن جاره. ويستمع إلى رأيه فى هذا الموضوع بالذات الذى يتعلق به هو، والذى لا بد وأن يصلا فيه إلى حلٍّ حتى لا يكون هناك «ضرر أو ضرار» وحتى لا يكون هناك تعدٍّ على مصلحة هذا الجار الملاصق...

فإن أذن الجار لجاره باستطالة جداره، فلا مانع من هذا. وإلا فإنه ينبغى لصاحب الجدار أن لا يؤذى جاره بمنع الهواء عنه؛ لأن الهواء من أكبر النعم التى لا بد وأن ينتفع بها كل إنسان وليس من حق أى إنسان أن يمنع نعمة الله عن عباده...

وإذا كنا نقول هذا بالنسبة لاستطالة الجدار، فهناك أمور ينبغى للجار الملاصق أن لا يمانع فيها، وإلى هذا تشير تلك الأحاديث الشريفة.

*وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده فى المرض، ويعزيه فى المصيبة، ويقوم معه فى العزاء، ويهنئه فى الفرح، ويظهر الشركة فى السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره، ولا فى مصب الماء فى ميزابه، ولا فى مطرح التراب فى فنائه، ولا يضيق طرقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلامًا، ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده فى كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه... هذا إلى جملة الحقوق التى لعامة المسلمين [1].

(١) الإحياء (٣/ ١٣٦).

صور مشرقة من قصص الصالحين مع جيرانهم

قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» (١).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

قال رجل: يا رسول الله! كيف لى أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت؟

قال: «إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت فقد أسأت» (٢).

وقال ﷺ: «ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة من أهل أبيات جيرانه الأدنيين أنهم لا يعلمون منه إلا خيراً، إلا قال الله تبارك وتعالى: قد قبلت قولكم، أو قال: بشهادتكم، وغفرتُ له ما لا تعلمون» (٣).

* ذكر الإمام الغزالى فى «الإحياء»:

أن ابن المقفّع بلغه أن جاراً له يبيع داره فى دَيْن ركبه وكان يجلس فى ظل داره، فقال:

ما قمتُ إذاً بحرمة ظل داره إن باعها مُعدَمًا!! فدفع إليه ثمن الدار وقال: لا تبعها.

* وكان القاضى شريح - رحمه الله تعالى - إذا ماتت عنده «هرة» دفنها فى فناء بيته!! فسُئل عن ذلك، فقال:

أخشى إن ألقيتها فى الشارع يتأذى بها الجيران!!

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٤٤) كتاب البر والصلة، وأحمد (٦٥٣٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٣).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٢٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٣٢٧).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٣١٢٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى تلخيص أحكام الجنائز ص(٢٦).

* وكان لمالك بن دينار رحمه الله تعالى جار يهودى، فحوّل اليهودى مستحمّه إلى جدار البيت الذى فيه مالك، وكان الجدار منهدمًا فكانت تدخل منه النجاسة، ومالك ينظف البيت كل يوم ولم يقل شيئًا، وأقام على ذلك مدّة وهو صابر على الأذى، فضاق صدر اليهودى من كثرة صبره على هذه المشقة، فقال له: يا مالك! آذيتك كثيرًا وأنت صابر ولم تخبرنى!! [(١)].

فقال مالك: قال رسول الله ﷺ : «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» [(٢)] . . فندم اليهودى، وأسلم.

* وقرأت كذلك قصة شبيهة بهذه، خلاصتها أن أبا حنيفة ؓ، كان له جار يهودى يُلقى أمام داره يوميًّا القاذورات، فكان أبو حنيفة ينظف أمام بيته، دون أن يقول لليهودى شيئًا، إلى أن حدث يومًا أن أبا حنيفة لم يجد القاذورات أمام بيته كالمعتاد فسأل عن جاره هذا، فقيل له: أنه قد سُجن، فذهب بنفسه إلى السجن وتشفع لجاره هذا، فكانت النتيجة أن أمر رئيس الشرطة بإطلاق سراح كل من سُجن فى هذا اليوم إكرامًا لأبى حنيفة. . . فلما علم اليهودى بهذا ندم واعتذر لأبى حنيفة، ثم أسلم.

* * *

---

(١) الإحياء (٢/٢١٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٢٤) كتاب البر والصلة والآداب.

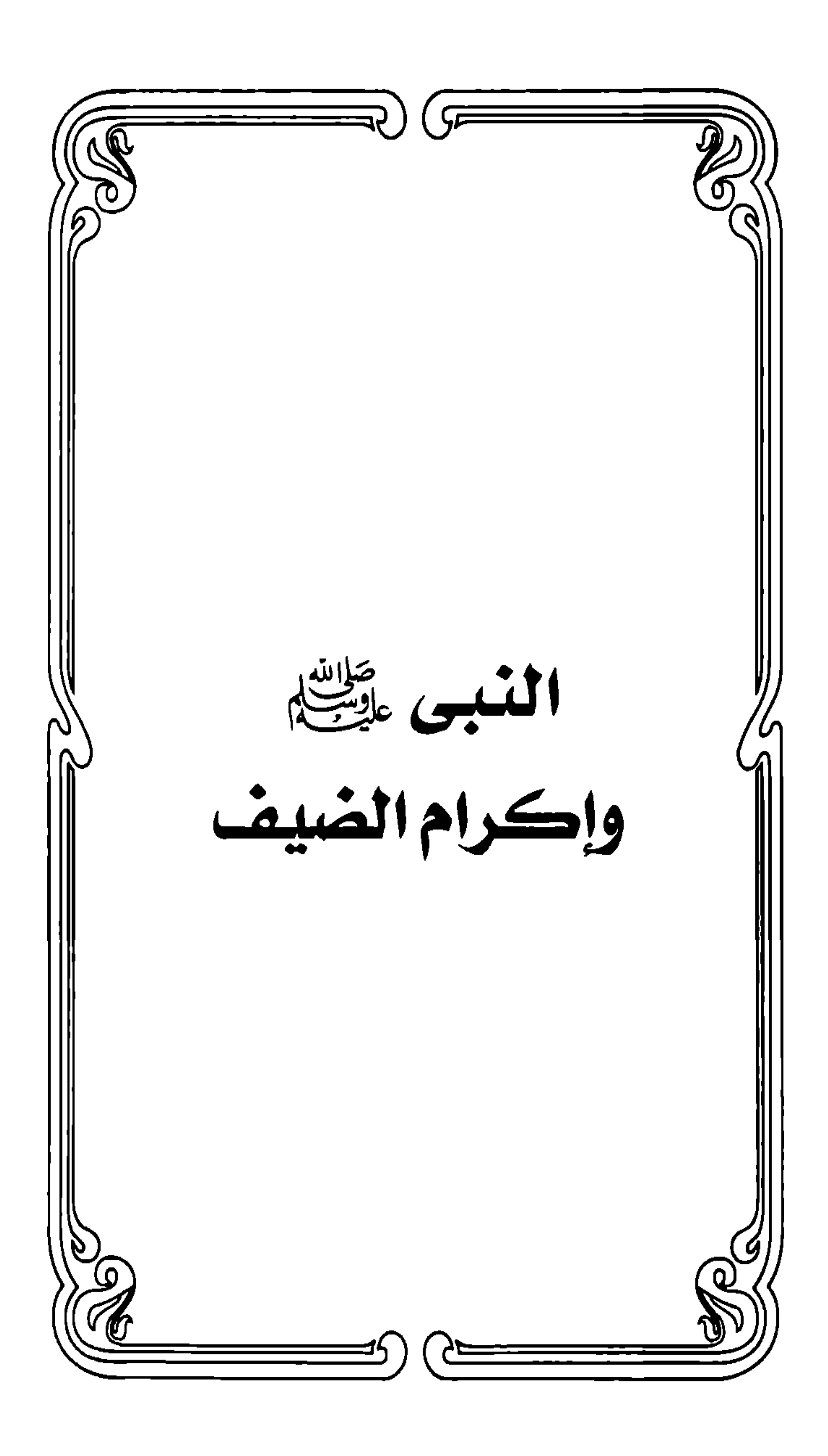
وأخيرًا

فينبغى للإنسان قبل السكنى فى مكان ما أن يختار المكان الذى يكون فيه جيران صالحون، فإن الجار قد يطلع على أسرار البيت. وقد يحتاج الإنسان إلى جاره، فإذا كان صالحًا نفعه وخفف عنه، وإن كان غير ذلك سبَّب لجاره العنت، وقد يكون سببًا فى شقائه، فقد قال ﷺ: **«أربعٌ من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنىء، وأربع من الشقاء: المرأة السوء، والجار السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق»**[1] وقد قيل فى الأمثال: الجار قبل الدار.

* وينبغى على كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُحسن إلى جيرانه وأن يتجنب الإساءة إليهم لتتآلف القلوب مرة أخرى ولتعود الأمة خير أمة أخرجت للناس.

* * *

(١) صحيح: رواه ابن حبان (٤٠٣٢)، والحاكم (٢/ ١٧٥)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ٣٨٨)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٨٢)، والخطيب (١٢/ ٩٩)، والضياء (١٠٤٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٢).



النبى ﷺ وإكرام الضيف

النبى ﷺ وإكرام الضيف

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.

* فلما أذن لنا النبى ﷺ بالدخول ورأيناه بكينا من شدة الفرح.

فلما جلسنا وجدنا النبى ﷺ جالسًا مع بعض أصحابه يُعلمهم خلُقًا عظيمًا من أخلاق الإسلام ويقول لهم: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه...»**[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش فى هذه الليلة المباركة بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة إكرام الضيف.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

حق الضيف

إكرام الضيف من مكارم الأخلاق، وجميل الخصال، تحلى به الأنبياء، وحَثَّ عليه المرسلون... مَن عُرف بالضيافة عُرف بشرف المنزلة، وعلو المكانة، وانقاد له قومه، فما من أحد ساد فى الجاهلية والإسلام، لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام، وإكرام الضيف، كما قال ابن حبان يرحمه الله: «والعرب لم تكن تعد الجود إلا قِرى الضيف، وإطعام الطعام، ولا تعد السخى من لم يكن فيه ذلك»[1].

النبى ﷺ يحث الأمة على إكرام الضيف

وها هو النبى ﷺ يحث أصحابه وأمته على إكرام الضيف.

ففى «الصحيحين» من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه[2] ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[3].**

وفيهما أيضًا من حديث أبى شريح العدوى رضي الله عنه قال: سمعت أذناى وأبصرت عيناى حين تكلم النبى ﷺ فقال: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته»**، قيل: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: **«يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام فما كان**

---

(١) روضة العقلاء (ص ٢٥٩).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى فتح البارى.(١٠/ ٤٦٠) طبعة الريان: ثم الأمر بالإكرام يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فقد يكون فرض عين، وقد يكون فرض كفاية. وقد يكون مستحبًا، ويجمع الجميع على أنه من مكارم الأخلاق.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

وراء ذلك فهو صدقة عليك[١]، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[٢].

وقال النبى ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «.....وإن لزورك[٣] عليك حقًا»[٤].

ويقر النبى ﷺ سلمان الفارسى على قوله لأبى الدرداء: «وإن لضيفك عليك حقًا»[٥].

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ يوم تبوك فقال: «ما من الناس مثل رجل آخذ بعنان فرسه فيجاهد فى سبيل الله ويجتنب شرور الناس، ومثل رجل بادٍ فى غنمه يقرى ضيفه، ويؤدى حقه»[٦].

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدنى، قال: يارب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلانًا مرض فلم تعده؟! أما علمت أنك لو عُدته لوجدتنى عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمنى، قال: يارب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى؟ يا ابن آدم،

---

(١) نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله فى فتح البارى (١٠/ ٥٤٩) عن الخطابى قوله: معناه أنه إذا نزل به الضيف أن يتحفه ويزيده فى البر على ما بحضرته يومًا وليلة، وفى اليومين الأخيرين يقدم له ما يحضره فإذا مضى الثلاث فقد قضى حقه فما زاد عليها مما يقدمه له يكون صدقة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٩) كتاب الأدب، ومسلم (٤٨) كتاب الإيمان.

(٣) الزور: هو الضيف، يقال: هؤلاء زور.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٧٤) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

(٥) أخرجه الترمذى (٢٤١٣) بإسناد صحيح من حديث أبى جحيفة رضي الله عنه وفيه أن سلمان قال لأبى الدرداء رضي الله عنه: إن لنفسك عليك حقًا، ولربك عليك حقًا، ولضيفك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذى حق حقه، فأتيا النبى ﷺ فذكرا ذلك فقال له: «صدق سلمان». وأصل الحديث عند البخارى (بدون ذكر الضيف) (حديث ١٩٦٨، ٦١٣٩).

(٦) صحيح: رواه أحمد (٢٨٣٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٢٥٩).

استسقيتك فلم تسقنى، قال: يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندى»[١].

وإكرامك للأضياف يجلب لك محبة الله سبحانه وتعالى؛ لامتثالك أمره وطاعتك لرسله عليهم الصلاة والسلام، ثم هو أيضًا يجلب لك محبة المخلوقين، وثناءً حسنًا عطرًا فيهم، ولا تظن أن إكرامك للضيف سيسبب لك الفقر، وسيذهب بمالك، ولكن احتسب الأجر والثواب عند الله، وأيقن بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[٢]. فلا تخش من فقر ولا تتحرج من ضيف فالبركة من الله سبحانه، وطعام الواحد يكفى الاثنين، وطعام الاثنين يكفى الأربعة، وطعام الأربعة يكفى الثمانية[٣]، كما قال رسول الله ﷺ[٤].

حق الضيف عظيم

وانظر إلى عظيم حق الضيف فى هذه الأحاديث:

أخرج البخارى[٥] من حديث عقبة بن عامر قال: قلنا للنبى ﷺ إنك تبعثنا فننزل بقوم لا يقروننا فما ترى فيه؟ فقال لنا: «إن نزلتم بقوم فأمر لكم بما ينبغى للضيف فاقبلوا فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف».

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

(٣) بهذا السياق أخرجه مسلم (حديث ٢٠٥٩) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعًا. وفى الصحيحين البخارى (٥٣٩٢)، ومسلم (٢٠٥٨) من حديث أبى هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طعام الاثنين كافى الثلاثة، وطعام الثلاثة كافى الأربعة».

(٤) فقه الأخلاق/ للشيخ مصطفى العدوى -حفظه الله (٢/ ٣٣٣).

(٥) البخارى (حديث ٢٤٦١) ومسلم حديث ١٧٢٧، وقد استدل بهذا الحديث من يرى أن الضيافة واجبة، بينما ذهب الجمهور إلى أنها مستحبة وأنها سنة مؤكدة، ومن حجج الجمهور على استحبابها قول النبى ﷺ: «جائزته يوم وليلة» وإعطاء الجائزة ليس بواجب فالجائزة تفضل.

وقد أورد البخارى رحمه الله تعالى هذا الحديث فى كتاب المظالم من صحيحه مشيرًا بذلك فيما يبدو لى إلى أن رب البيت إذا لم يكرم الضيف فقد ظلمه؛ إذ قد أورده تحت باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه.

وأخرج أحمد بسند حسن من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أيما ضيف نزل بقوم فأصبح الضيف محرومًا فله أن يأخذ بقدر قراه ولا حرج عليه»**(1) - قِراه: أى ضيافته -.

الناس مع الأضياف على قسمين

والناس مع الأضياف على قسمين:

قسم منهم تغمرهم السعادة، ويظهر عليهم أثر الفرح والسرور بمقدم الضيف عليهم، فتعلو وجوههم البشاشة، وينطلق من أفواههم الكلم الطيب، وتخرج عبارات الترحيب التى تنم عما فى صدورهم من حب وتقدير وامتنان وترحيب.

فقد علم هؤلاء أن خيرًا قد ساقه الله إليهم، فقاموا بضيافته حق قيام.

أيقن هؤلاء بحديث النبى ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما، اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»(2).

وأيقنوا كذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾(3).

فجدير بهؤلاء أن يُكرَموا هم الآخرون، وأن يجازوا بالإحسان إحسانًا، وأن تخرج من الضيف كلمات طيبة فى شأنهم ودعوات صالحة لهم فى

---

(1) صحيح: رواه أحمد (٨٧٢٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٤٠).

(2) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

(3) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

حضورهم وعند غيابهم فالإحسان جـزاؤه الإحسان كما قال سبحانه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾(١).

جدير بالضيف أن يصطحب معـه هدية لهم، وأن يجازيهم ولو بكلمة: جزاكم الله خـيراً. . . . وقسم آخـر يكتئبـون ويغتمـون عند حلول الضيف بهم، تنزل بهم الكربات إذا رأوا ضيـفًا قادمًا، فـيظهر الضيق ويبدو الـتبرم ويظهر الحزن على الوجوه.

النفس مجبولة على كراهية من لم يُكرمها

والنفس مجبولة على كراهية من لم يكرمها ولم يحسن إليها:

فهـذا كليم الله موسى عليـه السلام لما نزل هو والخضـر قرية استطعـما أهلها فـأبوا أن يضيفـوهما فوجدا فـيها جـدراً يريد أن ينقض فأقامـه، قال موسى عليه السـلام للخضر لما أقـام الجدار بلا أجر من أهل القرية البخلاء: ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾(٢) فهذا جزاء البخيل! لا يكرم الناس فلا يُكرَم هو الآخر.

وقد يقـول قائل: إن الخضـر بنى الجدار مع بخل أهل القـرية عليه وعلى موسى! فنجيب إن بناء الخضر الجدار فيـه منع لهؤلاء البخلاء من مالٍ كانوا سيـستحوذون عليـه، فقد كان تحت الجـدار مالٌ لأيتام سيـسطو عليه هؤلاء البخلاء إذا لم يبن الجدار كما قال الخضر: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾(٣)(٤).

---

(١) سورة الرحمن: الآية: (٦٠).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٧٧).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٨٢).

(٤) فقه الأخلاق (٢/ ٣٤٤، ٣٣٥).

الضيف الكافر له حق

وحتى الضيف الكافر له حق:

وذلك لأن أحاديث النبى ﷺ المذكورة من قبل كحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[١] .... إلى غير ذلك من الأحاديث ليس فيها التقييد بكون الضيف مسلمًا، بل فيها الإطلاق، وقال عليه الصلاة والسلام: «فى كل كبد رطبة أجر»[٢]. أما حديث: «لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى»[٣] فهو محمول على طول الملازمة، فالمصاحبة تقتضى طول الملازمة.

هذا وقد أخرج مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ ضافه ضيف ، وهو كافر، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فحلبت، فشرب حلابها، ثم أخرى فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله ﷺ : بشاة فشرب حلابها، ثم أمر بأخرى فلم يستمها، فقال رسول الله ﷺ : «المؤمن يشرب فى معى واحد، والكافر يشرب فى سبعة أمعاء»[٤].

ولك أن تقبل دعوة الكافر إذا دعاك لطعام وذلك لأن النبى ﷺ دعته يهودية إلى طعام فقبل النبى ﷺ دعوتها[٥][٦].

* * *

---

(١) متفق عليه: وقد تقدم.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٦٣) كتاب المساقاة، ومسلم (٢٢٤٤) كتاب السلام.

(٣) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٢) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٩٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٠٩٤٤)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٤١).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٠٦٣) كتاب الأشربة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦١٧) كتاب الهبة، ومسلم (٢١٩٠) كتاب السلام.

(٦) فقه الأخلاق (٢/ ٣٣٥: ٣٣٧).

صور مشرقة من كرم الأنبياء والصحابة لأضيافهم

* وها هى صور مشرقة من إكرام الأنبياء والصحابة لأضيافهم فهؤلاء الذين قال الله (جل وعلا) فى حقهم: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(١).

إبراهيم خليل الرحمن (عليه السلام)

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾(٢).

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ وهم الملائكة ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ أى تبشره بإسحاق بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ أى سلام عليكم ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أى أسرع وقدم لهم عجلاً مشويًا على الحجارة المحماة. ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ وذلك أن الملائكة لا همة لهم إلى الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه، فلهذا أعرضوا عنه، عندها نكرهم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ فلما نظرت سارة أنه قد أكرم إبراهيم أضيافه وقامت هى تخدمهم وهم لا يأكلون . . . تعجبت وقالت: عجبًا لأضيافنا هؤلاء نخدمهم بأنفسنا كرامة لهم وهم لا يأكلون طعامنا. ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ أى لا تخف منا ﴿إِنَّا﴾ ملائكة ﴿أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ لنهلكهم ﴿فَضَحِكَتْ﴾ سارة استبشارًا بهلاكهم لكثرة فسادهم، وغلظ

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (٩٠).

(٢) سورة هود : الآيات: (٦٩: ٧١).

كفرهم وعنادهم فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الإياس ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ أى بولد لها يكون له ولد عقب ونسل(١).

يوسف عليه السلام

* وهذا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام يقول لإخوته: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾(٢).

وقوله: ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ أى: خير من أكرم الأضياف وأحسن إليهم، وأجلسهم أحسن المجالس، وأطعمهم أحسن الطعام.

وهذا سيد ولد آدم ﷺ

بل هذا سيد ولد آدم... محمد بن عبد الله ﷺ الذى كان أكرم الناس لأضيافه وكان يوصى الأمة بإكرام الضيف بل شهدت له خديجة ﵂ بإكرامه للضيف حتى قبل البعثة.

* فعندما عاد النبى ﷺ إليها بعد نزول الوحى عليه وهو يرتجف فؤاده ويقول: «زملونى زملونى»... فلما قال لها: «والله يا خديجة لقد خشيت على نفسى»... وإذا بها تقول له: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق(٣).

* فإذا كان هذا هو حال النبى ﷺ قبل البعثة فكيف يكون حاله بعد البعثة؟

* * *

(١) مختصر تفسير ابن كثير/ محمد نسيب الرفاعى (٢/ ٤٥١ ، ٤٥٢).

(٢) سورة يوسف: الآية: (٥٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤) كتاب بدء الوحى، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

وهذا أبو بكر الصديق لما خرج مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة - وهو سيد القارة- فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبوبكر: أخرجنى قومى، فأريد أن أسيح فى الأرض، وأعبد ربى، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكَلّ وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق... الحديث(١).

أبو أيوب الأنصارى يضيف رسول الله ﷺ

وها هى صورة مشرقة سطرها أبو أيوب الأنصارى رضي الله عنه عندما فاز بنزول النبى ﷺ ضيفًا فى بيته لمدة سبعة أشهر.

آداب الضيافة (٢)

إن تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير، قال الحسن: كل نفقة ينفقها الرجل يُحاسَب عليها إلا نفقته على إخوانه فى الطعام فإن الله أكرم من أن يسأله عن ذلك،... وقال على رضي الله عنه: لأن أجمع إخوانى على صاع من طعام أحب إلىّ من أن أعتق رقبة.

* ومن المعلوم أنه ما من إنسان إلا وقد يستضيف أحدًا فى بيته، إما من الأقارب، أو من الجيران، أو من الإخوان، أو من غيرهم. والضيافة من آداب الإسلام التى اهتم بها، وشرع لها آدابًا لكلا الطرفين. للضيف

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٢٩٨) كتاب الحوالات.

(٢) بتصرف من (موعظة المؤمنين) للقاسمى، (فقه الأخلاق) للشيخ مصطفى العدوى، (موسوعة الآداب الإسلامية) للشيخ عبد العزيز ندا.

وللمضيف. وينبـغى لكل منهما أن يتأدب بهذه الآداب حتى تؤتـى الضيافة ثمرتها، فمن هذه الآداب:

القسم الأول
آداب تتعلق بصاحب الضيافة

الأدب الأول: النية الصالحة:

وذلك بأن ينوى صاحب الضـيافة التـماس الأجر فى ضـيافتـه لإخوانه وإطعامه لهم، وحسن استقبـاله لهم، وينوى الضيف التماس الأجر فى تلبية الدعوة، وزيارة أخيه. فكلهم مأجورون على ذلك.

الأدب الثانى: عدم التكلف للضيف:

فينبغى لصاحب البيت الا يتكلف فوق طاقـته، أو يحملها الكثير لأجل إكرام ضـيفـه، بل يقدم لهم فى حـدود الموجود عنـده، مع إكرامهـم. فإن إبراهيم عليه السلام قد ذبح لضيوفه عجـلاً سمينًا وشواه وقربه إليهم. فجاء بشىء من خير ما عنده. قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾[1].

لكن لا ينبغى أن يقلب الإنسان بيته رأسًا على عقب لاستقبال الضيف، ويتجشم الكثير من النفـقة، فإن هذا ليس من هدى النبى ﷺ وأصحابه. كما أن فـيه مشقة على النفس، وتحـميل لها ما لا تطيق، وقد يؤدى اعـتياد هذا إلى كراهية استقبال الضيف أصلاً.

كان الفضـيل يقول: إنما تقاطع الناس بالتكلُّف يدعو أحـدهم فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه.

الأدب الثالث: حسن استقبال الضيف:

فينبـغى لصاحب الضيـافة أن يحسن استـقبال ضـيفه بالتبـسم، وطلاقة

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (٢٦).

الوجه، وعبارات الترحيب والبشر، فإن هذا مما يشرح صدورهم، ويجعلهم يشعرون بمكانتهم عند أخيهم صاحب الضيافة. وبعض الناس لا يهش، ولا يبش، ولا يبتسم فى وجوه الضيفان، بل ربما عبس فى وجوههم، أو تجهم، فشعروا بالحرج، والصدود، وربما لم يكرروا زيارته، بل ربما رجع بعضهم لسوء الاستقبال. ومهما قدم لضيوفه من واجبات الضيافة، فلا غنى عن حسن الاستقبال.

الأدب الرابع: استعمال أطيب الكلمات فى محادثتهم:

* قال ابن حبان رحمه الله:

«ومن إكرام الضيف طيب الكلام، وطلاقة الوجه، والخدمة بالنفس فإنه لا يذل من خدم أضيافه، كما لا يعز من استخدمهم، أو طلب لقراه أجرًا»(١).

وقالوا: «من تمام الضيافة: الطلاقة عند أول وهلة، وإطالة الحديث عند المأكلة»(٢).

الأدب الخامس: إجلاس الضيف فى مكان لائق:

وهذا من كرم الضيافة، أن يُجلس صاحب المكان أضيافه فى مكان يليق بهم، من مجلس ونحوه بحيث يكونون مرتاحين فى المجلس، ولا يكون المجلس كاشفًا لأهل البيت، أو فى مكان قد تفوح فيه رائحة كريهة على الضيف، أو نحو ذلك. وهكذا لا يقعدهم فى مكان متسخ أوفى مكان شكله غير لائق. فليس هذا من كرم الضيافة.

الأدب السادس: ألا تخص ضيفًا بالحديث دون سائر الضيوف:

وإذا كان معك أكثر من ضيف، فأقبل على كل واحدٍ منهم بوجهك،

---

(١) روضة العقلاء ص ٢٦١

(٢) البيان والتبين للجاحظ (١/ ١٠)..

ولا تخص أحداً دون الآخر بحديثك، أو شىء من ضيافتك، وحاول أن تتلمس رضى كل واحد منهم، فقد كان رسول الله ﷺ أكرم الناس لضيوفه، فقد كان يعطى كل واحد من ضيوفه نصيبه ولا يحسب ضيفه أن أحداً أكرم عليه منه[١].

الأدب السابع: تعجيل الضيافة وتقديم الطعام على وجه السرعة:

فلا ينبغى أن تترك الضيف يتلوى من الجوع والعطش، ويزهد فى مجلسك بل قد يستأذنك للخروج من عندك، أو يخرج بلا استئذان! فعليك أن تبادر بتقديم ما تيسر عندك على وجه السرعة، ثم ما تلاه شيئًا فشيئًا إن لم يتيسر لك تقديم الجميع دفعة واحدة. وقد أرشد إلى ذلك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ**﴾[٢] فهنا راغ إبراهيم ﷺ أى: انسلَّ خُفية دون أن ينتبه الضيف، فذهب، وأعد الطعام اللائق، وجاء به على عَجَل. وهذا من حق الضيف. وإكرام الضيف من الأمور الواجبة التى أمر بها النبى ﷺ، واعتبرها من خصال الإيمان، فقال ﷺ: «**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليكرم ضيفه...**»[٣] فلا ينبغى لمسلم التأخر عن إكرام ضيفه أبداً.

* قال حاتم الأصم: العجلة من الشيطان إلا فى خمسة فإنها من سنة رسول الله ﷺ: إطعام الضيف، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدَّين، والتوبة من الذنب.

الأدب الثامن: إحضار الطعام للضيف فى مكانه:

فهذا من أدب القرآن الذى أرشد إليه، وذلك كما فى قوله تعالى عن

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم (ص: ٥٥٥).

(٢) سورة الذاريات: الآيات: (٢٤- ٢٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

إبراهيم: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾(١) فأحضر لهم الطعام فى مكانهم. وهذا هو الأصل، لكن إذا تعارف أهل البلد على أن مجلس الطعام غير مجلس الاستقبال، وأن ينتقل الضيف إلى مجلس الطعام، فلا حرج فى ذلك.

الأدب التاسع: ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولاً:

ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولاً إن كانت فذلك أوفق فى الطب، فإنها أسرع استحالة، فينبغى أن تقع فى أسفل المعدة. وفى القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة فى قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾(٢) ثم قال: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾(٣) ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد، فإن جمع إليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات ودل على حصول الإكرام باللحم قوله فى ضيف إبراهيم إذا أحضر العجل الحنيذ أى: المحنوذ وهو الذى أجيد نضجه وهو أحد معنى الإكرام أعنى: تقديم اللحم.

الأدب العاشر: أن يقدم ألطف ألوان الطعام:

أن يقدم من الألوان ألطفها حتى يستوفى منها ما يريد ولا يكثر الأكل بعده. وعادة المترفين تقديم الغليظ؛ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده، وهو خلاف السنة فإنه حيلة فى استكثار الأكل، ويستحب أن يقدم جميع الألوان دفعة أو يخبر بما عنده(٤). وقد قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ...﴾(٥) ولم يقل: بعجل هزيل، ولا ضعيف.

الأدب الحادى عشر: خدمة صاحب البيت الضيوف بنفسه:

فهذا مما أرشد إليه القرآن الكريم فى قصة إبراهيم عليه السلام، فإنه كما

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (٢٧).

(٢) سورة الواقعة: الآية: (٢٠).

(٣) سورة الواقعة: الآية: (٢١).

(٤) موعظة المؤمنين (ص: ١٣٥).

(٥) سورة الذاريات: الآية: (٢٦).

قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾[١] فهنا قام إبراهيم عليه السلام بخدمة الأضياف بنفسه. وقد بوَّب عليها البخارى رحمه الله فى صحيحه، فقال: «باب إكرام الضيف، وخدمته إياه بنفسه»[٢]. ولا شك أن هذا أبلغ فى خدمة الضيف وإكرامهم.

الأدب الثانى عشر: عدم رفع الطعام حتى يشبع الضيف:

أن لا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الأيدى عنها، فلعل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل فيتنغص عليه بالمبادرة[٣].

الأدب الثالث عشر: أن يكون الطعام كافيًا للضيوف:

أن يقدم الطعام قدر الكفاية، فإن التقليل عن الكفاية نقص فى المروءة والزيادة عليه تصنُّع. قال ابن مسعود رضي الله عنه: نُهينا أن نجيب دعوة من يباهى بطعامه. وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة، وينبغى أن يعزل أولاً نصيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شىء منه، فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم، وتنطلق فى الضيفان ألسنتهم[٤].

الأدب الرابع عشر: أن يتجمل لاستقبال ضيوفه:

وينبغى أن تتجمل للأضياف، وتستقبلهم فى جميل الثياب وحسن المنظر: وقد قال عمر لرسول الله ﷺ لما رأى على رجل حلة من إستبرق: «يا رسول الله، اشترِ هذه، فالبسها لوفد الناس إذا قدموا عليك»[٥].

---

(١) سورة الذاريات: الآيتان: (٢٦، ٢٧).

(٢) فتح البارى (١٠/ ٥٤٨).

(٣) موعظة المؤمنين (ص: ١٣٥).

(٤) موعظة المؤمنين (ص: ١٣٦).

(٥) أخرجه البخارى حديث ٦٠٨١، ومسلم ٢٠٦٨ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: رأى عمر على رجل حلة من إستبرق، فأتى بها النبى ﷺ فقال: يا رسول الله اشتر هذه فالبسها لوفد الناس إذا قدموا عليك، فقال: «إنما يلبس الحرير من لا خلاق له...». قلت: وإنما ردها النبى ﷺ لكونها من الحرير، ولم يرد الرسول ﷺ على عمر قوله: (فالبسها لوفد الناس).

الأدب الخامس عشر: ألا ينسى أقاربه:

وينبغى أن لا يهمل أقاربه فى ضيافته فإن إهمالهم إيحاش وقطع رحم، وكذلك يراعى الترتيب فى أصدقائه ومعارفه، فإن فى تخصيص البعض إيحاشًا لقلوب الباقين، وينبغى أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الإخوان، وإدخال السرور على قلوب المؤمنين، وينبغى أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة، وإذا حضر تأذّى بالحاضرين بسبب من الأسباب وينبغى أن لا يدعو إلا من يحب إجابته[(١)].

الأدب السادس عشر: عدم دعوة أهل البدع:

فلا تدعو أهل بدعة إلى طعام لإحياء بدعتهم، فإن فى ذلك نوعًا من التعاون على الإثم والعدوان، وأيضًا فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[(٢)].

وقال سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[(٣)]. وكذلك لا تدعو قومًا يتآمرون على فعل منكر من المنكرات للتآمر على المنكر فى بيتك.

الأدب السابع عشر: اهتمام الزوجة بأضياف زوجها:

ومنها اهتمام الزوجة أيضًا بأضياف زوجها: فقد قال فريق من المفسرين فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾[(٤)].

أى: قائمة على خدمة أضياف زوجها، وعلى ذلك جملة أمثلة أخرى.

---

(١) موعظة المؤمنين (ص: ١٣٣).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٦٨).

(٣) سورة النساء: الآية: (١٤٠).

(٤) سورة هود: الآية: (٧١).

وقد كان هناك عروس تخدم أضياف زوجها على عهد رسول الله ﷺ[1].

الأدب الثامن عشر: عدم النظر إلى طعام الضيف:

من أدب الطعام أن لصاحب الضيف أن ينظر فى ضيفه، هل يأكل أم لا؟ وذلك ينبغى أن يكون بتلفت ومسارقة لا بتحديد النظر.

روى أن أعرابيًّا أكل مع سليمان بن عبد الملك، فرأى سليمان فى لقمة الأعرابى شعرة، فقال له: أزل الشعرة عن لقمتك، فقال له: أتنظر إلىَّ نظر من يرى الشعرة فى لقمتى؟! والله لا أكلت معك.

الأدب التاسع عشر: تقسيم الطعام على الضيوف:

وقد يكون مع الأضياف من هو يستحى، ومنهم من هو جرىء، فقد يأكل الجرىء حق الحيى، وخاصة إن كان فى الطعام نوع جيد مرغوب، فلك حينئذٍ أن تقسم عليهم الجيد المرغوب لكل قطعة منه.

الأدب العشرون: يجوز أن تترك الأضياف يأكلوا وحدهم إن أرادوا ذلك:

وإن شئت أن تأكل مع الأضياف أكلت، وإن شئت أن تتركهم يأكلوا وحدهم أكلوا، وإن شاؤوا فُرادى، وإن شاؤوا أكلوا مجتمعين، وإن كان الاجتماع أقرب إلى البركة، ومن أدلة ما ذكرنا ما يلى:

* قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾[2] أى مجتمعين أو متفرقين.

الأدب الحادى والعشرون: يجوز أن ترسل أضيافك إلى غيرك إذا لم يكن عندك طعام:

ويجوز لك أن ترسل أضيافك إلى غيرك من إخوانك المسلمين، كى يضيفوهم إذا لم يكن عندك ما تُضيفهم به، أو إذا كان هناك عذر آخر ولكن

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٩٧) كتاب الأشربة، ومسلم (٢٠٠٦) كتاب الأشربة.

(٢) سورة النور: الآية: (٦١).

بعد أن تستأذنهم.

* دل على ذلك ما أخرجه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا، والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء، فقال: **«من يضيف هذا الليلة، رحمه الله»**، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، وقد تقدم هذا الحديث مطولاً [١].

وفى الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر رضي الله عنهما: أن أصحاب الصفة كانوا ناسًا فقراء، وإن رسول الله ﷺ قال مرة: **«من كان عنده طعام اثنين؛ فليذهب بثلاثة، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، بسادس»**[٢].

الأدب الثانى والعشرون: الإحسان إلى الضيف مدة إقامته:

وذلك بتوفير مكان مناسب له للنوم، وكف ضجيج الأولاد عنه، وتقديم منشفة نظيفة له، وتقريب الوسادة له، وتجهيز الحمام له، وتقريب الطيب، وتقديم المرآة ليتجمل بالنظر فيها، ونحو ذلك.

الأدب الثالث والعشرون: إعطاء الضيف حقه:

وجائزة الضيف على ما جاء فى السنة يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام بلياليها، ولا تلزم الضيافة فوق ذلك، بل ما زاد، فهو صدقة.

وقد جعل النبى ﷺ للضيف وللزوار حقًا، فقال لعبد الله بن عمرو: **«وإن لزورك عليك حقًا....»**[٣] والزور: هم الزوار والأضياف.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٩٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٥٤) كتاب الأشربة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٨١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٥٧) كتاب الأشربة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٧٤) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه جائزته، يوم وليلة. والضيافة ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يُحرجه»[١].

الأدب الرابع والعشرون: خروج صاحب البيت مع ضيفه إلى الباب مودعًا:

فإذا أراد الضيف الانصراف، فينبغى أن يوصله صاحب البيت بنفسه إلى باب الدار، وهذا من احترام الضيف وإكرامه. فلا يقعد صاحب البيت فى مكانه، ويأذن للضيف بالانصراف، بل يخرج يودعه بنفسه. زار أبو عبيد الإمام أحمد فى منزله، قال: «فلما أردت القيام قام معى، قلت: لا تفعل يا أبا عبد الله، فقال: قال الشعبى: من تمام زيارة الزائر أن تمشى معه إلى باب الدار وتأخذ بركابه....»[٢].

الأدب الخامس والعشرون: تقديم هدية للضيف:

وإذا كان بوسعك أن تهدى لضيفك هدية عند انصرافه فافعل جزاك الله خيراً.

قال النبى ﷺ: «أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم»[٣].

وقال ﷺ: «تهادوا تحابوا»[٤]... فالهدية لها أثر عظيم فى نشر المحبة بين المسلمين.

الأدب السادس والعشرون: الدعاء له بالخير وتذكيره بالله:

وينبغى أن تدعو لضيفك بخيرى الدنيا والآخرة، وأن تُذكره بالله جل

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٩) كتاب الأدب، ومسلم (٤٨) كتاب اللقطة.

(٢) الآداب الشرعية (٣/ ٢٢٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٥٣) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٦٣٧) كتاب الوصية، قال النووى رحمه الله تعالى: قال العلماء: هذا أمر منه ﷺ بإجازة الوفود وضيافتهم وإكرامهم تطيبًا لنفوسهم، وترغيبًا لغيرهم من المؤلفة قلوبهم ونحوهم، وإعانة لهم على سفرهم.

(٤) حسن: رواه البيهقى (٦/ ١٦٩)، والبخارى فى الأدب المفرد (٥٩٤)، وأبو يعلى (١١/ ٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الإرواء (١٦٠١).

وعلا وأن تُشعره بأنك سعدت بزيارته، وأن تكرار زيارته ستزيد من سعادتك.

الأدب السابع والعشرون: عدم الدخول وإغلاق الباب إلا بعد انصرافه:

فلا يدخل صاحب البيت، ولا يغلق الباب إلا بعد أن ينصرف الضيف، ويركب دابته، أو يمشى. فإن هذا من إكرامه، واحترامه، والتلطف معه. ولا ينبغى للمسلم إهمال مثل هذه الآداب.

القسم الثانى آداب الضيف

الأدب الأول: إجابة الدعوة إذا دُعى:

فينبغى للضيف إذا دُعى أن يلبى الدعوة، فإن هذا من حق المسلم على أخيه المسلم، كما قال ﷺ: «**حق المسلم على المسلم ست: ... وإذا دعاك فأجبه.....**»[1] فينبغى له إجابة الدعوة. ما لم يكن فيها منكر لا يقدر على تغييره، أو يعلم أن صاحب الدعوة ماله من حرام.

الأدب الثانى: ألا يتربص وقت طعامهم:

فليس من السنة أن يقصد قومًا متربصًا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة، وقد نُهى عنه، . . . قال الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾[2] يعنى: منتظرين حينه ونضجه، أما إذا كان جائعًا فقصد بعض إخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت أكله فلا بأس به، وفيه إعانه لأخيه على حيازة ثواب الإطعام، وهى عادة السلف.

الأدب الثالث: أن يكون مدخله مدخل خير على أهل البيت:

وذلك بأن يكون سببًا لإسعادهم وإدخال السرور عليهم وإخبارهم

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥٣).

بالأخبار الطيبة التى تسعدهم...... ويا حبذا لو أخذ معه هدية فقد قال ﷺ: «تهادوا تحابوا»(١).

الأدب الرابع: التأدب بآداب الاستئذان والزيارة:

فيختار الوقت المناسب، ويطرق الباب برفق، ولا يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ويبدأ بالسلام، ويُعرِّف بنفسه، ويغض بصره، ولا يرفع صوته، ويقعد حيث يجلسه صاحب البيت، ولا يكثر التأمل فيما حوله، ولا يحاول التجسس على أهله البيت، ولا يطيل الزيارة دون ضرورة، ويستأذن عند انصرافه، ولا يمشى إلا أن يأذن له صاحب البيت، وغير ذلك.

الأدب الخامس: أن يسمى الله عند دخول البيت:

وهذا من السنن المنسية بين أكثر الناس... فصاحب البيت قد ينسى التسمية عند دخول البيت... والضيف قد ينسى التسمية عند دخول البيت.. مع أن الله عز وجل قد جعل التسمية عند دخول البيت سببًا فى حفظ البيت من دخول الشياطين.

الأدب السادس: أن يلتزم الضيف آداب الحضور:

قال القاسمى: وأما الحضور: فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم، ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد، ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة، بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخالفه ألبته، فإنه قد يكون رتَّب فى نفسه موضع كل واحد فمخالفته تُشوِّش عليه، ولا يجلس فى مقابلة باب الحجرة الذى للنساء وسترهم، ولا يكثر النظر إلى الموضع الذى يخرج منه الطعام فإنه دليل على الشره، ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس، وإذا دخل ضيف للمبيت فليعرِّفه صاحب المنزل عند دخوله القبلة

(١) حسن: رواه البيهقى (٦/١٦٩)، والبخارى فى الأدب المفرد (٥٩٤)، وأبو يعلى (١١/٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الإرواء (١٦٠١).

وبيت الماء وموضع الوضوء، وأن يغسل صاحب المنزل يده قبل القوم وقبل الطعام؛ لأنه يدعو الناس إلى كرمه، ويتأخر فى آخر الطعام عنهم وعلى الضيف إذا دخل فرأى منكرًا أن يغيره إن قدر وإلا أنكر بلسانه وانصرف(١).

الأدب السابع: ألا يقترح الضيف طعامًا بعينه:

للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم بشىء بعينه فربما يشق على المزور إحضاره فإن خيَّره أخوه بين طعامين؛ فليختر أيسرهما عليه فإن علم أنه يُسرُّ باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح. قال بعضهم: الأكل على ثلاثة أنواع: مع الفقراء بالإثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع أبناء الدنيا بالأدب(٢).

الأدب الثامن: غض البصر:

غُض بصرك أيها الضيف عن النظر إلى عورات البيوت، ولا تنتهك حرماتها، فهذا أمر الله لك: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾(٣). وانظر إلى حديث رسول الله ﷺ الذى أخرجه البخارى ومسلم ففيه أن النبى ﷺ قال: «**لو أن امرءًا اطلع عليك بغير إذن، فحذفته بحصاة، ففقأت عينه لم يكن عليك جناح**»(٤).

الأدب التاسع: حفظ السمع:

أيها الضيف العزيز: احفظ سمعك عن استماع المحرمات، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(٥).

---

(١) موعظة المؤمنين (ص: ١٣٤).

(٢) موعظة المؤمنين (ص: ١٣٣).

(٣) سورة النور: الآيتان: (٣٠، ٣١).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٨٨٨) كتاب الديات، ومسلم (٢١٥٨) كتاب الآداب.

(٥) سورة الإسراء: الآية: (٣٦).

وقال النبى ﷺ: «من استمع إلى قوم وهم له كارهون أو يفرون منه، صُبَّ فى أذنه الآنك يوم القيامة»[١]. - الآنك: أى الرصاص المُذاب.

الأدب العاشر: ألا يثير الفتن بين أفراد الأسرة:

وذلك بأن يفشى أسرار بعض أفراد الأسرة إلى الآخرين، فيكون ذلك سببًا فى إثارة الفتن والمشاكل فى البيت... وبخاصة إذا كان ذلك بين الزوج وزوجه، فقد قال ﷺ: «ليس منا من خبَّب امرأة على زوجها، أو عبدًا على سيده»[٢].

الأدب الحادى عشر: ألا يتناجى إلا بالبر والتقوى:

أيها الضيف العزيز: إذا تناجيت فلا تتناج إلا بالبر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٣].

وتذكر قول الله عز وجل: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤].

الأدب الثانى عشر: أن يحذر من الغيبة والنميمة:

وعلى الضيف الكريم أن يحذر من الغيبة والنميمة حتى لا يؤثم أهل البيت بالقيل والقال، واغتياب المؤمنين والمؤمنات... بل عليه أن يكون ذاكرًا لله ومصليًا على رسول الله ﷺ ... حاثًا على فعل الخير ومُحرضًا على أبواب البر.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٠٤٢) كتاب التعبير.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢١٧٥) كتاب الطلاق، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٤٣٧).

(٣) سورة المجادلة: الآية: (٩).

(٤) سورة النساء: الآية: (١١٤).

الأدب الثالث عشر: ألا يخلو بامرأة أخيه:

أيها الضيف الكريم: لا تخلو بامرأة أخيك المضيف لك ولا بإحدى محارمه فالخلوة بالمرأة الأجنبية محرمة، . . . قال النبى ﷺ : «لا يخلون رجل بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو[2]؟ قال: «الحمو الموت»[3].

الأدب الرابع عشر: إذا قرب إليه الطعام فليأكل:

وينبغى إذا قُرب الطعام للضيف أن يأكل:

فإن الخليل إبراهيم عليه السلام لما رأى أيدى الملائكة لا تصل إلى طعامه، خاف منهم، وظن أنهم يريدون به شرًا، لخروجهم عن المعتاد فالضيف الذى لا يأكل - بلا سبب وبلا عذر- يثير الريب والشكوك فى نفس أهل البيت.

ومن ثم يتألق المثل القائل فى بلادنا لمن أكلوا سويًا: (قد أكلنا معًا عيشًا وملحًا) فهذا يعنى: أن بينهما مودة.

وقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾[4].

الأدب الخامس عشر: ألا يعيب الضيف طعامًا قط:

وعلى الضيف ألا يعيب طعامًا قط. . . فإن أعجبه الطعام أكل منه، وإن لم يعجبه تركه، واعتذر لصاحب البيت بأسلوب مهذب لا يحرج صاحب البيت ولا يحرج زوجته التى أعدت هذا الطعام. فإن النبى ﷺ ما عاب طعامًا قط، كان إذا اشتهى شيئًا أكله، وإن كرهه تركه[5].

---

(١) رواه أحمد (١١٥)، وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) الحمو: أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج كابن العم ونحوه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٣٢) كتاب النكاح، ومسلم (٢١٧٢) كتاب السلام، والمعنى أى: خطر دخول الغريب على المرأة وخلوته بها كخطر الموت.

(٤) سورة هود: الآية : (٧٠).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥٤٠٩) كتاب الأطعمة، ومسلم (٢٠٦٤) كتاب الأشربة.

الأدب السادس عشر: لزوم الضيف آداب الأكل والشرب:

فيلزمها جميعًا عند جلوسه للأكل مع المضيف، ولا يقصر فى الالتزام بها، فإن ذلك من إحسان المرء إلى نفسه، وإلى أخيه، وفى لزومها الخير الكثير، والبركة على الطرفين، وكذلك حتى لا يمل صاحب الضيافة من ضيفه.

الأدب السابع عشر: أن يحمد الله بعد الطعام أو الشراب:

فإذا أكلت أيها الضيف أكلةً؛ فاحمد الله عليها، وإذا شربت شربة فاحمد الله عليها؛ فإن النبى ﷺ قال: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة، فيحمده عليها، أو يشرب الشربة، فيحمده عليها**»[1].

الأدب الثامن عشر: إذا كان صائمًا صيام تطوع فله أن يتم صومه وله أن يفطر:

أيها الضيف الكريم:

إن كنت صائمًا صوم تطوع، فلك أن تتم صومك، وتدعو لأخيك بالبركة، ولك كذلك أن تفطر عند أخيك وتُدخل السرور عليه:

أخرج مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دُعى أحدكم إلى طعام، فليُجب فإن شاء طعم وإن شاء ترك**»[2].

وعند مسلم من حديث أبى هريرة أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعى أحدكم، فليجب فإن كان صائمًا فليُصل[3]، وإن كان مفطرًا فليطعم**»[4].

الأدب التاسع عشر: ألا يثقل على صاحب الضيافة حتى يُحرجه:

فإذا وجد الضيف أن صاحب البيت رقيق الحال، أو لا يستطيع أن يقوم

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٤) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٣٠) كتاب النكاح.

(٣) المراد: الدعاء لأهل البيت بالبركة، وقيل: الصلاة الشرعية بركوعها وسجودها، ويؤيده الحديث الذى أوردته بعده.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٤٣١) كتاب النكاح.

بواجب الضيافة كما ينبغى، فإنه لا يطيل المكث عنده بحيث يجعله يشعر بالحرج، أو الضيق، أو يدفعه إلى اغتياب الضيف، أو الشعور بالإثم، أو الاستدانة، ونحو ذلك. كما قال ﷺ: **«ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يُحرجه»**[1].

إلا إذا كان يفرح ويسعد بوجودك، وعنده من السعة ما يقدمه لك من غير إحراج له، فلا بأس بالمقام حينئذ لانتفاء الحرج، واستئناس صاحب البيت بك.

الأدب العشرون: أن يشكر الضيف صاحب الضيافة:

فينبغى للضيف أن يشكر صاحب الضيافة على حسن استضافته، فإن هذا مما يدعو إليه الإسلام، قال ﷺ: **«من لم يشكر الناس، لم يشكر الله»**[2] وكذلك فإن النبى ﷺ دعا لمن أكرمه، فقال لسعد بن عبادة بعد أن أطعمه: **«أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة»**[3] ودعا ﷺ لعبد الله بن بسر بعدما أطعمه فقال: **«اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم»**[4].

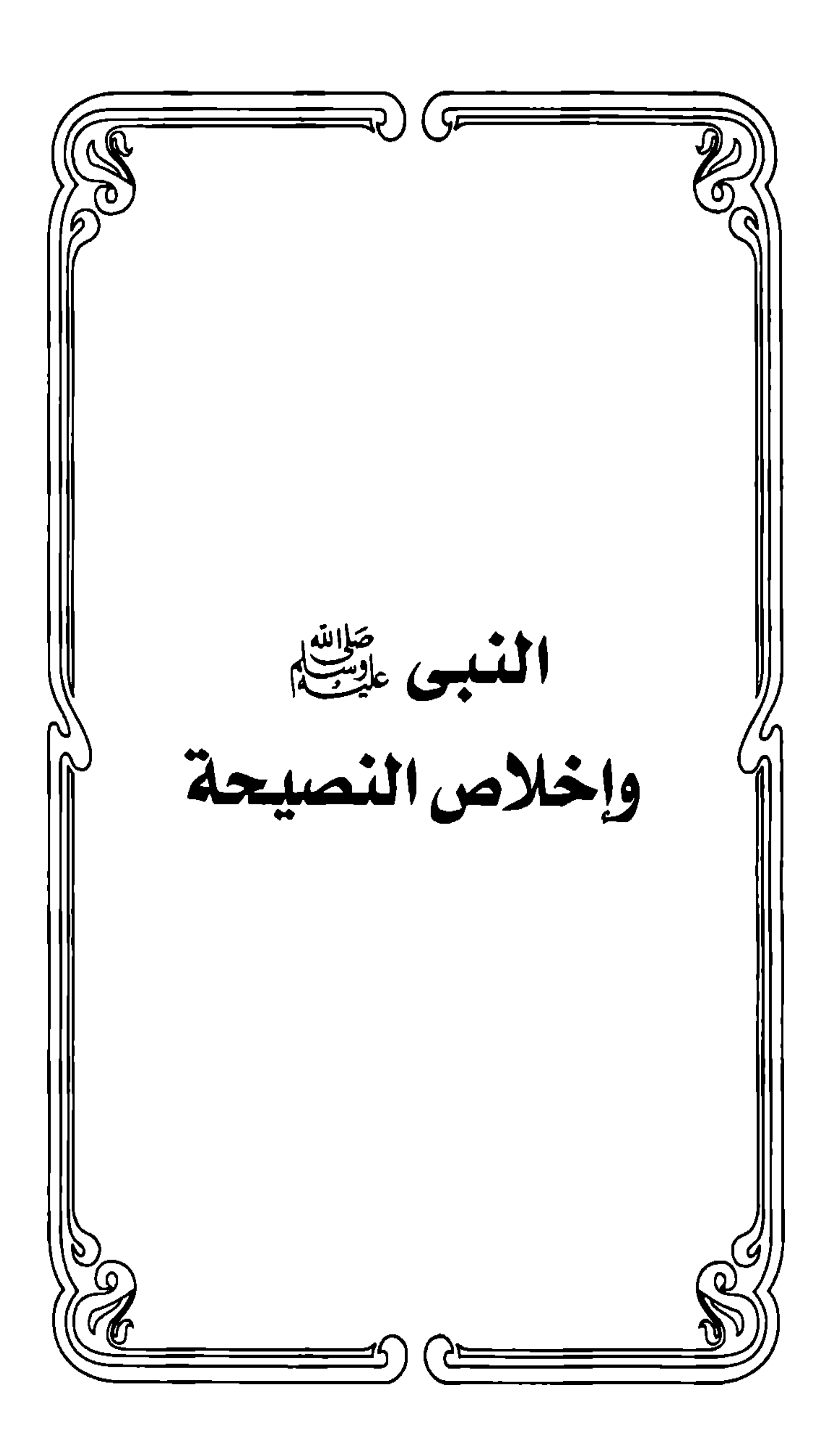
* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (٦١٣٥) كتاب الأدب.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (١٩٥٥) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٠٨٨٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٤١).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٨٥٤) كتاب الأطعمة، وأحمد (١١٧٦٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٢٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٠٤٢) كتاب الأشربة.



النبى ﷺ
وإخلاص النصيحة

النبى ﷺ وإخلاص النصيحة

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذِن لنا بالدخول.

* فلما دخلنا على النبى ﷺ وجدناه جالسًا مع بعض أصحابه.

وبعد فترة دخل عليه الصحابى الجليل جرير بن عبد الله رضي الله عنه وكان قد جاء ليبايع النبى ﷺ.. فبايعه على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنُّصح لكل مسلم[1].

ثم نظر النبى ﷺ لأصحابه ليوضح لهم قدر ومكانة النصيحة فى الإسلام فقال لهم: **«الدين النصيحة»**[2].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع النصيحة ومكانتها فى ظل هذا الدين العظيم.

* * *

---

(١) رواه البخارى (٥٨) كتاب الإيمان - ومسلم (٥٦) كتاب الإيمان.

(٢) رواه مسلم (٥٥) كتاب الإيمان.

ها هو خُلق عظيم من أخـلاق الرسول ﷺ ينبغى أن نـتحلى به... ألا وهو خُلق النصيحة.

فـالمسلم لا بد أن يحب الخـير لإخـوانه ولا بد أن يحـرص على جلب المنافع لهم ودفع المصـائب عنهم... وهنا يأتى دور هذا الخُلق العظيم - ألا وهو النصيحة -.

فإذا جـاءك جارك أو صاحـبك أو قريبٌ لك يسـتشيـرك فى أى أمر من أمور دينه أو دنياه فلا بد أن تقدم له النصيحة الخالصة دون غشٍّ أو خداع.. فتنصحه بما فيه مصلحته فهذا حق من حقوق إخوانك عليك.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع خُلق النصيحة.

مكانة النصيحة فى الإسلام

إن النصحية لها مكانة عظيمة فى دين الله - جل وعلا- وذلك لما يترتب عليها من صلاح المجتمع ونقائه وطهارته.

ومن المعلوم أن بذل النصيحة من أعظم مقومات ترسيخ الأخوة الإيمانية فى المجتمع المسلم وبخاصة إذا كانت النصـيحة خالصة لوجه الله وخرجت برحمة وحنان وبصورة تجعل الإنسان يشعر بحرص إخوانه على إيصال الخير إليه.

* ومن أجل مكانة النصـيحة فى ديـن الله - جل وعلا- جعلهـا النبى ﷺ عماد الدين وقوامه فقال ﷺ: «**الدين النصيحة**»[1].

ولقد كـان النبى ﷺ دائمًا يبـذل الوصية والنصـيحة لأصـحابه رضي الله عنهم وللأمة من بعدهم.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٥) كتاب الإيمان، من حـديث تميم الدارى رضي الله عنه، ورواه البخارى معلقًا باب الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين...

* فهذا رجل يأتيه ويقول للنبى ﷺ أوصنى فيقول له: «أوصيك أن تستحى من الله تعالى، كما تستحى من الرجل الصالح من قومك»[(١)].

- ويقول ﷺ لرجل آخر: «أوصيك أن لا تكون لعانًا»[(٢)].

ويقول لرجل آخر: «أوصيك بتقوى الله تعالى؛ فإنه رأس كل شىء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، فإنه روحك فى السماء، وذكرك فى الأرض»[(٣)].

وفى رواية: «أوصيك بتقوى الله تعالى، فى سر أمرك وعلانيته، وإذا اسأت فأحسن، ولا تسألن أحداً شيئًا، ولا تقبض أمانة، ولا تقض بين اثنين»[(٤)].

- بل عندما طلب الصحابة أن يوصيهم وصية مودع قال لهم ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن أُمِّر عليكم عبد حبشى، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيراً، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[(٥)].

- وجاءت وصيته ﷺ بالجار فقال ﷺ: «أوصيكم بالجار»[(٦)].

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (٦/٦٩)، من حديث سعيد بن يزيد الأزدى رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٤١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٠١٥٥) أول مسند البصريين، من حديث جَرْمُوز الهُجَيْمى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧٢٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١١٣٦٥) باقى مسند المكثرين، عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٥٥).

(٤) حسن: رواه أحمد (٢١٠٦٣) مسند الأنصار رضي الله عنهم، من حديث أبى ذر رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٤٤).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧) كتاب السنة، والترمذى (٢٦٧٦) كتاب العلم، وابن ماجه (٤٢) فى مقدمة سننه، والدارمى (٩٥) فى مقدمة سننه، وأحمد (١٦٦٩٤) مسند الشاميين، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٣٥).

(٦) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (٨/١١١)، والخرائطى فى مكارم الأخلاق عن أبى أمامة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٤٨).

ولا عجب فى ذلك فلقد أوصاه جبريل (عليه السلام) بالجار كثيراً. . .

قال ﷺ : «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[١].

- بل وجاءت وصية النبى ﷺ بأصحابه ﷺ فقال ﷺ : «أوصيكم بأصحابى ثم الذين يلونهم...»[٢].

وقال ﷺ : «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعيبتى، وقد قضوا الذى عليهم، وبقى الذى لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»[٣].

* هكذا كان النبى ﷺ يتعهد أصحابه وأمته بالوصية والنصيحة فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع خُلق من أخلاق الرسول ﷺ عسى الله أن يرزقنا صحبته فى الجنة.

بذل النصيحة من صفات الأنبياء

ولقد كان الأنبياء يبذلون النصيحة لقومهم من أجل أن يأخذوا بأيديهم إلى طاعة الله -جل وعلا-.

قال تعالى مخبراً عن نبيه نوح - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[٤].

وقال تعالى مخبراً عن نبيه هود - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٢٤) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث عائشة ﷺ.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢١٦٥) كتاب الفتن، وابن ماجه (٢٣٦٣) كتاب الأحكام، وأحمد (١١٥) مسند العشرة المبشرين بالجنة، من حديث عمر بن الخطاب ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٤٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٩٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٥١٠) كتاب فضائل الصحابة، عن أنس ﷺ.

(٤) سورة الأعراف: الآية: (٦٢).

(٥) سورة الأعراف: الآية: (٦٨).

وقال تعالى مخبراً عن نبيه صالح - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾(١).

* وقال تعالى مخبراً عن نبيه شعيب - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾(٢).

* ووصى إبراهيم - عليه السلام - بنيه بأن يموتوا على الإسلام.... قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(٣).

* بل كان الصالحون يحرصون على بذل النصيحة..

فها هو الرجل الذى جاء من أقصى المدينة ليبذل النصيحة لنبى الله موسى - عليه السلام - كما وصفه الحق -جل وعلا- فقال: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾(٤).

* * *

(١) سورة الأعراف: الآية: (٧٩).
(٢) سورة الأعراف: الآية: (٩٣).
(٣) سورة البقرة: الآية: (١٣٢).
(٤) سورة القصص: الآية: (٢٠).

النبى ﷺ يبذل للأمة النصيحة الخالصة

لقد كان النبى ﷺ يتعهد أصحابه ﷺ والأمة من بعدهم بالنصح والتواصى فكان ينصح لهم ويوصيهم ويعلمهم ويوجههم.

* **عن سليمان بن بريدة عن أبيه ﷺ قال:** «كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سَرِية، أوصاه فى خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: **«اغزوا باسم الله، وفى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا...»**. الحديث[١].

* هكذا كان النبى ﷺ يبذل لهم النصحية والوصية الغالية... بل إنه ﷺ سأل أصحابه ﷺ فى حجة الوداع فقال لهم: **«وأنتم مسئولون عنى، فما أنتم قائلون؟»** قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت[٢].

فشهد الصحابة أن النبى ﷺ قد بلَّغ وأدى ونصح لهم وللأمة من بعدهم... ونحن (والله) نشهد أن النبى ﷺ قد بلغ وأدى الذى عليه ونصح لنا ولم يترك خيرًا إلا وقد دلنا عليه ولم يترك شرًا إلا وقد حذرنا منه - بأبى هو وأمى ﷺ -.

وها هو ﷺ يعلمهم بذل النصيحة

وكان النبى ﷺ يُعَلِّمُ أصحابه وأمته من بعدهم بذل النصيحة والتواصى فيما بينهم ليسعدوا فى الدنيا بطاعة الله - جل وعلا- وفى الآخرة بجنته ورضوانه - سبحانه وتعالى-.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

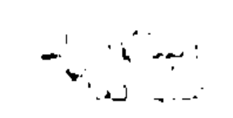
(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (١٩٠٥) كتاب المناسك، وابن ماجه (٣٠٧٤) كتاب المناسك، والدارمى (١٨٥٠) كتاب المناسك، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود، والحديث أصله فى مسلم (١٢١٨) كتاب الحج.

قال ﷺ : «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته، وإذا مرض فعُدْهُ وإذا مات فاتبعه»(١).

وقال رسول الله ﷺ : «إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين»(٢).

وفى رواية: قال رسول الله ﷺ : «للمملوك الذى يحسن عبادة ربه، ويؤدى إلى سيده الذى له عليه من الحق والنصيحة والطاعة أجران» (٣).

وقال رسول الله ﷺ : «ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنُصحه لم يجد رائحة الجنة» (٤).



مبايعة على النصح لكل مسلم

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعت النبى ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»(٥).

* قال الإمام النووى -رحمه الله-: ومما يتعلق بحديث جرير منقبة ومكرمة لجرير رضي الله عنه رواها الحافظ أبو القاسم الطبرانى بإسناده، اختصارها أن جريراً أمر مولاه أن يشترى له فرسًا، فاشترى له فرسًا بثلاثمائة درهم، وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن، فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٢) كتاب السلام، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٥٠) كتاب العتق، ومسلم (١٦٦٤) كتاب الأيمان، من حديث عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٥١) كتاب العتق، ومسلم (١٥٤) كتاب الإيمان، من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٧١٥٠) كتاب الأحكام، ومسلم (١٤٢) كتاب الإيمان، من حديث مَعْقِل ابن يسار المزنى رضي الله عنه، واللفظ للبخارى.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥٨) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٦) كتاب الإيمان، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

من ثلاثمائة درهم، أتبيعه بأربعمائة درهم؟ قال: ذلك إليك يا أبا عبد الله. فقال: فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم؟ ثم لم يزل يزيده مائة فمائة، وصاحبه يرضى وجرير يقول: فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها، فقيل له فى ذلك. قال: إنى بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم(١).

من روائع نُصح النبى ﷺ

المدح.. هو مفتاح القلوب..

نعم.. من أجمل مهارات الكلام أن تكون مبدعًا فى تعويد نفسك على اكتشاف صواب الآخرين.. ومدحهم والثناء عليهم به.. قبل الانتباه إلى خطئهم..

ويتأكد ذلك عندما تريد أن تُنبِّه شخصًا إلى خطأ ما..

كثير من الناس يَرُدُّ النصيحة لا لأجل تَكبُّره عنها.. أو عدم اقتناعه بخطئه..

وإنما لأن الناصح لم يسلك الطريق الصحيح لتقديم النصيحة..

هَبْ أنك ذهبت إلى مستشفى حكومى للعلاج..

فلما أقبلت إلى موظف الاستقبال فإذا وراء الزجاج شاب مراهق يقلب جريدة بين يديه.. وبيده سيجارة.. غير مبالٍ بما حوله..

وإذا شيخٌ كبير أعمى يقف متُعَبًا فى يده اليمنى طفل صغير.. وفى الأخرى ورقة الكشف ينتظر أن يحوله الموظف إلى الطبيب..

وإذا بجانبه عجوز كبيرة بيدها طفلة تبكى وقد تمكنت الحمى من جسدها.. وتنتظر أيضًا الموظف أن يفرغ من قراءة أخبار ناديه المفضل

(١) مسلم بشرح النووى (٢/ ٥٣).

ليحولها لطبيب الأطفال..

لما رأيت هذا المنظر ثارت أعصابك - ولا نلومك على ذلك - فصرخت بالموظف: هيه!! أنت جالس فى مستشفى أو فى... أما تخاف الله؟!!

المرضى يئنون من الألم وأنت تقرأ جريدة!!

لا... وتدخن أيضًا!!

والله إنه أمرٌ عجيب.. مثلك مـا يُربِّيه إلا شكوى لمدير المستشفى.. أو المفروض أن تُفصَل من عملك..

وبدأت تقذف هذه العبارات كالبرق عليه..

هب أنه لم يرد عليك.. ولم يقابل صراخك بصراخ..

هب فعلاً أنه ألقى جريدته.. وأنهى تحويل المرضى إلى الأطباء..

هل تعتبر نفسك نجحت فى حل المشكلة؟!

كـلا.. أنت هنا عالجـت الموقف لكنك لم تعـالج المشكلة.. لأنه وإن استجاب لك الآن إلا أنه سيعود إلى تصرفه المشين غدًا وبعد غدٍ..

إذًا كيف أتصرف؟!!

تعالَ إليه واكظم غيظك..

تعامل مع الموقف بعقل لا بعاطفة..

لا تدع المناظر المؤذية تؤثر فى تصرفاتك..

ابتسم، وإن كـنت مُغضَـبًا، وإن كانـت الابتسامـة صفراء لا مـشكلة، ابتسم، وقل: الســلام عليكم.. سيردّ وهو ينظر إلى صورة لاعـبه المفضل: عليكم السلام.. انتظر لحظة..

قل أى كلمة تجعله يلتـفت إليك.. كأن تقول: كيف الحال؟.. مسَّاك الله بالخير.. سيرفع رأسه - حتـمًا - إليك ويقول: الحمد لله بخير.. فى هذه المرحلة تكون قد قطعت نصف المشوار..

تلطَّف إليه بأى عبارة تمدحه بها..

قل له مثلاً: هل تُصدق! المفروض أن مثلك ما يعمل فى استقبال مستشفى..

سيتغير ويقول: لماذا؟

قل: لأن هذا الوجه المنير إذا رآه المريض زال مرضه فلا يحتاج إلى طبيب..

سيبتسم متعجبًا من جرأتك - يا بطل -.. وتنبلج أساريره.. وقد صار الآن مهيئًا لقبول النصيحة..

ويقول: ماذا عندك؟

عندها قل: يا أخى الحبيب! ترى هذا الشيخ الكبير.. وهذه العجوز المسكينة.. ليتك تنهى لهما إجراءات الدخول على الطبيب..

سيتناول أوراقهما.. ويحولهما للطبيب.. ثم يتناول ورقتك.. فإذا انتهى منك وسلمك الورقة..

فقل له: سبحان الله!.. هذه أول مرة أراك ومع ذلك فقد دخلت إلى قلبى.. لا أدرى كيف!!

والله إنك أحب إلىَّ من آلاف الناس.. (وفعلاً أنت صادق فهو مسلم أحب إليك حتمًا من ملايين الكفار)..

سيفرح ويشكر لك لُطفك..

فقل: وعندى كلمات أود أن تسمعها لكنى أخاف أن تُغضبك..

سيقول: لا.. لا.. تفضَّل..

عندها قدم له النصيحة..

أنت قد مَنَّ الله عليك بهذه الوظيفة.. وفى واجهة المستشفى.. وأنت قدوة لغيرك.. فليتك تتلطف قليلاً مع المرضى.. وتهتم بهم.. لعل دعوة صالحة تُرفع لك فى ظلمة الليل من فم عجوزٍ عابدة... أو شيخ زاهد..

أجزم أنه سيخفض رأسه وأنت تتكلم.. ويردد: أشكرك.. جزاك الله خيرًا..

وكذلك استعمل هذه الأساليب مع كل شخص تعالج سلوكه..

مثل: شخص يتهاون بالصلاة..

أو أب يهمل بناته فيتكشفن.. ويتساهلن بالحجاب..

أو شاب عاق لوالديه..

لأجل أن يقبلوا منك لا بد أن تمارس المهارات المناسبة..

نعم.. استخدم العبارات اللطيفة فى إصلاح خطإ الآخر.. كن مؤدبًا.. محترمًا لرأيه.. قل له: أنا ما أنصحك إلا لأنى أعلم أنك تقبل النصح..

وفى التنزيل العزيز يقول الله: ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾[1].

وقد كان المربى الحكيم ﷺ يستعمل طرقًا ومهارات تجعل من يُعدِّل سلوكهم لا يملكون إلا أن يقبلوا منه..

أراد ﷺ يومًا أن يُعلِّم معاذ بن جبل ذكرًا يقوله بعد الصلاة..

فأقبل إلى معاذ وقال: «يا معاذ!.. والله إنى أحبك.. فلا تدعن فى دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنِّى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك..».

بالله عليك.. ما علاقة المقطع الأول من الكلام **«والله إنى أحبك»..**

بالمقطع الثانى: «لا تدعن أن تقول: اللهم أعنى على ذكرك»؟!

قد يكون الأنسب لقوله: «إنى أحبك» أن يقول بعدها وأريد أن أزوجك ابنتى - مثلاً - أو أعطيك مالاً.. أو أدعوك إلى طعام..

ولكن أن يتبع خبر المحبة تعليمه ذكرًا من أذكار الصلاة.. !! فهذا يحتاج إلى تأمل..

---

(١) سورة المجادلة: الآية:(١٢).

أتدرى ما موقع قوله: «والله إنى أحبك»؟ إنه التهيئة لقبول النصيحة.. بمشاعر صادقة.. فإذا ارتاحت نفس معاذ واستبشر، أعطاه النصيحة..

* وفى موقف آخر..

قبض ﷺ يد عبد الله بن مسعود بيده اليمنى، ثم وضع يده اليسرى فوقها، كنوع من العطف والتهيئة، ثم قال: **«يا عبد الله!... إذا جلست فى التشهد فقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته..»**.

حفظها عبد الله ووعاها..

ومضت سنوات ومات رسول الله ﷺ..

فكان عبد الله يفخر بذلك ويقول: علمنى رسول الله ﷺ التشهد وكَفِّى بين كفيه..

* وفى يوم آخر لاحظ ﷺ أن عمر رضي الله عنه إذا طاف بالكعبة وحاذى الحجر الأسود زاحم الناس وقبّله.. وكان صلبًا قوى البدن.. وربما زاحم الضعفاء..

فأراد ﷺ أن يقدم له نصيحة.. فقال - على سبيل التهيئة لقبول النصيحة - **«يا عمر! إنك رجل قوى..»** فرح عمر بهذا الثناء...

فقال ﷺ : «فلا تزاحمن عند الحجر..».

*** ومرة أراد أن ينصح ابن عمر بقيام الليل.. فقال: «نِعم الرجل عبد الله لو كان يقوم الليل..»**.

وفى رواية قال: «يا عبد الله! لا تكن مثل فلان.. كان يقوم الليل.. فترك قيام الليل..».

نعم.. كان ﷺ يستعمل هذا الأسلوب الرائع مع جميع الناس.. ومع الوجهاء خاصة..

فى بداية بعثة النبى ﷺ.. كان الناس ما بين مُقبل ومُدبر..

وكان رجل فى المدينة اسمه: سويد بن الصامت وكان رجلاً شريفًا فى قومه.. عاقلاً شاعرًا.. يحفظ كلام الحكماء.. حتى قيل: إنه كان يحفظ كل ما روى عن لقمان الحكيم...

حتى بلغ من إعجاب الناس به أنهم كانوا يسمونه: الكامل..؛ لِجَلده وشعره.. وشرفه ونسبه..

وهو الذى يقول:

ألا ربَّ من تدعو صديقًا ولو ترى
مقالته بالغيب ساءك ما يفرى
مقالته كالشهد ما كان شاهدًا
وبالغيب مأثور على ثغرة النحر
يسرك باديه وتحت أديمه
نميمة غش تبترى عقب الظَّهر
تبين لك العينان ما هو كاتم
من الغلِّ والبغضاء بالنظر الشزر

قَدِم سويد بن الصامت يومًا إلى مكة حاجًّا.. أو معتمرًا..

فتحدث الناس بدخوله مكة.. وأقبلوا لرؤيته..

فسمع النبى ﷺ به فأقبل عليه.. فدعاه إلى الله.. وإلى الإسلام.. وجعل يحدثه بالتوحيد والرسالة وأنه نبى يوحَى إليه قرآن.. وأن هذا القرآن هو كلام الله تعالى.. فيه عِبر وأحكام..

فقال له سويد: فلعل الذى معك مثل الذى معى؟!

فقال له رسول الله ﷺ: «ما الذى معك؟!».

قال: معى مجلة لقمان - يعنى: حكمة لقمان..

فلم يُعنفه ﷺ أو يحقره.. مع أنه يضاهى كلام الله بكلام البشر.. وإنما تلطَّف معه..

وقال ﷺ: «اعرضها عليَّ..».

فشرع سويد يقرأ ما يحفظ من كلام لقمان وحِكَمه..

ورسول الله ﷺ يستمع إليه بكل هدوووء..

فلما انتهى سويد..

قال ﷺ له: «إن هذا لكلامٌ حسن..».

ثم قال - مشوقًا لسويد -: «والذى معى أفضل من هذا.. قرآن أنزله الله تعالى عليَّ.. هو هدى ونور..» ثم تلا عليه رسول الله ﷺ القرآن.. ودعاه إلى الإسلام.. وسويد يستمع مُنصتًا..

فلما فرغ ﷺ من كلامه.

ظهر على سويد التأثر.. وقال: إن هذا لقول حسن..

ثم انصرف سويد عن النبى ﷺ.. ولا يزال متأثرًا بما سمع.. فقدم المدينة على قومه.. فلم يلبث أن وقع قتال بين قبيلتى الأوس والخزرج.. وكان من قبيلة الأوس فقتلته الخزرج..

وذلك قبل أن يهاجر النبى ﷺ إلى المدينة..

ولا يُدرى هل أسلم أم لا؟ وإن كان رجالٌ من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قُتل وهو مسلم..

فتأمل فى تعامله ﷺ معه.. وكيف ملكه بأخلاقه ولم يعنف عليه..[1].

* * *

(١) استمتع بحياتك / د. محمد العريفى (ص:٣٢٧-٣٣٢).

منزلة حديث (الدين النصيحة)

هذا الحديث جليل القدر وعظيم الشأن، ثم هو قليل الألفاظ، كثير الفوائد والمعانى، بل إن أحكام الإسلام داخلةٌ تحته؛ لأنه ينص على أن عماد الدين وقوامه النصيحة، فبوجودها يبقى الدين قائمًا فى المسلمين، وبعدمها يدخل النقص على المسلمين فى جميع شؤون حياتهم. وأهمية هذا الحديث تأتى من أهمية النصيحة التى جعلها رسول الله ﷺ قوام الدين وعماده، وقد حدَّد ﷺ الناصح والمنصوح بشكل واضح؛ فالناصح هو كل مسلم آمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً، وكل هذا قد بيَّنه ﷺ فى قوله: «الدين النصيحة» فمن التزم بدين الإسلام وجب أن يكون ناصحًا.

أما المنصوح: فقد بيَّنه ﷺ بقوله: «النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم».

ولربما يسأل المرء نفسه: كيف تكون النصيحة لهذه الأصناف؟

الجواب وبالله التوفيق:

١- النصيحة لله: النصيحة لله تعالى معناها منصرف إلى الإيمان به، ونفى الشريك عنه، وترك الإلحاد فى صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه - سبحانه وتعالى - من جميع النقائص، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، والحب فيه والبغض فيه، وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمته وشكره عليها، والإخلاص فى جميع الأمور والدعوة إلى جميع الأصناف المذكورة، والحث عليها، والتلطف مع جميع الناس ودعوتهم إليها، .... وخلاصة القول: أن يكون الإنسان مطيعًا لله بفعل أمره وترك نهيه، ووصفه بصفات الكمال والعظمة، وتنزيهه من النقص.

٢- النصيحة لكتاب الله: النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى: الإيمان بأنه كلام الله تعالى - حروفه ومعانيه - منه بدأ وإليه يعود، مُنزَّل غير مخلوق، تكلم الله به حقًّا، وألقاه إلى جبريل فنزل به جبريل - عليه السلام - على محمد ﷺ، ثم الاهتمام بتلاوته والخشوع عندها، وحفظه، وتفسيره، والذَّبُّ عنه، ودحض تأويل المحرفين وتعرُّض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والاعتقاد بأنه منهج للحياة شامل كامل صالح لكل زمان ومكان، وبذل ما فى الوسع لإقامة حكمه، والعمل به، والوقوف عند أحكامه وتفهُّم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتصديق بأخباره والتفكير فى عجائبه، والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه. والاهتمام بتعلُّمه وتعليمه عملاً بقوله ﷺ: **«خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»**[١].

٣- النصيحة لرسول الله ﷺ: النصيحة لرسول الله ﷺ تصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته فى أمره ونهيه، ونُصرته حيًّا وميتًا، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه، وتوقيره، وإحياء طريقته وسُنته، وبَثُّ دعوته ونشر شريعته، ونفى التهمة عنها، ونشر علومها والتفقه فى معانيها، والتلطف فى تعلمها وإعظامها، وإجلالها، والتأدُّب عند قراءتها والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلُّق بأخلاقه والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع فى سنته أو تعرض لأحد من أصحابه؛ فالنصيحة للرسول ﷺ هى محبته حبًّا يفوق محبة النفس والأهل والولد والناس أجمعين عملاً بقوله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»**[٢].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٠٢٧) كتاب فضائل القرآن.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٥)، كتاب الإيمان، ومسلم (٤٤) كتاب الإيمان.

٤- النصيحة لأئمة المسلمين: وتكون بإعانتهم على ما حُمِّلوا القيام به، ومعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ما لم يبلغهم من حقوق المسلمين، وتألُّف قلوب الناس لطاعتهم، والاتصال بهم وإخبارهم بعيوبهم، وتذكيرهم بالله تعالى واليوم الآخر، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وحثِّهم على الزهد والورع والعدل، ومجانبة الظلم.

ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم ضعف أو سوء عشرة أو فجور أو ظلم؛ ما أقاموا الصلاة، وأن لا يُغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يُدعا لهم بالصلاح، وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين؛ من يقومون بأمور المسلمين ويُحكِّمون شرع الله تعالى، وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم العلماء فتكون نصيحتهم بتوقيرهم وأخذ العلم عنهم، واتباعهم فى الأحكام وإحسان الظن بهم.

٥- النصيحة لعامة المسلمين: هى فى إرشادهم لمصالحهم فى آخرتهم ودنياهم، وكَفُّ الأذى عنهم؛ فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم وسد خلاّتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذَّبُّ عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحثِّهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة وتنشيطهم إلى الطاعات.

* * *

الدروس المستفادة من حديث «الدين النصيحة»

١- الأمر بالنصيحة، والتأكيد عليها، حتى جُعلت كأنها الدِّين كله للاعتناء بها.

٢- إن النصيحة تُسمَّى دينًا وإسلامًا، والإسلام قائم على التناصح.

٣- إن على العالِم أن يأتى بالأمر المهم إجمالاً، ثم يأتى به تفصيلاً ليتأهب السامع فيتطلع إلى بيان هذا المجمل؛ فيكون أوقع فى النفس وأدعى للقبول.

٤- إن النصيحة واجبة على كل مسلم لأخيه المسلم فى كل حال وزمان ومكان.

٥- إن النصيحة لأئمة المسلمين السمع لهم والطاعة بالمعروف وإعانتهم على الحق وإرشادهم فيما جهلوه أو غفلوا عنه، والوفاء بعهدهم وامتثال أمرهم على الحق.

٦- ومن الدروس المستفادة أن الدين يُطلقَ على العمل لكونه سَمَّى النصيحة دينًا.

٧- ومن الدروس المستفادة أيضًا أن الدين ليس عقيدة وعبادة فقط، ولا معاملة فقط، كما يقول البعض، وإنما عقيدة وعبادة ومعاملات ونظام حياة[1].

* * *

(١) النصيحة / عبد الله بن عبد الحميد الأثرى (ص:٧-١٢).

نصيحة غالية من إبراهيم بن أدهم

ذهب رجل مذنب إلى رجل من الصالحين اسمه: إبراهيم بن أدهم فقال له: إنى مُسرف على نفسى بالذنوب والمعاصى فأريد منك وصفة تجعلنى أبتعد عن الذنوب والمعاصى.

فقال له إبراهيم بن أدهم: سأخبرك بخمسة أشياء إن فعلتها فلن تكون من العُصاة.

فقال الرجل: هات ما عندك يا إبراهيم، فقال: الأولى إذا أردت أن تعصى الله فلا تأكل شيئًا من رزقه، فتعجب الرجل ثم قال متسائلاً: كيف تقول ذلك يا إبراهيم، والأرزاق كلها من عند الله؟ فقال: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل من رزقه وتعصيه؟! قال: لا يا إبراهيم هات الثانية. فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكنْ بلاده، فتعجب الرجل أكثر من تعجبه السابق ثم قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والبلاد كلها ملك لله، فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه؟! قال: لا يا إبراهيم هات الثالثة فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فانظر مكانًا لا يراك فيه فاعصه فيه قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ وهو أعلم بالسرائر - يعلم السر وأخفى- ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء. فقال له إبراهيم: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تعصيه؟! قال: لا، يا إبراهيم هات الرابعة.

فقال إبراهيم: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرنى إلى أجل معدود. فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والله تعالى يقول: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[1]، فقال له: إذا كنت

(١) سورة الأعراف: الآية: (٣٤).

تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة؟! قال: نعم. هات الخامسة يا إبراهيم. فقال: إذا جاءك الزبانية -وهم ملائكة جهنم- ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم، فما كاد الرجل يستمع إلى هذه الخامسة حتى قال باكيًا: كفى يا إبراهيم، أنا أستغفر الله وأتوب إليه. . . ولزم العبادة حتى فارق الحياة.

اجعل لسانك عذبًا

لا تخلو حياتنا من مواقف نحتاج فيها إلى تقديم توجيهات ونصائح للآخرين. . نقدمها إلى الولد. . الزوج. . الصديق. . الجار. . الأبوين

تختلف نهايات النصائح. . باختلاف بداياتها. .

أعنى إن كانت البداية بأسلوب مناسب. . ومدخل لطيف. . انتهت كذلك. . وإن كانت بأسلوب جاف. . ومدخل عنيف. . انتهت كذلك. .

عندما ننصح الناس. . فنحن فى الواقع نتعامل مع قلوبهم. . لا أجسادهم. . لذلك تجد بعض الأبناء يتقبل من أمه النصح ولا يتقبل من أبيه. . أو العكس. .

والطلاب يتقبلون من مُدرِّس دون الآخر. . وأول البراعة فى النصيحة. . أن لا تكثر منها وتدقق على كل صغير وكبير. . حتى لا يشعر الآخرون أنك مراقب لحركاتهم وسكناتهم. . فتثقل عليهم. .

ليس الغبى بسيِّد فى قومه

لكن سيِّد قومه المتغابى

وإن استطعت أن تقدم النصيحة على شكل اقتراح. . فافعل. .

مثال: قدمت زوجتك طعامك إليك. . وقد تعبت فى صنعه وإعداده. . ولكنه مالح. . فلا تقل: أوووه. . . ما هذا الطعام؟. .

أعوذ بالله!!

وضعت علبة ملح كاملة!!

لا.. وإنما قل: لو قللت الملح فى الطعام لكان أحسن..

وكذلك لو رأيت ولدك متسخ الملابس.. فقدم النصيحة على شكل اقتراح.. لأن الناس لا يحبون تلقِّى الأوامر.. فقل: لو تغير ملابسك بثيابٍ أجمل..

ولو تأخر طالب عن مدرسته.. قل: لو ما تتأخر عن مدرستك مرة أخرى.. أفضل.. استعمل هذه الأساليب دائمًا: ما رأيك لو فعلت كذا..

أقترح عليك كذا وكذا..

فهذه الأساليب الرقيقة أحسن من قولك.. يا قليل الأدب..

كم مرة قلت لك..

أنت ما تفهم..

إلى متى أعلمك؟!!

اجعله يحتفظ بماء وجهه.. ويشعر بقيمته حتى وهو مخطئ..

أتدرى لماذا؟

لأن المقصود علاج أخطائه لا الانتقام منه أو إهانته..

يعنى يا جماعة.. بالعبارة الصريحة: لا أحد يحب أن يتلقى الأوامر..

وانظر إلى المنهج النبوى فى ذلك..

أراد ﷺ يومًا أن يوجِّه عبد الله بن عمر للتعبُّد بصلاة الليل.. فما دعاه وقال: يا عبد الله قُم الليل.. وإنما قدم النصيحة على شكل اقتراح..

وقال: «**نِعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل**»..

وفى رواية قال: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان.. كان يقوم الليل فترك قيام الليل»..

بل إن استطعت أن تلفت نظره إلى الأخطاء من حيث لا يشعر فهو أولى..

* عطس رجل عند عبد الله بن المبارك.. فلم يقل الحمد لله..

فقال عبد الله: ماذا يقول العاطس إذا عطس؟

قال: الحمد لله..

فقال عبد الله: يرحمك الله ..

* وكان رسول الله ﷺ كذلك..

كان إذا انصرف من صلاة العصر.. دخل على نسائه واحدة واحدة.. فيدنو من إحداهن.. ويتحدث معها.. فدخل على زينب بنت جحش.. فوجد عندها عسلاً.. وكان ﷺ يحب العسل والحلواء.. فأخذ يأكل منه ويتحدث معها.. فاحتبس عندها أكثر ما كان يحتبس عند غيرها.. فغارت عائشة وحفصة.. وتواصتا من دخل عليها تقول له: أجد منك ريح مغافير.. وهو شراب حلو يشبه العسل.. ولكن له رائحة سيئة..

وكان ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح من بدنه أو فمه.. لأنه يناجى جبريل.. ويناجى الناس..

فلما دخل على حفصة.. سألته ماذا أكل؟

فقال: «شربت عسلاً عند زينب.. ».

فقالت: إنى أجد منك ريح مغافير..

فقال: «لا بل شربت عسلاً.. ولن أعود له.. ».

ثم قام ودخل على عائشة.. فقالت له عائشة مثل ذلك..

ومضت الأيام.. وكشف الله له القضية كلها..

وبعد أيام.. أسرَّ إلى حفصة ﵂ حديثًا.. فأظهرته..

فدخل عليها يومًا.. وعندها الشفاء بنت عبد الله.. وكانت صحابية تتعلم الطب.. وتعالج الناس.. فأراد ﷺ أن يلفت نظر حفصة إلى خطئها معه بأسلوب غير مباشر.. ليكون أرفق وأحسن.. فماذا فعل؟

فقال ﷺ للشفاء: «ألا تُعلِّمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة؟!!».

ورقيـة النملة كلام كانت نساء العـرب تقوله.. يعلم كل من سمـعه أنه كلام لا يضر ولا ينفع..

ورقية النملة التى كانت تعرف بينهن أن يقال:

العروس تحتفل..

وتختضب وتكتحل..

وكل شىء تفتعل..

غير أن لا تعصى الرجل..

فأراد ﷺ بهذا المقال تأنيب حفصة والتأديب لها تعريضًا.. بأن تردد جملة: غير أن لا تعصى الرجل..

ومـا أجمل هذه الأسـاليب فى عـلاج أخطاء الآخريـن ليبـقى الود فى القلوب متينًا لا تهزه الأخطاء ولا تكدره كثرة النصـائح..

* أحد السلف استـلف منه رجل كتابًا.. فردَّه إليه بعـد أيام وعليه آثار طعام.. كأنه حمل عليه خبزًا أو عنبًا.. فسكت صاحب الكتاب..

وبعد أيام جـاءه صاحبـه يستعـير منه كتـابًا آخر.. فـأعطاه الكتاب فى طبق..!!

فقال الرجل: إنما أريد الكتاب.. فما بال الطبق؟!

فقال: الكتاب لتقرأ فيه.. والطبق لتحمل عليه طعامك!!

فأخذ الكتاب.. ومضى.. فقد وصلت الرسالة..

* وأذكر أن أحدهم كان يعود إلى بيته ليلاً.. وينزع ثوبه..

يعلقه على الشماعة.. وينام.. فتأتى زوجته.. وتفتح محفظة النقود.. ثم تأخذ بعض المال الموجود.. من فئة الريال.. والخمسة..

فإذا استـيقظ صـباحًا وذهب إلى عـمله.. واحتاج أن يحـاسب فى بقالة

ونحوها.. لم يجد ذلك المال اليسير.. فتحيَّر الرجل.. تُرى أين ذهب المال؟!

فراقبها.. حتى فهم القضية..

فرجع إلى بيته يومًا.. وقد جعل فى جيبه ضفدعًا!

ونزع ثوبه كالعادة.. واضطجع كهيئة النائم.. وهو يراقب الثوب.. فأقبلت زوجته لتأخذ ما يتيسر.. كالعادة!!

أقبلت إلى الثوب تمشى رويدًا.. أدخلت يدها بهدووء.. فلمست الضفدع.. فتحرك فجأة.. فصرخت: آ آ آه.. يدى.. ففتح الزوج عينيه.. وقال: آ آ آه.. جيبى..

ليتنا نستعمل هذا الأسلوب.. مع جميع الناس.. أولادنا إذا وقعوا فى أخطاء.. ومع طلابنا..

* نايف أحد الأصدقاء.. كان له أم صالحة.. لا ترضى أن يبقى فى البيت صور أبدًا.. لأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة..

كان عندها طفلة صغيرة.. عندها ألعاب متنوعة.. إلا الدُّمى.. العرائس.. كانت الأم تمنعها من شراء الدُّمى والعرائس وتأذن لها فى بقية أنواع الألعاب..

أهدت إليها خالتها دُمية.. عروسة تتكلم وتتحرك.. وقالت لها: العبى بها فى غرفتك.. واحذرى أن تراها أمك.. وبعد يومين.. علمت الأم.. فأرادت أن تقدم النصيحة بأسلوب مناسب..

جلسوا على الطعام.. فقالت أم نايف: يا أولاد.. !! من يومين.. وأنا أشعر أن البيت ليس فيه ملائكة!! لا أدرى لماذا خرجت.. لا حول ولا قوة إلا بالله..

والبنت الصغيرة تسمع وهى ساكتة..

وبعد الغداء رجعت الصغيرة إلى غرفتها.. فإذا بين يديها ألعاب

كثيرة.. والعروسة من بينها.. فالتقطتها.. وجاءت بها إلى الأم وقالت: ماما.. هذه التى طردت الملائكة.. افعلى بها ما شئت!!

فما أجمل هذه الأساليب ليكون أحدنا مُصلحًا لأخطاء الناس.. ناصحًا لهم وفى الوقت نفسه خفيف النفس عليهم غير مضجر ولا مُمل لهم..

يعنى دع المنصوح يحتفظ بماء وجهه.. ويمكن أن تأكل العسل من غير أن تحطم الخلية.. لا تنصحه كأنه قد كفر بفعله..

بل أحسِن الظن به.. واعتبر أنه وقع فى الخطإ من غير قصد.. أو من غير أن يعلم..

كانت الخمر فى أول الإسلام لم تُحرَّم بعد.. ثم نزل تحريمها على مراحل..

ففى المرحلة الأولى.. بغَّضهم الله تعالى فى الخمر ولم يقطع بتحريمها.. فقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾(١).

ثم فى المرحلة الثانية: حرَّم عليهم شربها قرب وقت الصلاة فقال: ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾(٢).. فصار الشخص لا يكاد أن يجد وقتًا لشرب الخمر لانشغاله بالصلوات وتتابعها..

ثم فى المرحلة الأخيرة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣).. فترك كل من كان يشربها شُربها وانتهوا عنها..

إلا أن بعض الناس خارج المدينة لم يعلموا بالتحريم القطعى للخمر..

وفى يوم أقبل عامر بن ربيعة.. الصحابى الجليل.. من سفر.. فأهدى

(١)سورة البقرة: الآية: (٢١٩).

(٢)سورة النساء: الآية: (٤٣).

(٣)سورة المائدة: الآية: (٩٠).

لرسول الله ﷺ راوية خمر.. جرة كاملة مملوءة خمراً..

ولم يكن النبى ﷺ يشرب الخمر لا فى الجاهلية ولا فى الإسلام..

لكن الناس كانوا يهدون إليه هدايا أحياناً لا ليستعملها وإنما ليهديها أو يبيعها..

فكان بعضهم قد يهدى إليه ذهباً أو حريراً فلا يلبسه وإنما يهديه لزوجاته أو غيرهن..

نظر النبى ﷺ إلى الخمر مستغرباً.. والتفت إلى عامر بن ربيعة.. وقال: «أما علمت أنها قد حُرِّمت؟»..

قال: حُرِّمت؟! لا.. ما علمت يا رسول الله..

قال: «فإنها قد حُرمت»..

فحملها عامر..

فأسرَّ إليه بعضهم بأن يبيعها..

فسمعه النبى ﷺ فقال: «لا.. إن الله إذا حرم شيئًا.. حرم ثمنه»..

فأخذها رضى الله عنه فأهرقها على التراب[1]..

وانتبه أن تمدح نفسك وأنت تنصح.. فترفع نفسك وتسحب المنصوح إلى القاع..

لا أحد يرضى بذلك..

بعض الآباء - مثلاً -.. إذا نصحَ ولده بدأ يذكر أمجاده.. أنا كنت وكنت.. ولعل الولد يعلم تاريخ والده.. !!

فإذا احتجت أن تضرب مثالاً وأنت تنصح فحاول جاهداً أن لا تضربه على نفسك فتذكر بطولاتك وأمجادك.. وإنما اضرب المثال بغيرك.. حتى لا يشعر المنصوح أنك تهينه وتمدح نفسك.. »[2].

---

(١) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

(٢) استمتع بحياتك (٢٤٠-٢٤٥).

اقبل نصيحة إخوانك

كان هناك ثلاثة من الأصدقاء (أحمد وفتحى وعصام) وكانوا يعيشون فى مدينة جميلة تُطل علي البحرِ مباشرة وكانت مليئة بالحدائق والبساتين.

وكان الثلاثة مجتهدين فى الدراسة ومتفوقين.

وفى نهاية كل أسبوع يخرجون سويًّا فى نزهة لتجديد النشاط مرة أخرى فيرجعوا إلى دراستهم فى غاية التركيز والنشاط.

وفى يوم من الأيام خرجوا لنزهة جميلة إلى إحدى حدائق المدينة المطلة على البحر.. وأخذوا معهم الطعام والشراب والفاكهة واللعب التى سيلعبون بها.

فلما وصلوا وضعوا أغراضهم تحت إحدى الأشجار الوارفة وأخذوا يلعبون ويمرحون فى الحديقة.

فلما حان وقت الصلاة ذهبوا إلى المسجد القريب وصلوا صلاة الظهر ثم عادوا وقد حان وقت الغداء فأخرجوا الطعام وجلسوا يأكلون الطعام الشهى الذى أعدته لهم والدة أحمد.

ولما انتهى الثلاثة من الغداء قام أحمد ونظف مكانه وكذلك فعل عصام.. أما فتحى فقد ترك بقايا الطعام فى الحديقة وقال لهما هيا بنا لنستمتع مره أخرى باللعب.

فقال له أحمد: يا فتحى. لماذا لا تنظف مكانك وتضع بقايا الطعام فى سلة المهملات؟

فتحى: لأننا بعد قليل سوف نترك هذا المكان فلا يضرنى أن المكان نظيف أو غير نظيف.

عصام: لكن هذا لا يجوز يا فتحى لأن الإسلام دين النظافة ولأنك لابد أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك.

أحمد: نعم يا فتحى... وكذلك لابد أن تعلم أن بقايا الطعام التى تركتها سوف تتغير رائحتها وستؤذى من سيأتى بعدنا لنفس المكان، ونحن قد جئنا لهذا المكان فوجدناه نظيفًا ولابد أن نتركه نظيفًا.

* ورغم كل هذا أصر فتحى على أن يترك بقايا الطعام.

* **فقال أحمد لعصام:** أنا أستطيع أن أنظف مكان فتحى وأحمل بقايا طعامه إلى سلة المهملات ولكنى أريد أن أُلقنه درسًا لا ينساه أبدًا.

* وبالفعل بعد أسبوع ذهب الثلاثة كالعادة للنزهة واللعب فنزلوا فى نفس المكان ووضعوا أغراضهم تحت نفس الشجرة.

فلما أرادوا أن يلعبوا قال فتحى: هيا نذهب إلى مكانٍ آخر فإنى أشم رائحة كريهة فى هذا المكان.

أحمد: ولكن يا فتحى هذا أفضل مكان فى هذه الحديقة فكيف نتركه.

فتحى: ألا تشم هذه الرائحة الكريهة؟

أحمد: طبعًا أشمها وهى فعلاً رائحة كريهة جداً ولكنك لم تسأل نفسك عن سبب هذه الرائحة الكريهة.

فنظر فتحى فوجد أن بقايا الطعام التى تركها هنا منذ أسبوع قد تعفنت وتسببت فى هذه الرائحة الكريهة.

فقال له عصام: أرأيت يا فتحى كيف أنك حرمتنا من اللعب فى هذا المكان الجميل بسبب بقايا الطعام التى تركتها.

أحمد: بل ومن المؤكد أنك حرمت كثيرًا من الناس من أن يستمتعوا بهذا المكان بسبب هذه الرائحة.

فوضع فتحى رأسه فى الأرض وقال: أنا آسف... وسوف أنظف المكان فورًا ولن افعل ذلك أبدًا... وأنتم على حق لأنه لو فعل كل إنسان فى الأماكن العامة مثلما فعلت فلن يبقى مكان نظيف فى المدينة أبدًا.

* وبالفعل قام فتحى بتنظيف المكان وهو يشعر بالسعادة.

ثم أخذوا يلعبون ويستمتعون بهذه الحديقة الجميلة ويقولون: - حقًا. - إن النظافة من الإيمان.

آداب النصيحة

وهناك آداب ينبغى أن نتحلى بها عند بذل النصيحة لمن حولنا:

(١) أن تكون النصيحة خالصة لوجه الله:

بحيث لا يرجو الناصح إلا وجه الله والدار الآخرة ولا يكون ذلك لمطمع دنيوى أو لطلب الرياء والسمعة.

(٢) أن تكون عن دراية وعلم:

لأن الإنسان إذا لم يكن على علم فقد ينصح بمنكر، وقد ينهى عن معروف، فلابد من العلم بذات الأمر الذى فيه النصيحة، وليس شرط العلم أن يكون حافظًا للقرآن الكريم كاملاً، وحافظًا للصحيحين، لا، بل المقصود هو العلم بذات الأمر المنصوح به.

(٣) أن يتحلى الناصح بخلق الرفق:

كذلك على الناصح أن يتخلق بالرفق، أى: أن تكون النصيحة فى رفق ولين، وقد أمر الله تعالى باللين مع من هو أكفر أهل الأرض فى زمنه (فرعون) فقال لنبييه موسى وهارون (عليهما السلام) حينما أمرهما بالذهاب إلى فرعون الطاغية المتكبر: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1]، والنبى ﷺ يقول: **«إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا يُنزع من شىء إلا شانه»**[2]، وقال عليه الصلاة والسلام: **«من يُحرم الرفق يحرم الخير كله»**[3].

---

(١) سورة طه: الآية: (٤٤).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٩٤) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٩٢) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث جرير ابن عبد الله رضي الله عنه.

قال ربنا - جل وعلا -: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(١)، وقال - جل وعلا-: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾(٢)، فمن لوازم النصيحة الرفق، أن تكون رفيقًا رحيمًا فى نصيحتك.

(٤) اختيار الأسلوب المناسب للنصيحة:

وهذا يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص... فبعض الناس يحتاج إلى النصيحة بشكل مباشر وبعضهم يحتاج إلى النصيحة بشكل غير مباشر كما كان النبى ﷺ يقول: «**ما بال أقوام يقولون كذا... أو يفعلون كذا...**».

- بل وفى أكثر الأحوال يحتاج الناس إلى النصيحة من خلال القدوة المتمثلة فى شخص الناصح الذى يبذل لهم النصيحة.

- ولا ننسى أيضًا أن بذل النصيحة للصغير يختلف عن بذلها للكبير... وكذلك فإن بذلها لصاحب المكانة المرموقة يختلف عن بذلها للرجل البسيط.

- فالحاصل أنه ينبغى لمن يبذل النصيحة أن يتحلى بالذكاء وفقه النفس حتى يعلم متى يتكلم ومتى يصمت ومتى يبذل النصيحة بشكل مباشر ومتى يبذلها بشكل غير مباشر.

(٥) أن لا يكون الهدف منها التشهير أو الانتقاص:

فالواجب على الناصح أن يجعل المنصوح يشعر بأن المقصود إرادة الخير له... وأن تلك النصيحة ليس من ورائها أى مطمع سوى الفوز برضوان الله والحرص على جلب المنفعة لإخوانه المسلمين امتثالاً لقول سيد المرسلين ﷺ - كما عند مسلم -: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٣).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

(٢) سورة النحل: الآية: (١٢٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٣) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٥) كتاب الإيمان، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) أن تشمل النصيحة أمر الدين والدنيا:

فإذا رأيت أخاك مقصراً فى طاعة الله أو جريئًا على معصية الله -جل وعلا- فعليك أن تبذل له النصيحة بكل رحمة وحنان. . . وكذلك إذا رأيته مقبلاً على أمر من أمور الدنيا وعلمت أن مصلحته فى أن يبتعد عن ذلك الأمر فانصحه فى ذلك فإن الواجب على المسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير فى أمور الدنيا والآخرة.

(٧) لا تنصح أخاك إلا سرًا:

* **قال مسعر بن كدام - رحمه الله تعالى -:** «رحم الله من أهدى إلىَّ عيوبى فى سر بينى وبينه، فإن النصيحة فى الملأ تقريع»[1].

ولذلك قال الشافعى - رحمه الله-:

تعهدنى بنُصحك فى انفراد
وجنبنى النصيحة فى جماعه
فإن النُّصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتنى وعصيت أمرى
فلا تجزع إذا لم تُعط طاعه

وقال: «من وعظ أخاه سرًّا فقد وعظه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه»[2].

* ولذلك فينبغى أن نحرص كل الحرص على بذل النصيحة للغير سرًّا حتى لا نجرح مشاعره ونؤذى أحاسيسه فيكون ذلك حائلاً بينه وبين قبول النصيحة والانتفاع بها.

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٢٩٠).
(٢) مقدمة المجموع شرح المهذب (١/ ٣١).

(٨) على الناصح أن يتخلق بخلق الصبر:

وأخيرًا فإن الذى يبذل النصيحة للناس عليه أن يتحلى بالصبر وذلك؛ لأن أكثر الناس لا يستجيبون فى التو واللحظة بل إن بعضهم قد يسمع النصيحة فلا يستجيب لها إلا بعد سنوات ولذلك فعلى الناصح أن يعلم يقينًا أنه ليس عليه إلا البلاغ أما الهداية فلا يملكها أحد إلا الله -جل وعلا- فقد قال تعالى للحبيب محمد ﷺ ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(١).

- ونحن نعلم أن النبى ﷺ عُرضت عليه الأمم فرأى النبى ومعه الرهيط ورأى النبى ومعه الرجل والرجلان ورأى النبى وليس معه أحد(٢)... أى: لم يؤمن معه من قومه أحد.

- بل ونحن نعلم أيضًا كيف تحمل النبى ﷺ الأذى من مشركى قريش وغيرهم وكيف أنهم دبروا المؤامرات تلو المؤامرات لقتل الحبيب محمد ﷺ ومع ذلك كان يقول: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون»(٣) بل وعند فتح مكة لم ينتقم من أهل مكة ولم يعلق لهم المشانق بل قال لهم بلسان الرحمة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»(٤).

ثمرة غالية

وها هى ثمرة غالية من ثمرات بذل النصيحة ألا وهى أن العبد إذا دل الناس على أى خير فله مثل أجرهم دون أن ينقص ذلك من أجورهم شيئًا.

(١) سورة القصص: الآية: (٥٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٥٢) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٧٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٧٩٢) كتاب الجهاد والسير، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) رواه البيهقى فى الكبرى (٩/ ١١٨).

* قال ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»(١).

وقال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينُقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم، مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»(٢).

وقال ﷺ: «ولأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النَّعم(٣)»(٤).

من فوائد النصيحة والتواصى

وإليكم تلكم الباقة العطرة من فوائد النصيحة والتواصى:

(١) النصيحة لُب الدين وجوهر الإيمان.

(٢) دليل حب الخير للآخرين، وبغض الشر لهم.

(٣) تكثير الأصحاب إذ إنه يؤمَن منه الجانب، وتقليل الحُسَّاد، إذ إنه لا يحب لغيره الشر والفساد.

(٤) صلاح المجتمع إذ تُشاع فيه الفضيلة، وتُستر فيه الرذيلة.

(٥) إحلال الرحمة والوداد مكان القسوة والشقاق.

(٦) الاشتغال بالنفس لاستكمال الفضائل من تمام النصح.

(٧) بيان خطأ المخطئ فى المسألة والمسائل - وإن كرهه- من النصيحة الواجبة لا من الغيبة المحرمة.

(٨) من قام بها على وجهها يستحق الإكرام لا اللوم والتقريع.

(٩) فى التواصى بالحق وبالصبر ونحوهما ما يكفل حياة مستقرة

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٩٣) كتاب الإمارة، من حديث أبى مسعود الأنصارى رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) حُمْر النَّعَم: الإبل الحمر، وهى أنفس أموال العرب.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٤٢) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة، من حديث سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه.

للمجتمع الإسلامى.

(١٠) فى الأخذ بوصية الله - عز وجل - ووصية رسوله ﷺ صلاح حال الفرد والمجتمع معًا.

(١١) للوصية الصادقة تأثير بالغ فى النفس وهى دافع قوى لتنفيذ الموصى به.

(١٢) الوصية وسيلة من وسائل التقوى والتذكر والتعقل[1].

وأخيراً: فإنى أسأل الله -جل وعلا- أن يرزقنا الرفق والرحمة فى نصح الناس من حولنا وأن يرزقنا الإخلاص فى الأمور كلها... إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

---

(١) نضرة النعيم (٨/٣٥٠٧).



النبى صلى الله عليه وسلم
ولذة الذكر

النبى ﷺ ولذة الذكر

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه .. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ - وأذن لنا بالدخول فلما دخلنا وجدنا النبى ﷺ جالسًا مع بعض أصحابه يُعلمهم ويربيهم ويوصيهم بكل خيرٍ ينفعهم فى دنياهم وآخرتهم فقال لهم النبى ﷺ: **«ألا أُنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عندَ مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخَيرٍ لكمْ من إنفاقِ الذّهبِ والورِقِ - أى الفضة -، وخيرٍ لكمْ منْ أن تلقَوا عدوَّكم، فتضرِبوا أعناقَهم، ويَضرِبوا أعناقَكمْ؟»** قالوا: بلىٰ. قال: **«ذِكرُ الله»** (١).

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع ذكر الله (جل وعلا).

لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله

يا من تريد السعادة الحقيقية عليك بذكر الله -جل وعلا- أما سمعت قول الله -جل وعلا-: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذى (٣٣٧٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٧٩٠) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٦٢٩).

(٢) سورة الرعد: الآية: (٢٨).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٥٢).

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (٢).

* وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه، عن النبى ﷺ، قال: «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره، مثل الحى والميت» (٣).

ورواه مسلم فقال: «مثل البيت الذى يُذكر الله فيه، والبيت الذى لا يُذكر الله فيه، مثل الحى والميت» (٤).

* وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علىَّ، فأخبرنى بشىء أتشبث به قال: «لايزال لسانك رطبًا من ذكر الله» (٥).

* وعن جابر رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غُرست له نخلة فى الجنة» (٦).

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أُسرى بى فقال: يا محمد أقرئْ أمتك منى السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» (٧).

* وعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير

---

(١) سورة الجمعة: الآية: (١٠).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣٥).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤٠٧) كتاب الدعوات، ومسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٧٥) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٧٩٣) كتاب الأدب، من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٧٠٠).

(٦) صحيح: رواه الترمذى (٣٤٦٤، ٣٤٦٥) كتاب الدعوات، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٤).

(٧) حسن: رواه الترمذى (٣٤٦٢) كتاب الدعوات، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٥).

أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى، قال: «ذكر الله تعالى»(١).

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العُلى والنعيم المقيم، يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال، يحجون، ويعتمرون، ويجاهدون، ويتصدقون. فقال: «ألا أعلمكم شيئًا تدركون به مَن سبقكم، وتسبقون به مَن بعدكم. ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تسبحون، وتحمدون وتكبرون، خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين» قال أبو صالح الراوى عن أبى هريرة، لما سُئل عن كيفية ذكرهن، قال: يقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، حتى يكون منهن كلهن ثلاثًا وثلاثين(٢).

وزاد مسلم فى روايته: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

* وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ، والله إنى لأحبك» فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعن فى دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنِّى على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك»(٣).

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٧٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٧٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (٢١١٩٥)، من حديث أبى الدرداء رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٦٢٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٨٤٣) كتاب الأذان، ومسلم (٥٩٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (١٥٢٢) كتاب الصلاة، والنسائى (١٣٠٣) كتاب السهو، وأحمد (٢١٦٢١)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٦٩).

ألا بذكر الله تطمئن القلوب

الصـدق حبيب الله، والصراحـة صابـون القلوب، والتجـربة برهان، والرائد لا يكذب أهله، ولم يوجد عمل أشرح للصدر وأعظم للأجر كالذكر ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[1] وذكره سبـحانه جنته فى أرضـه من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة وهو إنقاذ للنفس من أوصابها وأتعابها واضطرابها بل هو طريق ميسّر مختـصر إلى كل فوز وفلاح.... طالع دواوين الوحى؛ لترى فوائد الذكر، وجرب مع الأيام بلسمه لتنال الشفاء.

بذكره سبحانه تنقشع سُحب الخوف والفزع والهم والحزن. بذكره تزاح جبال الكرب والغم والأسى.

ولا عجب أن يرتاح الذاكرون فهذا هو الأصل الأصيل، لكن العجب العُجاب كيف يعيش الغافلون عن ذكره ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[2].

يا من شكى الأرق وبكى من الألم وتفجّع من الحوادث، ورمته الخطوب هيا اهتف باسمه المقدس، هل تعلم له سَميًا.

بقدر إكثارك من ذكره ينبسط خاطرك، يهدأ قلبك، تسعد نفسـك، يرتاح ضمـيرك؛ لأن فـى ذكره -جل فى عـلاه- معـانى التوكل عليـه والثقـة به والاعتماد عليـه والرجوع إليه، وحسـن الظن فيه، وانتظـار الفرج منه، فهو قـريب إذا دُعى، سـميع إذا نُودى، مـجـيب إذا سُئل، فاضـرع واخـضع واخشع، وردد اسمه الطيب المبارك على لسـانك توحيدًا وثناءً ومدحًا ودعاءً وسؤالاً واستـغفارًا، وسوف تجـد -بحوله وقوته- السعـادة والأمن والسرور والنور والحبور ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾[3][4].

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٥٢).

(٢) سورة النحل: الآية: (٢١).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٤٨).

(٤) لا تحزن (ص: ٣٥، ٣٦).

أفضل الذكر وأنفعه

من الذاكرين من يبتدئ بذكر اللسان وإن كان على غفلة، ثم لا يزال فيه حتى يحضر قلبه فيتواطآ على الذكر.

ومنهم من لا يرى ذلك، ولا يبتدئ على غفلة، بل يسكن حتى يحضر قلبه، فيشرع فى الذكر بقلبه، فإذا قوى، استتبع لسانه فتواطآ جميعًا.

فالأول: ينتقل الذكر من لسانه إلى قلبه.

والثانى: ينتقل من قلبه إلى لسانه، من غير أن يخلو قلبه منه، بل يسكن أولاً حتى يحسّ بظهور الناطق فيه، فإذا أحسّ بذلك نطق قلبه، ثم انتقل النطق القلبى إلى الذكر اللسانى، ثم يستغرق فى ذلك؛ حتى يجد كل شىء منه ذاكرًا.

وأفضلُ الذكر وأنفعُه: ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكرُ معانيه ومقاصده[1]. اهـ.

الذكر والشكر

* **قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:**

مبنَى الدين على قاعدتين: الذكر والشكر، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[2].

وليس المراد بالذكر مُجرد الذكر اللسانى بل الذكر القلبى واللسانى، وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته وذكر أمره ونَهيه وذكره بكلامه، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح وذلك لا يتم إلا بتوحيده، فذكره الحقيقى يستلزم ذلك كله، ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه[3].

(١) الفوائد للإمام ابن القيم (ص: ٢٧٢).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٥٢).

(٣) الفوائد (ص: ١٣٨).

* **فاحـرص على أن تكون ذاكرًا لله فى جمـيع أحوالك:** فإذا جاءك الأمر من عند الله فامتثلت لأمـره فأنت ذاكرٌ لله.. وإذا جاءك النهى من عند الله فانتهيت فأنت ذاكرٌ لله.

وبالجملة ... فـذكر الله -جل وعـلا- هو أن يكون الله منك على بالٍ دائمًا فلا تُحرك ساكنًا إلا وفق شرعه ومنهاجه وبما جاء فى سنة رسوله ﷺ .

فى رحاب الذاكرين

* فها هو سيد الذاكـرين رسول الله ﷺ تقول عنه أمنا عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يَذكر الله تعالى على كل أحيانه.

«ولم تـستثنِ حالةً من حـالةٍ، وهذا يدلُّ على أنه كان يذكر ربه - تعالى - فى حال طهارته وجنابته.

وأما حال التَّخلِّى، فلم يكن يشاهده أحدٌ يحكى عنه، ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التـخلِّى وبعده ما يدل على مزيد الاعـتناء بالذكر، وكذلك شَرع للأمَّـة من الذكر عند الجماع أن يقـول أحدهم: **«اللهم جنِّبنا الشيطان، وجنِّب الشيطان ما رزقتنا»**(١).

وأما عند نفسِ قضاء الحاجة وجماع الأهل، فلا ريبَ أنَّه لا يُكره بالقلب.

* **وكان ﷺ يدعو ويقول: «.... اللهم اجعلنى لك شاكرًا لك ذاكرًا لك راهبًا... ...»**(٢).

* **وقال تعالى لكليمه موسى (عليه السلام): ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾**(٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١) كتاب الوضوء، ومسلم (١٤٣٤) كتاب النكاح.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١٥١٠) كتـاب الصلاة، والترمذى (٣٥٥١) كتاب الدعـوات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٤٨٥).

(٣) سورة طه: الآية: (٤٢).

وقال تعالى على لسان نبيه موسى: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً ﴾[1].

* وها هو زكريا (عليه السلام) يسأل الله أن يرزقه الولد فتبشره الملائكة بالولد... فيطلب آية وعلامة على هذه المعجزة فكانت العلامة أنه يظل ثلاثة أيام لا يستطيع أن يتكلم إلا بذكر الله.

قال تعالى حاكيًا عنه أنه: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾[2].

* وهذا نبى الله يونس (عليه السلام) التقمه الحوت... فنجَّاه الله برحمته ثم بكثرة ذكره وتسبيحه وقوله: لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين.

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[3].

* بل ها هو عثمان بن عفان رضي الله عنه.

«كان رضي الله عنه يقرأ القرآن فى ركعة، ثم يوتر بها»[4].

وعن ابن سيرين قال: قالت امرأة عثمان حين قُتل: لقد قتلتموه وإنه ليحيى الليل كلَّه بالقرآن فى ركعة[5].

قال النووى فى «التبيان» (٥٥): «فمن الذين كانوا يختمون الختمة فى اليوم والليلة: عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتميم الدارى، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشَّافعى، وآخرون».

---

(١) سورة طه: الآيات: (٣٣-٣٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٤١).

(٣) سورة الصافات: الآيتان: (١٤٣-١٤٤).

(٤) إسناده صحيح: أخرجه الطحاوى والبيهقى (٣/ ٢٥)، وابن أبى داود، وصحَّح إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط، والشيخ زهير الشاويش فى تحقيق شرح السنة (٤/ ٤٩٩).

(٥) الزُّهد ص ١٢٧ لأحمد بن حنبل.

* **وها هو عروة بن الزبير (رحمه الله):**

عن ابن شـوذب قال: كان عـروة يقرأ ربع القرآن كـل يوم فى المصحف نظرًا، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قُطعتْ رِجله.

* **وهذا أبو الدرداء ﷺ:**

قيل له: كم تُسبِّح فى كل يوم ؟ قال: مائة ألف إلا أن تُخطئ الأصابع.

* وهذا أبو هريرة ﷺ كـان يُسـبِّح فى اليـوم والليلة اثنا عـشـر ألف تسبيحة ويقول: أُسبِّح بقدر ديتى.

* **وهذا أبو حنيفة النُّعمان:** قال شمس الأئمة الكردرى فى كتابه «مناقب الإمام أبى حنيفة» أنه: كان يختم القرآن فى كل يوم وليلة مرة، وفى رمضان كل يوم مرتين؛ مرة فى النهار ومرة فى الليل.

* **وهذا شيخ الإسلام وبقيَّة الأعلام أبو بكر بن عيَّاش:**

قال الذهبى: قد روى من وجوه متعدِّدة أنَّ أبا بكر بن عيَّاش مكث نحواً من أربعين سنة يختم القرآن فى كل يومٍ وليلة مرة.

وهذه عبادة يُخضع لها[1].

قال يحيى الحمَّانِى: لَمَّا حضرت أبا بكر الوفاةُ بكتْ أختـه، فقال لها: ما يُبكيكِ؟ انظرى إلى تلك الزَّاوية، فـقد ختم أخـوك فيهـا ثمانيةَ عـشر ألف ختمة.

* **وهذا الحَسَنُ بنُ صالح بنِ حى الثورى:**

«قال وكيع: كـانِ الحسن وعلىّ ابنا صالح، وأُمُّهمـا قد جزَّءُوا الليل ثلاثة أجزاء يختـمـون فيه القـرآن فى بيتهم كـل ليلةِ، فكان كلٌّ واحد يقـوم بثلثه، فماتتْ أُمُّهما، فكانا يختمانه، ثم مات علىّ، فكان الحسن يختم كلَّ ليلةٍ»[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٠٣).

(٢) تهذيب التهذيب (٢/ ٢٨٨).

* **وهذا أميرُ المؤمنين فى الحديث الإمام يحيى بن سعيد القطان:**

«قال يحيى بن معين: أقام يحيى بن سعيد عشرين سنةً يختم القرآن كل ليلة»[١].

* **وهذا إمام الدنيا وناصر السُّنَّة الشافعى:**

قال الذهبى فى «السير» (١٠/ ٣٦): «قال الربيع بن سليمان من طريقين عنه، بل أكثر -: كان الشافعى يختم القرآن فى شهر رمضان ستين ختمةً. ورواها ابن أبى حاتم عنه، فزاد: كل ذلك صلاة»[٢].

وفى تهذيب الأسماء واللغات للنووى (١/ ٥٤): «قال الربيع: نِمْتُ فى منزل الشافعى ليالى، فلم يكن ينام إلا يسيراً من الليل.

وقال الحميدى: كان الشافعى يختم القرآن كلَّ يوم ختمةً».

هُمُ الرِّجَالُ وعَيْبٌ أن يُقَال لمن
لم يتَّصف بمعانى وَصْفِهم رجلُ

* **وهذا عبدُ الرحمن بن مهدى:**

قال علىّ بن المدينى: كان وِردُ عبد الرحمن كلَّ ليلة نصف القرآن[٣].

قال الذهبى فى السير: «عبد الرحمن له جلالة عجيبة، وكان يُغشَى عليه إذا سَمِعَ القرآن». نقله صاحب «شريعة المقارئ»[٤].

* * *

---

(١) السير (٩/ ١٧٩).

(٢) آداب الشافعى (ص ١٠١).

(٣) السير (٩/ ٢٠٣).

(٤) السير (٩/ ١٥٣).

فضائل وثمرات الذكر

وها هى بعض فضائل وثمرات ذكر الله (جل وعلا):

١- أن الله يذكر من يذكره:

ولو لم يكن هناك ثمرة للذكر سوى أنك إذا ذكرت الله ذكرك فى التو واللحظة لكفى بها شرفًا وفخرًا.

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[1].

عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بطاعتى ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بمغفرتى ورحمتى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه.

وقال الحسن البصرى رحمه الله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ فيما افترضت عليكم.. ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ فيما أوجبت لكم على نفسى..

وقال: إن الله يذكر من يذكره، ويزيد من يشكره.

قال رسول الله ﷺ: «قال اللهُ: يا ابن آدم إن ذكرتنى فى نفسكَ؛ ذكرتُك فى نفسى، وإن ذكرتنى فى مَلإ ذكرتك فى مَلإ مِنْ الملائكة أو فى ملإ خَير منهم، وإن دنَوْتَ منِّى شبرًا دنوت منك ذراعًا، وإن دنوت منِّى ذِراعًا دنَوتُ منكَ بَاعًا، وإِنْ أتيْتَنِي تَمَشِي أَتيْتُكَ أُهَرْوِلُ»[2].

٢- يجعلك فى معية الله (جل وعلا):

* عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «يقول اللهُ تعالَى: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى....»[3] الحديث.

* وقد ذكر أهل العلم أن المعية معيتان: معية عامة، ومعية خاصة.

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٥٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣/١٣٨) وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٠٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء.

أما المعية العامة: هى معية علم وإحاطة. والمعية الخاصة: فهى معية بالقرب والولاية والمحبة والنصر والتوفيق.

٣- الفوز بمحبة الله (جل وعلا)

* عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(١).

قال الحافظ فى الفتح: «وقد جعل الله لكل شىء سببًا، وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره فإن الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة، وشارعها الأعظم، وصراطها المستقيم».

٤- الله يباهى بك الملائكة

ففى يوم من الأيام خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك قال: «أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة»(٢).

* قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنده ومحبته له وأن له مزية على غيره من الأعمال(٣).

وقال رحمه الله: ويكفى فى شرف الذكر: أن الله يباهى ملائكته بأهله(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٦) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٩٤) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠١) كتاب الذكر والدعاء.

(٣) صحيح الوابل الصيب (ص ١٣٨).

(٤) مدارج السالكين.

٥- الفوز برضوان الله (جل وعلا):

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[1].

٦- صلاة الله وملائكته على أهل الذكر:

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[2].

فهنيئًا لمن صلَّى الله عليه وملائكته فهذا هو الذى فاز بخيرى الدنيا والآخرة.

٧- سبب للفلاح فى الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].

٨- حرز من الشيطان:

عن الحارث الأشعرى أن النبى ﷺ قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن.. فقال: إن الله أمرنى بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن» وفى الحديث: «وآمركم أن تذكروا الله، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سراعًا حتى إذا أتى علَى حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٤) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) سورة الأحزاب: الآيات: (٤١-٤٣).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٤٥).

(٤) سورة الجمعة: الآية: (١٠).

يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله»(١).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، فى كل يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه»(٢).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتانى آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ - فقص الحديث- فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى لم يزال معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال رسول الله ﷺ: «صَدَقَك وهو كَذوب ذاك شيطان»(٣).

٩- يطرد الشيطان:

والذكر ليس حرزاً من الشيطان فحسب بل إنه يطرد الشيطان ويمنعه من دخول البيت.

فمثلاً إذا ذكر الإنسان ربه عند دخوله لبيته لم يدخل الشيطان البيت، وإذا ذكره عند طعامه لم يستطع أن يأكل معه، ... قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت. فإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»(٤).

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٨٦٣)، ورواه أحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢)، وغيرهما، من حديث الحارث الأشعرى رضي الله عنه، مرفوعًا، وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (١٧٢٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٩٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٩١) كتاب الذكر والدعاء.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٠١٠) كتاب فضائل القرآن.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٠١٨) كتاب الأشربة، وأبو داود (٣٧٦٥)، وابن ماجه (٣٨٨٧).

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذى تُقرأ فيه سورة البقرة»(١).

١٠- أنه يحل عُقد الشيطان:

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقَد، يضرب على مكان كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد. فإن استيقظ فذكر الله انحلَّت عُقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»(٢).

١١- أنه يزيل الهم والغم:

قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحدًا قط هَمٌّ ولا حَزَنٌ فقال: اللهم إنى عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماضٍ فىَّ حكمك، عدل فىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيت به نفسك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته فى كتابك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى وذهاب همى، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحًا»(٣).

ومن أعرض عن ذكر الله وجد الغم والكرب والضنك، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(٤).

١٢- أنه بذكر الله تطمئن القلوب:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٨٠) كتاب صلاة المسافرين.

(٢) صحيح: رواه البخارى (١١٤٢) كتاب الجمعة.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١/٤٥٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٩٩).

(٤) سورة طه: الآية: (١٢٤).

(٥) سورة الرعد: الآية: (٢٨).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾(١) .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ذكر الله عز وجل يُذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب فى حصول الأمن، فليس للخائف الذى قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل؛ إذ بحسب ذكره يجد الأمن، ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التى يجدها أمانًا له، والغافل خائف مع أمنه، حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرَّب هذا وهذا، . . . والله المستعان. اهـ(٢) .

١٣- الذكر حياة للقلوب والأبدان:

عن أبى موسى رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ : «مَثل الذى يذكر ربه، والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت»(٣) .

وفى لفظ مسلم: «مثل البيت الذى يُذكر الله فيه، والبيت الذى لا يُذكر الله فيه مثل الحى والميت»(٤) .

١٤- بالذكر تغفر الذنوب:

قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(٥) .

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان: (١٧٣- ١٧٤).

(٢) صحيح الوابل الصيب (ص ١٤٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٧)، كتاب الدعوات ومسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين.

(٥) سورة الأحزاب: الآية: (٣٥).

جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾(١).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة؛ حُطَّت عنه خطاياه، وإن كانت مثل زَبَد البحر»(٢).

وعن سعد بن أبى وقاص قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم، ألف حسنة؟» فسأله سائل من جُلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «يُسبِّح مائة تسبيحة، فيُكتب له ألف حسنة، أو يُحَطُّ عنه ألف خطيئة»(٣).

وعن أبى سعيد الخدرى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن إبليس قال لربه: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوى بنى آدم ما دامت الأرواح فيهم. فقال الله: فبعزتى وجلالى لا أبرح أغفر لهم ما استغفرونى»(٤).

١٥- أهل الذكر هم السابقون:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير فى مكة فمر على جبل يقال له: جُمدان. فقال: «سيروا، هذا جُمْدَان، سبق المفردون»(٥) قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»(٦).

ذكر ابن القيم رحمه الله من فوائد الذكر أن عُمَّال الآخرة كلهم فى مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم فى ذلك المضمار، ولكن القترة والغبار يمنع من رؤية سبقهم، فإذا انجلى الغبار وانكشف رآهم الناس،

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان: (١٣٥-١٣٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٩٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٩١) كتاب الذكر والدعاء.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٨) كتاب الذكر والدعاء.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٣/٢٩)، والحاكم (٤/ ٢٩٠)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٥٠).

(٥) المفردون: قال ابن قتيبة وغيره، وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم، وانفردوا عنهم، فبقوا يذكرون الله تعالى. قاله النووى فى شرح مسلم.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٦) كتاب الذكر والدعاء.

وقد حازوا قَصَب السبق.

١٦- تحفك الملائكة وتتنزل عليك السكينة:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «... وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطَّأ به عمله لم يُسرع به نَسَبُه»(١).

١٧- بالذكر تقبل الصلوات وتستجاب الدعوات:

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ثلاثة لا يرد الله دعاءهم الذاكر الله كثيراً ودعوة المظلوم والإمام المقسط»(٢).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من تعارَّ من الليل؛ فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لى، أو دعا، استُجيب له، فإن توضأ وصلى؛ قُبِلَت صلاته»(٣).

١٨- تفتح أبواب السماء:

عن ابن عمر قال: بينما نحن نصلى مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً، فقال رسول الله ﷺ : «من القائل كلمة كذا وكذا؟» قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله قال: «عجبت لها. فُتحت لها أبواب السماء»(٤).

قال ابن عمر: فما تركتهن منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) حسن: رواه البيهقى فى الشعب (١١/٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٢١١).

(٣) صحيح: رواه البخارى (١١٥٤) كتاب الجمعة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٠١) كتاب المساجد.

١٩- ترطيب اللسان:

ومن فوائد الذكر التى ذكرها ابن القيم - رحمه الله - قال:

أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل؛ فإن العبد لابد له من أن يتكلم، فإن لَمْ يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بِهَذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها ألبتة إلا بذكر الله تعالى.

والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك؛ فمن عوَّد لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى وقع فى كل لغوٍ وباطل وفُحش، ولا حول ولا قوة إلا بالله[1].

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه: «أن أعرابيًّا قال لرسول الله ﷺ: «إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، فأنبئنى منها بشىء أتشبث به. قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله عز وجل»[2].

٢٠- زيادة الإيمان:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [4].

---

(١) صحيح الوابل الصيب (ص ٨٥) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وابن حبان (٣/ ٩٦-إحسان)، برقم (٨١٤)، وغيرهم، من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه، قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب. وصححه الألبانى فى «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٩٥)، برقم (١٤٩١).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٢).

(٤) سورة التوبة: الآيتان: (١٢٤-١٢٥).

٢١- الفوز بكنز من كنوز الجنة:

عن أبي موسى قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، فجعلنا لا نصعد شرفًا، ولا نعلو شرفًا، ولا نهبط في واد، إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير قال: فدنا منا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا بصيرًا. ثم قال: يا عبد الله ابن قيس، ألا أعلمك كلمة هي من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

قال الحافظ في الفتح: قوله: «من كنوز الجنة» وحاصله أن المراد أنها من ذخائر الجنة أو من محصلات نفائس الجنة. اهـ[2].

٢٢- من أسباب الثبات والنصر:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [4].

٢٣- ذكر الله يسهل الصعب وييسر العسير:

فما ذُكر الله على صعب إلا أصبح سهلاً ولا على شدة إلا زالت ولا على كُربة إلا انفرجت.

٢٤- الذاكر لا يُرد دعاؤه:

قال ﷺ: «ثلاثة لا يرد الله دعاءهم: الذاكر الله كثيرًا ودعوة المظلوم

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦١٠) كتاب القدر، ومسلم (٢٧٠٤) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) فتح الباري (١١/٥٠٩).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٤٥).

(٤) سورة البقرة: الآيتان: (٢٥٠-٢٥١).

والإمام المقسط»(١).

٢٥- يعصمك الله من الوقوع فى المعاصى:

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (٢).

وفى هذا المعنى أيضًا قول الله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (٣).

وقد تقدم أن الصلاة إنما شُرعت لذكر الله.

٢٦- يدفع الله عنك العذاب:

إن الاستغفار له شأن عظيم إذ هو أحد أقسام الذكر، فبه تُستجلب الذرية، وبه تُستجلبُ الأرزاق، وبه تُغفرُ الذنوب، وبه يدفع الله عنك العذاب... أما عن غفران الذنوب، ودفع العذاب.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٤) «فأخبر أنه سبحانه لا يعذب مستغفرًا». اهـ.

٢٧- الذكر يعينك على أعباء الحياة ويعطيك القوة.

قال هود عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (٥).

والاستغفار أحد أقسام الذكر.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن فاطمة أتت النبى ﷺ تسأله خادمًا، وشكت

---

(١) حسن: رواه البيهقى فى الشعب (٦/١١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٢١١).

(٢) سورة الأعراف: الآيتان: (٢٠٠-٢٠١).

(٣) سورة العنكبوت: الآية: (٤٥).

(٤) سورة الأنفال: الآية: (٣٣).

(٥) سورة هود: الآية: (٥٢).

العمل، فقال: «ما ألفيتيه عندنا» قال: «ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟ تُسبِّحين ثلاثًا وثلاثين، وتحمدين ثلاثًا وثلاثين، وتُكبرين أربعًا وثلاثين حين تأخذين مضجعك»[1].

يقول ابن القيم رحمه الله: وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية فى سننه وكلامه وإقدامه وكتابه أمرًا عجيبًا؛ فكان يكتب فى اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ فى جمعة وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته فى الحرب أمرًا عظيمًا.

٢٨- الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل للجهاد فى سبيل الله:

قال ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ ذكر الله»[2].

قال ﷺ: «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس، أحب إليَّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربعة»[3].

٢٩- الملائكة تبنى للذاكر دورًا فى الجنة وتغرس له نخلاً:

فالملائكة يبنون للذاكر دورًا فى الجنة ويغرسون له نخلاً ما دام ذاكرًا. . . فإذا أمسك عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء والغرس.

قال ﷺ: «لقيت ليلة أُسرى بى إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: يا محمد أقرئْ أمتك منِّى السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنَّهَا قيعان،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٨) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، والحاكم (١/ ٤٦١)، من حديث أبى الدرداء رضي الله عنه. وصححه الألبانى فى «المشكاة»، برقم (٢٢٦٩).

(٣) حسن: رواه أبو داود (٣٦٦٧)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٣٦).

وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[١].

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال: سبحان الله وبحمده، غُرست له نخلة في الجنة»[٢].

٣٠- أنه يجلب الرزق:

قال عز وجل عن رسوله نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ⑩ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ⑪ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[٣].

٣١- أنه سبب للفوز بحفظ الله:

فإن العبد إذا تعرَّف على الله بذكره في الرخاء فإن الله يعرفه في الشدة ويحفظه وينجيه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة»[٤].

٣٢- أنه سببٌ للنجاة من عذاب الله:

فعن معاذ رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عمل آدميّ عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله»[٥].

٣٣- أن يَسعد به جليسه:

فقد قال تعالى في الحديث القدسي عن أهل الذكر: «هم الجلساء لا

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٤٦٢)، والطبراني في «الكبير»، برقم (١٠٣٦٣)، والبزار في «البحر الزخار»، برقم (١٩٩١، ١٩٩٢)، وغيرهم، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم (٣٤٦٠).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٦٤)، وابن حبان برقم (٨٢٦/إحسان)، والحاكم (١/٥٠١، ٥١٢)، من حديث جابر رضي الله عنه. وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم (٦٤٢٩).

(٣) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٢).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٦/١٩٨) بإسناد صحيح.

(٥) صحيح: رواه أحمد (٥/٢٣٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٤٤).

يشقى بهم جليسهم»(١).

وقال ﷺ: «مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة»(٢).

٣٤- أنه أمان من الحسرة يوم القيامة:

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة، ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة»(٣).

٣٥- أن دوام الذكر يوجب الأمان من نسيانه:

أن دوام ذكر الرب -تبارك وتعالى- يوجب الأمان من نسيانه الذى هو سبب شقاء العبد فى معاشه ومعاده؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤) إن نسيان الله عز وجل يسبب نسيان الإنسان لنفسه ومصالحها، فتهلك وتفسد، فيكون لها الخسران فى الآخرة والعياذ بالله، فمن نسى الله عز وجل أنساه نفسه فى الدنيا، ونسيه فى العذاب يوم القيامة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ (٥).

٣٦- علاج لقسوة القلب:

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٢) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٠١) كتاب البيوع، ومسلم (٢٦٢٨) كتاب البر والصلة.

(٣) صحيح: رواه ابو داود (٤٨٥٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٧٧).

(٤) سورة الحشر: الآية: (١٩).

(٥) سورة طه: الآيات: (١٢٤-١٢٦).

ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (١).

٣٧- أن الذكر نورٌ للذاكر فى الدنيا والآخرة:

فالذكر نورٌ للذاكر فى الدنيا وفى القبر، وعلى الصراط.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (٢).

٣٨- أن الذكر يجعلك فى جنة الدنيا:

قال ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا». قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «حلَقُ الذكر»(٣).

٣٩- إدامة الذكر تنوب عن التطوعات:

فإدامة الذكر تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها، سواء كانت بدنية، أو مالية، كحج التطوع، فقد جاء ذلك صريحًا فى حديث أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: «جاء الفقراء إلى النبى ﷺ، فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العُلى والنعيم المقيم؛ يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ولهم فضلٌ من أموال يحجون بهَا، ويعتمرون، ويجاهدون ويتصدقون. قال: **«ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم مَن سبقكم، ولم يُدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه، إلا من عمل مثله؟! تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين»**(٤).

فجعل الذكر عوضًا لهم عما فاتَهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر أنَّهم يسبقونَهم بِهذا الذكر.

---

(١) سورة الزمر: الآيتان: (٢٢-٢٣).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١٢٢).

(٣) حسن: رواه الترمذى (٣٥١٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٥٦٢)، و«التعليق الرغيب» (٢/ ٣٣٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٨٣٤) كتاب الأذان، ومسلم (٥٩٥) كتاب المساجد.

٤٠- أنه سبب للأمان:

فالذكر يُذهب عن القلب مخاوفه ويجلب الأمن والأمان.

عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه **قَالَ:** كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بَصَرَهُ رَآنَا، قَالَ: **«اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ اثْنَانِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»**(١).

فحين ذكر رسول الله ﷺ ربه فقال: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾(٢)، زال عنه الخوف، وحصلت له السكينة والطمأنينة.

٤١- الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾(٣).

٤٢- الملائكة تتنافس على رفع الذكر:

عن أنس: أن رجلاً جاء فدخل الصف وقد حفزه النفس فقال: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: **«أيكم المتكلم بالكلمات؟»**(٤) فأرمَّ القوم. فقال: **«أيكم المتكلم بها فإنه لم يقل بأسًا؟»** فقال رجل: جئت وقد حفزني النفس فقلتها، فقال: **«لقد رأيت اثني عشر ملكا يبتدرونها أيهم يرفعها»**.

٤٣- الذكر يحفظ عليك ولدك:

عن ابن عباس رضي الله عنهما **قال:** قال رسول الله ﷺ: **«لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنِّبنا الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزقتنا. فإنه إن يقدر**

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٩٢٢) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) سورة التوبة: الآية: (٤٠).

(٣) سورة غافر: الآية: (٧).

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٦٠٠) كتاب المساجد.

بينهمـا ولد فى ذلك لا يضره شيطان أبدًا»(١).

٤٤- الذكر يحفظ عليك جوارحك:

عن أبى ذر، عن النبى ﷺ أنه قـال: «يصـبح على كل سُلامَى(٢) من أحدكم صدقـة. فكل تسبيحـة صـدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليـلة صدقة، وكل تكبيرة صـدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صـدقة، ويُجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»(٣).

٤٥- الذكر يحفظ عليك طعامك:

عن حذيفـة قال: كنا إذا حضـرنا مع النبى ﷺ طعامًـا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده. وإنَّا حضرنا معه مرة طعامًا. فجاءت جارية كـأنها تُدفع فذهبت لتـضع يدها فى الطعام فأخـذ رسول الله ﷺ بيدها ثم جاء أعـرابى كأنما يُدفع. فأخذ بيده فـقال رسول الله ﷺ: «إن الشـيطان يستـحل الطعـام أن لا يُذكـر اسم الله عليـه. وإنه جـاء بهـذه الجـارية ليستـحل بهـا. فأخذت بيـدها، فجـاء بهذا الأعرابـى ليستـحل به فأخـذت بيده، والذى نفسى بيده إن يده فى يدى مع يدها»(٤).

٤٦- سبب لإنجاب الذرية:

قال نوح عليـه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ⑩ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ⑪ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾(٥)، والاستـغفار أحد أقـسام الذكر، ودعاء الرب تبـارك وتعالى قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٣٨٨) كتاب الدعوات.

(٢) سـلامى: قال النووى: أصله عظام الأصـابع وسائر الـكف. ثم استـعمل فى جـميع عظام البـدن ومفاصـله.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٢٠) كتاب صلاة المسافرين.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٠١٧) كتاب الأشربة.

(٥) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٢).

سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾[1] .

٤٧-أهل الذكر فى أمان من أهوال يوم القيامة:

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالسًا عند النبى ﷺ فسمعته يقول: «وإن صاحب القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشقّ عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفنى؟ فيقول: ما أعرفك. فيقول: أنا صاحبك القرآن الذى أظمأتك فى الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيُعطَى المُلك بيمينه والخُلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكسَى والداه حُلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان بِمَ كُسينا هذه، فيقال: بأخذ ولدكما القرآن»[2] .

٤٨-الذكر يثقل الموازين:

عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[3] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله سيخلِّص رجلاً من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشُر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مَدِّ البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظَلَمَك كتبتى الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال: إنك لا تُظلم. قال: فتوضع السجلات فى كفة، والبطاقة فى

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان: (٣٨-٣٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٣٤٨) بإسناد حسن.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٦) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٩٤) كتاب الذكر والدعاء.

كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شىء»[١]

٤٩- أهل الذكر فى ظل عرش الرحمن:

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: ... ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[٢].

ذكر ابن القيم رحمه الله فى فوائد الذكر قال: الذكر مع البكاء فى الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر فى ظل عرشه، والناس فى حر الشمس قد صهرتهم فى الموقف، وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل. اهـ[٣].

٥٠- الذاكر ترفع درجته فى الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «يُقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[٤].

ومن حديث بريدة ﷺ قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة ... ثم يقال له: اقرأ واصعد فى درجة الجنة وغُرفها فهو فى صعود ما دام يقرأ هذًا كان أو ترتيلاً»[٥].

فأسأل الله (جل وعلا) أن يجعل قلوبنا وألسنتا لا تفتر أبدًا عن ذكره ولا عن شكره وأن يجعلنا من الذاكرين الله كثيراً وأن يجمعنا فى الفردوس الأعلى مع سيد الذاكرين محمد بن عبد الله ﷺ.

* * *

---

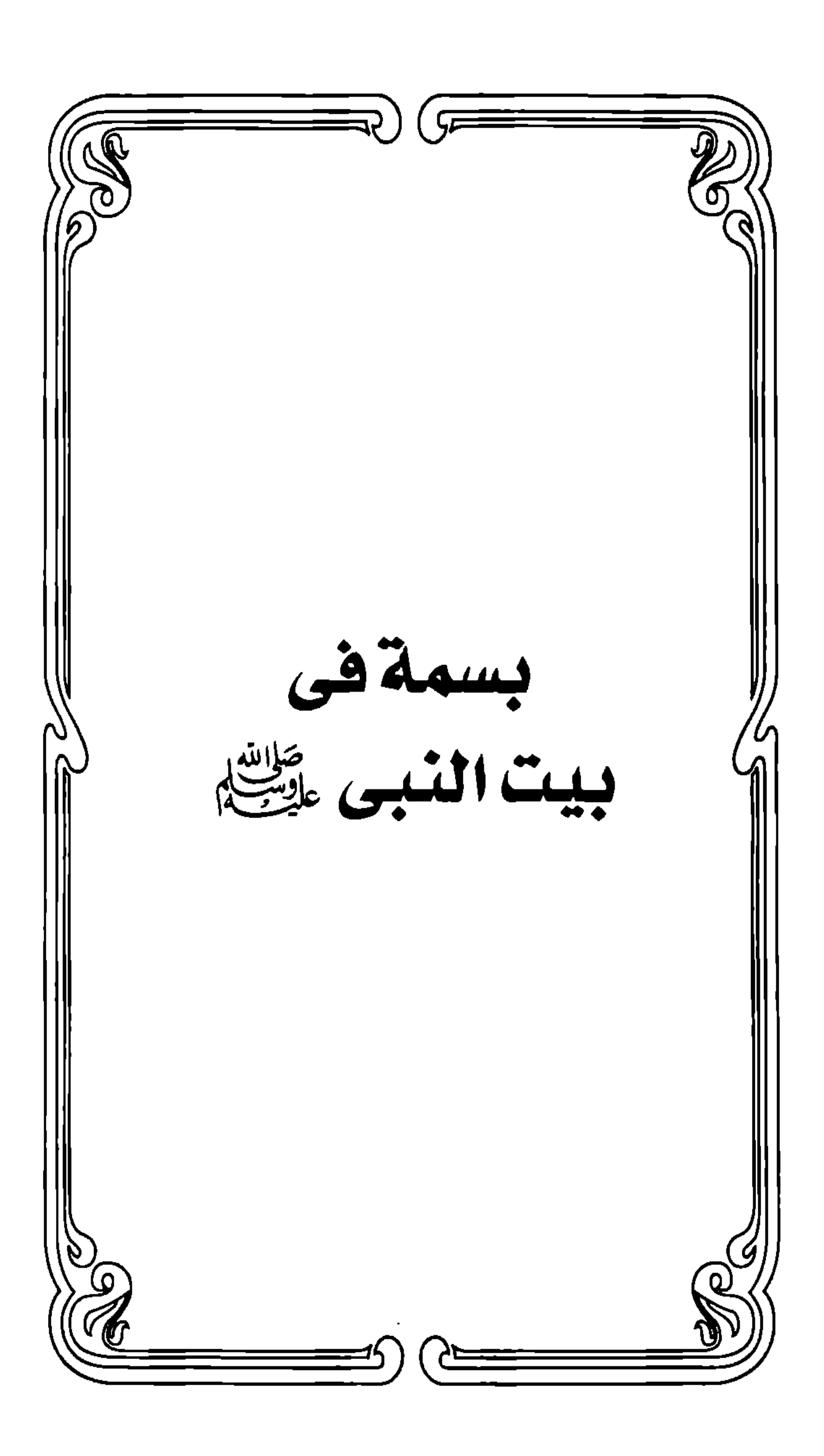
(١) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٦٣٩) كتاب الإيمان، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٧٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح الوابل الصيب.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (١٤٦٤) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٩١٤) كتاب فضائل القرآن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٢٤٠).

(٥) رواه أحمد بإسناد حسن.



بسمة فى
بيت النبى ﷺ

بسمة فى بيت النبى ﷺ

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه... ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول فلما دخلنا وجدنا الحبيب المصطفى ﷺ يمزح مع أمنا عائشة وأمنا سودة رضي الله عنهما وكان موقفًا فى قمة الروعة والجمال.

فيا تُرى ما الذى حدث.. هيا لنترك المجال هنا لأمنا عائشة لتروى لنا ما حدث.

* **قالت عائشة رضي الله عنها:**

أتيت النبى ﷺ بخزيرة قد طبختها له فقلت لسودة - والنبى ﷺ بينى وبينها-: كُلى. فأبت فقلت: لتأكلين أو لألطخن وجهك، فأبت فوضعت يدى فى الخزيرة فطليت وجهها، فضحك النبى ﷺ فوضع بيده لها وقال لها: «الطخى وجهها»، فضحك النبى ﷺ فمرَّ عمر فقال: يا عبد الله يا عبد الله فظن أنه سيدخل فقال: «قوما فاغسلا وجوهكما».

فقالت عائشة: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ (١).

كُن مرحًا تبتسم لك الحياة

«من أعظم وسائل امتلاك قلب الزوجة، التلطف فى معاملتها.. ومن أعظم مظاهر هذا التطلف، المسارعة فى إدخال السرور عليها... بعبارة

---

(١) صحيح: «مسند أبى يعلى» (٧/٤٤٩) وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣١٣١).

حانية مملؤة عاطفة و رقّة، أو بشىء من الترفيه البرىء والمزاح الجائز، أو من خلال مساعدتها فى شىء من الخدمة المنزلية ونحوها. .

لقد نهج رسول الله ﷺ فى معاملته لعائشة رضي الله عنها وهى الفتاة الحديثة السن، نهجًا حانيًا لطيفًا، فكان يُدخل عليها السرور بفعله وعباراته، حتى كان يقوم لها يسترها لتنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد حتى ترضى، وهو صابر لها، وربما جلس لها يُحادثها قبل صلاة الفجر، ويلاطفها حتى يأتيه المؤذن. . وربما امتدح جمالها - كما روى عنه - فيقول: «يا عويش مالى أراك قد أشرق وجهك؟ فقالت: وما لى لا أفعل ذلك وقد دعوت لى. . .» وكان نهجه ﷺ، إذا خلا بنسائه كان ألين الناس، وأكرم الناس، ضاحكًا بسّامًا.

وأقر رسول الله ﷺ أصحابه على مضاحكة الزوجات والأولاد، وما يخالط ذلك عادة من الغفلة والنسيان، وقال لبعض أصحابه ممن استنكر ذلك «.. ساعة وساعة...»، وكان عمر رضي الله عنه يأمر الرجال بأن يكونوا مع زوجاتهم كالصبيان فى المزاح والملاطفة، فيقول: «ليعجبنى الرجل أن يكون فى أهل بيته كالصبى، فإذا ابتُغى منه وُجد رجلاً. . وكان ابنه عبد الله رضي الله عنه يمتثل ذلك، فيمازح مولاته حتى يقول لها: «خلقنى خالق الكرام، وخلقك خالق اللئام، فتغضب، وتصيح، وتبكى، ويضحك عبد الله بن عمر»[1].

* أخى الحبيب :

تتمنى الزوجة منك أن تلاطفها أثناء التعامل اليومى، وهذه الملاطفة والمداعبة والملاعبة عبادة تؤجر عليها إذا ما نويت بها وجه الله - عز وجل - أما سمعت يومًا من الأيام عن نبيك ﷺ وهو يلاطف ويداعب أزواجه ويراعى شعورهن. .؟ أما قرأت فى سيرته العطرة الطاهرة كيف كان يجلس معهن ويقلب النظر إليهن ليُمتعهن ويتمتع بهن. .؟ وهو مَن؟ إنه القائد الأعلى والزوج

---

(١) أخلاق الفتاة الزوجية - د . عدنان حسن باحارث - ص١٣٩، ١٤٠ .

الأكمل، إنه من كمل مع زوجاته، وكملن معه - عليه الصلاة والسلام -، ورضى الله عنهن -، كيف لا..؟ وهو القائل: «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو ولعب، إلا أن يكون أربعة، - وذكر منها - ملاعبة الرجل امرأته»(١).

إن المشكلة الحقيقية أنك تجد الزوج مرحًا ولطيفًا مع أصحابه، فإذا دخل بيته انقلب إلى شخص آخر مقطبًا عابسًا، يغضب لأتفه الأسباب..!!

• يقول أحدهم: «إننى متزوج منذ أكثر من ثمانية عشر عامًا، وقلما ابتسمت لزوجتى خلال هذا العمر الطويل! بل قلما حدثتها أكثر من بضع عبارات، ابتداءً من الساعة التى أصحو فيها حتى أغادر البيت، قاصداً إلى عملى..!!»(٢).

فإذا كان تبسُّم المسلم فى وجه أخيه صدقة كما أخبر النبى ﷺ: «تبسمك فى وجه أخيك صدقة» فأولى الناس بتلك الابتسامة هى رفيقة الحياة، وشريكة العمر، فكم تشعر الزوجة بالسرور حين يقابلها زوجها بابتسامة تزيل عنها هَمَّ يومها وعناء عملها.

إن الابتسام يُشرق الوجه، وأما العبوس فإن أردت أن تعرف ما يفعله العبوس؛ فانظر إلى وجهك فى المرآة عندما تكون غضبان عابسًا،... انظر إلى وجهك كم هو منفِّر وقبيح، وانظر كم يجلب مثل هذا الوجه على صاحبه من السخط والأذى؟!!»(٣).

* **أخى الحبيب:**

عندما تحتفظ بروح الدعابة مع شريكة حياتك.. وحين تستمر على تواضعك معها، فإنك ستجد أمرًا عجبًا.!! إنها إن قست عليك أو أخطأت معك، فإنها تسارع إلى الاعتذار إليك عما بدر منها..(٤).

---

(١) رواه النسائى وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥٣٤).

(٢) كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس؟ - ديل كارنيجى - ٧٢ - ... وقد ذكرتنى كلمات هذا الزوج بدعابة تقول: قالت الزوجة لزوجها: ابتسم قليلاً.. كى لا يعرف الناس إننا متزوجان!

(٣) عودة الحجاب - د. محمد بن إسماعيل المقدم - ج ٢ ص٤١٣ .

(٤) حتى يبقى الحب / د. محمد محمد بدرى (ص:٢٦٦-٢٦٩) بتصرف.

المزاح المعتدل

إن المزاح من الأشياء التى يحبها كثير من الناس بل هو من أعظم وسائل الدخول إلى قلوب الناس... والإنسان يحتاج أحيانًا إلى المزاح المعتدل بلا إسراف ولا تقتير.

* ولقد نهج الإسلام المنهج الواقعى فى تقعيد الأصول والمبادئ التى يقيم عليها شريعته ونظرته للأمور. فكان تجاوبه مع طبيعة الإنسان أحد الركائز التى بُنيت عليها أحكامه وتشريعاته، فاعتبر فى الإنسان جانبه الروحى والجسدى، وجانبه المعنوى والمادى.

فالإنسان فى تصوّير الإسلام هو ذلك الكائن المزدوج الطبيعة، المكون من قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله، ممتزجتين مترابطتين غير منفصلتين، فلا هو قبضة من طين الأرض خالصة، فيهبط إلى مستوى الجماد أو الحيوان، ولا نفخة روح خالصة فيؤله أو يتأله، إنما هو مزاج من الطين، ونفخة من روح الله يُكوِّنان هذا الكيان.

ولما كانت الفكاهة تكاد تكون ضرورة نفسية وعقلية يميل الإنسان بطبعه إليها؛ حيث لا يحتمل الجِد المتواصل؛ لأن ذلك يحمل العقل على الجمود والجفاف، أقر بها الإسلام واعترف بحاجة إشباعها على غرار الحاجيات النفسية الأخرى.

وقد أبرز ابن الجوزى فى مقدمة كتابه «أخبار الحمقى والمغفلين» ثلاثة دوافع أساسية لتأليف مؤلفه: (ثالثها: أن يُرَوِّح الإنسان قلبه بالنظر فى سير هؤلاء المبخوسين حظوظًا يوم القسمة؛ فإن النفس قد تملُّ من الدؤوب فى الجد، وترتاح إلى بعض المباح من اللهو..)(١)(٢).

(١) أخبار الحمقى والمغفلين (ص: ١٦).

(٢) قضايا اللهو والترفيه (ص: ١٩٣، ١٩٤).

صور من مزاح النبى ﷺ

* ولكى تكتمل الأسوة والقدوة فى النبى محمد ﷺ فلقد استوعبت أحواله كل أحوال البشر.

فلقد كانت سيرة المصطفى ﷺ أنموذجًا متكاملاً للشخصية المسلمة المثالية من جميع الجوانب والمكونات.

(فهو فى خلوته يصلى ويطيل الخشوع والبكاء؛ حتى تتورم قدماه، وهو فى الحق لا يبالى بأحد فى جنب الله، ولكنه مع الحياة والناس بَشَرٌ سَوى، يحب الطيبات، ويبش ويبتسم، ويداعب، ويمزح، ولا يقول إلا حقًّا ﷺ)[1].

* هكذا كان النبى ﷺ أكثر الناس تبسمًا وضَحكًا فى وجوه أصحابه وتَعَجُّبًا مما تحدثوا به وخلطًا لنفسه بهم، ولربما ضحك حتى تبدو نَواجذه[2].

بل وفى الصحيحين من حديث جرير من حديث علىّ: يضحك مما تضحكون منه، ويتعجب مما تعجبون منه، ... ومسلم من حديث جابر بن سَمُرة: كانوا يتحدثون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم[3].

وتأمل معى ما قاله هذا الصحابى الجليل:

ففى الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجليّ رضي الله عنه أنه قال: ما حجبنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآنى إلا تبسَّم فى وجهى ولقد شكوت إليه أنى لا أثبُتُ على الخيل، فضرب بيده فى صدرى وقال: «اللهم ثَبِّته واجعلهُ هاديًا مهديًا»[4].

* **رُوى أن امرأة عجوزاً جاءته تقول:** يا رسول الله: ادع الله لى أن

---

(١) الحلال والحرام. د/ يوسف القرضاوى (ص: ٢٧٢).

(٢) **صحيح:** رواه الترمذى فى الشمائل، وصححه الألبانى رحمه الله فى مختصر الشمائل (ح ١٩٤).

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٦٧٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٠٣٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٧٥) كتاب فضائل الصحابة.

يُدخلنى الجنة، فقال لها: «يا أم فلان! إن الجنة لا يدخلها عجوز»[(١)].

وانزعجت المرأة وبكت، ظَنًّا منها أنها لن تدخل الجنة، فلما رأى ذلك منها بيَّن لها غرضه: أن العجوز لن تدخل الجنة عجوزًا، بل يُنشئها الله خلقًا آخر، فتدخلها شابة بكرًا،... وتلا عليها قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[(٢)].

*وعن أنس أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ - أى طلب منه دابة يحمله عليها- فقال: «أنا حاملك على ولد ناقة» فقال: ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النُّوق؟»[(٣)].

* **وعن أبى هريرة قال:** قالوا: يا رسول الله! إنك تداعبنا، قال: «إنى لا أقول إلا حقًّا»[(٤)].

*وعن أنس أن رسول الله ﷺ كان فى بيت عائشة، فبعث إليه بعض نسائه بقصعة، فدفعتها عائشة فألقتها وكسرتها، فجعل النبى ﷺ يضم الطعام ويقول: «غارت أمُّكم». فلما جاءت قصعة عائشة بعث بها إلى صاحبة القصعة التى كسرتها وأعطى عائشة القصعة المكسورة[(٥)].

* **وعن أنس بن مالك قال:** كان ابن لأم سليم يقال له: أبو عمير، كان النبى ﷺ ربما مازحه إذا جاء، فدخل يومًا يمازحه، فوجده حزينًا، فقال:

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذى فى الشمائل (ص: ١٩٧)، والبيهقى فى البعث (٣٨٢)، والبغوى فى الأنوار (١/٢٥٨/ ٢٢٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٩٨٧).

(٢) سورة الواقعة: الآيات: (٣٥-٣٧).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٩٨) كتاب الأدب، والترمذى (١٩٩١) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٣٤٠٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى التعليق على المشكاة (٤٨٨٦)، ومختصر الشمائل (٢٠٣).

(٤) **حسن**: رواه الترمذى (١٩٩٠) كتاب البر والصلة، وأحمد (٨٥٠٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧٢٦).

(٥) **صحيح**: رواه البخارى (٥٢٢٥) كتاب النكاح.

«ما لى أرى أبا عمير حزينًا؟» فقالوا: يا رسول الله، مات نغره الذى كان يلعب به، فجعل يناديه ﷺ : «يا أبا عمير! ما فعل النغير؟»(١).

* وعن أنس أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه: زاهر بن حرام، قال: وكان النبى ﷺ يحبه وكان دميمًا، فأتاه النبى ﷺ يومًا وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصر، فقال: أرسلنى، من هذا؟ فالتفت فعرف النبى ﷺ ، فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبى ﷺ حين عرفه، وجعل النبى ﷺ يقول: «من يشترى العبد؟»، فقال: يا رسول الله إذًا والله تجدنى كاسدًا(٢)، فقال النبى ﷺ : «ولكن عند الله لست بكاسد- أو قال: لكن عند الله غال»(٣).

موقف طريف

وها هو موقف من أطرف المواقف التى دارت بين النبى ﷺ وبين أحد الصحابة رضي الله عنهم.

- ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجلٌ النبى ﷺ فقال: هلكت، وقعت على أهلى فى رمضان، قال: «أعتقْ رقبة». قال: ليس لى. قال: «فصم شهرين متتابعين». قال: لا أستطيع. قال: «فأطعم ستين مسكينًا». قال: لا أجد. فأُتى بعرق(٤) فيه تمرٌ، فقال: «أين السائل؟ تصدق بها». قال: على أفقر منى؟ والله ما بين لابتيها(٥) أهلُ بيتٍ أفقر منا.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٠٣) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٥٠) كتاب الأدب.

(٢) كاسدًا: من الكساد وهو العطل والبوار.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (١٢٢٣٧)، والترمذى فى الشمائل (٢٣٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى مختصر الشمائل (٢٠٤).

(٤) عرق: هو المكتل ويقال إنه يسع خمسة عشر صاعًا، والصاع خمسة أرطال وثلث كما هو رأى الشافعى أو ثمانية كما هو قول أبى حنيفة.

(٥) لابتيها: اللابة: الأرض ذات الحجارة السود.

فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه، قال: «فأنتم إذًا»[١].

وموقف آخر

وها هو موقف آخر يوضح لنا كيف كان النبى ﷺ سهلاً لينًا، لا تفارقه البسمة لكنه كان يضعها فى موضعها.

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه عاليةً أصواتُهن على صوت النبى ﷺ، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب، فأذن له النبى ﷺ، فدخل والنبى ﷺ يضحك، فقال: أضحك الله سِنَّك يا رسول الله، بأبى أنت وأمى. فقال ﷺ: «عجبتُ من هؤلاء اللاتى كُن عندى، لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب[٢]».

فقال: أنت أحقُّ أن يهبن يا رسول الله. ثم أقبل عليهن فقال: يا عَدوَّات أنفسهن، أتهبنني ولم تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: إنك أفظُّ وأغلظ من رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «إيه يا ابن الخطاب، والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا[٣] إلا سلك فجًا غير فجك»[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو خيبر، وفى سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية السِّتر من بنات لعائشة لُعَب، فقال: «ما هذا يا عائشة؟»، قالت: بناتى. ورأى بينهن فرسًا

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٨٧) كتاب الأدب، ومسلم (١١١١) كتاب الصيام.

(٢) تبادرن الحجاب: أى: اختبأن وراء الستارة.

(٣) فجًا: الفج: هو الطريق الواسع.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٩٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٣٩٧) كتاب فضائل الصحابة.

لها جناحان من رقاع، فقال: «ما هذا الذى أرى وسطهن؟». قالت: فرس. قال: «وما هذا الذى عليه؟»، قالت: جناحان. قال: «فرس له جناحان؟!»، قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه[١].

هذه بتلك

بل وصل الأمر إلى درجة رفيعة من الحلم والتواضع حتى إن النبى ﷺ كان يسابق أمنا عائشة ﵂ لتعلم يقينًا أن النبى ﷺ لن يحرمها من اللطف والعطف والرعاية فهى صفات راسخة فى قلب الحبيب ﷺ الذى ما أرسله الله إلا رحمة للعالمين.

عن عائشة ﵂ قالت: كنت مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، وكنت جارية، لم أحمل اللحم ولم أبدن.

فقال رسول الله ﷺ للناس: «تقدموا، تقدموا» فتقدموا، ثم قال: «يا عائشة تعالى حتى أسابقك» فسابقته فسبقته، فسكت، حتى إذا حملت اللحم ونسيت خرجت معه فى بعض أسفاره، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال لى: «تعالى أسابقك»، فسابقته فسبقنى، فجعل يضحك ويقول: «هذه بتلك»[٢].

اللهم حوالينا ولا علينا

وها هو موقف آخر طريف يحدث للنبى ﷺ فقد جاءه أعرابى وهو ﷺ يخطب الجمعة فطلب من النبى ﷺ أن يستسقى لهم فقد

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٣٢) كتاب الأدب، والنسائى فى الكبرى تحفة الأشراف (١٢/ ١٧٧٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله على المشكاة (٣٢٦٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٥٧٤٥)، صححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٣١).

أجدبت الأرض فدعا النبى ﷺ فنزل المطر أسبوعًا كاملاً لا ينقطع...!

وإذا بنفس الرجل يأتى إلى النبى ﷺ فى الجمعة التى تليها يطلب منه أن يسأل الله -جل وعلا- أن يحبس عنهم المطر فقد غرقوا... فضحك النبى ﷺ.

ففى الصحيحين: عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب بالمدينة فقال: قحط المطر، فاستسق ربك، فنظر إلى السماء وما نرى من سحاب، فاستسقى، فنشأ السحاب بعضه إلى بعض، ثم مُطروا حتى سالت مَثَاعب[1] المدينة، فمازالت إلى الجمعة المقبلة ما تُقلع ثم قام ذلك الرجل، أو غيره - والنبى ﷺ يخطب، فقال: غرقنا، فادع ربك يحبسها عنا، فضحك، ثم قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**»- مرتين أو ثلاثًا، فجعل السحاب يتصدع عن المدينة يمينًا وشمالاً يُمطر ما حوالينا، ولا يُمطر فيها شىء، يُريهم الله كرامة نبيه ﷺ وإجابة دعوته[2].

*** وينقسم المزاح إلى قسمين:**

١- **محمود:** وضابطه كما قال ابن حبان: «هو الذى لا يشوبه ما كره الله عز وجل، ولا يكون بإثم، ولا قطيعة رحم».

٢- **مذموم:** وضابطه كما قال ابن حبَّان - أيضًا -:

«الذى يُثير العداوة، ويُذهب البهاء، ويقطع الصداقة، ويُجرئُ الدَّنىء عليه، ويُحقد الشريف به»[3].

* * *

---

(١) المثاعب: جمع مَثْعَب - بفتح أوله وثالثه- وهو مسيل الماء.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٩٣٣) كتاب الجمعة، ومسلم (٨٩٥) كتاب صلاة الاستسقاء.

(٣) «روضة العقلاء» (ص: ٧٧).

آداب المزاح

١- ألا يكون المزاح فيه تجريح لأحدٍ من الناس.

٢- أن يكون المزاح لا كذب فيه.

فقد كان النبى ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًّا .. بل قال النبى ﷺ : «أنا زعيم ببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا ..» (١).

وحذر النبى ﷺ من أن يكذب الرجل ليُضحك مَن حوله فقال ﷺ : «ويلٌ للذى يُحدث فيكذب، ليُضحك به القوم ويلٌ له، ويلٌ له» (٢).

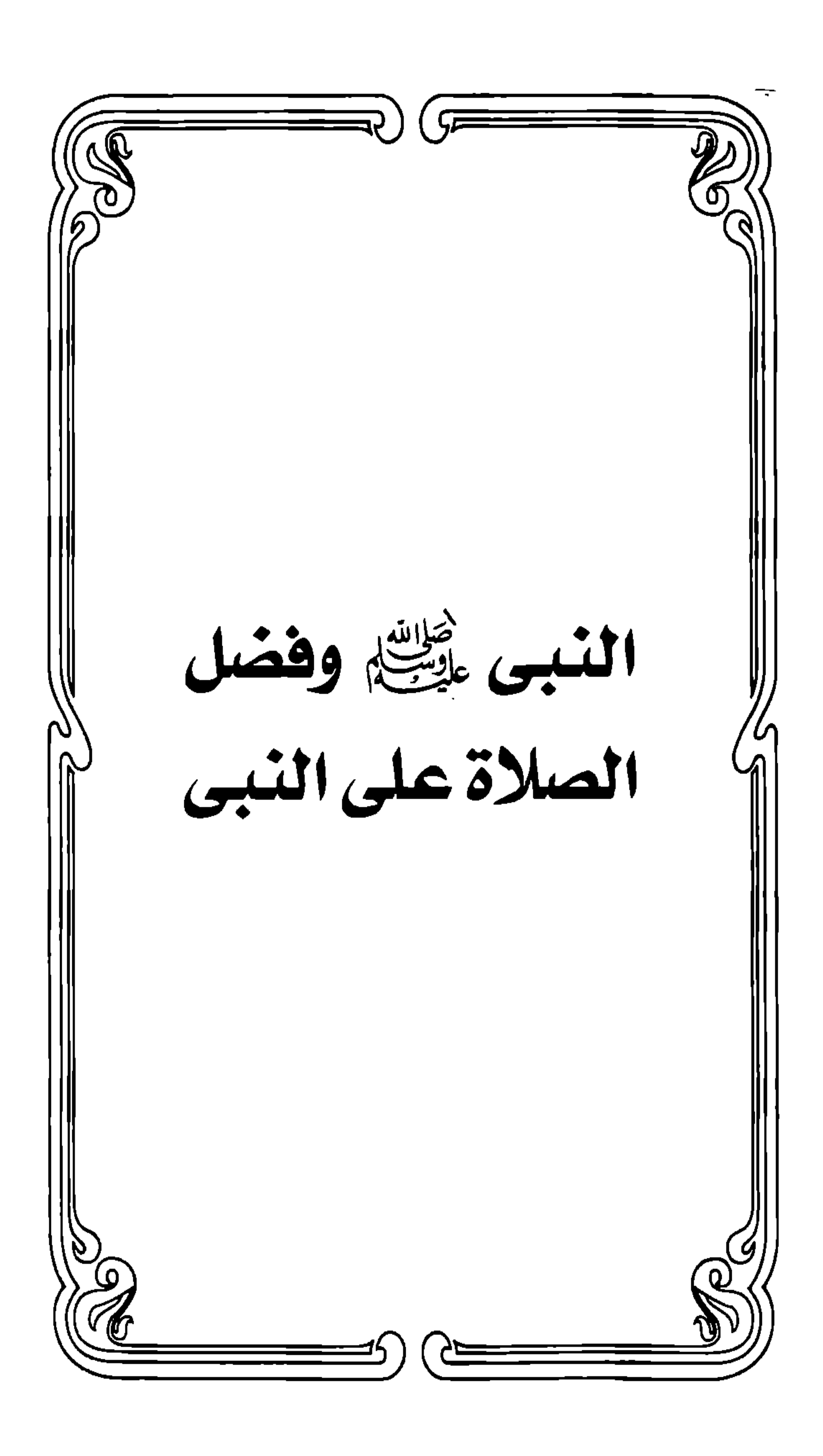
٣- أن يكون المزاح لقصد التسلية أو الترفيه عن النفس، وإيناس المصاحبين والتودد إلى المخالطين.

كان ابن سيرين الإمام العلم المحدث، إذا اشتدَّ الضحى ينزل إلى سوق البصرة، فيسلم على الناس ويمازحهم ويوزع البسمات على المسلمين، ولذلك أحبوه، وحشروا فى درسه، وتعلقت به القلوب، فإن القلوب لا تحب الفظّ الغليظ ولو كان تقيًّا، بل تحب الدعوب القريب من الناس.

* * *

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٣).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٩٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٩٥١٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١٣٦).



النبى ﷺ وفضل الصلاة على النبى

النبى ﷺ وفضل الصلاة على النبى

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.

فلما دخلنا وجدنا النبى ﷺ جالسًا مع بعض أصحابه ﷺ يقول لهم: «**من صلَّى علىَّ صلاة واحدة صلَّى الله عليه عشر صلوات وحَطَّ عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات**»[1] .. ثم قال لهم: «**من صلَّى علىَّ حين يُصبح عشرًا وحين يُمسى عشرًا أدركته شفاعتى يوم القيامة**»[2] .

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع فضل الصلاة على النبى ﷺ .

* * *

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٠٢/٣) والبخارى فى الأدب المفرد (٦٤٣) ، والنسائى فى الكبرى (٢١/٦ رقم ٩٨٩١)، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٥٩).

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٥٧).

الصلاة على النبى ﷺ

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير رحـمه الله فى تفسيره للآية: «والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده فى الملإ الأعلى بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلى عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين: العلوى والسفلى جميعًا»[2]. اهـ.

* وهل هناك أحدٌ يسـتطيع أن يُحصى عـدد الملائكة الذين يصلون على النبى ﷺ فإن البيت المعمور وهو قبلة أهل السماء السابعة فقط يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه إلى قيام الساعة.

فكل يوم يدخل سبعون ألفًا ثم يأتى فى اليوم التـالى سبعون ألفًا غيرهم فمن يستطيع أن يُحصِى عدد ملائكة السماء السابعة وحدها.

قال ﷺ : «إنه ليـدخل البيـت المعمـور فى كل يوم سـبعـون ألف ملكٍ لا يرجعون إليه إلى قيام الساعة» [3].

بل قال ﷺ : «أطَّتِ السماءُ ويحقُّ لها أن تئط، والذى نفس محـمدٍ بيده، ما فيها موضع شبرٍ إلا وفيه جبهة ملك ساجد يُسبِّح الله بحمده»[4].

* * *

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٨٠٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٦٤) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه ابن مردويه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٢٠).

النبى ﷺ يشتاق إليكم فكيف لا تشتاقون إليه وتصلون عليه

قال ﷺ: «وددت أنى لقيت إخوانى الذين آمنوا ولم يرونى»(١).

وقال ﷺ: «طوبى لمن رآنى وآمن بى، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى».

وقال ﷺ: «طوبى لمن رآنى وآمن بى مرة، وطوبى لمن لم يرنى وآمن بى سبع مرات»(٢).

فيا ليتنا نعلم قدر النبى ﷺ ونشتاق إليه كما يشتاق هو إلينا ونحبه كما يحبنا . . . أما علمتم أن النبى ﷺ خبأ دعوته شفاعة لأمته.

فقد قال ﷺ: «لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجل كل نبى دعوته، وإنى خبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة، فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لا يُشرك بالله شيئًا»(٣).

* بل إن النبى ﷺ ينتظرنا على الحوض يوم القيامة ليرى الذين اتبعوه وعاشوا على سنته وشرعه ومحبته ليسقيهم من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا يظمأون بعدها أبدًا.

* بل وحتى عند دخول الجنة يعلم النبى ﷺ أن الله (عز وجل) جعل له من أمته سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وإذا بالحبيب ﷺ يستزيد ربنا (عز وجل) ويطلب منه المزيد ممن يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

قال ﷺ: «أُعطيت سبعين ألفًا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر قلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربى (عز وجل) فزادنى

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٢١٦٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٨٨).

(٢) حسن: رواه أحمد (١١٢٧٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٤١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٤) كتاب الدعوات، ومسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

مع كل واحد سبعين ألفًا»[(١)].

وفى رواية قال ﷺ: «وعدنى ربى أن يُدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بلا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثيات ربى»[(٢)].

* فالنبى ﷺ يفعل كل ذلك من أجلنا .. فكيف لا تشتاق قلوبنا وأعيننا لرؤيته وصحبته فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

*وكيف لا تصلى عليه كلما ذُكر اسمه ﷺ.

إن الذى يحب النبى ﷺ لا يفتر لسانه أبدًا عن الصلاة عليه ﷺ فهذا فعل الحبيب مع حبيبه ﷺ.

مواطن الصلاة على النبى ﷺ

* وها هى بعض مواطن الصلاة على النبى ﷺ كما أوردها الإمام ابن القيم رحمه الله فى كتابه القيم (جلاء الأفهام فى فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام).

الموطن الأول وهو أهمها وآكدها: فى الصلاة فى آخر التشهد..

وقد أجمع المسلمون على مشروعيته. واختلفوا فى وجوبه فيها.

الموطن الثانى من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: فى التشهد الأول

وهذا قد اختُلف فيه، فقال الشافعى فى «الأم»: «يُصلِّى على النبى ﷺ فى التشهد الأول». هذا هو المشهور من مذهبه، وهو الجديد، لكنه يستحب وليس بواجب، وقال فى القديم: «لا يزيد على التشهد» وهذه رواية المازنى

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٨٤).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٣٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٢٨٦) كتاب الزهد، وأحمد (٢١٦٥٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١١١).

عنه، وبهذا قال أحمد، وأبو حنيفة. ومالك رحمهم الله تعالى، وغيرهم.

الموطن الثالث من مواطن الصلاة عليه ﷺ: آخر القنوت

استحبه الشافعى ومن وافقه واحتج لذلك بما رواه النسائى عن محمد بن سلمة .... عن الحسن بن على قال: علمنى رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات فى الوتر قال: «قل: اللهم اهدنى فيمن هديت، وبارك لى فيما أعطيت، وتولنى فيمن توليت، وقنى شر ما قضيت، فإنك تقضى ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت وصلى الله على النبى»[1]..... وهذ إنما هو فى قنوت الوتر.

الموطن الرابع من مواطن الصلاة عليه ﷺ: صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية:

والدليل على مشروعيتها فى صلاة الجنازة، ما روى الشافعى فى «مسنده».... عن أبى أمامة بن سهل، أنه أخبره رجل من أصحاب النبى ﷺ: «إن السنة فى الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرًا فى نفسه، ثم يصلى على النبى ﷺ ويخلص الدعاء للجنازة فى التكبيرات لا يقرأ فى شىء منهن، ثم يسلم سرًّا فى نفسه»[2].

وقال صاحب «المغنى»: روي عن ابن عباس أنه صلى على جنازة بمكة فكبر، ثم قرأ وجهر وصلى على النبى ﷺ، ثم دعا لصاحبه فأحسن، ثم انصرف وقال: هكذا ينبغى أن تكون الصلاة على الجنازة.

إذا تقرر هذا فالمستحب أن يصلى عليه ﷺ فى الجنازة كما يصلى عليه فى التشهد. لأن النبى ﷺ علّم ذلك أصحابه لما سألوه عن كيفية الصلاة

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٤٢٥) كتاب الصلاة، والترمذى (٤٦٤) كتاب الصلاة، والنسائى (١٧٤٥، ١٧٤٦) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، وابن ماجه (١١٧٨) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وأحمد (١٧٢٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٢٧٣).

(٢) **صحيح**: رواه ابن عساكر (٥٣/ ١٥٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الإرواء (٧٣٤).

عليه، وفى «مسائل عبد الله بن أحمد» عن أبيه قال: «يصلى على النبى ﷺ ويصلى على الملائكة المقربين».

الموطن الخامس من مواطن الصلاة عليه ﷺ: فى الخطب، كخطبة الجمعة، والعيدين، والاستسقاء، وغيرها

وقد اختلف فى اشتراطها لصحة الخطبة.

قال الشافعى وأحمد - رحمهما الله - فى المشهور من مذهبهما: لا تصح الخطبة إلا بالصلاة عليه ﷺ.

وقال أبو حنيفة ومالك: تصح بدونها. وهو وجه فى مذهب أحمد.

والدليل على مشروعية الصلاة على النبى ﷺ فى الخطبة ما رواه عبد الله بن أحمد..... حدثنا أبى، حدثنا منصور بن أبى مزاحم، حدثنا خالد، حدثنى عون بن أبى جحيفة كان أبى من شُرَط علىّ (والشُرط: جمع شرطة وهو الجندى الذى يقوم بالحراسة) وكان تحت المنبر، فحدثنى أنه صعد المنبر - يعنى: عليًّا رضي الله عنه - فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ وقال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، والثانى عمر» وقال: «يجعل الله الخير حيث شاء»[1].

فهذا دليل على أن الصلاة على النبى ﷺ فى الخطب كان أمرًا مشهورًا معروفًا عند الصحابة رضى الله عنهم أجمعين.

الموطن السادس من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: بعد إجابة المؤذن وعند الإقامة:

لما روى مسلم فى «صحيحه» من حديث عبد الله بن عمرو، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علىّ،**

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٨٣٩) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى ظلال الجنة (١٢٠١)، والحديث أصله عند البخارى (٣٦٧١) كتاب المناقب.

فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله تعالى، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه شفاعتى»[1].

الموطن السابع من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: عند الدعاء، وله ثلاث مراتب:

إحداها: أن يصلى عليه قبل الدعاء وبعد حمد الله تعالى.

والمرتبة الثانية: أن يصلى عليه فى أول الدعاء وأوسطه وآخره.

والثالثة: أن يصلى عليه فى أوله وآخره ويجعل حاجته متوسطة بينهما.

والصلاة على النبى ﷺ للدعاء مثل الفاتحة من الصلاة.

وهذه المواطن التى تقدمت كلها شُرعت الصلاة على النبى ﷺ فيها أمام الدعاء فمفتاح الدعاء الصلاة على النبى ﷺ كما أن مفتاح الصلاة الطهور. فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا.

الموطن الثامن من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: عند دخول المسجد، وعند الخروج منه:

ففى «المسند» «والترمذى»، «وسنن ابن ماجه» من حديث فاطمة بنت الحسين عن جدتها فاطمة الكبرى قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: «اللهم صلِّ على محمد وسلم اللهم اغفر لى ذنوبى، وافتح لى أبواب رحمتك» وإذا خرج قال مثلها إلا أنه يقول: «أبواب فضلك»[2].

الموطن التاسع من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: على الصفا والمروة:

لما روى إسماعيل بن إسحاق فى كتابه: .... أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يكبر على الصفا ثلاثًا، يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣١٤) كتاب الصلاة، وابن ماجه (٧٧١) كتاب المساجد والجماعات، وأحمد (٢٥٨٨٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١/ ٤٧١٤).

وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، ثم يصلى على النبى ﷺ، ثم يدعو ويطيل القيام والدعاء، ثم يفعل على المروة مثل ذلك»(١)... وهذا من توابع الدعاء أيضًا.

الموطن العاشر من مواطن الصلاة عليه ﷺ: عند اجتماع القوم قبل تفرقهم:

وقد تقدمت الأحاديث بذلك عن النبى ﷺ من غير وجه، أنه قال: «**ما جلس قومٌ مجلسًا ثم تفرقوا ولم يذكروا الله ولم يصلوا على النبى ﷺ إلا كان عليهم من الله تِرةٌ إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم**»(٢).

الموطن الحادى عشر من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: عند ذكره:

وقد اختلف فى وجوبها كلما ذُكر اسمه ﷺ، فقال أبو جعفر الطحاوى، وأبو عبيد الله الحليمى: تجب الصلاة عليه ﷺ كلما ذُكر اسمه.

وقال غيرهما: ذلك مستحب وليس بفرض يأثم تاركه، ثم اختلفوا فقالت فرقة: تجب الصلاة عليه فى العمر مرة واحدة؛ لأن الأمر مطلق لا يقتضى تكرارًا، والماهية تحصل بمرة، وهذا محكى عن أبى حنيفة، ومالك، والثورى، والأوزاعى...، قال عياض، وابن عبد البر: وهو قول جمهور الأمة.

وقالت فرقة: بل تجب فى كل صلاة فى تشهدها الأخير كما تقدم، وهو قول الشافعى، وأحمد فى آخر الروايتين عنه، وغيرهما.

وقالت فرقة: الأمر بالصلاة عليه أمر استحباب لا أمر إيجاب. وهذا قول ابن جرير. وطائفة.

---

(١) ضعيف: رواه إسماعيل بن إسحاق فى فضل الصلاة على النبى ﷺ (ص٧٤-٧٥)، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى تحقيقه على هذا الكتاب (٨٧).

(٢) صحيح: رواه الحاكم (١/ ٦٧٤)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢/ ٢١٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٧٣٨).

الموطن الثانى عشر من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: عند استلام الحجر:

كان ابن عمر رضي الله عنه إذا أراد أن يستلم الحجر قال: اللهم إيمانًا بك وتصديقًا بكتابك وسنة نبيك ﷺ[1].

الموطن الثالث عشر من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: عند الوقوف على قبره:

عن مالك عن عبد الله بن دينار قال: رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر النبى ﷺ فيصلى على النبى ﷺ ويدعو لأبى بكر وعمر رضي الله عنهما... ذكره مالك فى «الموطأ»[2].

الموطن الرابع عشر من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: إذا خرج إلى السوق أو إلى دعوة أو نحوها:

عن أبى وائل قال: «ما رأيت عبد الله جلس فى مأدبة ولا جنازة ولا غير ذلك، فيقوم حتى يحمد الله، ويثنى عليه، ويصلى على النبى ﷺ، ويدعو بدعوات. وإن كان يخرج إلى السوق فيأتى أغفلها مكانًا فيجلس فيحمد الله ويصلى على النبى ﷺ ويدعو بدعوات».

الموطن الخامس عشر من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: عقب ختم القرآن:

وهذا لأن المحل محل دعاء، ... ونص الإمام أحمد رحمه الله تعالى على الدعاء عقب الختمة، فقال فى رواية أبى الحارث: «كان أنس إذا ختم القرآن جمع أهله وولده»[3].

---

(١) **ضعيف:** الطيالسى (١/ ٢٥)، وابن أبى شيبة (٣/ ٤٤١)، والبيهقى (٥/ ٧٩)، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (١٠٤٩)، وذكره الحوينى فى الفتاوى الحديثية، وقال: لا يثبت.

(٢) **صحيح:** رواه مالك فى الموطأ (١/ ١٦٦)، والبيهقى فى الكبرى (٥/ ٢٤٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى تحقيقه على كتاب فضل الصلاة على النبى ﷺ (٩٨).

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير (١/ ٢٤٢)، والبيهقى فى الشعب (٢/ ٣٦٨)، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٧٢): رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

وإذا كان هذا من آكد مواطن الدعاء وأحقها بالإجابة فهو من آكد مواطن الصلاة على النبى ﷺ.

الموطن السادس عشر من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: يوم الجمعة:

عن أبى أمامة أن النبى ﷺ قال: «أكثروا علىّ من الصلاة فى كل يوم جمعة، فإن صلاة أمتى تُعرض علىّ فى كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم علىّ صلاة كان أقربهم منى منزلة»[1].

كتب عمر بن عبد العزيز أن انشروا العلم يوم الجمعة. فإن غائلة العلم النسيان، وأكثروا الصلاة على النبى ﷺ يوم الجمعة[2].

الموطن السابع عشر من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: عند القيام من المجلس:

عن عثمان بن عمر، قال: «سمعت سفيان بن سعيد ما لا أُحصى، إذا أراد القيام يقول: صلى الله وملائكته على محمد وعلى أنبياء الله وملائكته».... هذا الذى رأيت من الأثر فى هذا الموطن[3].

الموطن الثامن عشر من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: عند الهم، والشدائد، وطلب المغفرة:

لحديث الطفيل بن أُبى بن كعب عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: **«يا أيها الناس. اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها**

---

(١) حسن لغيره: أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (٣/ ٢٤٩)، وفى شعب الإيمان (٣/ ١١٠)، والديلمى (١/ ٨١)، وقال المنذرى (٢/ ٣٢٨): رواه البيهقى بإسناد حسن إلا أن مكحولاً قيل لم يسمع من أبى أمامة، وقال المناوى (٢/ ٨٧): أعله الذهبى فى المهذب بأن مكحولاً لم يلق أبا أمامة فهو منقطع، وقال العجلونى (١/ ١٩٠): رواه البيهقى بإسناد جيد عن أبى أمامة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٦٧٣)، وقال: حسن لغيره.

(٢) قال السخاوى فى «القول البديع» (ص١٩٧): أخرجه ابن وضاح، وابن بشكوال من طريقه، والنميرى.

(٣) انظر القول البديع للسخاوى (ص٢٤٥).

الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه» قال أُبىّ: قلت: يا رسول الله! إنى أُكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتى؟ فقال: «ما شئت»، قال: قلت: الربع؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك» قلت: النصف؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك» قال: قلت: فالثلثين؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك» قال: أجعل لك صلاتى كلها؟ قال: «إذاً تُكفَى همك ويُغفر لك ذنبك»(١).

الموطن التاسع عشر من مواطن الصلاة على النبى ﷺ، عند كتابة اسمه ﷺ:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علىَّ فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب»(٢).

وقال محمد بن أبى سليمان: رأيت أبى فى النوم، فقلت: يا أبت! ما فعل الله بك؟ قال: غفر لى، فقلت: بماذا؟ قال: بكتابتى الصلاة على النبى ﷺ(٣).

وقال عبد الله بن الحكم: رأيت الشافعى فى النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: رحمنى وغفر لى وزفّنى إلى الجنة كما تُزف العروس، ونثر علىّ كما يُنثر على العروس. فقلت: بِمَ بلغت هذه الحال؟ فقال لى قائل: يقول لك بما فى كتاب «الرسالة» من الصلاة على النبى ﷺ قلت: فكيف ذلك؟ قال: وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون، قال: فلما أصبحت نظرت إلى الرسالة فوجدت الأمر كما رأيت النبى ﷺ.

---

(١) رواه الترمذى والحاكم وأحمد وحسنه الألبانى فى صحيح الترمذى (١٩٩٩) والصحيحة (٩٥٤).

(٢) ضعيف جداً: رواه الطبرانى فى الأوسط (٢/ ٢٣٢)، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (٣٣١٦)، وقال: ضعيف جداً.

(٣) قلت: لأن الدال على الخير كفاعله فكلما قرأ قارئ لفظ الصلاة على النبى ﷺ كان للكاتب مثل أجره وكأنه صلى عليه هو وقارئ الكتاب.

الموطن العشرون من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: عند تبليغ العلم إلى الناس عند التذكير والقصص وإلقاء الدرس، وتعليم العلم، فى أول ذلك وآخره:

كتب عمر بن عبد العزيز: «أما بعد فإن أناسًا من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة، وإن من القُصّاص مَن قد أحدثوا فى الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل صلاتهم على النبى ﷺ. فإذا جاءك كتابى هذا فُمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة، ويَدَعوا -أى: يتركوا- ما سوى ذلك»(١).... والصلاة على النبى ﷺ فى هذا الموطن؛ لأنه موطن لتبليغ العلم الذى جاء به ونشره فى أمته، وإلقائه إليهم ودعوتهم إلى سنته وطريقته ﷺ. وهذا من أفضل الأعمال وأعظمها نفعًا للعبد فى الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٢)... وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(٣).

فحقيق بالمبلّغ عن رسول الله ﷺ الذى أقامه الله فى هذا المقام أن يفتتح كلامه بحمد الله تعالى، والثناء عليه وتمجيده والاعتراف له بالوحدانية، وتعريف حقوقه على العباد، ثم بالصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم....... وتمجيده والثناء عليه، وأن يختمه أيضًا بالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم تسليمًا.

---

(١) صحيح: رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٧/ ١٧٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى تحقيقه على كتاب فضل الصلاة على النبى ﷺ (٧٦).

(٢) سورة فصلت: الآية: (٣٣).

(٣) سورة يوسف: الآية: (١٠٨).

الموطن الحادى والعشرون من مواطن الصلاة على النبى ﷺ : أول النهار وآخره:

عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من صلى علىّ حين يصبح عشراً، وحين يمسى عشراً أدركته شفاعتى يوم القيامة»(١).

الموطن الثانى والعشرون من مواطن الصلاة على النبى ﷺ : عند خطبة الرجل المرأة فى النكاح:

عن ابن عباس رضي الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قال: يعنى: أن الله تعالى يثنى على نبيكم ويغفر له وأمر الملائكة بالاستغفار له: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢)..... أثنوا عليه فى صلاتكم وفى كل مساجدكم، وفى كل موطن، وفى خطبة النساء فلا تنسوه.

الموطن الثالث والعشرون من مواطن الصلاة على النبى ﷺ : فى كل موطن يُجتمع فيه لذكر الله:

لحديث أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال: «إن لله سيارة من الملائكة إذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض: اقعدوا، فإذا دعا القوم أمّنوا على دعائهم، فإذا صلوا على النبى ﷺ صلوا معهم، حتى يفرغوا ثم يقول بعضهم لبعض: طوبى لهؤلاء يرجعون مغفوراً لهم»(٣)..... وأصل الحديث فى مسلم. وهذا سياق مسلم بن إبراهيم الكشى: حدثنا عبد السلام بن عجلان، حدثنا أبو عثمان النهدى، عن أبى هريرة فذكره.

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٥٧) وصحيح الترغيب والترهيب (٢٣٢).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٣) رواه ابن النجار عن أبى هريرة.

الموطن الرابع والعشرون من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: عند الحاجة تعرض للعبد:

عن ابن مسعود قال: «إذا أردت أن تسأل حاجة فابدأ بالمدحة والتحميد والثناء على الله عز وجل بما هو أهله، ثم صَلِّ على النبى ﷺ ثم ادعُ بعدُ، فإنَّ ذلك أحرى أن تصيب حاجتك».

الموطن الخامس والعشرون من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: فى الصلاة فى غير التشهد:

عن الحسن قال: «إذا مرَّ بالصلاة على النبى ﷺ فليقف وليصلِّ عليه فى التطوع»[1] ونص الإمام أحمد رحمه الله تعالى على ذلك فقال: «إذا مر المصلى بآيةٍ فيها ذكر النبى ﷺ فإن كان فى نفلٍ صلى عليه ﷺ».

الموطن السادس و العشرون من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: عند كل كلام ذى بال:

فإنه يبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم بالصلاة على رسوله ﷺ ثم يذكر كلامه بعد ذلك.

الموطن السابع والعشرون من مواطن الصلاة على النبى ﷺ: فى أثناء صلاة العيد:

فإنه يُستحب أن يحمد الله ويثنى عليه، ويصلى على النبى ﷺ قال إسماعيل بن إسحاق. . . عن إبراهيم عن علقمة أن ابن مسعود، وأبا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة قبل العيد بيوم فقال لهم: «إن هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه؟ قال عبد الله: تبدأ فتكبر تكبيرةً تفتتح بها الصلاة، وتحمد ربك وتصلى على النبى ﷺ ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تقرأ، ثم تكبر وتركع، ثم تقوم وتقرأ

---

(١) قال السخاوى فى القول البديع (ص١٧٢): أخرجه إسماعيل القاضى والنميرى.

وتحمد ربك، وتصلى على النبى محمد ﷺ، ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تركع. فقال حذيفة، وأبو موسى: صدق أبو عبد الرحمن[1][2].

فضائل وثمرات الصلاة على النبى ﷺ

الأولى: امتثال أمر الله سبحانه وتعالى.

الثانية: موافقته سبحانه فى الصلاة عليه ﷺ، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله عليه ثناء وتشريف كما تقدم.

الثالثة: موافقة ملائكته فيها.

الرابعة: حصول عشر صلوات من الله على المصلى مرة.

الخامسة: أنه يُرفع له عشر درجات.

السادسة: أنه يُكتب له عشر حسنات.

السابعة: أنه يُمحى عنه عشر سيئات.

الثامنة: أنه يُرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، فهى تُصاعد الدعاء إلى رب العالمين.

التاسعة: أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة أو أفردها.

العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب كما تقدم.

الحادية عشرة: أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.

الثانية عشرة: أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة.

الثالثة عشرة: أنها تقوم مقام الصدقة لذى العُسرة.

الرابعة عشرة: أنها سبب لقضاء الحوائج.

---

(١) **صحيح:** رواه البيهقى فى الكبرى (٣/ ٢٩١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى تحقيقه على فضل الصلاة على النبى ﷺ (٨٨).

(٢) مختصر جلاء الأفهام للإمام ابن القيم (ص: ٥٩-٦٨) اختصار وتحقيق المصنف.

الخامسة عشرة: أنها سبب لصلاة الله على المصلى وصلاة ملائكته عليه.

السادسة عشرة: أنها زكاة للمصلى وطهارة له.

السابعة عشرة: أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته.

الثامنة عشرة: أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة.

التاسعة عشرة: أنها سبب لرد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة والسلام على المصلى والمسلم عليه.

العشرون: أنها سبب لتذكر العبد ما نسيه كما تقدم.

الحادية والعشرون: أنه سبب لطيب المجلس، وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

الثانية والعشرون: أنها سبب لنفى الفقر كما تقدم.

الثالثة والعشرون: أنها تنفى عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ.

الرابعة والعشرون: نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند ذكره ﷺ.

الخامسة والعشرون: أنها ترمى صاحبها على طريق الجنة وتخطئ بتاركها عن طريقها.

السادسة والعشرون: أنها تنجى من نتن المجلس الذى لا يُذكر فيه الله ورسوله ويُحمَد ويُثنَى عليه فيه، ويُصلَّى على رسوله ﷺ.

السابعة والعشرون: أنها سبب لتمام الكلام الذى ابتُدئ بحمد الله والصلاة على رسوله.

الثامنة والعشرون: أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط، وفيه حديث ذكره أبو موسى وغيره.

التاسعة والعشرون: أنه يُخرج بها العبد عن الجفاء.

الثلاثون: أنها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلّى عليه بين

أهل السماء والأرض؛ لأن المصلى طالب من الله أن يثنى على رسوله ويكرمه ويشرفه، والجزاء من جنس العمل، فلا بد أن يحصل للمصلى نوع من ذلك.

الحادية والثلاثون: أنها سبب للبركة فى ذات المصلى وعمله وعمره، وأسباب مصالحه، لأن المصلى داعٍ ربه أن يبارك عليه وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب والجزاء من جنسه.

الثانية والثلاثون: أنها سبب لنيل رحمة الله له، لأن الرحمة إما بمعنى الصلاة كما قاله طائفة، وإما من لوازمها وموجباتها على القول الصحيح، فلا بد للمصلى عليه من رحمة تناله.

الثالثة والثلاثون: أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذى لا يتم إلا به، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب، واستحضاره فى قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه، تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه.

فهذا قلب المؤمن: توحيد الله وذكر رسوله مكتوبان فيه لا يتطرق إليهما محوٌ ولا إزالة.

قال معاذ بن جبل: «ما عمل آدمى عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله»........ وذكر رسوله ﷺ تبعٌ لذكره.

والمقصود: أن دوام الذكر سبب لدوام المحبة. فالذكر للقلب كالماء للزرع، بل كالماء للسمك لا حياة له إلا به.

الرابعة والثلاثون: أن الصلاة عليه ﷺ سبب لمحبته للعبد، فإنها إذا كانت سببًا لزيادة محبة المصلى عليه له، كذلك هى سبب لمحبته هو للمصلى عليه.

الخامسة والثلاثون: أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره استولت محبته على قلبه، حتى لا يبقى فى قلبه معارضة

لشىء من أوامره.

السادسة والثلاثون: أنها سبب لعرض اسم المصلى عليه ﷺ وذكره عنده كما تقدم قوله ﷺ: «**إن صلاتكم معروضة علىّ**»[1] وقوله: «**إن الله وكّل بقبرى ملائكة يبلغونى عن أمتى السلام**»[2]. ... . وكفى بالعبد نبلاً أن يُذكر اسمه بين يدى رسول الله ﷺ.

السابعة والثلاثون: أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط، والجواز عليه، لحديث عبد الرحمن بن سمرة الذى رواه عنه سعيد بن المسيب فى رؤيا النبى ﷺ: «**ورأيت رجلاً من أمتى يزحف على الصراط ويحبو أحيانًا ويتعلق أحيانًا، فجاءته صلاته علىّ فأقامته على قدميه وأنقذته**»[3] رواه أبو موسى المدينى وبنى عليه كتابه فى «الترغيب والترهيب» وقال: هذا حديث حسن جداً.

الثامنة والثلاثون: أن الصلاة عليه ﷺ أداء لأقل القليل من حقه، وشكر له على نعمته التى أنعم الله بها علينا، مع أن الذى يستحقه من ذلك لا يُحصَى علمًا ولا قدرة ولا إرادة، ولكن الله سبحانه لكرمه رضى من عباده باليسير من شكره وأداء حقه.

التاسعة والثلاثون: أنها متضمنة لذكر الله وشكره، ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله.

الأربعون: أن الصلاة عليه ﷺ من العبد هى دعاء. ودعاء العبد

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (١٠٤٧) كتاب الصلاة، والنسائى (١٣٧٤) كتاب الجمعة، وابن ماجه (١٦٣٦) كتاب ما جاء فى الجنائز، والدارمى (١٥٧٢) كتاب الصلاة، وأحمد (١٥٧٢٩) أول مسند المدنيين ﷺ أجمعين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢١٢).

(٢) **صحيح:** رواه النسائى (١٢٨٢) كتاب السهو، والدارمى (٢٧٧٤) كتاب الرقاق، وأحمد (٣٦٥٧) مسند المكثرين من الصحابة، من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٧٤).

(٣) **ضعيف:** ذكره الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٧٩)، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (٢٠٨٦).

وسؤاله من ربه نوعان:

- **أحدهما:** سؤاله حوائجه ومهماته، وما ينوبه فى الليل والنهار. فهذا دعاء وسؤال وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه.

الثانى: سؤاله أن يثنى على خليله وحبيبه ويزيد فى تشريفه وتكريمه وإثارة ذكره، ورفعه... ولا ريب أن الله تعالى يحب ذلك ورسوله يحبه، فالمصلى عليه ﷺ قد صرف سؤاله ورغبته وطلبه إلى محاب الله ورسوله... فمن آثر الله على غيره، آثره الله على غيره.

وهاهنا نكتة حسنة لمن علَّم أمته دينه وما جاءهم به، ودعاهم إليه وحضّهم عليه، وصبر على ذلك، وهى أن النبى ﷺ له من الأجر الزائد على أجر عمله مثل أجور من اتبعه. فالداعى إلى سنته ودينه، والمعلم الخير للأمة إذا قصد توفير هذا الحظ على رسول الله ﷺ وصرفه إليه، وكان مقصوده بدعاء الخلق إلى الله التقرب إليه بإرشاد عباده، وتوفير أجور المطيعين له على رسول الله ﷺ مع توفيتهم أجورهم كاملة كان له من الأجر فى دعوته وتعليمه بحسب هذه النية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم(١).

بعض صيغ الصلاة على النبى ﷺ

وها هى بعض صيغ الصلاة على النبى ﷺ:

(١) اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد(٢).

---

(١) مختصر جلاء الأفهام (ص: ٦٩-٧٢).

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٣٣٦٩) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٢) اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد[١].

(٣) اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد[٢].

(٤) اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم[٣].

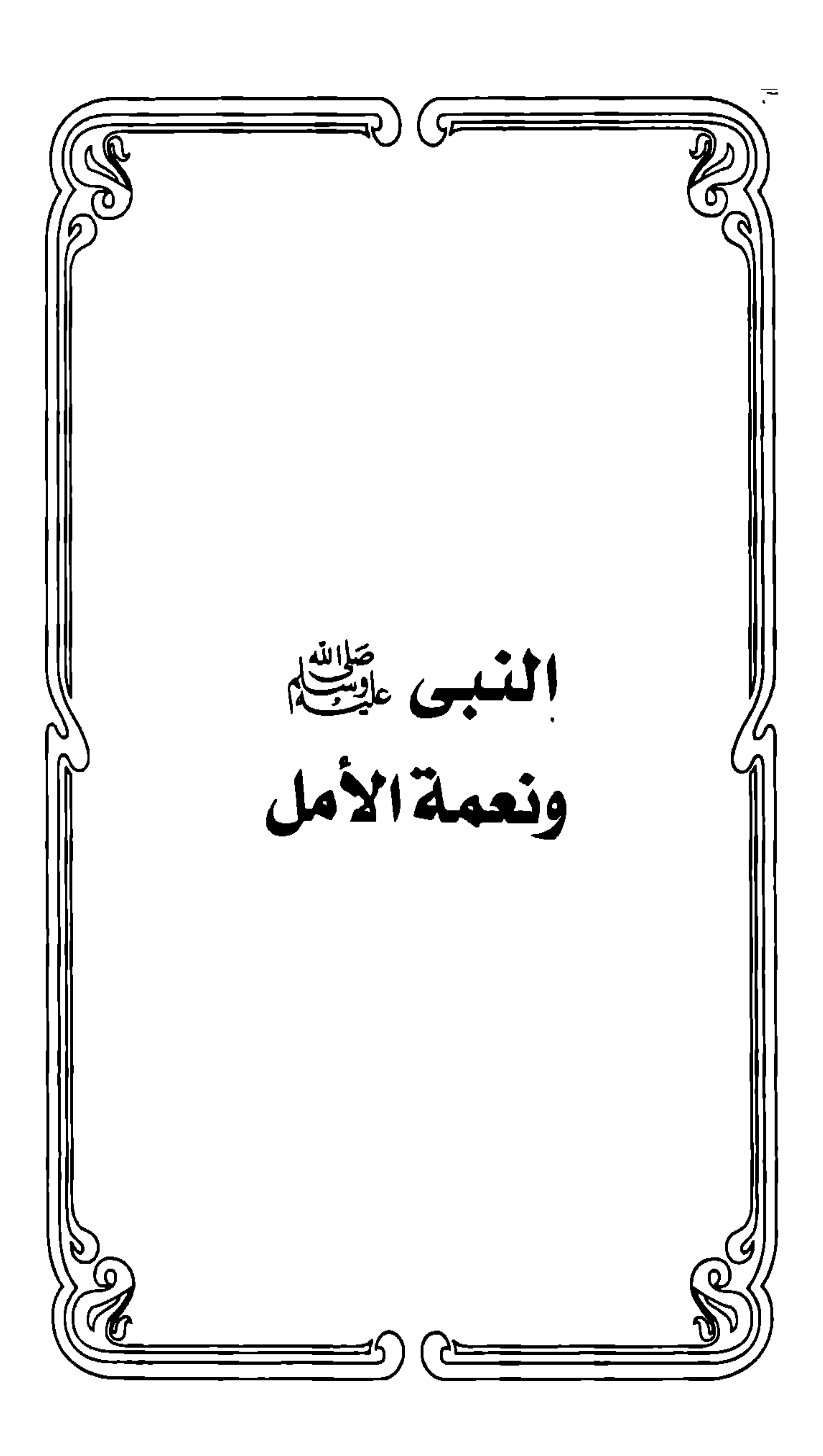
(٥) اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد[٤].

(٦) اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد[٥].

(٧) اللهم صلِّ على محمد النبى الأمى وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد النبى الأمى، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد[٦].

* * *

(١) صحيح : رواه مسلم (٤٠٥) كتاب الصلاة.
(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٣٧٠) كتاب أحاديث الأنبياء.
(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٧٩٨) كتاب تفسير القرآن.
(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٣٧٠) كتاب أحاديث الأنبياء.
(٥) رواه أحمد (٤/١١٨) بإسناد صحيح.
(٦) رواه أحمد (٤/١١٩) بإسناد صحيح.



النبى ﷺ ونعمة الأمل

النبى ﷺ ونعمة الأمل

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول، فلما دخلنا وجدنا النبى ﷺ جالسًا مع بعض أصحابه يبث الأمل فى قلوبهم ويقول: **«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَر ولا وَبَر إلا أدخله الله هذا الدين، بعزِّ عزيز أو بذُلِّ ذليل؛ عزًا يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر»**[1].

- ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يبث فيها النبى ﷺ الأمل فى قلوب أصحابه.. بل كان دائمًا يبث الأمل فى قلوبهم.

فها هو يبث الأمل فى قلب خبَّاب بن الأرت عندما جاءه يشكو من شدة العذاب الذى وقع عليه ويطلب منه أن يدعو الله ليُنزل نصره عليهم فقال له النبى ﷺ : **«قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل فيُحفر له فى الأرض فيُجعل فيها، ثم يؤتَى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليُتمنَّ الله تعالى هذا الأمر**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٠٣)، والطبرانى (٢/٥٨)، والحاكم (٤/٤٧٧)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقى (٩/١٨١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣).

حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»(١).

* وها هو يقول لأصحابه: «إن الله زَوى لى الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتى سيبلغ مُلكها ما زُوى لى منها»(٢).

* وها هو فى يوم الخندق عندما حاصر عشرة آلاف من الكفار مدينة الرسول وأرادوا القضاء على الإسلام والمسلمين.

وإذا بالنبى ﷺ يقوم ليضرب تلك الصخرة التى عجز عنها أصحابه ويبث الأمل فى قلوبهم.

أخذ النبى ﷺ المعول ونزل الخندق وقال: «بسم الله» ثم ضرب الصخرة ضربة قوية فكسر ثُلثها وهو يقول: «الله أكبر أُعطيت مفاتيح الشام.. والله إنى لأنظر إلى قصورها الحمر الساعة».. ثم ضرب الصخرة ضربة ثانية فكسر الثلث الثانى وهو يقول: «الله أكبر أُعطيت مفاتيح فارس.. والله إنى لأُبصر قصر المدائن الأبيض» ثم ضرب الصخرة ضربة ثالثة فكسر ما تبقّى منها وهو يقول: «الله أكبر أُعطيت مفاتيح اليمن.. والله إنى لأُبصر أبواب صنعاء من مكانى هذا»(٣).

* وفى صلح الحديبية عندما اعترض عمر بن الخطاب رضي الله عنه على بنود الصلح قال له رسول الله ﷺ بكل ثقة وأمل فى نصر الله: «إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى».

* بل كان النبى ﷺ يفتح الأمل للعصاة والمذنبين حتى لا ييأسوا من رحمة الله.. ومن أجل أن يرجعوا ويتوبوا إلى الله.. بل كان يُحذر الناس من أن يُقنطوا أحدًا من رحمة الله.

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٣٦١٢) كتاب المناقب.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٣) أخرجه أحمد (٤/٣٠٣، رقم ١٨٧١٦) وحسّن إسناده الحافظ فى الفتح (٧/٣٩٧).

* هكذا كان النبى ﷺ يبث الأمل فى كل لحظة فى قلوب أصحابه وأمته من بعدهم.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة الأمل.

لابد من الأمل(١)

ففى واقعنا المعاصر كثير من الأحداث التى يندى لها الجبين خجلاً، وتضيق بها صدور الذين لهم مسحة من أخلاق وقيم؛ حيث تحملت البشرية فى العقود الماضية من المعاناة والآلم ما لم يشهد له البشر مثيلاً من قبل. ورغم التقدم العلمى والتقنى وما صَحِبه من مزايا وحسنات فقد وصلت البشرية إلى حالة غير مسبوقة من الانحدار الأخلاقى، وضعف القيم الإنسانية والاستهانة بها، وازدياد نزعات العنصرية والعدوانية، وضعف تقدير كرامة الإنسان.

وينطبق هذا تمامًا على واقع المسلمين وما يحدث لهم من تشريد وقتل واغتصاب، وما ينتشر بينهم من تفكُّك وضعف وانحصار؛ فكثرت المآسى، وأصابت ذوى الأخلاق الحميدة والنفوس الشريفة ببعض اليأس والإحباط، وعاش البعض فى حالة من اليأس والقنوط؛ يرى الحياة كلها ظلمات، وأصبح عبوسًا مهمومًا متشائمًا !

* ومن هنا كان لابد أن نَبُثَّ روح الأمل، وأن نضىء أنواره، ليعيش المرء على الأمل والرجاء فى رحمة الله تعالى، والثقة واليقين فى الخالق سبحانه.

وعلى العاقل المؤمن أن لا ييأس ولا يقنط، بل يصبر ويحتسب ويكون واثقًا فى ربه على الدوام، وكله أمل ورجاء فى رحمة الله تعالى.

(١) بتصرف من كتاب (الأمل) / للأستاذ: رضا سعد مدبولى.

فلنحيا إذن بروح الأمل، ولنجعله زادًا لنا يدفعنا إلى الحياة والجد والعمل.

- فبالأمل تنمو شجرة الحياة ويرتفع صرح العمران، ويشعر المرء بالسعادة والبهجة.

- وبالأمل والرجاء ينهض الإنسان ويعمل، ويكدّ ويتعب، ويتحول من الكسل والخمول إلى النشاط والهمة والكفاح.

وكثيرًا ما نرى الناس يعيشون ويتحملون المصاعب والآلام على بريق الأمل والرجاء:

- فالزارع يزرع ويتعب أملاً فى الحصاد.

- والتاجر يسافر ويجدُّ أملاً فى الكسب والربح.

- والطالب يذاكر ويجتهد أملاً فى النجاح.

- والمريض يتناول الدواء المُرّ أملاً فى الشفاء.

- والمذنب يرجع إلى ربه أملاً فى قبول توبته وغفران ذنوبه.

والمؤمن يخالف هواه ويطيع ربه أملاً فى رضوانه وجنته.

والجندى يستبسل فى المعركة ويجاهد أملاً فى النصر أو الشهادة.

- والشعوب تتحمل ويلات الحرب وتصر على الكفاح أملاً فى الحرية.

فالأمل يدفع المخفق إلى تكرار المحاولة، ويدفع الكسول إلى الجد، ويدفع المجد إلى المداومة، ويدفع الناجح إلى مضاعفة الجهد.

فهذا هو الأمل الذى نريده، وهذا هو الأمل الذى نبثّه؛ إنه عملٌ وجدٌّ وكفاح ونشاط، إنه حياة دائمة متجددة، إنه ثقة ورجاء فى الله، إنه تعلق دائم ومستمر بالخالق المحسن البر الرحيم.

* * *

ما الأمل؟

الأمل هو الرجاء، وهو ظن حصول ما فيه مَسَرَّة[1]، فإن كان الأمل هو توقُّع أو ظن حصول أسباب المسرات، فإن هذا التوقع أو الظن قد يحيا فى نفس الإنسان وقد يموت على حسب ما يلاقيه الإنسان فى حياته من مبشرات بحصول مظنونه أو منفرات بفوات ذلك المظنون.

ولا يحيا الأمل فى الإنسان إلا بروح تبعثه فى نفسه، كما لا يحيا الجسد إلا بالروح تدب فى أركانه؛ وروح الأمل هى التى تجعله حيًّا فى النفس بالأسباب التى تُبقى هذا الأمل حيًّا كالمبشرات التى تسره وتدفعه دائمًا إلى الحركة والعمل، كما قيل: «لولا الأمل ما كان العمل»، كما أنها تدفع عن نفس صاحبها كل الأسباب التى تميت الأمل فى النفس؛ كالمتغيرات التى تدفعه إلى اليأس والقنوط.

طبيعة الأمل:

الأمل والرجاء فى تحصيل كل ما يعود على الإنسان وعلى مجتمعه بالنفع والخير فى العاجل والآجل صفة محمودة؛ لأنها باعثة مُحركة على مواصلة العمل. وضد ذلك اليأس؛ وهو مذموم لأنه صادٌّ عن العمل وقاطع للرجاء.

وأحوج الناس إلى الأمل: رجل غلب عليه اليأس، ورجل غلب عليه الخوف حتى أضر بنفسه وأهله، فهذان رجلان مائلان عن الاعتدال إلى طرف التفريط.

أما إذا كان الأمل حرصًا على الدنيا، وانكبابًا على ملذاتها، وحبًّا لها وإعراضًا عن الآخرة فهو مذموم؛ وذلك كأمل العاصى المغرور المتمنى على

(1) المفردات للراغب الأصفهانى: (2/ 190)، مادة (رجا).

الله تعالى الأمانى مع الإعراض عن العمل، وهو الذى قال الله سبحانه وتعالى فيه: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (١).

وقد أخبر النبى ﷺ أن الإنسان يظل محبًا للدنيا، طويل الأمل فى أعراضها وإن كبرت سنه؛ فقال ﷺ: **«لا يزال قلب الكبير شابًا فى اثنتين: فى حب الدنيا، وطول الأمل»**(٢)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خَطَّ النبى ﷺ خطًا مربعًا، وخط خطًا فى الوسط خارجًا منه، وخط خُطوطًا صغارًا إلى هذا الذى فى الوسط من جانبه الذى فى الوسط، وقال: **«هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به - أو قد أحاط به - وهذا الذى هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض؛ فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا»**(٣).

وهذا الأمل المذموم هو ما كان يخاف منه على رضي الله عنه على المؤمنين حينما قال: «أخوف ما أخاف عليكم اثنتين: طول الأمل واتباع الهوى».

ولابد من معرفة أن الأمل فى الله ورجاء مغفرته لابد أن يقترن بالعمل لا بالكسل والتمنى؛ فقد قال تعالى: **﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** (٤).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٥).

فلا يقول إنسان: إن عندى أملاً فى الله، وأحسن الظن به، ثم بعد ذلك نراه لا يؤدى ما عليه تجاه الله فى فروض وأوامر، ولا ينتهى عما نهى الله

---

(١) سورة الحجر: الآية: (٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤٢٠) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٧) كتاب الرقاق.

(٤) سورة الكهف: الآية: (١١٠).

(٥) سورة البقرة: الآية: (٢١٨).

عنه... والذى يفعل ذلك إنما هو مخادع يغش نفسه.

وأوضح الإمام ابن القيم فى مدارج السالكين الفرق بين الرجاء والتمنى فقال: «والفرق بينه وبين التمنى أن التمنى يكون مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل.

فالأول: كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها.

والثانى: كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها ويرجو طلوع الزرع؛ ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل..

فلا بد فى الرجاء والأمل من الأخذ بالأسباب، وإلا أطلق على هذا الأمل حُمق وغرور، وكان من قبيل العجز.

الإيمان قرين الأمل

الإيمان والأمل متلازمان؛ فالمؤمن أوسع الناس رجاءً، وأكثرهم تفاؤلاً واستبشاراً، وأبعدهم عن التشاؤم والتبرم والضجر؛ إذ الإيمان معناه الاعتقاد بقوة عُليا تدبر هذا الكون، لا يخفى عليها شىء، ولا تعجز عن أى شىء، الاعتقاد بقوة غير محصورة، ورحمة غير متناهية، وكرم غير مجدود.

الاعتقاد بإله قدير رحيم، يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ويمنح الجزيل، ويغفر الذنوب، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات.

- إلهٌ هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأبرُّ بخلقه من أنفسهم.
- إله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل.

- إله يفرح بتوبة عبده أشد من فرحة صاحب الضالة إذا وجد ضالته، والغائب إذا وفد على أهله، والظمآن إذا ورد الماء.

- إله يجزى الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو يزيد، ويجزى السيئة بمثلها أو يعفو.

- إله يدعو المُعرض عنه من قريب، ويتلقى المُقبل عليه من بعيد ويقول: «أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى؛ فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منهم، وإن تقرَّب إلىَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلىَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة»(١).

المؤمن الذى يعتصم بهذا الإله البر الرحيم، العزيز الكريم، الغفور الودود، ذى العرش المجيد، الفعَّال لما يريد، يعيش على أمل لا حَدَّ له، ورجاء لا تنفصم عُراه، إنه دائمًا متفائل، ينظر إلى الحياة بوجهٍ ضاحك، ويستقبل أحداثها بثغرٍ باسم، لا بوجهٍ عبوس.

وإذا تغلب اليأس على إنسان اسودَّت الدنيا فى وجهه وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وتقطعت دونه الأسباب، وأُوصدت فى وجهه الأبواب.

ولا شك أن اليأس قرين الكفر؛ يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(٢)، ويقول تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾(٣).

فكل من فقد الإيمان بالله حُرم الأمل والنظرة المتفائلة للناس والكون والحياة، أما المؤمن فإنه يعيش بالأمل والتفاؤل والاستبشار.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٠٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) سورة يوسف: الآية: (٨٧).

(٣) سورة الحجر: الآية: (٥٦).

ومن الألم يأتى الأمل

لا شك أن الإنسان يحب الراحة والمتعة ويكره الألم والحرمان ومع ذلك فقد يأتى الخير كله من وراء هذا الألم ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾(١)... فقد يتألم الإنسان، فيفرُّ إلى الله - جلَّ وعلا-؛ ليقف بين يديه مُصليًا خاشعًا باكيًا وهو الذى لم يسجد لله سجدة واحدة أيام الترف والدعة والراحة.

- وقد يتألم آخر فيتحرك فؤاده وتهتز مشاعره، فيرفع يديه؛ ليدعو من قلبه؛ حتى يفرج الله همه وحزنه.

- وقد يتألم ثالث فيُخرج شحنة الألم التى تعتصر قلبه فى خطبة مؤثرة أو قصيدة رائعة ينتفع بها الناس من حوله.

* إن أشد الناس تألمًا هم - فى الغالب - أكثر الناس إبداعًا وعطاءً ولذلك نرى أصحاب الرسول ﷺ الذين عاشوا أحلك لحظات الألم والمعاناة:... ألم الجوع والفقر والأذى والطرد والتشريد وهجر الأوطان وألم القتل والجراحات المؤلمة... كانوا أكثر الناس بذلاً وتضحية وكانوا أفضل الناس كرمًا وجودًا ودينًا وخُلقًا.

* نعم - أيها الأخ الحبيب - إن الإنسان الذى يتعب فى حياته كثيرًا ويتألم يكون مؤثرًا فيمن حوله؛ لأن كلامه يخرج من القلب وأفعاله تعبر عن صدقه وإحساسه بمن حوله.

* فلا تحزن ولا تجزع من الألم فلربما كان ذلك دافعًا لك إلى البذل والعطاء ونقطة انطلاق إلى النجاح والنبوغ والتميز.

وأنا أقول عن نفسى(٢): لقد تألمت فى حياتى كثيرًا كثيرًا، وكابدت المتاعب وعشت حياة كانت فى غاية القسوة، فكان ذلك من أعظم الأسباب

---

(١) سورة النور: الآية: (١١).

(٢) العبد الفقير إلى الله (محمود المصرى).

التى جعلتنى أشعر بآلام الناس من حولى، وأكره الظلمَ أكثر من أى شىء وأحرص كل الحرص على أن أبذل دعوتى للناس بكل رحمة وحنان... بل لا أكون مبالغًا حينما أقول: إن الآلام التى اعتصرت قلبى تحولت إلى بسمة لا تفارق وجهى أبدًا، فلقد جعلت الألم والبسمة عُملة واحدة لها وجهان فجعلت الألم فى قلبى وجعلت البسمة لمن حولى؛ لأن الناس ليس لهم أى ذنب فى أن يشاركونى أحزانى... فكلما ابتسمت فى وجه مسلم وكانت بسمتى سببًا فى سعادته، زال الألم من قلبى بقدر إسعادى لغيرى.

* بل إن الألم كان سببًا فى أن أقف متحديًا نفسى أن أكون ناجحًا فى حياتى، وفى دعوتى، وفى آخرتى... وهكذا يكون الألم دافعًا لنا جميعًا لأن ننجح فى ديننا ودنيانا [١].

الأمل عند الأنبياء (عليهم السلام)

الأمل والرجاء خُلق من أخلاق الأنبياء، وهو الذى جعلهم يواصلون دعوة أقوامهم إلى الله سبحانه دون يأسٍ أو ضيق، برغم ما كانوا يلاقونه من أذى وإعراض وعدم سماح لدعوة الله.

الأمل عند نبى الله نوح عليه السلام

ظل نبى الله نوح عليه السلام يدعو قومه إلى الإيمان بالله ألف سنة إلا خمسين عامًا دون أن يملَّ أو يضجر أو يسأم، بل كان يدعوهم بالليل والنهار، فى السر والعلن، فُرادى وجماعات، ولم يترك طريقًا من طرق الدعوة إلا سلكه معهم أملاً فى إيمانهم.. يقول تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ

(١) لا تحزن وابتسم للحياة / للمصنف (ص ٤٨-٤٩).

إنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾(١).

وقد أوحى الله تعالى إلى نوح أنه لن يؤمن معه أحد إلا من آمن واتَّبعه، فصنع السفينة بأمر الله، وأنجاه الله هو والمؤمنين.

الأمل عند نبي الله إبراهيم عليه السلام

أعطى الله سبحانه نبيه إبراهيم الرشد والحكمة منذ صغره، وابتعثه رسولاً إلى قومه، وكان أبوه ممن يعبد الأصنام، فدعا إبراهيم أباه إلى الحق بألطف عبارة وأحسن إشارة، وبيَّن له بُطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع ولا تُبصر ولا تغني عنه شيئًا.

فلما عرض إبراهيم عليه السلام على أبيه الهداية والرشد توعَّده أبوه آزر وهدَّده، ولم يقبل منه نصحًا، فخرج إبراهيم إلى حَرَّان، ورأى أهلها يعبدون الكواكب، فناظرهم فى ذلك ودعاهم إلى الله.

ولمَّا أنكر إبراهيم عليه السلام على قومه ببابل عبادتهم للأصنام، وقام فكسرها، وناظرهم فى عبادتها، أجمعوا أمرهم على إلقائه فى النار وتحريقه بها وظلوا يجمعون حطبًا من كل الأماكن لمدة طويلة، ثم أضرموا فيه نارًا عظيمة لم يُرَ لها مثيل، ووضعوا إبراهيم فى كفة منجنيق، وألقوه فى النار، وهو يقول: حسبى الله ونعم الوكيل، فكانت النار بردًا وسلامًا عليه بأمر الله.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «حسبنا الله ونعم الوكيل: قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقى فى النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(٢)»(٣).

---

(١) سورة نوح: الآيات: (٥-٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٧٣).

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب تفسير القرآن، ح (٤٥٦٣).

وهكذا كان إبراهيم عليه السلام واثقًا فى ربه راجيًا رحمته، عنده الأمل واليقين فى نصر الله ووقوفه بجانب المؤمنين، فكان هذا الأمل واليقين فى الله قوة تعينه على أعباء الدعوة ونوراً يضىء له الطريق.

وها هو ذا عندما يبلغ الكِبَر، ويصير شيخًا كبيرًا فى السن، وزوجته سارة عاقر لا تلد؛ لا يفقد الأمل فى أن يرزقه الله بالأولاد والذرية الصالحة، فيدعو ربه قائلاً: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1]، فرزقه الله سبحانه بإسماعيل من زوجته هاجر، وقيل إن سن إبراهيم عند مولد إسماعيل قد بلغ ستًّا وثمانين سنة، ثم يأخذ إبراهيم زوجته هاجر وابنها إسماعيل عند البيت الحرام امتثالاً لأمر الله - وكانت مكة وقتذاك صحراء قاحلة لا أنيس فيها ولا جليس - فترك لهما جرابًا فيه تمر ووعاءً فيه ماء.

وبعد فترة نفد التمر والماء، وبكى الرضيع إسماعيل، لكن هاجر لم تيأس من رحمة الله، وظلت تبحث فى الوادى وتصعد جبل الصفا لتنظر عليه هل تجد إنسانًا أو مغيثًا لها، ثم تنزل منه سريعًا لتصعد إلى جبل المروة فلم ترَ أحدًا، وفعلت ذلك سبع مرات، ثم جاءها الفرج وأدركتها رحمة الله، ونبع بئر زمزم، وتجمَّع الناس عند الماء فعمَّروا المكان.

ثم رزق الله سبحانه إبراهيم بولدٍ آخر هو نبى الله إسحاق من زوجته سارة العاقر التى لا تلد، وقد أثنى إبراهيم على ربه شاكراً له تلك النعمة العظيمة، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[2].

* * *

---

(١) سورة الصافات: الآية: (١٠٠).

(٢) سورة إبراهيم: الآية: (٣٩).

الأمل عند نبى الله موسى عليه السلام

ظهر الأمل والثقة فى نصر الله بصورة جليَّة فى موقف نبى الله موسى عليه السلام مع قومه حين طاردهم فرعون وجنوده واقترب منهم، فشعر بنو إسرائيل باليأس حينما وجدوا فرعون على مقربة منهم، وظنوا أنه سيدركهم، خاصة أنهم لم يجدوا أمامهم سوى البحر، فقالوا لموسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ فقال لهم نبى الله موسى عليه السلام فى ثقة ويقين: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (١).

فأمره الله سبحانه أن يضرب بعصاه البحر، فانشقَّ نصفين، ومشى موسى وقومه وعبروا البحر فى أمان، ثم عاد البحر كما كان، فغرق فرعون وجنوده، ونجا موسى ومن آمن معه.

الأمل عند نبى الله أيوب عليه السلام

ابتلى الله سبحانه نبيه أيوب عليه السلام فى نفسه وماله وولده، إلا أنه لم يفقد أمله فى أن يرفع الله الضُّرَّ عنه، وكان دائم الدعاء لله تعالى، يقول تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٢).

فلم يُخيِّب الله أمله، فحقق رجاءه وشفاه الله وعافاه وعوَّضه عما فقده، يقول تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ (٣).

* * *

(١) سورة الشعراء: الآيتان: (٦١، ٦٢).

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (٨٣).

(٣) سورة الأنبياء: الآية: (٨٤).

الأمل عند نبى الله يونس عليه السلام

ظل نبى الله يونس يدعو قومه، فلم يستجيبوا له، فتوعَّدهم بعذاب الله، وترك البلد لأن العذاب سينزل عليهم، وهنا هرع قوم يونس إلى الله يتوبون إليه ويستغفرونه، حتى رفع الله عنهم العذاب؛ يقول تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (١).

أما نبى الله يونس عليه السلام فقد ركب سفينة فى البحر، ولكن حمولة السفينة اقتربت من الغرق، فأجروا بينهم قرعة على مَن تقع عليه يُلقى نفسه فى الماء ليخفَّ حِمل السفينة، فوقعت القرعة على يونس، ولما ألقى بنفسه فى الماء إذا بحوتٍ ضخم يبتلعه، وصار يونس فى بطن الحوت يعيش فى ظلمات شديدة، ومع ذلك لم ييأس، بل ظل يُسبِّح ربه ويدعوه؛ حتى استجاب الله له، وأمر الحوت أن يُخرجه من بطنه ليعود إلى قومه؛ يقول الله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

الأمل عند نبى الله زكريا عليه السلام

كبر نبى الله زكريا، وكانت زوجته عاقرًا لا تلد، لكن أمله فى الذرية الصالحة لم ينقطع، وذات يوم وجد عند مريم طعامًا فسألها: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ فاجابت: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣).

---

(١) سورة يونس: الآية: (٩٨).

(٢) سورة الأنبياء: الآيتان: (٨٧-٨٨).

(٣) سورة آل عمران: (٣٧).

وهنا ازداد أمل زكريا فى رحمة الله ورزقه، فدعا ربه أن يرزقه.

يقول تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (١) فاستجاب الله له، وحقق أمله، ورزقه بيحيى؛ قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢).

الأمل عند نبى الله محمد ﷺ

كان النبى ﷺ حريصًا على هداية قومه، ولم ييأس يومًا من تحقيق ذلك، وكان دائمًا يدعو ربه أن يهديهم ويشرح صدورهم للإسلام.

وقد ظل النبى ﷺ فى مكة ثلاثة عشر عامًا يدعو قومه إلى الإسلام، فيلقون دعوته بالاستهزاء، وقرآنه باللغو فيه والتكذيب، وآياته بالتعنت والعناد، وأصحابه بالأذى والعذاب، فما لانت له قناة، ولا انطفأ فى صدره أمل، ولما اشتد أذى المشركين لأصحابه أمرهم بالهجرة إلى الحبشة.

وجاءه أحد أصحابه خباب بن الأرت رضي الله عنه وكانت مولاته تكوى ظهره بالحديد المحمى، فضاق بهذا العذاب المتكرر ذرعًا، وقال للرسول ﷺ فى ألم: ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟، فقال النبى ﷺ لصاحبه، داعيًا إياه إلى الصبر على بأساء اليوم أملاً فى نصر الغد: «قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل، فيُحفر له فى الأرض، فيُجعل فيها، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيُجعل نصفين، ويُمشَّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليُتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»(٣).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٣٨).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٣٩).

(٣) رواه البخارى فى صحيحه، كتاب الإكراه، ح (٦٩٤٣).

ولقد جاءه ملك الجبال عليه السلام بعد رحلة الطائف الشاقة، وقال له: لقد بعثني ربى إليك لتأمرنى بأمرك؛ فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال ﷺ: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»(١).

لقد كان رسول الله ﷺ واثقًا فى نصر الله له، وبدا ذلك واضحًا فى ردِّه على أبى بكر الصديق أثناء وجودهما فى الغار ومطاردة المشركين لهما، فقال له بكل ثقة وإيمان: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾(٢).

أثر الأمل على الفرد والأسرة والمجتمع

أ - أثر الأمل على الفرد:

المؤمن الذى يعتصم بالله سبحانه يعيش على أملٍ لا حَدَّ له؛ فهو متفائل دائمًا ينظر إلى الحياة بوجهٍ ضاحك، ويتقبل أحداثها بثغرٍ باسم لا بوجه عبوس.

- فهو إذا حارب كان واثقًا بالنصر لأنه مع الله؛ ... يقول تعالى عن عباده المؤمنين: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٣).

- وإذا مرض لم ينقطع أمله فى العافية؛ يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٤).

- وإذا اقترف ذنبًا لم ييأس من المغفرة، ومهما يكن ذنبه عظيمًا فإن عفو الله أعظم؛ يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب بدء الخلق، ح (٣٢٣١)، ومسلم فى صحيحه، كتاب الجهاد والسير، ح (١٧٩٥).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٤٠).

(٣) سورة الصافات: الآيات: (١٧٢، ١٧٣).

(٤) سورة الشعراء: الآيات: (٧٨-٨٠).

رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(١) .

- وهو إذا أعسر انتظر اليُسر؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾(٢) .

- وهو إذا انتابته كارثة من كوارث الزمن كان على رجاء من الله أن يأجره فى مصيبته ويخلفه خيراً منها؛ يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾(٣) .

- وهو إذا عادى أو كَرِه كان قريبًا إلى الصلة والسلام، راجيًا فى الصفاء والوئام، مؤمنًا بأن الله يُحَوِّل القلوب؛ يقول تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٤) .

- وهو إذا رأى الباطل يقوم فى غفلة الحق أيقن أن الباطل إلى زوال، وأن الحق إلى ظهور وانتصار؛ يقول تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾(٥) ، ويقول تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾(٦) .

- وهو إذا أدركته الشيخوخة وكبر سنُّه، أخذ يرجو حياة أخرى فيها شباب بلا هرم، وحياة بلا موت، وسعادة بلا شقاء؛ فى ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾(٧) .

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٢) سورة الشرح: الآيتان: (٥، ٦).

(٣) سورة البقرة: الآيتان: (١٥٦، ١٥٧).

(٤) سورة الممتحنة: الآية: (٧).

(٥) سورة الأنبياء: الآية: (١٨).

(٦) سورة الرعد: الآية: (١٧).

(٧) سورة مريم: الآيتان: (٦١، ٦٢).

قال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادى مُنادٍ: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا وإن لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أنْ تشبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا»[1].

الأمل إذن هو إكسير الحياة، ودافع نشاطها، ومخفف ويلاتها، وباعث البهجة والسرور فيها.

هكذا يكون صاحب الأمل

- الأمل والرجاء يُحَوِّلان الإنسان إلى طاقة خلاقة، فيصير إنسانًا مبدعًا جديرًا بإنسانيته؛ لأنه يرجو ربه ويؤمن به سبحانه...، والإسلام هو الرسالة القادرة على بناء إنسان قوى متوازن متكامل الشخصية: يمشى على الأرض ويتطلع إلى السماء، يعايش الواقع ويرنو إلى المثال، يعمل للدنيا ولا ينسى الآخرة، يجمع المال ولا ينسى الحساب، يأخذ الحق ولا ينسى الواجب، يتعامل مع الخلق ولا ينسى الخالق، يعتز بماضيه ولا ينسى حاضره ومستقبله، يحب قومه ولا ينسى بنى الإنسان، يصلح نفسه ولا ينسى إصلاح غيره، يهتدى ويهدى، ويأتمر ويأمر، وينتهى وينهى؛ فهو دائمًا داعٍ إلى الخير، آمرٌ بالمعروف، ناهٍ عن المنكر، حافظ لحدود الله يتواصى مع سائر المؤمنين بالحق وبالصبر، كما أمر الله فى قوله: ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2].

ب - أثر الأمل على الأسرة:

وإذا سَرَتْ روح الأمل فى الأسرة امتلأت أركانها بالتفاؤل والبِشر والسعادة. فالأسرة المتفائلة إذا مرض لها مريض عاشت بالأمل فى شفاء هذا

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها / باب: فى دوام نعيم أهل الجنة ونودوا أن تلكم الجنة.

(٢) سورة العصر: الآيات: (١-٣).

المريض، وإذا مرت بها ضائقة علمت أن مع العسر يسرًا، وإذا ابتُليت علمت أن الله يختبرها فتصبر على البلاء حتى ينفكّ هذا الكرب. وهى متماسكة فى مواجهة أية مشاكل تواجهها مهما كان حجمها - وما أكثر هذه المشاكل - وكلما مرت بمشكلة من مشاكل الحياة تجدها أسرة متماسكة متحدة فى التفكير لحل المشكلة، ولا تجد بينها فرد يتخلى أو أخ يائس، حتى وإن وُجد هذا الفرد تجد باقى الأفراد يؤازرونه.

وهى أسرة تعيش فى ترابط على قلب رجل واحد، ودائمًا ما ترى الأمن والسكينة والرحمة والطمأنينة والهدوء داخلها.

جـ - أثر الأمل على المجتمع:

كذلك فإن هذا المجتمع يتصف بالتكامل والتضامن، بحيث ينهض القوى بالضعيف، ويعود الغنى على الفقير، ولا يضيع عاجز ولا مسكين، ودائمًا وأبدًا ما يتواصى أبناء هذا المجتمع ويتناصحون، وكل إنسان يرى أنه مسؤول عمن حوله من أبناء مجتمعه؛ ينصح لهم وينصحون له، ويوصيهم بالحق والصبر ويتقبل الوصية منهم.

وهو مجتمع يتصف بالتطهر والترقّى؛ لأنه مجتمع نظيف يُربى أبناءه على الطهارة والعفة والإحصان، ويُحرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ومن ابتُلى منهم بمعصية استتر وتاب ورجع.

ومما لا شك فيه أن مجتمعًا قائمًا على هذه الأسس يعتصم بحبل الله سبحانه وينشر داخله روح الإسلام هو مجتمع ملىء بالأمل؛ حيث تشيع روح الأمل والتفاؤل بين أفراده ويسعون دائمًا نحو التقدم.

* * *

كيف تحصل على التفاؤل؟

وفيما يلى مجموعة من الخطوات العملية التى عن طريقها يمكن أن يصير الإنسان متفائلاً وأن يصبح سعيدًا، ولكن فى البداية عليه أن يدرك أن الغرض الحقيقى من الحياة هو أن يعبد الله عز وجل، وبالعبادة الحقة لله تعالى يحقق الخير ويُسعد نفسه والآخرين، ولبلوغ هذه الغاية ينبغى مراعاة ما يلى:

١- **اختر الوسط الذى يلائمك:** فلكى تجلب لنفسك التفاؤل صاحِب أهل الخير والصلاح؛ لأن المؤمن متفائل بعيد عن اليأس والتشاؤم، وابتعد عمن لا يثقون بأنفسهم ومن يترددون فى كل عمل، وكذلك الحاسدين والمتشائمين الذين يتضجرون دائمًا لغير سبب مفهوم.

٢- **انظر دائمًا إلى الجانب الحسن:** كل شىء فيه جانبان: جانب حسن جميل إيجابى، وجانب سلبى، والإنسان المتفائل يَجْمُل فى عينيه كل شىء، والمتشائم يقبح فى عينيه كل شىء، فانظر دائمًا إلى الجانب الحسن، وتغاضَ عن عيوب الناس وسيئاتهم، .... والعاقل هو الذى ينسى عيوب الناس وينشغل بعيبه.

٣- **تقدير النفس والثقة بها دائمًا:** حاول دائمًا أن تستمد من إيمانك بالله ثقة تجعلك واثقًا من نفسك فى إنجاز ما ينبغى عليك عمله؛ وذلك لكى تعمل بجدٍّ ويقين للوصول إلى الهدف المنشود.

٤- **أحِب عملك:** أكثر الأعمال إنتاجًا ما كان ثمرة يدين تعملان فيه عن حب واقتناع، والشخص الذى يهدف إلى السعادة والنجاح فى كل ما يؤديه من أعمال لا يستطيع أن يصل إلى هدفه إلا إذا أحب عمله وأقبل عليه فى مرح وابتهاج.

٥- احتفظ بالتوازن بين روحك وجسمك: الإنسان مخلوق من جسد وروح، لكل منهما متطلبات ينبغى تحققها لكى يحدث له التوازن؛ فيجب أن تعطى جسدك ما يحتاج إليه من الراحة والطعام والشراب، وحينما تبدأ عملك وجسمك قد أخذ قسطه من الراحة، فإنك تُقبل عليه بنشاط وجدية، ويكون الإتقان فيه متحققًا بدرجة كبيرة، كما يجب أن تعطى الروح غذاءها من الطاعة والعبادة، وعلى كُلٍّ منا أن يُحصِّن نفسه بالإيمان بالله، فالإيمان هو الذى يُحرك الجبال ويؤدى إلى النجاح والصحة والسعادة.

٦- الحوادث أكبر مُعين لنا: لا يسلم الإنسان فى الدنيا من التعرض للسوء والبلاء، والمؤمن يستقبل ذلك بإيمان وصبر، فيرضى بقضاء الله سبحانه، وعلى العاقل أن يستقبل الحوادث فى هدوء، ولا يجعل للوساوس واليأس والجبن إلى نفسه سبيلاً؛ يقول النبى ﷺ : **«عجبًا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»**(١).

٧- كيف تصبح أكثر ثقة بنفسك؟

ثقتك بنفسك تعنى نجاحك فى حياتك، والثقة وعدم التردد يرتبطان ارتباطًا وثيقًا بمدى معرفتك الحقيقية بنفسك.

* ارضاء الضمير هو بداية بناء الثقة بالنفس؛ إذ إن إرضاء الضمير يعنى التصرف الصحيح والبعد عن الأخطاء التى سيحاسبنا الله عليها، فإذا حاسب الإنسان نفسه، وعرف أخطاءه، وتاب عنها وصحَّح مساره، وأصبح مجموع تصرفاته صحيحًا زادت ثقته فى نفسه، وهو ما يؤهله للمسير على درب النجاح والفلاح.

* حب الآخرين والتعامل معهم بلباقة يجعلك شخصًا مرغوبًا فيه،

---

(١) رواه مسلم فى الزهد والرقائق، ح (٢٩٩٩).

ويزيد من ثقتك فى نفسك.

* الابتعاد نهائيًّا عن الأفكار والمشاعر السلبية التى تحاول التأثير على شخصيتك؛ مثل القلق والخوف من الفشل وغيرهما.

* عاشر الناجحين الواثقين من أنفسهم، وتعلم كيف تتصرف مثلهم لو كنت مكانهم.

* حدد أهدافك التى ترغب فى تحقيقها على المدى القصير، مع مراعاة أن تكون هذه الأهداف واقعية وممكنة التحقيق، وعند تحقيقها ستزداد ثقتك فى نفسك.

٨- **لا تجعل الشعور بالتقصير والنقص مُعَوِّقًا عن العمل:** ثق أنه لا يوجد إنسان كامل، ولكن الإنسان الراغب حقًّا فى خوض غمار طريق النجاح يبحث دائمًا عن تلك الصفات أو المهارات التى لا يملكها، ويعمل على اكتسابها.

٩- **اقتل فى نفسك الخوف من الفشل:** الخوف من الفشل مشكلة تواجهنا جميعًا، والخوف من الفشل عدوك اللدود الذى يتربص بك فى طريق النجاح ويقتل فيك روح المغامرة، وهذا الشعور والإحساس يصيبك بالإحباط.

١٠- دع النقد الهدَّام واحرص على النقد الإيجابى الذى يدفعك للعمل... قد يوجِّه إليك بعض الأشخاص نقدًا هدَّامًا غير حقيقى محاولاً أن يضعه حجر عثرة فى طريق نجاحك.

لكى تنجح فى مواجهة النقد الهدام عليك أن تواجه ناقدك بابتسامة رقيقة تثبت له من خلالها أن كلماته عديمة التأثير لأنها ليست حقيقية، وبعبارة رقيقة تحاول من خلالها أن تمتص حدة هجومه تذكر له فيها أن ملاحظاته القيمة ستأخذها فى اعتبارك عندما تقوم بتقييم ما قاله من نقد، ولا تحاول الدخول فى مواجهة لإثبات خطأ ما يقوله.

وأكِّد لمن يحاول انتقادك انتـقاداً ظالمًا أن النقد لا يؤثر فيك بالسلب على الإطلاق؛ وأنه لا يمثل أى نوع من الحساسية بالنسبة لك، وأنها وجهات نظر، وأنك تحترم وجهات نظر وآراء الآخرين، ولا تستطيع أن تنتقدهم نقدًا قد يسبب لهم الغضب أو الإحراج.

وينبغى أن نُفرق بين هذا النقد الهدَّام وبين ما يقدمه لنا إخواننا من نُصح وتصحيح لأخطائنا وعيوبنا،... والعصمة للأنبياء وحدهم، وكل ابن آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون.

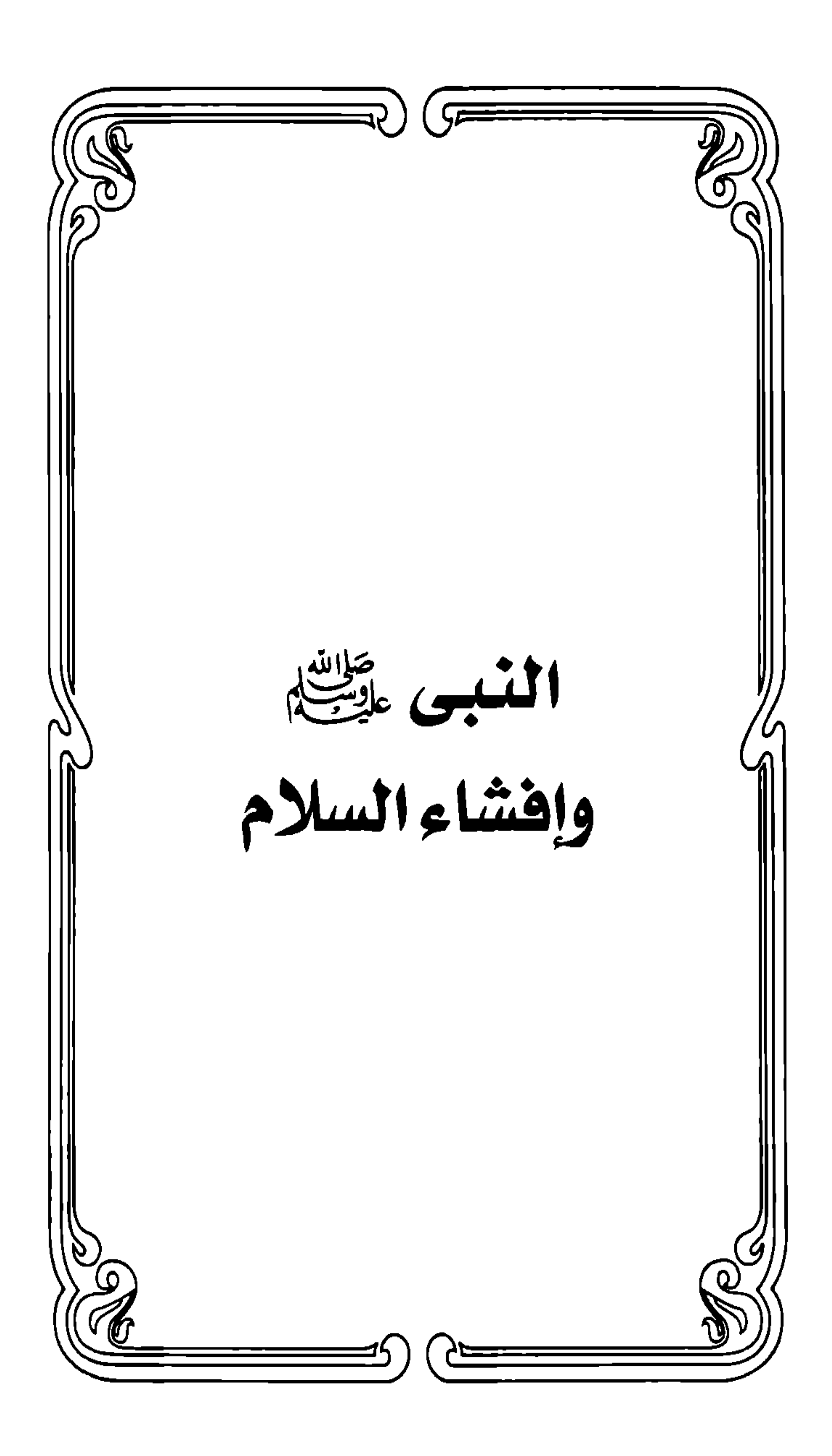
١١- كن طموحًا وانظر دائمًا إلى الأمام: النجاح فى الحياة وتحقيق الطموحات والأهداف المرجوَّة ليس شعارًا يُرفع فحسب، ولكنه رغبة أكيدة يلزم لتحققها معرفة الطرق التى يمكن من خلالها الوصول إلى ذلك.

١٢- لا تستسلم لأزماتك النفسية، وقُم بحلها بالطرق الصحيحة:

كثيرًا ما نشعر بالملل والسأم والضيق، ولا نجد سببًا مباشرًا وظاهرًا لتلك الظاهرة، وينعكس ذلك الشعور السلبى على حياتنا بصفة عامة، وعلى أعمالنا بصفة خاصة؛ مما يسبب لنا متاعب لا حصر لها قد تصل إلى حد الإحباط والفشل وعدم تحقيق النجاح المرجو.

* أسأل الله أن يرزقنى وإياكم نعمة الأمل.

* * *



النبى ﷺ وإفشاء السلام

النبى ﷺ وإفشاء السلام

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته... وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.

فلما دخلنا وجدنا النبى ﷺ جالسًا مع بعض أصحابه يعلمهم حقًّا من حقوق المسلم على أخيه المسلم فقال لهم ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا أوَ لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[١].

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة إفشاء السلام.

إفشاء السلام

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾[٢]، وقال تعالى: **﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾**[٣]، وقال تعالى: **﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾**[٤]، وقال تعالى: **﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٢) سورة النور: الآية: (٢٧).

(٣) سورة النور: الآية: (٦١).

(٤) سورة النساء: الآية: (٨٦).

الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾[1] .

والسلام بمعنى: الدعاء بالسلامة من كل آفة، فإذا قلت لشخص: (السلام عليك) فهذا يعنى أنك تدعو له بأن الله يُسلِّمه من كل آفة: يسلمه من المرض، من الجنون، يسلمه من شر الناس، يسلمه من المعاصى وأمراض القلوب، يسلمه من النار. . . فهو لفظ عام، معناه: الدعاء للمُسَلَّمِ عليه بالسلامة من كل آفة.

وكان الصحابة ﷺ من محبتهم لله عز وجل كانوا يقولون فى صلاتهم: السلام على الله من عباده، السلام على جبريل، السلام على فلان وفلان، فنهاهم النبى ﷺ أن يقولوا: السلام على الله، السلام على عباده، وقال: «إن الله هو السلام» يعنى: السالم من كل عيبٍ ونقصٍ - جل وعلا - فلا حاجة أن تُثنوا عليه بالدعاء بأن يُسَلِّمَ نفسه. ثم قال لهم: قولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم ذلك سَلَّمتم على كل عبد صالح فى السماء والأرض»[2] .

ولا أدرى هل نحن نستحضر هذا إذا قلنا فى الصلاة: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؟! لا أدرى هل نحن نستحضر أننا نُسلِّم على أنفسنا، . . . السلام علينا، وعلى كل عبدٍ صالح فى السماء والأرض، يعنى نُسلِّم على الأنبياء، ونسلم على الصحابة، ونسلم على التابعين لهم بإحسان، ونسلم على أصحاب الأنبياء، كالحواريين أصحاب عيسى، والذين اختارهم موسى - عليه الصلاة والسلام - سبعين رجلاً، وغير ذلك؟! هل نحن نستحضر أننا نُسلم على جبريل وعلى ميكائيل وعلى إسرافيل وعلى مالك خازن النار وعلى خازن الجنة وعلى جميع الملائكة؟! لا أدرى هل

---

(١) سورة الذاريات: الآيات: (٢٤ ـ ٢٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٨٣١) كتاب الأذان، ومسلم (٤٠٢) كتاب الصلاة.

نحن نستحضر هذا أم لا؟ إن كنا لا نستحضر فيجب أن نستحضر ذلك؛ لأن الرسول ﷺ قال: «إنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح فى السماء والأرض».

والسلام مشروعٌ بين المسلمين، مأمورٌ بإفشائه، . . . قال النبى ﷺ: «والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أفلا أخبركم بشىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم». يعنى أظهروه. . أعلنوه.

وصدق رسول الله ﷺ ؛ إن إفشاء السلام بين الناس من أسباب المحبة، ولذلك إذا لاقاك رجل ولم يُسلِّم عليك كرهتَه، وإذا سلم عليك أحببته - وإن لم يكن بينك وبينه معرفة -؛ ولهذا كان مِنْ حُسْنِ الإسلام أن تفشى السلام، وأن تقرأ السلام على مَن عرفت ومن لم تعرف [١].

قال ﷺ : «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلِّم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحَمِدَ الله فشمِّته وإذا مرض فعُدْهُ، وإذا مات فاتبعه»[٢].

ولنا مع هذا الحديث العظيم وقفة يسيرة . . فلقد بدأ النبى ﷺ تلك الحقوق بالسلام، وذلك لأن السلام سبب لإيجاد المحبة بين المؤمنين كما جاء فى الحديث . . ولكن المقصود هنا ليس ذات السلام بل المقصود هو ثمرة السلام -ولك الأجر على ذات السلام إن شاء الله- فثمرة السلام هى تأليف قلوب المؤمنين . . . وهناك أُناس يجعلون السلام بينهم وسيلة للبغضاء فهو لا يُسلم على أخيه إلا وهو عابس الوجه . . . ونسى هذا الأخ الكريم أن ابتسامته فى وجه أخيه المسلم صدقة . . ونسى أن الإسلام جعل السلام سببًا لتماسك الأمة واجتماعها على الحب فى الله ولم يجعله سببًا لتفرقها

(١) شرح رياض الصالحين / الشيخ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله) (٣/ ٣-٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

واختلافـها .. بل ربما يقف العبد بين يـدى الله تعالى فتستـوى حسناته مع سيئاته فتأتى حسنة من ابتسامته فى وجه أخيه المسلم فتُدخله الجنة.

فهيا يا أخى استجب لنداء رسول الله ﷺ وسلِّم على مَن تعرف ومن لا تعـرف فإن مـن أشراط السـاعـة أن الرجل لا يُلقى السـلام إلا على من يعرفه.

قال رسول الله ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل، لا يسلم عليه إلا للمعرفة»[1].

وفى رواية له: «إن بين يدى الساعة تسليم الخاصة»[2].

وهذا أمرٌ مـشاهد فى هذا الزمن، فكثيـر من الناس لا يسلمون إلا على من يعرفون، وهذا خلاف السـنة، فـإن النبى ﷺ حثَّ على إفشاء السلام على من عـرفت ومن لم تعـرف، وأن ذلك سـبب فى انتـشار المحـبـة بين المسلمين التى هى سبب للإيمان الذى به يكون دخول الجنة.

* **وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال:** أوّل ما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل[3] الناسُ إليه فكنتُ فيمن جاءه، فلما تأمَّلتُ وجهه واستبنتُه[4] عرفتُ أن وجهه ليس بوجه كذّاب. قال: فكان أوّل ما سـمعتُه من كلامه أنْ قال: **«أيهـا الناس أفشـوا السـلام، وأطعـموا الطـعام، وصِلوا الأرحـام، وصلّوا بالليل والناسُ نيام تدخلوا الجنة بسلام»[5].**

* **وعن أبى مالك الأشعـرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن فى الجنة غُرفًا**

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٣٨٣٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السـلسلة الصحيحة (٦٤٨).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٣٨٦٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السـلسلة الصحيحة (٦٤٧).

(٣) انجفل الناس: أى: أسرعوا ومضوا كلهم.

(٤) استبنته: أى: تحققته وتبينته.

(٥) **صحيح:** رواه الترمذى (٢٤٨٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السـلسلة الصحيحة (٥٦٩).

يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناسُ نيام»(١) .

تعليم الله (سبحانه وتعالى) السلام لآدم وذريته

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال: اذهب فسلِّم على أولئك النَّفَر من الملائكة جلوس فاستمع ما يُحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله»(٢) .

فبيَّن الحديث: أن المولى سبحانه علَّم آدم السلام وبيَّن له أنه تحيته وتحية ذريته من بعده.

وجاء فى الحديث: رد الملائكة على آدم «السلام عليك ورحمة الله» بزيادة: «ورحمة الله». وهذا يبين مشروعية الزيادة فى الرد على الابتداء، وردُّ السلام واجب والزيادة سُنة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٣) .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ فيه حث على فعل الزيادة، وفيه إشارة للمؤمنين على أن الله تعالى يثيبهم على إحسانهم ويجزيهم به.

والسلام كان تحية إبراهيم للملائكة... قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾(٤) .

وتبين الآية: أن تحية إبراهيم عليه السلام أعظم من تحية الملائكة له كما

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٣٤٣) ، قال الهيثمى (٣/١٩٢) : رجاله ثقات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٢٣٢) .

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٢٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٤١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) سورة النساء: الآية: (٨٦).

(٤) سورة الذاريات: الآيتان: (٢٤-٢٥).

تفيده الجملة الاسمية (سلام) فتحية الملائكة جاءت باسم منصوب (سلامًا) متضمن لجملة فعلية تقديرها: سلَّمنا عليك سلامًا. والجملة الفعلية تقتضى التجديد والحدوث. وتحية إبراهيم جاءت جُملة اسمية (سلام) والتى تفيد الثبوت واللزوم، فكانت تحية إبراهيم أعظم لتضمُّنها الثبوت والدوام.

والله سبحانه وتعالى كرَّم أنبيائه: بأن سلَّم عليهم وأمَّنهم.

قال تعالى: ﴿ سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾(١)، ﴿ سَلامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾(٢)، ﴿ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾(٣).

أى: سلامٌ عليكم من غضبى، سلام عليكم من عذابى، سلام عليكم من سخطى، سلام عليكم من كل ما تكرهون وما أكره.

أما عيسى عليه السلام فقد ذكر له سلامًا خاصًا لأنه يحتاج إلى سلام من نوع جديد. سلام متجدد فى الأرض وينتقل إلى السماء ويمتد إلى أن ينزل مرة أخرى إلى الأرض؛ فيحتاج إلى سلام جديد متواصل إلى أن يموت ويُدفَن فى آخر الزمان فجاء القرآن فقال: ﴿ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾(٤).

وأمر المولى سبحانه رسوله ﷺ والمؤمنين بإفشاء السلام.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٦).

---

(١) سورة الصافات: الآية: (٧٩).

(٢) سورة الصافات: الآية : (١٠٩).

(٣) سورة الصافات: الآية: (١٨١).

(٤) سورة مريم: الآية: (٣٣).

(٥) سورة الأنعام: الآية: (٥٤).

(٦) سورة النور: الآية: (٢٧).

وجاء الأمر من الله للمؤمنين بالتسليم على النبى ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1] .

صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة... وصلاة الملائكة: الدعاء، ثم أمر تعالى العالم السُّفْلِى بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع له الثناء من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعًا.... ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، السلام على النبى بمعنى التحية والانقياد والإذعان له وترك المخالفة. وأن يَجعلوه سالمًا من الأذية القولية أو الفعلية.. فالله أمَّنه وحفظه.. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2] .

وتحية المولى سبحانه للمؤمنين يوم القيامة فى دار السلام، هى السلام قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾[3] ، أى: يسلِّم المولى تعالى عليهم كقوله سبحانه: ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[4] .

كما أن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب قائلين: سلام عليكم أى: أمان وأمنة لكم فلا خوف ولا حزن.

وكذلك تحية المؤمنين فيما بينهم عند التلاقى والتزاور فى الجنة هى (السلام)... قال تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5] .

عن عبد الله بن مسعود قال: قال ﷺ : «إن السلام اسم من أسماء الله وضعه الله فى الأرض فأفشوه فيكم فإن الرجل إذا سلَّم على القوم فردُّوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم فإن لم يردُّوا عليه ردَّ عليه من هو خيرٌ منهم وأطيب»[6][7] .

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٦٧).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٤٤).

(٤) سورة يس: الآية: (٥٨).

(٥) سورة يونس: الآية: (١٠).

(٦) **صحيح:** رواه الطبرانى (رقم ١٠٣٩١) ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٦٣٨).

(٧) إفشاء السلام وصية خير الأنام ﷺ / أ. أمانى عطا (ص:٥-١٠).

آداب السلام(١)

*** الأدب الأول: إفشاء السلام:**

فإن هذا مما أمر به الرسول ﷺ، فقد قال ﷺ: **«أفشِ السلام، وأطعم الطعام، وصِل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، وادخل الجنة بسلام»**(٢) فإفشاء السلام من الخصال الموجبة لدخول الجنة، المورثة لها، كما قال ﷺ: **«أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، تورَثوا الجنان»**(٣)، وجعل إفشاء السلام سببًا للسلامة فى الدنيا والآخرة، كما قال ﷺ: **«أفشوا السلام تسلموا»**(٤). وجعله كذلك سببًا لعلو المكانة فى الدنيا والآخرة، فقال ﷺ: **«أفشوا السلام كى تعلوا»**(٥)، وجعل إفشاء السلام، ونشره فى المجتمع، وإلقاءه على الناس من خير خصال الإسلام، فقال ﷺ لما سُئل: أى الإسلام خيرٌ؟ قال: **«تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»**(٦).

وهذا الإفشاء للسلام يشمل البدء بالسلام، وردُّ السلام على من بدأ به، وهو من الأمور التى تؤدى إلى نشر المحبة والوئام بين أفراد المجتمع المسلم، كما قال ﷺ: **«أفشوا السلام بينكم تحابوا»**(٧)، وقال ﷺ: **«والذى نفسى**

---

(١) بتصرف من موسوعة الآداب الإسلامية / أ. عبد العزيز ندا - حفظه الله -.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٧٨٧٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٨٥).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (١٨٥٤) كتاب الأطعمة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٦٦).

(٤) حسن: رواه أحمد (١٨٠٥٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٩٣).

(٥) أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٨/ ٣٠) ، والترغيب والترهيب (٣/ ٢٨٦) . قال المنذرى (٣/ ٢٨٦) : بإسناد حسن . وقال الهيثمى (٨/ ٣٠) : إسناده جيد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٨٨).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (١٢) كتاب الإيمان، ومسلم (٣٩) كتاب الإيمان.

(٧) صحيح: رواه الحاكم (٤/ ١٨٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٨٦).

بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَ لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[١].

*** الأدب الثانى: أن يبدأ المرء من لقيه بالسلام:**

فإن هذا من حق المسلم على أخيه المسلم، كما قال ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه ..»[٢] وكذلك قال ﷺ أيضًا: «إذا لقى الرجل أخاه المسلم فليقل: السلام عليكم ورحمة الله»[٣]، وسُئل ﷺ: الرجلان يلتقيان، أيهما يبدأ بالسلام؟ فقال: «أولاهما بالله»[٤].

*** الأدب الثالث: الحرص على استعمال تحية الإسلام:**

وهى التحية التى شرعها الله تعالى لعباده، والتى تُعد شعارًا للمسلمين، وهى تحية الملائكة، وتحية أهل الجنة، وهى قول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فإن النبى ﷺ قال: «لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذنه، فقال له ربه: يرحمك الله يا آدم! اذهب إلى أولئك الملائكة - إلى ملإ منهم جلوس - فقل: السلام عليكم. قالوا: وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال: إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم..»[٥].

فينبغى الحرص على هذه التحية، وعدم العدول عنها إلى غيرها، كما يفعل بعض الناس الذين يعرضون عن تحية الإسلام، ويستعملون غيرها، فيقولون: صباح الخير . . ونحوها.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٢٩) كتاب الأدب، والترمذى (٢٧٢١) كتاب الاستئذان والآداب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٣٦٧).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٩٤) كتاب الاستئذان والآداب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٧٠٣).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٦٨) كتاب تفسير القرآن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٤٦٦٢).

*** الأدب الرابع: الحرص على إلقاء السلام كاملاً:**

فإن ذلك أعظم للأجر، وأكمل وأحسن، وقد جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: السلام عليكم، فقال النبى ﷺ : «عشر». وجاء آخر فقال: السلام عليك ورحمة الله، فقال النبى ﷺ : «عشرون» وجاء ثالث فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال النبى ﷺ : «ثلاثون»(١). يقصد بذلك الحسنات، فكلما كان السلام أكمل كلما كان الأجر أعظم.

*** الأدب الخامس: وجوبُ ردِّ السلام لمن أُلقى عليه السلام:**

فيجب على الإنسان إذا أُلقى عليه السلام أن يرد السلام، قال ﷺ : «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»(٢) ويجزئ عن الجماعة الجالسين أن يرد أحدهم لقوله ﷺ : «يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم، ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم»(٣).

*** الأدب السادس: رد التحية بأحسن منها أو بمثلها:**

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾(٤)، وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يرد السلام بأكثر مما أُلقى عليه، فإذا قال له أحد: السلام عليكم. قال: وعليكم السلام ورحمة الله. وإذا قال له: السلام عليكم ورحمة الله. قال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وإذا قال له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ومغفرته.

*** الأدب السابع: اجتناب تحية الموتى:**

وهى أن يقال: عليك السلام يا فلان. بل يقول: السلام عليك .. فإن

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٦٨٩) كتاب الاستئذان والآداب، وأحمد (١٩٤٤٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٤٦٤٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٤٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

(٣) حسن: رواه أبو داود (٥٢١٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٤٦٤٨).

(٤) سورة النساء: الآية: (٨٦).

النبى ﷺ أتاه رجل فقال له: عليك السلام يا رسول الله! فقال له النبى ﷺ : «لا تقل: عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى»[١].

* **الأدب الثامن: عدم التشبه بغير المسلمين فى تحيتهم:**

سواء كان التشبه بهم فى حركاتهم، أو فى ألفاظهم؛ فإن مشابهتهم محرمة. وقد نهى عنها النبى ﷺ حيث قال: «ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا النصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف»[٢].

وقال ﷺ أيضًا: «تسليم الرجل بإصبع واحدة يشير بها فعل اليهود»[٣]، فتحصل من ذلك تحريم الإشارة بالأكف فقط، أو بالإصبع فقط، كما يفعل كثير من الناس، لكن لو أنه أشار بيده مع إلقاء السلام بلسانه إذا كان الشخص بعيدًا لكى ينبهه، فإنها لا تدخل فى هذا الباب - إن شاء الله - ومما يندرج فى هذا الباب - وينبغى أن يحذر منه الإنسان - التشبه بغير المسلمين فى ألفاظ سلامهم، كمن يقابل أخاه فيقول له: بُنجور، أو جودمورنج، أو بُنْسوار، أو نحو ذلك، فهذا لا يجوز بحال، وهو مما يقع تحت طائلة الأحاديث المذكورة.

* **الأدب التاسع: عدم بدء أهل الكتاب وغير المسلمين بالسلام:**

فإن هذا مما نهى عنه النبى ﷺ ، فقد قال ﷺ : «لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروهم إلى أضيقه»[٤].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٢٠٩) كتاب الأدب، والترمذى (٢٧٢١) كتاب الاستئذان والآداب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٤٠٢).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٦٩٥) كتاب الاستئذان والآداب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢١٩٤).

(٣) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٣/٣٩٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧٨٣).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٦٧) كتاب السلام.

ولا يعنى ذلك أن نتعرض لأهل الكتاب بالإيذاء أو السبّ فإن هذا من الظلم الذى لا يُقره الإسلام.. وإنما المقصود هنا هو إظهار عزة المسلم فى الأرض.

*** الأدب العاشر: رد تحية غير المسلم بقول: وعليكم:**

فإن نفراً من اليهود مروا بالنبى ﷺ فقالوا له: السام عليك. فقال لهم: «وعليكم..»(١)، وقال ﷺ : **«إن اليهود إذا سلم عليكم أحدهم فإنما يقول: السام عليكم، فقولوا: وعليكم»**(٢).

*** الأدب الحادى عشر: يبدأ الصغير والقليل والراكب بالسلام:**

وهذا كله مما أرشدت إليه الأحاديث النبوية الصحيحة فى هذا الباب، فإذا تقابل رجل مع أكثر من رجل سلم عليهم، أو مجموعة مع مجموعة أكبر منهم، فعلى المجموعة الأقل أن يبدؤا بالسلام. وإذا تقابل صغير مع كبير يبدأ الصغير بالسلام. وإذا تقابل راكب مع ماشٍ يبدأ الراكب بالسلام، ويبدأ الماشى بالسلام على القائم، والقائم يسلم على القاعد، وراكب السيارة أو الدراجة يبدأ بالسلام على الماشى أو القاعد، وكل ذلك قد أمر به النبى ﷺ ، حيث قال: **«ليسلِّم الراكب على الراجل، وليسلم الراجل على القاعد، وليسلم الأقل على الأكثر، فمن أجاب السلام فهو له، ومن لم يجب فلا شيء له»**(٣)، وقال ﷺ : **«يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير»**(٤)، وقال: **«يسلم الفارس على الماشى، والماشى على القائم، والقليل على الكثير»**(٥).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٠٢٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٦٥) كتاب السلام.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٩٢٨) كتاب استتابة المرتدين، ومسلم (٢١٦٤) كتاب السلام.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٨١١٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢١٩٩).

(٤) **صحيح**: رواه البخارى (٦٢٣١) كتاب الاستئذان.

(٥) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٧٠٥) كتاب الاستئذان والآداب، وأحمد (٢٣٤٢٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١١٥٠).

ث. وإذا مر رجل كبير بعدد من الصبيان سلم عليهم كما سيأتى فى الأدب العشرين إن شاء الله، وكذلك إذا كان الراكب كبيرًا والماشى صغيرًا سلم الراكب على الماشى، وإذا كان الماشى كبيرًا والقاعد صغيرًا سلم الماشى على القاعد.

*** الأدب الثانى عشر: السلام عند مفارقة المجلس والخروج منه:**

وبعض الناس يغفل عن هذا الأدب، فإذا دخل المجلس سلَّم، ثم إذا خرج لحاجة فإنه لا يسلم، وهذا خلاف السنة فإن النبى ﷺ قال: «**إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة**»[1]، وهكذا من باب أولى أن يعيد السلام إذا عاد إلى المجلس ثانية. وإفشاء السلام يزيد المحبة كما سبق. خلافًا لما يزعمه الجهال من أنه ينقصها، فينبغى عدم إهمال هذا الأمر.

*** الأدب الثالث عشر: التصافح مع السلام عند التقابل:**

وهذا من آداب السلام التى ندب إليها الإسلام، فإذا لقى المؤمن أخاه المؤمن فينبغى له إضافة إلى إلقاء السلام أن يأخذ بيده، ويصافحه، فإن فعل هذا فله أجر كبير، وهو مما يقوى المودة بين المسلمين، وقد قال ﷺ : «**ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان، إلا غُفر لهما قبل أن يفترقا**»[2]، وقال ﷺ : «**إن المؤمن إذا لقى المؤمن فسلم عليه، وأخذ بيده فصافحه، تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر**»[3]، وقد سُئل النبى ﷺ : يا رسول الله! الرجل منا يلقى أخاه، أو صديقه، أينحنى له؟ قال: «لا». قال: فيلتزمه ويقبله؟

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥٢٠٨) كتاب الأدب، والترمذى (٢٧٠٦) كتاب الاستئذان والآداب، وأحمد (٧١٠٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٨٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٢١٢) كتاب الأدب، والترمذى (٢٧٢٧) كتاب الاستئذان والآداب، وابن ماجه (٣٧٠٣) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٢٥).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (١/ ٨٤) قال الهيثمى (٨/ ٣٦): يعقوب بن محمد بن الطحلاء روى عنه غير واحد ولم يضعفه أحد وبقية رجاله ثقات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٦٩٢).

قال: «لا». قال: فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: «نعم»[١]، فدل هذا الحديث على استحباب المصافحة، وعلى عدم جواز الانحناء، كما يفعله البعض تشبهًا بالكفار، وعلى عدم جواز المعانقة كما هى حال الكثير.

*** الأدب الرابع عشر: إعادة السلام إذا حال حائل بين الشخصين:**

وهذه سنة عظيمة، لا يفعلها كثير من الناس، وهى أنه لو كان شخصان يمشيان، ثم افترقا حول جدار، أو شجرة، أو عمود، أو غيره، ثم التقيا بعد أن يجتازا الحائل، فينبغى لهما أن يتبادلا السلام ثانية، وقد قال ﷺ: **«إذ اصطحب رجلان مسلمان، فحال بينهما شجر، أو حجر، أو مدر، فليسلم أحدهما على الآخر، ويتبادلوا السلام»**[٢].

*** الأدب الخامس عشر: السلام قبل السؤال والكلام:**

فلا يبدأ الشخص بسؤال إنسان عن شىء، أو بتكليمه إلا بعد أن يسلم أولاً؛ لقوله ﷺ: «السلام قبل الكلام»[٣]؛ ولقوله ﷺ: «السلام قبل **السؤال، فمن بدأكم بالسؤال قبل السلام فلا تجيبوه»**[٤].

*** الأدب السادس عشر: عدم السلام عند قضاء الحاجة:**

فلا ينبغى إلقاء السلام على إنسان جالس على بول أو غائط، ولا يجوز لهذا أن يرد السلام، فإن النبى ﷺ سلم عليه رجل وهو يقضى حاجته، فلم يرد عليه النبى ﷺ، وقال له: **«إنى كرهت أن أذكر الله عز وجل إلا على طهر»**[٥].

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٧٢٨) كتاب الاستئذان والآداب، وابن ماجه (٣٧٠٢) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٦٠).

(٢) صحيح: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٦/ ٤٥١)، قال المناوى (١/ ٢٨٨): فيه بقية، وحاله مشهور لكن له شواهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٩٦٢).

(٣) رواه الترمذى (٢٦٩٩) كتاب الاستئذان والآداب.

(٤) حسن: أورده ابن عدى (٥/ ٢٩٠)، ترجمة ١٤٢٩ عبد العزيز بن أبى رواد)، وقال: قال البخارى: كان يرى الإرجاء، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٨١٦).

(٥) مسلم (٣٧٠) عن ابن عمر. والزيادة من قوله ﷺ لأبى داود (١٧)، عن المهاجر بن قنفذ، صحيح أبى داود (١٣).

* **الأدب السابع عشر: إعادة السلام ثلاثًا، خصوصًا إذا لم يسمع:**

فإن النبى ﷺ كان إذا سلَّم سلَّم ثلاثًا، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا[1]، ولاسيما إذا سلم الشخص على آخر بعيد عنه لا يسمعه.

* **الأدب الثامن عشر: خفض الصوت بالسلام إذا دخل على نائمين:**

فإن النبى ﷺ كان يفعل ذلك، حتى يُسمع المستيقظين، ولا يزعج النائمين، فجاء أنه ﷺ: «كان يدخل من الليل، فيسلم تسليمًا لا يوقظ النائم، ويُسمع اليقظان»[2].

* **الأدب التاسع عشر: إذا مرَّ على مجلس فيه مسلمون ومشركون سلَّم:**

وذلك تعظيمًا لحق الإسلام، فإن النبى ﷺ: «مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم»[3].

* **الأدب العشرون: التسليم إذا مرَّ على صبيان:**

فإن هذا مما يؤلف قلوبهم، ويطيب نفوسهم، فإن النبى ﷺ: «مر على صبيان فسلم عليهم»[4] وهذا من تواضعه ﷺ. وللأسف فإنه يوجد من يستنكف عن فعل هذا. ويرى أن تسليم الرجل على الصغار يحط من شأنه، وفعل النبى ﷺ خير ردٍّ على هذا.

* **الأدب الحادى والعشرون: استحباب تبليغ السلام من شخص لآخر:**

فإن النبى ﷺ قال لعائشة: «إن جبريل يقرأ عليك السلام»[5] فقالت عائشة رضي الله عنها: «وعليه السلام ورحمة الله».

وقد أتى رجل إلى النبى ﷺ فقال: إن أبى يُقرئك السلام، فقال له:

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٦٢٤٤) كتاب الاستئذان.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٥٥) كتاب الأشربة.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٢٥٤) كتاب الاستئذان، ومسلم (١٧٩٨) كتاب الجهاد والسير.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٢٤٧) كتاب الاستئذان، ومسلم (٢١٦٨) كتاب السلام.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٢١٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٤٤٧) كتاب فضائل الصحابة.

«عليك وعلى أبيك السلام»(١). ولا شك أن هذا يدخل فى إفشاء السلام، وتأليف القلوب، وكل ذلك من مقاصد الشرع المطهر. وهو مما ينبغى الحرص عليه.

فينبغى لكل مسلم أن يتأدب بكل ما جاء فى هذا الفصل من آداب السلام، فإن لذلك أعظم الآثار، وأجملها، سواءً على الأفراد، أو الجماعات، ولا ينبغى أبدًا الاستهانة بهذه الآداب، أو إهمالها، وإلا حُرم الناس خيرًا كثيرًا.

ثمرات إفشاء السلام

ينبغى أن نعلم أن ثمرات إفشاء السلام كثيرة جدًّا ولكن سأكتفى بذكر بعضها عسى أن نحرص من الآن على إفشاء السلام لنفوز بالأجر والثواب فى الدنيا والآخرة.

(١) إفشاء السلام امتثال لأمر الله (جل وعلا)؛

حسبُك بإفشاء السلام أنك بذلك تمتثل أمر الله (جل وعلا).

فالخير كل الخير فى امتثال أمر الله.. والشر كل الشر فى مخالفة أمره.

(٢) إفشاء السلام قربة إلى الله (جل وعلا)؛

وذلك لأن إفشاء السلام طاعة لله.. وكل طاعة تُقرب العبد من الله (جل وعلا).

قال ﷺ: «إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام»(٢).

(٣) دليل على الإخلاص؛

فإن العبد إذا سلَّم على من يعرف ومن لا يعرف فهذا دليل على

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٥٢٣١) كتاب الأدب، وأحمد (٢٢٥٩٤)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح أبى داود (٤٣٥٨).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥١٩٧) كتاب الأدب، والترمذى (٢٦٩٤) كتاب الاستئذان والآداب، وقال العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠١١).

إخلاصه وتواضعه.

* ولقد سُئل رسول الله ﷺ: أى الإسلام خير؟ قال: «تُطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[١].

(٤) سبب فى إشاعة الحب والرحمة بين المسلمين:

فإفشاء السلام بين المسلمين سبب فى نشر روح الحب والمودة والرحمة بينهم... فإفشاء السلام يجلب الحب.. والحب يزيد الإيمان.. والإيمان يوصل إلى الجنة.

ولذا قال النبى ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَلا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[٢].

فالسلام سبب فى جلب المحبة بين الناس التى تجعلهم فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله.

قال ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى، اليوم أُظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى»[٣].

(٥) إفشاء السلام سبب لمضاعفة الحسنات:

جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: «السلام عليكم»، فردَّ عليه ثم جلس، فقال النبى ﷺ: «عشر».

ثم جاء رجل آخر فقال: «السلام عليكم ورحمة الله» فردَّ عليه فجلس، فقال: «عشرون».

ثم جاء رجل آخر: فقال: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، فردَّ عليه فجلس، فقال: «ثلاثون»[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٢) كتاب الإيمان، ومسلم (٣٩) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٦) كتاب البر والصلة.

(٤) حسن: رواه الترمذى (٢٦٨٩) كتاب الاستئذان والآداب، وأحمد (١٩٤٤٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٤٦٤٤).

(٦) إفشاء السلام سبب فى دخول الجنة:

قال ﷺ: «يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام وصِلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[1].

فضل المصافحة

* عن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يتفرقا»[2].

* وقال ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان فيُسلِّم أحدهما على صاحبه ويأخذ بيده لا يأخذ بيده إلا لله فلا يفترقان حتى يُغفر لهما»[3].

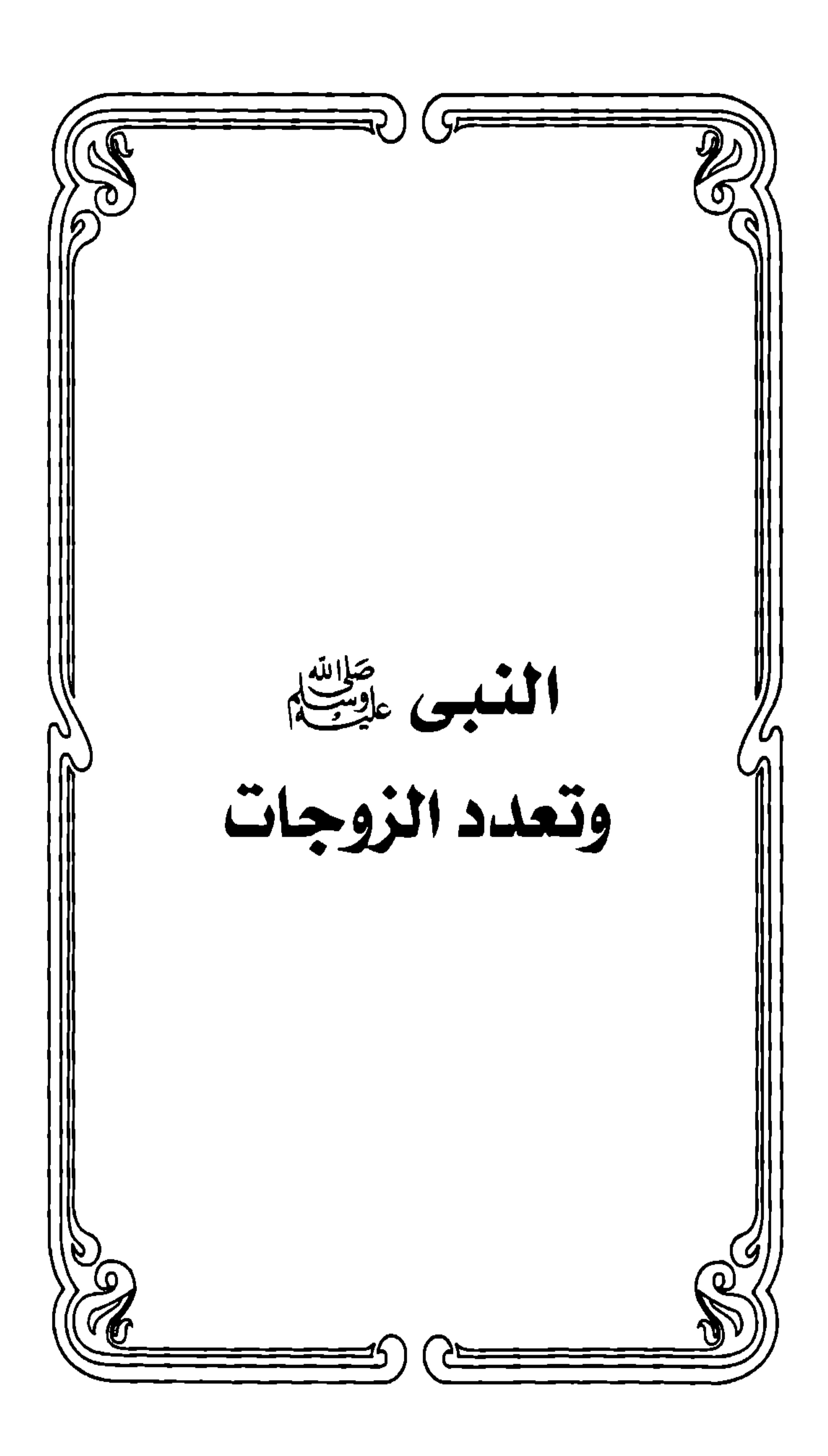
* أسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنا نعمة إفشاء السلام وأن يرزقنا ثمرته وهى الحب فى الله... وأن يجمعنا بهذا الحب فى الفردوس الأعلى.

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٨٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٥/ ٤٥١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٨٦٥).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٢١٢) كتاب الأدب، والترمذى (٢٧٢٧) كتاب الاستئذان والآداب، وابن ماجه (٣٧٠٣) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٢٥).

(٣) حسن: رواه أحمد (٤/ ٢٨٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٧٨).



النبى ﷺ وتعدد الزوجات

النبى ﷺ وتعدد الزوجات

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول فلما دخلنا وجدناه جالسًا مع أمهاتنا (أمهات المؤمنين) يعلمهن مما علمه الله ويُذكرهن بالله (جل وعلا)... فكانت كل واحدة منهن تتعلم الكتاب والسنة من النبى ﷺ لتنشر هذا الخير بعد ذلك بين نساء المسلمين.

* ونحن نعلم أن هناك من المستشرقين وأذنابهم من أثاروا شبهة تعدد زوجات النبى ﷺ.. فما رأيكم فى أن نرد عليهم فى هذه الليلة المباركة ليعرف الشرق والغرب قدر رسول الله ﷺ وقدر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع الحكمة من تعدد زوجات النبى ﷺ.

* * *

الحكمة من تعدد زوجات الرسول ﷺ

إن الحكمة من تعدد زوجات الرسول ﷺ كثيرة ومتشعبة، ويمكننا أن نُجملها فيما يلى:

أولاً: الحكمة التعليمية.

ثانيًا: الحكمة التشريعية.

ثالثًا: الحكمة الاجتماعية.

رابعًا: الحكمة السياسية.

*** أولاً: الحكمة التعليمية:**

لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد زوجات الرسول ﷺ هى تخريج بضع معلمات للنساء، يعلمنهن الأحكام الشرعية. فالنساء نصف المجتمع، وقد فُرض عليهن من التكاليف ما فُرض على الرجال... وقد كان الكثيرات منهن يستحين من سؤال النبى ﷺ عن بعض الأمور الشرعية، وخاصة المتعلقة بهن، كأحكام الحيض والنفاس والجنابة والأمور الزوجية، وغيرها من الأحكام، وقد كانت المرأة تغالب حياءها حينما تريد أن تسأل الرسول الكريم عن بعض هذه المسائل... كما كان من خُلق الرسول ﷺ الحياء الكامل، وكان - كما تروى كتب السنة أشد حياء من العذراء فى خدرها... فما كان عليه الصلاة والسلام يستطيع أن يجيب عن كل سؤال يُعرض عليه من جهة النساء بالصراحة الكاملة، بل كان يُكنّى فى بعض الأحيان، ولربما لم تفهم المرأة عن طريق «الكناية» مراده عليه السلام.

تروى السيدة عائشة أن امرأة من الأنصار، سألت النبى ﷺ عن غسلها من المحيض، فعلمها ﷺ كيف تغتسل، ثم قال لها: **«خذى فرصة ممسكة** [أى قطعة من القطن بها أثر الطِّيب] **فتطهرى بها...»** قالت: كيف

أتطهر بها؟ قال: «تطهرى بها» قالت: كيف يا رسول الله أتطهر بها؟ فقال: «سبحان الله تطهرى بها».

قالت عائشة رضي الله عنها: فاجتذبتها من يدها، فقلت لها: ضعيها فى مكان كذا وكذا، وتتبعى بها أثر الدم، وصرحت لها بالمكان الذى تضعها فيه[١].

فكان صلوات الله وسلامه عليه يستحى من مثل هذا التصريح وهكذا كان القليل أيضًا من النساء من تستطيع أن تتغلب على نفسها، وعلى حيائها، فتجاهر النبى ﷺ بالسؤال عما يقع لها.

فآخذ مثلاً لذلك حديث (أم سلمة) المروى فى الصحيح، وفيه تقول: «وجاءت أم سُليم (زوج أبى طلحة) إلى رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله إن الله لا يستحى من الحق... هل على المرأة من غسل إذا هى احتلمت؟ فقال لها النبى ﷺ: «نعم إذا رأت الماء». فقالت أم سلمة: لقد فضحت النساء، ويحك أوَ تحتلم المرأة؟ فأجابها النبى الكريم بقوله: «إذًا فبمَ يُشبهها الولد؟»»[٢].

وهكذا مثل هذه الأسئلة المحرجة، كان يتولى الجواب عنها فيما بعد زوجاته الطاهرات... ولهذا تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «رحم الله نساء الأنصار، ما منعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين»[٣]. وكانت المرأة منهن تأتى إلى السيدة عائشة فى الظلام لتسألها عن بعض أمور الدين، وعن أحكام الحيض والنفاس والجنابة وغيرها من الأحكام، فكان نساء الرسول خير معلمات موجهات لهن، وعن طريقهن تفقه النساء فى دين الله.

ثم إنه من المعلوم أن السنة المطهرة ليست قاصرة على قول النبى ﷺ فحسب، بل هى تشمل قوله، وفعله، وتقريره... وكل هذا من التشريع

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٤) كتاب الحيض، ومسلم (٣٣٢) كتاب الحيض.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٠) كتاب العلم، ومسلم (٣١٣) كتاب الحيض.

(٣) التمهيد لابن عبد البر.

الذى يجب على الأمة اتباعه، فمن ينقل لنا أخباره وأفعاله عليه السلام فى المنزل غير هؤلاء النسوة اللواتى أكرمهن الله فكن أمهات المؤمنين وزوجات لرسوله الكريم فى الدنيا والآخرة؟

لا شك أن لزوجاته الطاهرت رضوان الله عليهن أكبر الفضل فى نقل جميع أحواله، وأفعاله المنزلية عليه أفضل الصلاة والتسليم.

ولقد أصبح من هؤلاء الزوجات معلمات ومُحدِّثات نقلن هديه عليه السلام، واشتهرن بقوة الحفظ والنبوغ والذكاء. ومن أوضح الأمثلة عائشة رضي الله عنها.

ثانيًا: الحكمة التشريعية:

وهذه الحكمة ظاهرة تُدرَك بكل بساطة، وهى أنها كانت من أجل إبطال بعض العادات الجاهلية المستنكرة... ونضرب مثلاً (بدعة التبنى) التى كان يفعلها العرب قبل الإسلام، فقد كانت دينًا متوارثًا عندهم. يتبنى أحدهم ولدًا ليس من صُلبه، ويجعله فى حكم الولد الأصلى، ويتخذه ابنًا حقيقيًا له حكم الأبناء من النسب فى جميع الأحوال، فى الميراث والطلاق والزواج ومحرمات المصاهرة ومحرمات النكاح، وإلى غير ما هنالك مما تعارفوا عليه وكان دينًا تقليديًا متَّبعًا فى الجاهلية.

وما كان الإسلام ليقرهم على باطل، ولا ليتركهم يتخبطون فى ظلمات الجهالة، فمهد لذلك بأن ألهم رسوله ﷺ أن يتبنى أحد الأبناء وهو زيد ابن حارثة رضي الله عنه وذلك قبل البعثة النبوية. وبعد ذلك زوَّجه عليه السلام بابنة عمته (زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها) وقد عاشت معه مدة من الزمن، ولكنها لم تطل فقد ساءت العلاقة بينهما فكانت تغلظ له فى القول وترى أنها أشرف منه لأنه كان عبدًا مملوكًا قبل أن يتبناه الرسول ﷺ وهى ذات حسب ونسب. ولحكمة يريدها الله طلق زيدٌ زينبَ وأمر الله رسوله ﷺ

أن يتزوجها ليبطل (بدعة التبنى) ويقيم أسس الإسلام ويأتى على الجاهلية من قواعدها.

ثالثًا: الحكمة الاجتماعية:

وهذه تظهر بوضوح فى تزوج النبى ﷺ بابنة الصدّيق الأكبر (أبى بكر) رضي الله عنه ووزيره الأول... ثم بابنة وزيره الثانى الفاروق (عمر) رضي الله عنه وأرضاه... ثم باتصاله عليه السلام بقريش اتصال مصاهرة ونسب، وتزوجه العديد منهن، مما ربط بين هذه البطون والقبائل برباطٍ وثيق، وجعل القلوب تلتف حوله وتلتقى حول دعوته فى إيمان، وإكبار، وإجلال.

لقد تزوج النبى ﷺ بالسيدة (عائشة) بنت أحب الناس إليه وأعظمهم قدرًا لديه، الذى كان أسبق الناس إلى الإسلام، وقدَّم نفسه وروحه وماله، فى سبيل نصرة دين الله، والذود عن رسوله، وتحمل ضروب الأذى فى سبيل الإسلام - حتى قال عليه السلام مشيدًا بفضل أبى بكر:

«ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه بها، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله تعالى بها يوم القيامة.... وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر. وما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له كبوة إلا أبا بكر فإنه لم يتلعثم، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله»[1].

فلم يجد رسول الله ﷺ مكافأة لأبى بكر فى الدنيا، أعظم من أن يُقر عينه بهذا الزواج بابنته، ويصبح بينهما (مصاهرة) وقرابة تزيد فى صداقتهما وترابطهما الوثيق.

كما تزوج صلوات الله وسلامه عليه بالسيدة (حفصة بنت عمر) رضي الله عنهما

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٦١) كتاب المناقب، وابن ماجه (٩٤) المقدمة وصححه العلامة الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٢٨٩٤).

فكان ذلك قرة عين لأبيها (عمر) على إسلامه وصدقه وإخلاصه وتفانيه فى سبيل هذا الدين. وعُمَر هو بطل الإسلام الذى أعزَّ الله به الإسلام والمسلمين ورفع به منار الدين، فكان اتصاله عليه السلام به عن طريق المصاهرة، خير مكافأة له على ما قدم فى سبيل الإسلام، وقد ساوى ﷺ بينه وبين وزيره الأول أبى بكر فى تشريفه بهذه المصاهرة، فكان زواجه بابنتيهما أعظم شرفٍ لهما، بل أعظم مكافأة ومنَّة، ولم يكن بالإمكان أن يكافئهما فى هذه الحياة بشرفٍ أعلى من هذا الشرف، فما أجمل سياسته وما أعظم وفاءه للأوفياء المخلصين.

كما يقابل ذلك إكرامه لعثمان وعلى رضي الله عنهما بتزويجهما بناته.... وهؤلاء الأربعة هم أعظم أصحابه، وخلفاؤه من بعده فى نشر ملته، وإقامة دعوته، فما أجلّها من حكمة، وما أكرمها من نظرة.

رابعًا: الحكمة السياسية:

لقد تزوج النبى ﷺ ببعض النسوة، من أجل تأليف القلوب عليه، وجمع القبائل حوله.... فمن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة، أو عشيرة، يصبح بينه وبينهم قرابة و(مصاهرة) وذلك بطبيعته يدعوهم إلى نُصرته وحمايته،... ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك لتتضح لنا الحكمة التى هدف إليها الرسول الكريم من وراء هذا الزواج.

١- تزوج ﷺ بالسيدة (جويرية بنت الحارث) سيد بنى المصطلق وكانت قد أُسرت مع قومها وعشيرتها، ثم بعد أن وقعت تحت الأسْر، أرادت أن تفتدى نفسها، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تستعينه بشىء من المال فعرض عليها أن يدفع عنها الفداء وأن يتزوج بها فقبلت ذلك فتزوجها فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ تحت أيدينا؟ (أى أنهم فى الأسْر)، فأعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم، فلما رأى بنو

المصطلق هذا النُّبل والسمو، وهذه الشهامة والمرْوءة أسلمـوا جميعًا، ودخلوا فى دين الله، وأصبحوا من المؤمنين.

فكان زواجه ﷺ بهـا بركة عليها وعلى قـومها وعشـيرتها، لأنه كان سببًا لإسلامهم وعتقهم، وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها.

أخرج البـخارى فى صحيـحه عن عائشة رضي الله عنها أنهـا قالت: «أصاب رسول الله ﷺ نساء بنى المصطلق، فأخـرج الخُمس منه ثم قسـمه بين الناس، فأعطى الفرس سهمـين والرجل سهمًا، فوقعت (جويرية بنت الحارث) فى سهم ثابت بن قيس، فجاءت إلى الرسول فـقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيـد قومه، وقد أصابنى من الأمـر ما قد علمت، وقد كاتبنى ثابت بن قيس على تسع أواقٍ، فأعنِّى على فكاكى، فقال عليه السلام: «أوَ خير من ذلك»، فقالت: ما هو؟ فقال: «أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك».... فقالت: نعم يا رسول الله. فقال ﷺ: «قد فعلت»[1].

وخـرج الخبـر إلى الناس فقـالوا: أصهـار رسول اللـه ﷺ يستـرقون؟ فأعتقوا مـا كان فى أيديهم من سبى بنى المصطلق، فبلغ عتـقهم مائة بيت، بتزوجه عليه الســلام بنت سيد قومه، وتحقق الأمل البعـيد المنشود من ورائه فأسلمت القبيلة كلها بإسلام جويرية، وأسلم أبوها الحارث وعاد هذا الزواج على المسلمين بالبركة والقوة والدعم المادى والأدبى معًا للإسلام والمسلمين.

أصبحت جويرية بنت الحارث زوجة لسيد المرسلين وأمًّا للمؤمنين، فكانت رضي الله عنها عالمة بما تسمع، وعاملة بما تعلم، فقيهة عابدة، تقية ورعة، نقية الفؤاد، مضيئة العقل، مشرقة الروح، تحب الله ورسوله وتحب الخير للمسلمين.

وكانت رضي الله عنها تروى من حـديث رسول الله ﷺ، ناقلة لحقـائق الدين من خزائنها عند من تنزلت عليه ﷺ، يرويه عنها سدنة العلم من علماء

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى.

الصحابة ﷺ، لينشروه فى المجتمع المسلم علمًا وعملاً، وفى عامة المجتمع الإنسانى دعوة وهداية[١].

لقد حدَّث عن جويرية ﵁ ابن عباس، وعبيد بن السباق، وكريب مولى ابن عباس ومجاهد، وأبو أيوب يحيى بن مالك الأزدى، بلغ مُسندها فى كتاب بقى بن مخلد سبعة أحاديث[٢]. منها أربعة فى الكتب السنية، عند البخارى حديث، وعند مسلم حديثان، وقد تضمنت مروياتها أحاديث فى الصوم وحديث فى الدعوات وفى الزكاة، كما روت فى العتق، وبسبعة أحاديث شريفة خلَّدت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث ﵁ اسمها فى عالم الرواية، لتضيف إلى شرف صحبتها للنبى ﷺ وأمومتها للمسلمين، تبليغها الأمة سنن المصطفى ﷺ ما تيسر لها ذلك[٣].

وكانت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث ﵁ من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، القانتات الصابرات فى مجال مناجاة الله تعالى وتحميده وتقديسه وتسبيحه، . . . فهذه أم المؤمنين جويرية تحدثنا عن ذلك فتقول: إن النبى ﷺ خرج عندها بُكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فقال: **«ما زلت على الحال التى فارقتك عليها؟»** قالت: نعم. قال النبى ﷺ : **«لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وُزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته»**[٤].

٢- زواجه ﷺ «بصفية بنت حُيى بن أخطب» ﵁ وكانت صفية ﵁ قد أُسرت فى غزوة خيبر بعد قتل زوجها ووقعت (كما فى صحيح

---

(١) محمد رسول الله لمحمد صادق عرجون.

(٢) دور المرأة فى خدمة الحديث لآمال قرداش.

(٣) المصدر السابق.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٢٦) كتاب الذكر والدعاء.

البخارى) فى سهم أحد أصحـاب النبى ﷺ وهو دحية الكلبى رضي الله عنه فجاء رجل إلى النبى ﷺ فذكر له شأنها وقال أعطيت دحيـة صفية سيدة قريظة والنضير، إنها لا تصلح إلا لك، فقال: ادعُـها، فلما نظر إليهـا قال: خذ جارية من السبى غيرها، ففعل وخيَّرها النبى ﷺ بين أمرين:

(أ) إما أن يعتقها ويتزوجها ﷺ.

(ب) وإما أن يُطْلِقِ سراحها فتلحق بأهلها.

فاختارت رضي الله عنها أن يعتقها وتكون زوجة له، وذلك لما رأته من جلالة قدره وعظمته، وحسن معاملته... وقد أسلمت وأسلم بإسلامها عدد من الناس.

وبهذا الزواج الاختيارى أصبحت صفية بنت حُيى بن أخطب (سيد يهود بنى النضيـر وألدَ أعداء النبى ﷺ) إحدى أمـهات المؤمنين، تتسـاوى فى جمـيع الحقـوق مع عائشـة بنت أبى بكر الصـديق وحفـصة بنت عـمر بن الخطاب وكل زوجات النبى ﷺ [1].

* تفنيد تهمة خبيثة[2]:

هذا الزواج جـعل بعض مرضى النفـوس (وخاصـة أعداء الإسـلام من اليهود وغيرهم) يتهمون الرسول ﷺ بـأنه ما استرجع صفية وتزوجها إلا بدافع رغبة جسـدية. بينما الحقـيقة التى يؤكدها السياق أن الدافع لجعل النبى ﷺ صفية زوجـة له أسمى وأشرف من ذلك، وهو أن صفـية بنت ملك وزوجـة ملك، ومـثلها لا يوهـب كـما تـوهب السبـايا الأخريات. ولهـذا استرجعها النبى ﷺ من دحية رضي الله عنه، مما يدل على الباعث الإنسانى النبيل الذى فيـه تكريم لهذه السـيدة العظيـمة فى قومـها، وذلك حسب القـاعدة الإسلامـية الشـريفة «أكـرموا عـزيز قومٍ ذَلَّ»... وليس أكـرم لها وأجـبر

---

(١) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول عليه السـلام للصابونى.

(٢) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

لخاطرها من أن تكون زوجة النبى ﷺ بدلاً من أن تكون مملوكة عند رجل من عامة الناس.

وباعث آخر «للرد على مرضى النفوس» ألا وهو مواساة هذه السيدة العظيمة فى قومها وإعزازها وتكريمها.

روى الواقدى عن ابن أبى سبرة عن أبى حرملة عن أخته أم عبد الله عن ابنة أبى القين المزنى قالت: كنت آلف صفية من بين أزواج النبى ﷺ وكانت تحدثنى عن قومها وما كانت تسمع منهم ثم ذكرت حديثًا طويلاً إلى أن قالت، فقالت صفية: (فسُبيت فى حصن النزار) قبل أن ينتهى رسول الله ﷺ إلى الكتيبة (أحد الأودية فى الشطر الثانى لخيبر) فأرسل بى إلى رَحْلِه ثم جاءنا حين أمسى فدعانى، فجئت وأنا مُقنَّعة حيية فجلست بين يديه فقال: «**إن أقمت على دينك لم أكرهك وإن اخترتِ الله ورسوله فهو خير لك**»، فقالت: أختار الله ورسوله والإسلام... فأعتقنى الرسول ﷺ وتزوجنى[1].

وعن صفية ﵂ أنها قالت: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وما أحد أكره إلىَّ منه، قتل أبى وزوجى وقومى، فقال: «**يا صفية أما إنى أعتذر إليك مما صنعت بقومك إن قومك صنعوا كذا وكذا**» (وأخذ يعدد الأسباب التى حملته على أن يفعل بهم ما فعل)، قالت صفية: وما زال يعتذر إلىَّ حتى ذهب ذلك من نفسى، فما قمت من مقعدى ومن الناس أحد أحب إلىَّ منه ﷺ، ثم قالت: «ما رأيت أحدًا قط أحسن خُلقًا من رسول الله ﷺ»[2].

فلو لم يكن باعث استرجاع صفية من دحية الكلبى هو باعث إنسانى

---

(١) مغازى الواقدى.

(٢) السيرة الحلبية.

شريف ما خيَّرها النبى ﷺ - بعد أن حررها من الأسر - بين أن تعود إلى أهلها حُرة مُعززة مكرمة وبين أن يتزوجها لتكون إحدى أمهات المؤمنين.

ولو أراد ﷺ أخذها لنفسه جارية سرية لفعل، ولا يمكن أن يجد طاعن أى مجال للطعن فى تصرفه ﷺ لأن قوانين الحرب المتفق عليها بين جميع الشعوب والأمم والتى عمل بها الإسلام وطبقها (كعمل حربى مقابل) فى ذلك العصر تبيح للنبى ﷺ أن يعامل صفية كنوع من الرقيق فيتخذها لنفسه جارية دونما أخذ موافقتها لأنها أسيرة حرب تعتبر مملوكة بموجب قانون الحرب الدولى المعمول به فى ذلك العصر[1].

ولكن النبى ﷺ تكريمًا لهذه السيدة العظيمة فى قومها أبَى إلا أن يخصها من بين جميع السبايا بإعطائها مطلق الحرية فى أن تختار أى السبيلين تريد بمحض إرادتها. والعودة إلى عشيرتها مع البقاء على دينها أو الدخول فى الإسلام لتكون زوجة للرسول عليه السلام لا فرق بينها وبين ابنة أبى بكر فى الحقوق والواجبات فاختارت الزواج بمحض اختيارها.

وكان النبى ﷺ يبالغ فى إكرام هذه السيدة رضي الله عنها ويراعى شعورها لعلمه بما هى عليه من حساسية وشعور مرهف، كامرأة عزيزة فى قومها فقدت الوالد والزوج (كلاهما ملك على قومه).

فقد كانت صفية نفسها تتحدث عن هذه المعاملة النبيلة والمواساة النابعة من أشرف قلب، فقد قالت: كنت ألقى من أزواج النبى ﷺ، . . . يفخرن علىَّ، يقلن: يا ابنة اليهودى وكنت أرى رسول الله ﷺ يلطف بى ويكرمنى، فدخل علىَّ يومًا وأنا أبكى فقال: «مالك»، فقلت: أزواجك يفخرن علىَّ ويقلن: يا ابنة اليهودى قالت فرأيت رسول الله ﷺ قد

---

(١) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

غضب ثم قال: «إذا تعالوا لك أو فاخروك فقولى: أبى هارون وعمى موسى»[١]. وفى رواية: «وزوجى محمد ﷺ».

وأضاف صاحب كتاب (سمط النجوم العوالى)[٢] إلى البواعث التى ذكرنا باعثًا آخر فقال: إن صفية بنت حُيى بن أخطب، هى بنت ملك وزوجة ملك من ملوك اليهود وليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان من الصحابة مثل دحية وفوقه، وقلة من كان فى السبى مثل صفية فى نفاستها، فلو خُصَّ بها لأمكن تغيير خاطر بعضهم، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه فإن فى ذلك رضى للجميع.

وهكذا يتضح نُبل القصد وشرف الغاية فى كل عمل يعمله النبى ﷺ وصحابته الكرام، كما تنكشف أمام أضواء هذه الحقيقة المشرقة الناصعة خبث ونوايا وسوء مقاصد الذين يفسرون تزوج النبى ﷺ من صفية ذلك التفسير المقصود به الطعن فى مقام الرسول الأعظم ﷺ.

فهل يفهم الحاقدون على الإسلام ونبى الإسلام هذه الحقائق المشرقة والمقاصد النبيلة السامية التى يحاولون طمسها بألوانٍ قاتمة كالحة من الشكوك الباغية الظالمة[٣].

٣- وكذلك تزوج عليه السلام بالسيدة أم حبيبة (رملة بنت أبى سفيان) وأبو سفيان كان فى ذلك الحين حامل لواء الشرك، وألدّ الأعداء لرسول الله ﷺ وقد أسلمت ابنته فى مكة، ثم هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فرارًا بدينها، وهناك مات زوجها فبقيت وحيدة فريدة لا مُعين لها ولا أنيس، فلما علم الرسول الكريم بأمرها أرسل إلى (النجاشى) ملك الحبشة ليزوجه إياها فأبلغها النجاشى ذلك فَسُرَّت سرورًا لا يعرف مقداره إلا الله سبحانه

---

(١) مغازى الواقدى.

(٢) سمط النجوم العوالى (٢/ ١٦٠).

(٣) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

وتعالى، لأنها لو رجعت إلى أبيها وأهلـها لأجبروها على الكفر والردة، أو عذبوها عذابًا شديدًا، وقد أصدقها عنه أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة.

ولما عادت إلى المدينة المنورة تزوجها النبى المصطفى عليه الصلاة والسلام.

ولما بلغ (أبا سفيان) الخبر أقر ذلك الزواج وقال: «هو الفحل لا يُقدح أنفه» فافتخر بالرسول ولم ينكر كفاءته لها... إلى أن هداه الله تعالى للإسلام[1].

ومن هنا تظهر لنا الحكمة الجليلة من تزوجه عليه السلام بابنة أبى سفيان، فقد كان هذا الزواج سببًا لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه المسلمين، سيما بعد أن أصبح بينهما نسب وقرابة مع أن أبا سفيان كان وقت ذلك من ألدّ بنى أمية خصومة لرسول الله ﷺ، ومن أشدهم عداءً له وللمسلمين، فكان تزوجه بابنته سببًا لتأليف قلبه وقلب قومه وعشيرته... كما أنه ﷺ اختارها لنفسه تكريمًا لها على إيمانها لأنها خرجت من ديارها فارةً بدينها، فما أكرمها من سياسة وما أجلها من حكمة؟؟؟ [2] [3].

شبهة زواجه ﷺ من أمنا عائشة وهى صغيرة السن

وهناك من المستشرقين من يطعن فى زواج النبى ﷺ من أمنا عائشة رضي الله عنها وهى بنت تسع سنين... وتبعه فى ذلك بعض أتباعهم من بنى جلدتنا - ولا حول ولا قوة إلا بالله -.

* وقبل أن نرد على هؤلاء المستشرقين فلا بد أن ننظر نظرة سريعة على مراحل زواج النبى ﷺ.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول عليه السلام للصابونى.

(٣) تنزيه سيد الأنبياء عن مطاعن السفهاء / د. سيد عبد القوى (٢٤-٣٥) بتصرف.

*** فلقد مرَّ النبى ﷺ فى زواجه بخمس مراحل:**

(١) ظل حتى سن الخامسة والعشرين من عمره بلا زواج.

(٢) من الخامسة والعشرين إلى أن بلغ الخمسين من عمره كان متزوجًا بزوجة واحدة أسنّ منه بخمسة عشر عامًا وقد تزوجت قبله مرتين.. وهى أمنا خديجة رضي الله عنها.

(٣) من سن الخمسين إلى الثالثة والخمسين بلا زواج.

(٤) من الثالثة والخمسين من عمره إلى الخامسة والخمسين كان قد تزوج زوجة واحدة كبيرة فى السن وهى أمنا سودة بنت زمعة رضي الله عنها... ويُقال أنه ﷺ تزوجها فى الخمسين من عمره وذلك بعد وفاة أمنا خديجة بعدة أشهر.

(٥) زواجه من باقى أمهات المؤمنين كان من بعد سن الخامسة والخمسين من عمره... وذلك بعد أن كبر سن النبى ﷺ وانشغل بالغزوات وبتبليغ رسالة رب الأرض والسماوات.

فلو كان زواجه من أجل الشهوة لتزوج النبى ﷺ وهو فى ريعان شبابه... وبخاصة وأنه كان يمتلك قوة أربعة آلاف رجل.

ففى صحيح البخارى من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبى ﷺ يطوف[1] على نسائه فى ليلة واحدة وله تسع نسوة.

وفى رواية للبخارى عن قتادة أنه قال: حدثنا أنس بن مالك قال: كان النبى ﷺ يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أوَ كان يُطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين.

وفى رواية: «قوة أربعين».

---

(١) يطوف على نسائه: أى يجامعهن.

قال الحافظ في الفتح: وفي صفة الجنة لأبي نُعيم من طريق مجاهد مثله وزاد «من رجال أهل الجنة» وعند أحمد والنسائي وصححه الحاكم من حديث زيد بن أرقم رفعه «إن الرجل من أهل الجنة ليُعطَى قوة مائة في الأكل والشُرب والجماع والشهوة» فعلى هذا يكون حساب قوة نبينا أربعة آلاف [1].

*** أما عن شبهة زواجة من أمنا عائشة وهي صغيرة في السن فأقول أن ذلك كان لسبعة أسباب:**

(١) أن النبي ﷺ تزوج عائشة بأمر من الله جل وعلا:

فلقد كان زواج النبي ﷺ بعائشة رضي الله عنها بوحي من السماء فلقد رآها في منامه ثلاث ليالٍ وكان جبريل (عليه السلام) يأتيه بصورتها ويقول له: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة.. ويا لها من كرامة عظيمة لأمنا عائشة رضي الله عنها.

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«أُريتك في المنام ثلاث ليال، جاء بك الملك في سرقة[2] من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا أنت فيه. فأقول: إن يك هذا من عند الله يُمضه»** [3].

وعن ابن أبي مليكة عن عائشة: أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال: **«هذه زوجتك في الدنيا والآخرة»**[4].

(٢) من المعلوم أن الفتاة في أرض الجزيرة العربية وفي المناطق الحارة كانت وما زالت تبلغ مبكرًا... أي أن عائشة وهي في هذا السن كانت ناضجة ومكتملة الأنوثة كأي امرأة ... وكانت قادرة على القيام بأعباء البيت والزوج.

---

(١) فتح الباري (١/ ٤٥٠) ط. دار الريان.

(٢) السَّرَقة: القطعة.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٨٩٠) كتاب مناقب الأنصار - ومسلم (٢٤٣٨) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) **صحيح:** رواه الترمذي (٣٨٨٠) كتاب المناقب وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي.

(٣) أن النبى ﷺ أراد أن يرتبط بأبى بكر ليرد له بعض ما قدمه لخدمة هذا الدين العظيم ولذلك تزوج النبى ﷺ بعائشة رضي الله عنها.

(٤) أن تنوع السن فى زوجات النبى ﷺ كان مطلوبًا لأن النبى ﷺ هو القدوة والأسوة.. فمن خلال ذلك نتعلم كيف تعامل النبى ﷺ مع الزوجة الصغيرة والكبيرة.

(٥) أن البيئة هى التى تحدد.

فلقد كان الزواج المبكر منتشرًا فى ذلك الوقت فى أرض الجزيرة.

- فهذه صفية بنت حُيى بن أخطب كانت قد تزوجت أول مرة وهى تبلغ من العمرة إحدى عشرة سنة.

- وهذه حفصة بنت عمر كان أول زواج لها وهى تبلغ الثانية عشرة من عمرها.

ولذلك نجد أن المشركين الذين كانوا يبحثون عن أى شيء يطعنون من خلاله فى النبى ﷺ ودعوته قد اتهموه بأنه ساحر وأنه كاهن وأنه مجنون ولكنهم لم يقولوا: أنه تزوج طفلة صغيرة.. فلو كان زواجه من عائشة فى هذا السن شُبهة ما تركها المشركون أبدًا.

- ونحن إذا رجعنا إلى الوراء قليلاً نجد أننا فى مصر الحبيبة كان سن الزواج فى منتصف القرن العشرين يتراوح ما بين الثانية عشر إلى العشرين.. فلو بقيت البنت بلا زواج حتى سن الخامسة والعشرين لكانت مشكلة خطيرة تهدد مستقبل هذه الفتاة.

- واليوم أصبح سن الزواج يتراوح ما بين الخامسة والعشرين إلى الخامسة والثلاثين.. فلو تزوجت البنت وهى تبلغ الثامنة عشر من عمرها لقال الناس: إنها تزوجت مبكرًا.

- فالشاهد أن البيئة هى التى تحدد سن الزواج.

(٦) أن النبى ﷺ تزوجها فى السنة الثانية للهجرة.

وكان ذلك بداية التشريع... فكان الأمر يحتاج إلى وجود فتاة صغيرة فى بيت النبى ﷺ لتسأله كثيرًا وتعرف الكثير والكثير من الأحكام الشرعية ثم تنقل هذا العلم للأمة.

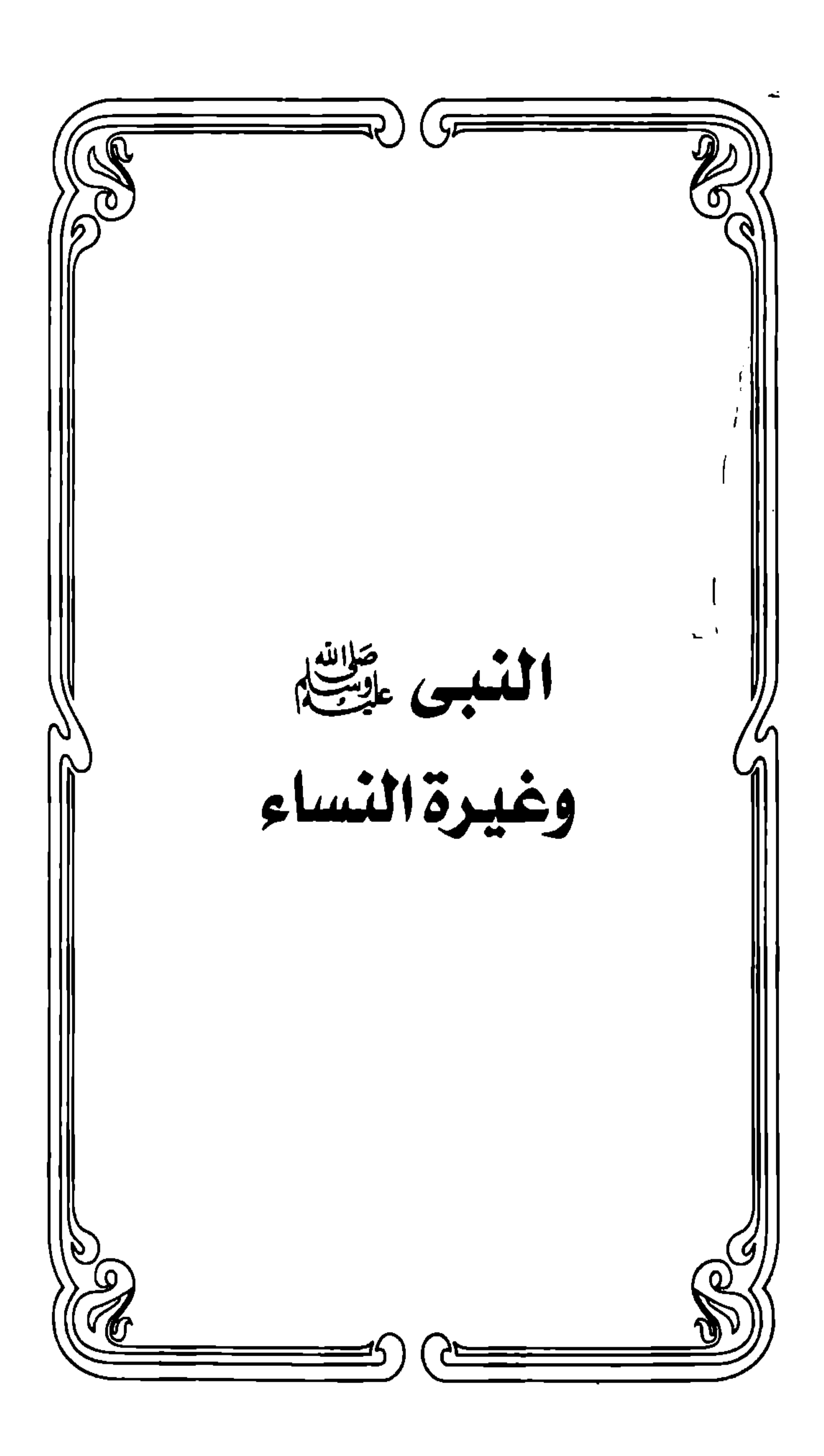
ولذلك كان من حكمة الخالق (جل وعلا) أن عائشة لم تُنجب لكى تتفرغ تمامًا لطلب العلم ولتعليم الأمة... بل جعل الله (جل وعلا) حُب عائشة يتمكن من سويداء قلب النبى ﷺ حتى يتحدث معها كثيراً ويُعلمها الكثير والكثير ثم تنقل كل هذا للأمة.

ولذلك مكثت عائشة رضي الله عنها فى بيت النبى ﷺ تسع سنين ثم توفى النبى ﷺ وظلت من بعده تُعلم الأمة وتُبلغ سُنة النبى ﷺ سبعًا وأربعين سنة.

(٧) وأخيراً أقول: إن هذه الشبهة بدأت تظهر منذ خمسين سنة فقط.. فلو كانت شبهة لظهرت منذ مئات السنين.

* **وأقول لهؤلاء المستشرقين:** ليس فى ديننا ولا فى حياة نبينا ﷺ ما نستحى من ذكره.. بل سيرته كلها فخرٌ للكون كله.

* * *



النبى ﷺ وغيرة النساء

النبى ﷺ وغيرة النساء

- وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى طُرقات المدينة المنورة ذاهبين إلى الحبيب المصطفى ﷺ لنسعد برؤيته ونقضى ليلة فى بيت النبى ﷺ.

* وفى هذه الليلة جاءت هالة بنت خويلد - أخت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها فاستأذنت على رسول الله ﷺ ففرح النبى ﷺ لأن صوتها ذكَّره بخديجة رضي الله عنها فقال النبى ﷺ: «**اللهم هالة**» - أى: يا ليتها تكون هالة - فقالت أمنا عائشة رضي الله عنها: فغرت. فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت فى الدهر، قد أبدلك الله خيرًا منها»[1].

- **وعن عائشة رضي الله عنها قالت:** ما غرت على أحد من نساء النبى ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان رسول الله ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها فى صدائق خديجة فربما قلت له: كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة؟

فيقول: «**إنها كانت وكانت . . . وكان لى منها ولد**»[2].

* **وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:** ما غرت على نساء النبى ﷺ إلا على خديجة. وإنى لم أدركها. قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: «**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**». قالت: فأغضبته يومًا فقلت: خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنى رُزقت حبها**»[3].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٢١) كتاب المناقب، واللفظ له، ومسلم (٢٤٣٧) كتاب فضائل الصحابة وغيرهما.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨١٨) كتاب المناقب، وهذا لفظه، ومسلم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة بنحوه، وغيرهما.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨١٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة واللفظ له.

قال الإمام الذهبى: قلت: وهذا من أعجب شىء[١] أن تغار رضي الله عنها من امرأة عجوز توفيت قبل تزوج النبى ﷺ بعائشة بمديدة، ثم يحميها الله من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها فى النبى ﷺ، فهذا من ألطاف الله بها وبالنبى ﷺ، لئلا يتكدر عيشهما. ولعله إنما خفَّف أمر الغيرة عليها حب النبى ﷺ لها وميله إليها. فرضى الله عنها وأرضاها.

* **وعن عائشة قالت:** دخلت امرأة سوداء على النبى ﷺ، فأقبل عليها. قالت: فقلت: يا رسول الله، أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال! فقال: **«إنها كانت تدخل على خديجة، وإن حُسن العهد من الإيمان»**[٢].

هكذا كانت أمنا عائشة رضي الله عنها تغار على النبى ﷺ غيرة شديدة.. ومع أن كل أمهات المؤمنين كُن يَغرن على النبى ﷺ إلا أن غيرة عائشة كانت واضحة جليَّة.

* ونحن ما زلنا نتحدث عن بيت النبى ﷺ، هذا البيت الأسوة الحسنة والقدوة العظيمة الذى مرت به جميع أصناف الحياة، وظروف الزمان من فقر وغنى، ومن فرح وحزن، ومن شدة ورخاء ومن عُسرٍ ويُسر، كل ذلك ليكون لنا القدوة والأسوة الحسنة لما نعيشه فى حياتنا، إنه بيت يدخل عليه ما يدخل على بيوت المسلمين، من الهم والحزن والفرح والسرور والكثرة والقلة والفقر والغنى.

ولقد مر بنا من أحاديث النبى ﷺ وسيرته أنه كان يخرج من بيته ليس عنده طعام وأن عائشة تذكر أن النبى ﷺ كان يمر عليه شهر وشهران وثلاثة ولا يوقد فى بيته النار ﷺ[٣]..

---

(١) علق الشوكانى رحمه الله على هذا الموطن فقال: سبب الغيرة ما كانت تسمعه من ثناء رسول الله ﷺ على خديجة، وتفخيمه لشأنها كما سبق فى ترجمتها رضي الله عنها، فلا عجب إذن.

(٢) رواه أحمد وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات [السير (٢/ ١٦٥)].

(٣) رواه البخارى (٢/ ٩٠٧) ورقمه (٢٤٢٨) عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقدت فى أبيات رسول الله ﷺ نار فقلت يا خالة ما كان يعيشكم قالت: الأسودان التمر والماء إلا أنه كان لرسول الله جيران من الأنصار وكانت لهم منائحُ وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا.

ومرَّ علينا أيضًا أن النبى ﷺ لما فُتحت عليه الفتوح كان يجعل لأهل بيته مؤونة سنة، وذلك مما أغناه الله سبحانه وتعالى وأعطاه بعد الفتوح.

فمر على بيت النبى ﷺ فقر ومَرَّ عليه غنى، مر عليه فرح بتزويج بناته ﷺ، ومر عليه حزن بفقده أبنائه وبناته صلوات الله عليه وسلامه عليه:

إذًا بيت النبى ﷺ بيت لنا فيه أسوة حسنة فى أنه مرَّت به جميع ظروف الحياة وأصنافها وظروفها، فلنا فيه الأسوة الحسنة والقدوة الكريمة.

وستحدث الآن فى جانب من الجوانب التى مرت بالنبى ﷺ.

كلنا يعلم أن النبى ﷺ كان عنده عدة نسوة، ومعناه أن هناك نوعًا من الغيرة، ونوعًا من التنافس على محبة النبى ﷺ (١).

عاطفة الغيرة عند الزوجة

تسبب عاطفة الغيرة عند الزوجة وجدًا شديدًا، وحزنًا عظيمًا، خاصة إذا اشتدت، ولم تجد متنفسًا تتصرف من خلاله، حيث تختل قدرتها وتقصر عن النظر الصحيح والتقدير الجيد للأمور. . ذلك «أن المرأة خُلقت يتنازعها إحساسان قويان هما: إحساس العاشقة، وإحساس الوالدة، وليس أغلب على نفسها، ولا أملك لمشاعرها من هذين الإحساسين الغريزيين. .

ولما كانت الرابطة الزوجية أقوى الروابط بين اثنين، بحيث يشعر كل منهما بأنه شريك للآخر فى كل شىء، كانت داعية التغاير بينهما آكد، وأسبابها أوفر حتى يتغايرا على الدقائق والخفايا، ويعتمدا على الظن والوهم، فيغريهما ذلك إلى التنازع والتخاصم. .»(٢).

---

(١) فى بيت النبى / أ. أحمد صقر السويدى (ص: ١٦٥).

(٢) المجموعة الكاملة - عباس محمود العقاد - ج ٢٥ ص١٤٦ .

ولا شك أن حياة النبى ﷺ مع أزواجه قدوة لكل مسلم، وتلك الحياة مع سموها ورفعتها وطهرها، لم تَسلم من غيرة أزواجه رضي الله عنهن....

كيف عالج النبى ﷺ الغيرة بين نسائه؟

فالنبى ﷺ مرت به تلك الغيرة التى تغارها النساء من بعضهن بعضًا، ولذلك عالج النبى ﷺ هذه الغيرة فى نسائه بعدد من الأمور نذكرها دون ترتيب تصاعدى أو تنازلى ولكنها على بعض المواقف منها:

أولاً: أن النبى ﷺ يرد هذه الغيـرة إلى أنها وازع أو أنـها نزعـة من نزعات الشيطان[1].

فعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت أنه بلغه أن عائشة كانت نائمة عند رسول الله ﷺ ففقدته من الليل، فسمعت صوته وهو يصلى، قالت: فقمت إليه فأدخلت يدى فى شعره ثم رجعت إلى فراشى ثم إنه سلم، فقال: **«أجاءك شيطانك؟»** فقلت أما لك شيطان؟ قال: **«بلى، ولكن الله أعاننى عليه فأسلم»**[2].

* وعن عبد الله بن أبى مليكة أنه سمع محمد بن قيس بن مخرمة يقول: سمعت عائشة تُحدث. قالت: ألا أحدثكم عنى وعن النبى ﷺ؟ قلنا: بلى. قالت: لما كانت ليلتى التى هو عندى - تعنى النبى ﷺ - انقلب فوضع نعليه عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فلم يلبث إلا ريثما ظن أنى قد رقدت، ثم انتعل رويدًا وأخذ رداءه رويدًا، ثم فتح الباب رويدًا، وخرج رويدًا، وجعلتُ درعى فى رأسى، واختمرت وتقنَّعت إزارى

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ج: ٢٣ ص: ٣٥١.

(٢) سنن النسائى (٧/ ٧٢) ورقمه (٣٩٦٠) ونَصُّه: عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت أن عائشة قالت: التمست رسول الله ﷺ فأدخلت يدى فى شعره، فقال: «قد جاءك شيطانك؟» فقلت: أما لك شيطان، فقال: «بلى، ولكن الله أعاننى عليه فأسلم» الحديث صححه الألبانى فى فقه السيرة (ص٦٢).

وانطلقت فى أثره حتى جاء البقيع، فرفع يديه ثلاث مرات، فأطال ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت، وسبقته فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت، فدخل.

فقال: مالك يا عائشة حشيا رابية[1].

قالت: لا.

قال: «لتخبرنى أو ليخبرنى اللطيف الخبير».

قلت: يا رسول الله! بأبى أنت وأمى. فأخبرته الخبر.

قال: «فأنت السواد الذى رأيت أمامى»؟

قالت: نعم. فلهزنى فى صدرى لهزة أوجعتنى.

ثم قال: «أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله»؟

قلت: مهما يكتم الناس فقد علمه الله.

قال: «فإن جبريل أتانى حين رأيت، ولم يدخل علىَّ وقد وضعت ثيابك فنادانى، فأخفى منك، فأجبته فأخفيته منك، فظننت أن قد رقدت وكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشى، فأمرنى أن آتى البقيع، فأستغفر لهم».

قلت: كيف أقول يا رسول الله.

قال: «قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[2].

وفى رواية، أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً. قالت: فغرت عليه، فجاء، فرأى ما أصنع، فقال: «مالك يا عائشة؟ أغرت».

فقلت: وما لى لا يغار مثلى على مثلك؟.

فقال رسول الله ﷺ: «أقد جاءك شيطانك؟».

---

(١) ظن أنها أصابها ضيق فى التنفس لأن صوت نفسها كان عاليًا من أثر الجرى.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٧٤) كتاب الجنائز.

قالت: يا رسول الله أوَ معى شيطان؟

قال: «نعم».

قلت: ومع كل إنسان؟

قال: «نعم».

قلت: ومعك يا رسول الله؟

قال: «نعم ولكن ربى أعاننى عليه حتى أسلم»(١).

ومعنى أن النبى ﷺ يرد هذا الأمر ويدفع هذه الغيرة أن هذا الذى حدث منك يا عائشة إنما هو نزغة من نزغات الشيطان، ووسواس منه، فاستقرت عائشة رضي الله عنها.

الثانى: الدعاء لهن:

فالنبى ﷺ لما خطب أم سلمة(٢)، قالت له رضي الله عنها: إنى غَيْرَى وإنى مُصبية، يعنى إنى أغار، وإنى كثيرة الأولاد، عندى صبية فى البيت. فقال النبى ﷺ : «**أما قولك إنى مصبية فإن الله سيكفيك صبيانك يعنى - سيكفيهم** برعاية رسول الله ﷺ -، **وأما قولك إنى غيرى فأدعو الله أن يُذهب غيرتك**».

فدعا لها رسول الله ﷺ، وفى رواية أخرى، أما أيتامك فعلى الله وعلى رسوله... والشاهد فى هذا دعوة النبى ﷺ لها أن تذهب عنها هذه الغيرة وأن ينزع الله ما فيها، وهذا نوع من العلاج، أن يدعو الرجل لزوجاته بأن ينزع الله سبحانه وتعالى هذه الغيرة عنهن فتستقر نفوسهن على الخير.

---

(١) صحيح مسلم (٤/٢١٦٨) ورقمه (٢٨١٥) كتاب صفة القيامة.

(٢) وفى مسند الإمام أحمد (٦/٣١٣) ورقمه (٢٦٧١١) ومنه: (فبعث إليها رسول الله ﷺ فقالت: مرحبًا برسول الله ﷺ وبرسوله اخبر رسول الله ﷺ انى امرأة غيرَى وأنى مُصبية وانه ليس أحد من أوليائى شاهدًا فبعث إليها رسول الله ﷺ : «أما قولك أنى مصبية، فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك أنّى غَيرَى، فأدعو الله أن يذهب غيرتك وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضانى» قلت: يا عمر قم فزوج رسول الله ﷺ).

الأمر الثالث:

الذى عالج به النبى ﷺ الغيرة بين نسائه: ذكر فضائلهن، وما قدمنه، ولعله مر بنا فى باب الوفاء الذى كان فيه رسول الله ﷺ لزوجاته أن عائشة ﵂ تقول: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكد يسأمُ من الثناء عليها والاستغفار لها، فذكرها يومًا فحملتنى الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن، قالت: فرأيته غضب غضبًا، أسقطت من خلدى وقلت فى نفسى: اللهم إن أذهبت غضب رسولك عنى لم أعد أذكرها بسوء، فلما رأى النبى ﷺ ما لقيتُ قال: كيف قلت؟ والله لقد آمنت بى إذ كذبنى الناس وآوتنى إذ رفضنى الناس، ورُزقت منها الولد وحُرمتموه منى، قالت: فغدا وراح علىَّ بها شهرًا [1].

عن عائشة قالت كان النبى ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يومًا، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين، قد أبدلك الله عز وجل بها خيرًا منها، قال: ما أبدلنى الله عز وجل خيرًا منها، قد آمنت بى إذ كفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله عز وجل ولدها إذ حرمنى أولاد النساء[2].

فهذا نوع من العلاج الذى عالج به النبى ﷺ: أن يذكر فضائل المرأة التى يُغار منها حتى تعرف المرأة الأخرى التى عند زوجها لها مكانتها...، وكلٌ له فضل وكلٌ له خير.

عن أنس قال بلغ صفية أن حفصة قالت إنى ابنة يهودى. فبكت فدخل عليها النبى ﷺ وهى تبكى فقال: «ما شأنك» فقالت: قالت لى حفصة:

---

(١) سير اعلام النبلاء (٢/ ١١٢).

(٢) مسند الإمام احمد (٦/ ١١٧)، ورقمه (٢٤٩٠٨).

إنى ابنة يهودى فقال النبى ﷺ : «إنك ابنة نبى وإن عمك لنبى وإنك لتحت نبى، ففيم تفخر عليك» فقال: «اتقِ الله يا حفصة»[1].

ومعنى قول النبى ﷺ إنك ابنة نبى، لأنها من ذرية هارون ﷺ، وأن عمك نبى يعنى موسى عليه السلام فهذا نسب عظيم تنتهى إليه، وإنك لتحت نبى، أى إنك زوجة نبى، فبم تفخر عليك، فأنت فى فخر النسب أعظم، لأنك تعودين إلى سلالة أنبياء.

ثم قال: اتقِ الله يا حفصة. ومعنى اتق الله يا حفصة توجيه آخر، وهو توجيه رائع، توجيه زوجاته إلى تقوى الله سبحانه وتعالى، والاستغفار من هذا الأمر.

الرابع: وأيضًا من المعالجة التى عالجها النبى ﷺ فى زوجاته أنه كان يجمعهن ﷺ، فى مجلسٍ واحد، وهذا الجمع يُذهب ما فى النفس من الغيرة، ويقرب الأنفس إلى بعضها بعضًا كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

تقول عائشة رضي الله عنها: اجتمع نساء النبى ﷺ فلم يغادر منهن امرأة، بمعنى أنه جمعهن فى بيت واحد، فجاءت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال: مرحبًا بابنتى، فأجلسها عن يمينه أو شماله.. [2]» وهذا إشارة بأن النبى ﷺ كان يجمع نساءه فى مجلس واحد.

---

(١) صحيح: مسند الإمام أحمد (٣/ ١٣٥) ورقمه (١٢٥١٤) وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٦١٨٣).

(٢) انظر صحيح مسلم (٤/ ١٩٠٥) ورقمه (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة وهو بتمامه: عن عائشة قالت اجتمع نساء النبى ﷺ فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فقال: «مرحبًا بابنتى» فأجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أنه أسرَّ إليها حديثًا فبكت فاطمة، ثم أنه سارها فضحكت أيضًا، فقلت: لها ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن. فقلت لها حين بكت أخصَّك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ، حتى إذا قُبض سألتها فقالت إنه كان حدثنى: «أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وأنه عارضه به فى العام مرتين، ولا أرانى إلا قد حضر أجلى، وأنك أول أهلى لحوقًا بى ونعم السلف أنا لك» فبكيت لذلك، ثم أنه سارنى فقال: «ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟» فضحكت لذلك.

الخامس: ومن الأمور التى عالج بها الرسول ﷺ الغيرة بين نسائه أنه كان يمر عليهن ضُحى، فيسأل عن أحوالهن جميعًا، ويستخبر عن أفعالهن فيدل ذلك على أن هذا المرور إشارة إلى أنه يرعى البيوت كلها، فلا يغفل عن بيت من هذه البيوت.

السادس: ومنه كذلك ﷺ فى معالجته لهذه الغيرة أنه يعالج هذه الأمور بالحلم وبالإعراض عن بعض الأخطاء التى تحدث، . . . فقد ورد أن النبى ﷺ كان عنده أضياف فى بيته، فأرسلت امرأة من نسائه إلى بيت ضرتها الذى فيه أضياف، قصعة فيها شىء من الثريد، فلما رأت (عائشة) زوجة النبى ﷺ التى هو فى بيتها هذا الإناء الذى جاء ضربته برجلها أو بيدها فانكسر هذا الإناء، فما زاد النبى ﷺ إلا أن قال: غارت أمكم، يعنى هذا التصرف تصرف غيرة، فكان نوع من المزاح والحلم، فخبأ النبى ﷺ هذا الإناء ولما جاء إناء آخر من غزو دفعه رسول الله ﷺ إلى بيت التى كُسر إناؤها، . . . هذا نوع من المعالجة التى عالجها النبى ﷺ [1].

السابع: من المعالجة تخفيف هذا الأمر الذى قد يقع من زوجات النبى ﷺ بنوع من العلاقة العاطفية التى مارسها النبى ﷺ .

لما رجع النبى ﷺ من خيبر وكان قد تزوج من صفية رضي الله عنها فتلقته عائشة رضي الله عنها متغطية، ونظرت إلى صفية وخرجت فرآها النبى ﷺ فعلم غيرتها، فخرج النبى ﷺ خلفها وضمها إليه رسول الله ﷺ فأذهب ما فى نفسها، وهذا من العلاج الذى عالجه النبى فى الغيرة بين نسائه وإلا

---

(١) صحيح البخارى (٥/٢٠٠٣) ورقمه (٥٢٢٥) كتاب النكاح عن أنس قال كان النبى ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التى النبى ﷺ فى بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبى ﷺ فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذى كان فى الصحفة، ويقول: «غارت أمكم» ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التى هو فى بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التى كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة فى بيت التى كسرت.

فالغيرة أمر فطرى عند النساء، ولكن عالجه النبى ﷺ بكل رحمة وحنان وهو المبعوث رحمة للعالمين.

الثامن: الاستئذان فى بعض الأمور: وهذا الذى فعله النبى ﷺ فى مرضه الذى مات فيه... فإن النبى ﷺ لما مرض ثَقُل عليه أن يتحرك بين بيوته، فكان يقول لهن جميعًا لو رأيتن أن أُطبَّب فى بيت إحداكن! فقالت أم سلمة رضي الله عنها: نعلم ماذا تريد؟ تريد ابنة أبى قحافة، يعنى تريد أن تكون عند عائشة، نعلم هذا. فسكت النبى ﷺ قالت: فجعلناه فى بيت عائشة رضي الله عنها يُطبَّب، وهذه كرامة الله لعائشة أن يموت ﷺ فى بيتها [1].

وفى رواية أخرى كان ﷺ يرفع رأسه ويقول: عند مَن الليلة؟ فتقول إحداهن: نعلم مَن تريد، تريد عند عائشة، فأذنت الجميع فى هذا [2].

التاسع: القرعة فى السفر: والنبى ﷺ كان يقرع بين نسائه فى السفر، حتى لا يقال إنه اختار فلانة أو فلانة، فكان إذا أراد السفر أقرع بين نسائه (أى جعل قرعة)، فمن وقعت عليها القرعة خرجت معه ﷺ، وما ذاك حتى يعالج هذا الأمر، فكان منه صلوات الله وسلامه عليه علاج لهذه الغيرة.

---

(١) سير اعلام النبلاء (٢/١٤٧).

واستأذن النبى ﷺ نساءه فى مرضه، فقال: «إنه ليشق علىَّ الاختلاف بينكن، فائذنَّ لى أن أكون عند بعضكن» فقالت أم سلمة: قد عرفنا من تريد... تريد عائشة قد أذنا لك تقول عائشة: «وكان آخر زاده من الدنيا ريقى، أتى بسواك، فقال: «انكثه يا عائشة». فنكته، وقُبض بين سحرى ونحرى، ودفن فى بيتى» هذا حديث صالح الإسناد ولكن فيه انقطاع.

(٢) وفى صحيح البخارى (٤/١٦١٧)، ورقمه (٤٤٥٠) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه يقول: «أين أنا غدا، أين أنا غدا» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان فى بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات فى اليوم الذى كان يدور علىَّ فيه فى بيتى، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحرى وسحرى، وخالط ريقه ريقى. ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبى بكر، ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقلت له أعطنى هذا السواك يا عبد الرحمن، فأعطانيه، فقضمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به، وهو مستند إلى صدرى.

عن عائشة قالت: كان النبى ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه، فأيتهن يخرج سهمها، خرج بها النبى ﷺ فأقرع بيننا فى غزوة غزاها، فخرج فيها سهمى، فخرجت مع النبى ﷺ بعد ما أُنزل الحجاب[1] .

العاشرة: الشدة: ولا يمنع هذا أيها الأخوة من بعض الشدة. وقد ورد فى بعض الأحاديث عن النبى ﷺ أنه تصرف بنوع من الشدة وبيان الغرض فى هذا الأمر، كما قال لحفصة: اتقِ الله يا حفصة، وكما مَرَّ على عائشة فما زال يذكر محاسن خديجة شهرًا كاملاً حتى لا تذكر عائشة رضي الله عنها خديجة بسوء[2] .

الحادى عشر: السماح بالانتصار فى مواطن الخطأ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل أزواج رسول الله ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معى فى مِرطى، فأذن لها. فقالت: يا رسول الله ! إن أزواجك أرسلننى إليك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة[3]... وأنا ساكتة... قالت: فقال لها رسول الله ﷺ : «أى بُنية ! ألست تحبين ما أحب ؟» فقالت: بلى... قال: «فأحبِّى هذه»... قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول

(١) أخرجه البخارى (٣/ ١٠٥٥) ورقمه (٢٦٦١) كتاب الشهادات.

(٢) سير أعلام النبلاء ج: ٢ ص : ١١٢ .

قالت عائشة كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها واستغفار لها فذكرها يومًا فحملتنى الغيرة فقلت لقد عوضك الله من كبيرة السن قالت: فرأيته غضب غضبًا أسقطت فى خلدى وقلت فى نفسى اللهم إن أذهبت غضب رسولك عنى لم أعد أذكرها بسوء فلما رأى النبى ﷺ ما لقيت قال: «كيف قلت والله لقد آمنت بى إذ كذبنى الناس وآوتنى إذ رفضنى الناس ورُزقت منها الولد وحُرمتموه منى» قالت: فغدا وراح علىَّ بها شهرًا.

(٣) قال الإمام النووى: قولها: (يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة) معناه: يسألنك التسوية بينهن فى محبة القلب، وكان ﷺ يسوى بينهن فى الأفعال والمبيت ونحوه، وأما محبة القلب فكان يحب عائشة أكثر منهن، وأجمع المسلمون على أن محبتهن لا تكليف فيها ولا يلزمه التسوية فيها لأنه لا قدرة لأحد عليها إلا الله - سبحانه وتعالى -، وإنما يؤمر بالعدل فى الأفعال. [مسلم بشرح النووى (١٥/ ٢٩٥)].

الله ﷺ فرجعت إلى أزواج النبى ﷺ فأخبرتهن بالذى قالت، وبالذى قال لها رسول الله ﷺ.

فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء فارجعى إلى رسول الله ﷺ فقولى له: أن نساءك ينشدنك[١] العدل فى ابنة أبى قحافة. فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبدًا... قالت عائشة رضي الله عنها: فأرسل أزواج النبى ﷺ زينب بنت جحش زوج النبى ﷺ، وهى التى كانت تساميني منهن فى المنزلة عند رسول الله ﷺ. ولم أر امرأة قط خيرًا فى الدين من زينب. وأتقى لله عز وجل. وأصدق حديثًا. وأوصل للرحم. وأعظم صدقة. وأشد ابتذالاً لنفسها فى العمل الذى تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى. ما عدا سَورة[٢] من حَدٍّ[٣] كانت فيها... تسرع منها الفيئة[٤].

فاستأذنت على رسول الله ﷺ، ... ورسول الله ﷺ مع عائشة فى مرطها، على الحالة التى دخلت فاطمة عليها وهو بها... فأذن لها رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله ! إن أزواجك أرسلننى إليك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة.

قالت[٥]: ثم وقعت بى... فاستطالت عَلَيَّ. وأنا أَرْقُبُ رسول الله ﷺ وأرقب طرفه هل يأذن لى فيها، قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر.

---

(١) أى: يسألنك.

(٢) السَّوْرَةُ: الثوران وعجلة الغضب.

(٣) هكذا فى معظم النسخ: «سورة من حَدٍّ»، وفى بعضها: «من حِدَّة» وهى: شدة الخُلُق وثورانه. انتهى من «حاشية مسلم».

(٤) أى: الرجوع، والمراد أنها تسارع إلى الرجوع إذا وقع شيء من حِدَّة أو سرعة غضب.

(٥) يعنى: عائشة رضي الله عنها، والمراد: أن زينب وقعت فى عائشة رضي الله عنها، أى نالت منها، وعند البخارى (٢٥٨١): «فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهى قاعدة فَسَبَّتْهَا».

قالت: فلما وقعت بها لم أنشبها[1] حين أنحيت عليها [2] فقال رسول الله ﷺ وتبسم: «إنها ابنة أبى بكر»[3].

وإنما سمح النبى ﷺ لعائشة رضي الله عنها أن تنتصر لنفسها لأن زينب رضي الله عنها دخلت بيتها من غير إذن، وذكرت من خصوصيات الحياة الزوجية ما ينبغى ألا يُثار بين الضرائر.

فهذه بعض الصور التى عالج بها النبى ﷺ الغيرة بين نسائه[4].

اصبر على غيرة زوجتك

أخى الحبيب:

إن المرأة - وإن كانت سريعة التظنن، كثيرة التشكك، حادة الغيرة - إلا أن هذا كله ينفيه من نفسها أن يؤكد لها الرجل فى بساطة أنه لها وحدها، بل إنها فى كثير من الأحيان لتتمنى أن ينفى لها الرجل ما قام بنفسها من الوساوس، فإذا هَمَّ بذلك سارعت إلى تصديقه؛ لأن أعصابها أضعف من احتمال اليقين الأليم، فى هذه الناحية التى تملأ كل كيانها الأصيل»[5].

فالغيرة عند المرأة انفعال وقتى قد يتجدد باستمرار؛ ولكن بواعثها غريزية بحتة.. وإن كانت تظهر فى صور مختلفة، فقد «تغار المرأة من المرأة لجمالها ولحسن هندامها ولغناها، ويبعث غيرتها فى ذلك غريزة الجنس أو غريزة

(١) أى: لم أمهلها.

(٢) أى: حين قصدتها بالمعارضة، وفى بعض الروايات لمسلم، وغيره: «لم أَنْشَبْهَا أن أثخنتُها».

أى: قمعتها وقهرتها... وفى رواية البخارى «فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها».

(٣) متفق عليه: أخرجه البخارى (٢٥٨١) فى الهبة وفضلها والتحريض عليها/ باب: من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض، ومسلم (٢٤٤٢) فى فضائل الصحابة/ باب: فى فضل عائشة رضى الله تعالى عنها، وأحمد (٦/ ١٥٠-١٥١)، والنسائى (٣٩٥٦).

(٤) فى بيت النبى / أ. أحمد صقر السويدى (ص: ١٦٦-١٧٥) بتصرف.

(٥) سيد قطب، صفحات مجهولة - محمد سيد بركة - ص ٨٦ .

الأمومة، فالجمال مظهر الأنوثة الأول، وحسن الهندام يساعد على ظهوره، والغِنى لتتمكن من الظهور.. ولذلك تغار المرأة الفقيرة من جارتها؛ لأنها اشترت فستانًا ثمينًا وتطلب مثله بالذات غير معترفة بالفارق المادى بينهما.. لأن الفستان متصل بالجمال والأنوثة والغريزة، وكل امرأة تعد نفسها أفضل من هذه الناحية، ولا تعترف بالفروق فيها».

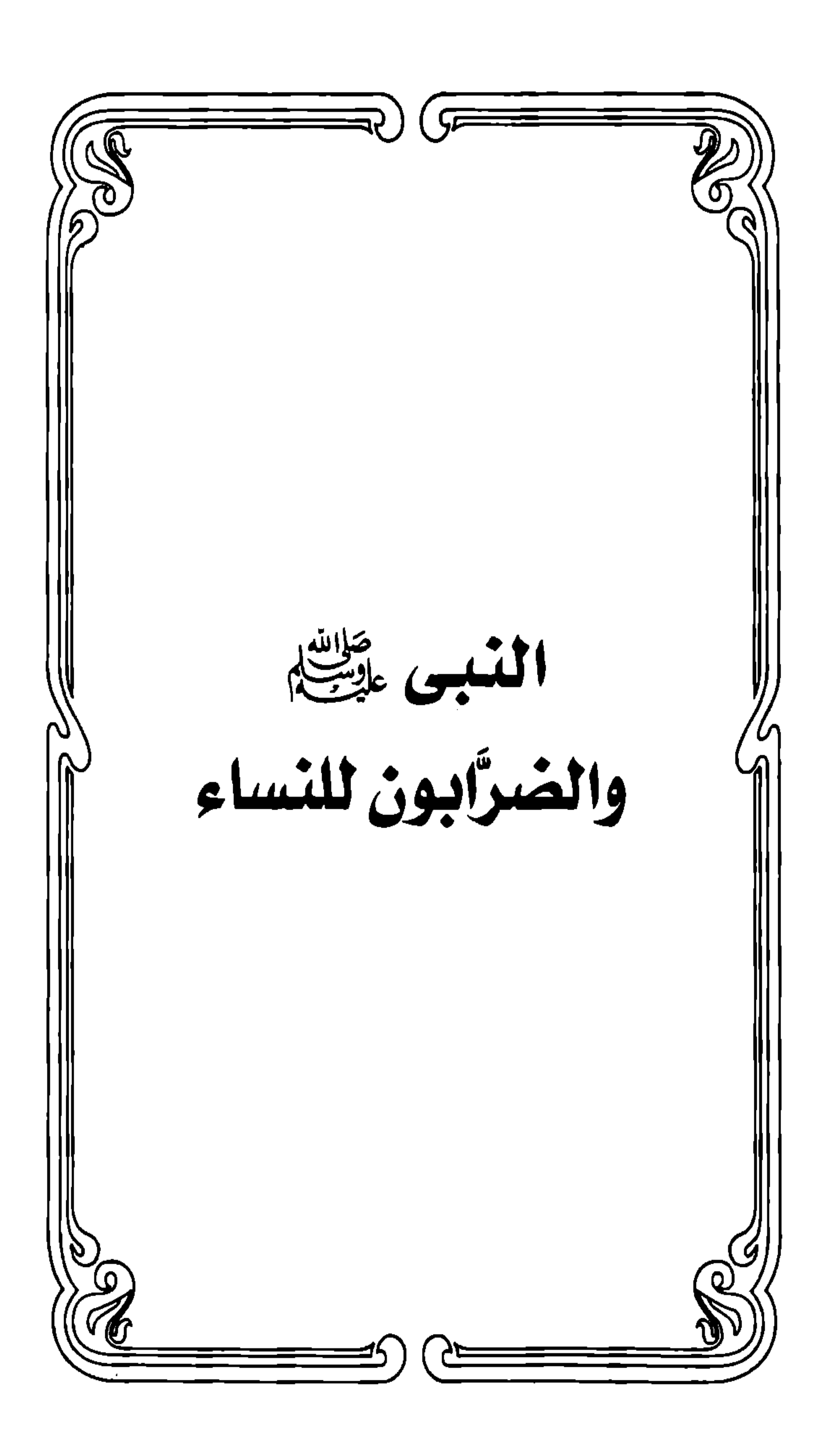
وهى فى ذلك قد تقتنع بجميع المقدمات التى - قد - يُقدمها الزوج ليثبت الفروق المادية؛ ولكنها تضرب بتلك المقدمات عُرض الحائط حين تتعارض مع ما تريد..

* أخى الحبيب:

إن زوجتك تحبك.. ولأنها تحبك؛ فهى تغار عليك، حتى من نسمة الهواء التى تداعب وجنتيك، بل من قطرات الماء التى تلامس شفتيك، بل من كل ما يجذب ناضريك، نعم.. عذاب.. جحيم.. بكاء دموع، ألم بلا حدود، تلك هى الغيرة تؤرق نومها، وتقض مضجعها، وتقتل الابتسامة على شفتيها، وتزرع الحزن فى عينيها، فرفقًا - عزيزى الزوج - بذلك القلب الرقيق الرحيم الغيور. واصبر على غيرتها، واجعل تعاملك معها دائمًا فى إطار من روح الصداقة[1].

* * *

(١) حتى يبقى الحب / د. محمد محمد بدرى (ص: ٢٧٢-٢٧٣) بتصرف.



النبى ﷺ والضرَّابون للنساء

النبى ﷺ والضرابون للنساء

وها نحن نتخيل الآن وكأننا قد نزلنا أرض المدينة المنورة ومشينا فى طُرقاتها فوجدنا بيتًا بسيطًا من بعيد.. فلما اقتربنا علمنا أنه بيت النبى ﷺ فدخلنا بعد أن أذن لنا النبى ﷺ فوجدناه حزينًا.

فلما سأله أحد الصحابة عن سبب حزنه ﷺ قال: «لقد طاف بآل محمد الليلة سبعون امرأة كلهن يشتكين الضرب وايم الله لا تجدون أولئك خياركم»(١).

* ومن أجل ذلك كان النبى ﷺ ينهى عن ضرب النساء إلا إذا كان هناك سبب شرعى.. ووضَّح أن الضرب هنا ليس ضرب انتقام وإنما ضرب تأديب - وأنا أسميه ضرب المُحب -.

ضرب الزوجة.. لماذا؟

فمن الأزواج من قسا قلبه، وغلظ طبعه، وتعدَّى طَوره وساء للدين فهمهُ؛ حيث يضرب زوجته ضرب غرائب الإبل، ويسومها سوء العذاب عند أتفه الأسباب، وربما تسترَّ بعض أولئك العُتاة القُساة بالإذن القرآنى بالضرب، ففهموه على غير وجهه.

وبعضهم يرى أن ذلك من الرجولة؛ فالرجولةُ فى نظرهم تعنى الظلم، والقهر، والتسلُّط، والاستعلاء، والاستبداد،.... والقوامةُ عندهم طوق فى عنق المرأة لإذلالها وتسخيرها.

والعجيب أن ترى بعض هؤلاء يتذلل ويتمسكن لأهل الزوجة قبل

(١) أخرجه أبو داود (٢١٤٦) كتاب النكاح، والنسائى (٩١٦٧)، وابن ماجه (١٩٨٥) كتاب النكاح، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٣٧).

الزواج، فإذا ما ظفـر بإربه تنكَّر وقلب ظهر المجن، فانقلبت ذلتـه طغيانًا، وتبدلت مسكنته تسلُّطًا وجبروتًا.

فتراه بعد ذلك يرفع يده أو عصاه على زوجته عند أدنى سبب، وربما بلا سبب، وربما ضربها هى وأولادها، وربما جمع إلى الضرب الشتم، والسبَّ والقذف.

إن المرأة ليست هملاً مُضاعًا فيصنع بها كيف يشاء.

إن للمرأة فى هذه الحالة الحق الكامل فى أن تشكو حـالها إلى أوليائها، أو أن ترفع إلى الحـاكم أمرها؛ لأنهـا إنسـان مُكرَّم داخل فى قوله تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (١).

وليس حسن المعاشرة أمرًا اختياريًّا متروكًا للزوج إن شاء فَعَله وإن شاء تركه، بل هو تكليف واجب.

وليس الرفق بالمرأة من باب الرفق بـالحيوان الأعـجم، ولكنه حق لها، وواجب على زوجهـا؛ فهى مكرمة مـثله بالخلق السوى، والصورة الحسنة، والتـقويم الحـسن، . . . هى مكرمـة - كذلك - بالبـيان والعـقل، وحمل الأمانة؛ فهـذه المزايا مشاعة بين الرجل والمرأة؛ فـمن أراد أن يعامل الزوجة معاملة الدابة والسـلعة فقد كفر نعمة الله، وعرض نفسه للعقوبة(٢).

فأين أولئك القُساة من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ (٣).

وأين هم من قول النبى ﷺ: «إنى أُحرِّج عـليكم حق الضعـيفين: اليـتيم والمرأة»(٤).

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٧٠).

(٢) انظر عودة الحجاب (٢/ ٤٦٥-٤٦٦) د. محمد إسماعيل المقدم (حفظه الله).

(٣) سورة الفجر: الآية: (١٤).

(٤) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٩)، وابن ماجه (٣٦٧٨) كتاب الأدب وحسنه الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٠١٥).

وقوله ﷺ: «النساء شقائق الرجال»[1].

وقوله ﷺ: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يضاجعها»[2].

فهذا الحديث من أبلغ ما يمكن أن يقال فى تشنيع ضرب النساء؛ إذ كيف يليق بالإنسان أن يجعل امرأته مهينة كمهانة عبده؛ بحيث يضربها بسوطه أو بيده، مع أنه يعلم أنه لابد له من الاجتماع والاتصال الخاص بها[3].

قال السيد محمد رشيد رضا - رحمه الله - فى هذا الحديث: «وأذكر أننى هُديت إلى معناه العالى قبل أن أطلع على لفظه الشريف؛ أقول: يالله.... العجب كيف يستطيع الإنسان أن يعيش عيشة الأزواج مع امرأة تُضرَب؟ تارة يسطو عليها بالضرب، فتكون منه كالشاة مع الذئب، وتارة يُذَلّ لها كالعبد طالبًا منتهى القرب»[4].

ولا يُفهم مما مضى الاعتراض على مشروعية ضرب الزوجة بضوابطه، ولا يعنى أن الضرب مذموم بكل حال.

لا، ليس الأمر كذلك؛ فلا يطعن فى مشروعية الضرب إلا من جهل هداية الدين، وحكمة تشريعاته من أعداء الإسلام ومطاياهم ممن نبتوا فى حقل الغرب، ورضعوا من لبانه، ونشأوا فى ظله.

هؤلاء الذين يتظاهرون بتقديس النساء والدفاع عن حقوقهن؛ فهم يطعنون فى هذا الحكم، ويتأففون منه، ويعدُّونه إهانة للمرأة.

وما ندرى من الذى أهان المرأة؟ أهو ربها الرحيم الكريم الذى يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٥٦ ، رقم ٢٦٢٣٨) ، والترمذى (١/ ١٨٩ ، رقم ١١٣) ، من حديث عائشة، وأخرجه أبو داود (١/ ٦١ ، رقم ٢٣٦) ، والدارمى (١/ ٢١٥ ، رقم ٧٦٤) ، وأبو عوانة (١/ ٢٩٠)، والحديث صححه الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٨٦٣)، وصححه الشيخ أحمد شاكر فى تحقيق الترمذى (١/ ١٩٠-١٩٢).

(٢) أخرجه البخارى (٥٢٠٤) كتاب النكاح، ومسلم (٢٨٥٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) انظر نداء للجنس اللطيف ص٤٦ .

(٤) نداء للجنس اللطيف ص٤٦ .

أم هؤلاء الذين يريدونها سلعة تُمتهن وتُهان، فإذا انتهت مدة صلاحيتها ضربوا بها وجه الثرى؟

إن هؤلاء القوم يستنكفون من مشروعية تأديب المرأة الناشز[1]، ولا يستنكفون أن تنشز المرأة، وتترفع على زوجها، فتجعله -وهو رأس البيت- مرؤوسًا، وتصر على نشوزها، وتمشى فى غلوائها، فلا تلين لوعظه، ولا تستجيب لنصحه، ولا تبالى بإعراضه وهجره.

ترى كيف يعالجون هذا النشوز؟ وبم يشيرون على الأزواج أن يعاملوا به الزوجات إذا تمردن؟

لعل الجواب تضمنه قول الشنفرى الشاعر الجاهلى حين قال مخاطبًا زوجته:

إذا ما جئت ما أنهاك عنه
فلم أنكر عليك فطلقينى
فأنت البعل يومئذ فقومى
بسوطك - لا أبا لك - فاضربينى[2]

نعم لقد وُجد من النساء - وفى الغرب خاصة - من تضرب زوجها مرة إثر مرة، والزوج يكتم أمره، فلما لم يعد يطيق ذلك طلَّقها، حينئذ ندمت المرأة، وقالت: أنا السبب؛ فلقد كنت أضربه، وكان يستحيى من الإخبار بذلك، ولما نفذ صبره طلقنى!

وقالت تلك المرأة القوامة: أنا نادمة على ما فعلت، وأوجه النصيحة بألا تضرب الزوجات أزواجهن!

لقد أذن الإسلام بضرب الزوجة كما فى قوله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ (٣).

---

(١) الناشز: التى ارتفعت عن طاعة زوجها، من النشوز وهو الارتفاع.

(٢) ديوان الشنفرى ص٧٩ .

(٣) سورة النساء: الآية: (٣٤).

وكما فى قوله - عليه الصلاة والسلام - فى حجة الوداع: «ولكم عليهن ألا يوطئن فُرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مُبرح»(١).

ولكن الإسلام حين أذن بضرب الزوجة لم يأذن بالضرب المبرح الذى يُقصد به التشفى والانتقام، والتعذيب، وإهانة المرأة وإرغامها على معيشة لا ترضى بها.

وإنما هو ضرب للحاجة وللتأديب، تصحبه عاطفة المربى والمؤدب؛ فليس للزوج أن يضرب زوجته بهواه، وليس له إن ضربها أن يقسو عليها؛ فالإسلام أذن بالضرب بشروط منها:

أ - أن تصر الزوجة على العصيان حتى بعد التدرج معها.

ب - أن يتناسب العقاب مع نوع التقصير؛ فلا يبادر إلى الهجر فى المضجع فى أمر لا يستحق إلا الوعظ والإرشاد، ولا يبادر إلى الضرب وهو لم يجرب الهجر؛ . . . ذلك لأن العقاب بأكثر من حجم الذنب ظلم.

جـ - أن يستحضر أن المقصود من الضرب العلاج والتأديب والزجر لا غير؛ فيراعى التخفيف فيه على أحسن الوجوه؛ فالضرب يتحقق باللكزة، أو بالمسواك ونحوه.

د - أن يتجنب الأماكن المخوفة كالرأس والبطن والوجه.

هـ - ألا يكسر عظمًا، ولا يشين عضوًا، وألا يدميها، ولا يكرر الضربة فى الموضع الواحد.

و - ألا يتمادى فى العقوبة قولاً أو فعلاً إذا هى ارتدعت وتركت النشوز. فالضرب - إذًا - للمصلحة لا للإهانة(٢).

(١) صحيح: رواه مسلم (١٢١٨) كتاب الحج، وأبو داود (١٩٠٥) كتاب المناسك، وابن ماجه (٣٠٧٢) كتاب المناسك، والدارمى (١٨٥٧).

(٢) رسائل فى الزواج والحياة الزوجية /أ . محمد بن إبراهيم الحمد (ص:١٧٧-١٨١).

ضرب النساء

لقد شرع الله تعالى سُنة الثواب والعقاب، وجعل الثواب لمن أحسن وأناب، ثم كان العقاب لمن حاد عن الصواب، بعد ما نُصح فما استجابَ.

لكنه سبحانه أمر بالتدرج عند التقويم والإصلاح؛ بحيث يكون الضرب آخر الوسائل التى يلجأ إليها الزوج أو المربى، ويكون أيضًا علاجًا لمرض، فإذا ذهب المرض فلا حاجة لهذا العلاج من أصله.

وعلى هذا فالضرب ضرورة يلجأ إليها الرجل بعد أن يكون قد استنفذ كل الوسائل المتاحة، والسبل المباحة من موعظة ونصح ثم هجر للمرأة فى مضجعها فى حالة نشوزها وعصيانها، أو تكرر الخطأ منها بلا اكتراث ولا اهتمام.

وهو كذلك آخر مرحلة يضطر إليها الزوج نظرًا لما قد ينتج عنه من تفاقم المشاكل، بسبب ضربة خاطئة، أو تجاوز الحدود الشرعية فى الضرب.

قال تعالى: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (١).

وقال ﷺ: «واضربوهن ضربًا غير مبرح» (٢). وليس النساء أمام الضرب سواء؛ فليست الوضيعة كالرفيعة (أى فى المنزلة)، وليست الحيية كالجريئة، ولا الجانية كالبريئة، فمن النساء من تكفيها النصيحة، وتستحى بمجرد مراجعتها. ومثل هذه فإن اللجوء إلى ضربها عند الخطأ ربما شَقَّ قلبها وفلق كبدها، وإذا تكرر ذلك فربما أصابتها حالة نفسية يصعب علاجها فيما بعد. ومن النساء من لتحمل الضرب بشرط ألا يكون فى حضرة الأقارب أو الأجانب، فإذا حضروه استشاطت غضبًا وازدادت خطأً، وعلى الزوج أن يراعى ذلك، فإن لم يكن الزوج حصيفًا حليمًا بحيث يراعى هذه الجوانب

---

(١) سورة النساء: الآية: (٣٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٢١٨) كتاب الحج.

فإنه بلا شك يقود السفينة للغرق والحياة الزوجية للفشل. ومن النساء من يُصلحها الضرب أحيانًا، ولكن يراعى حدود الشرع فى ذلك.

*** حدود الضرب ونوعه:**

أولاً: لا يكون الضرب على الوجه لأنه يهينها، والوجه موضع تكريم، وبه موضع السجود للرب الكريم. قال ﷺ: **«ولا يضرب الوجه»**(١).

ثانيًا: ألا يكون فى مواضع حساسة من جسدها.

ثالثًا: ألا يكون مبرحًا - أى شديدًا - .... لقوله ﷺ: **«واضربوهن ضربًا غير مبرح»** قال ابن عباس وغير واحد: غير مبرح يعنى غير مؤثر. وقال الفقهاء: هو ألا يكسر عضوًا ولا يؤثر فيها شيئًا(٢).

وعليه فالذى يضرب زوجته حتى تحمرّ عينها أو تتورم شفتها أو تُكسر سنها، أو يزرقّ جلدها فإنه مخالف مخالفة صريحة لرسول الله ﷺ، فليُصلح نفسه قبل أن يُصلح امرأته.

رابعًا: أن يكون على قدر الخطأ. فليس كل خطأ ولو كان صغيرًا تقام له مجلدة للمرأة. والله تعالى يقول: **﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾**(٣).

وليعلم الزوج حين يضرب زوجته أنه مؤدِّب ومُصلح، وليس خصمًا وندًا، وفرق شاسع بين الاثنين، فالمؤدب يحاول إصلاح زوجته مراعيًا فى ذلك تفادى المفاسد التى تنتج عن ضربها، فضلاً عن أن يحقق بذلك مصلحة، وهى الوصول بزوجته إلى طاعته، أما إذا وقف منها موقف الخصم، واستخدم الشدة بكل معانيها، واستحضر جام غضبه، فإنه يضرب

---

(١) أخرجه الطبرانى (١٩/ ٤٢٨)، والحاكم (٢/ ٢٠٤) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى (٧/ ٢٩٥)، وأحمد (٤/ ٤٤٧)، وابن ماجه (١٨٥٠)، وابن حبان (٩/ ٤٨٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٤٩).

(٢) تفسير ابن كثير لسورة النساء.

(٣) سورة النحل: الآية: (١٢٦).

ولا يدرى أين وقعت يده، ويركل ولا يدرى ماذا أصابت رجله، ويسب ولا يدرى ماذا قال، وتسأله المسكينة أن يكف فلا يسمع سؤالها، وتستغيث فلا يُغيثها، وتبكى وتصرخ فلا يرحم دموعها وصراخها، بل ربما تمزقت ثيابها، وسال دمها... والذى يعامل امرأته بهذا الأسلوب سيفشل لا محالة فى إصلاح زوجته.

لذلك حذر الله تعالى عند ضرب النساء من التمادى فى العقاب إذا أعلنت المرأة أى إعلان يدل على التراجع والطاعة، فقال تعالى: ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾(١).

قال ابن كثير رحمه الله: فإذا أطاعت المرأة زوجها فيما يريد منها مما أباحه الله له منها، فلا سبيل له عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرانها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾ تهديد للرجال إذا بغوا على النساء فى غير سبب فإن الله تعالى الكبير وليهن، وهو ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن(٢).

وفى غالب الأحيان فإن الذى يكثر من ضرب امرأته يجعلها تتعود على الضرب وتستأسد، فتتحول من قطة إلى أسد، فربما مدَّت يدها عليه حال ضربها، فإن لم تمد يدها فلن يَسْلَم من لسانها ودعواتها عليه، ومثل هذه الزوجة تكره زوجها ولا تتمنى أن تراه، فهل هذه حياة؟!

والأدهى من ذلك والأمرّ أنه ربما يكون هذا الزوج حلو اللسان مع الناس خارج البيت، شديد الحلم والتواضع، كثير المجاملات، لكن ليس لبيته من ذلك كله نصيب. قال ﷺ: «إنى أُحرِّج عليكم حق الضعيفين، اليتيم والمرأة»(٣). يعنى أُلحق الحرج والإثم بمن يتعدى على الضعيفين.

---

(١) سورة النساء: الآية: (٣٤).

(٢) راجع تفسير الآية: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾.

(٣) حسن: أخرجه ابن ماجه (٣٦٧٨) كتاب الأدب، قال البوصيرى (٤/ ١٠٣) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٠١٥).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ينبغى للرجل أن يكون فى أهله كالصبى، فإذا التُمس ما عنده وجد رجلاً». ألا فليتقِ الزوج ربه فى زوجته كما أوصى النبى ﷺ بذلك فقال: «واستوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوانٌ عندكم»(١).

أى أسيرة فى أيديكم ليس لها بعد الله إلا زوجها، فلا ينفرد بها إلا فى خير.

موقف النبى الكريم ﷺ من ضرب النساء

فى الحديث أن النبى ﷺ ما ضرب بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله وما ضرب امرأة قط ولا خادمًا قط»(٢).

وقد استنكر رسول الله ﷺ على هُواة الضرب لنسائهم تلك الممارسات فقال: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها آخر اليوم»(٣).

وفى رواية الدارمى: «ما بال الرجل يجلد امرأته جلد العبد ولعله يضاجعها فى آخر يومه؟».

وعن إياس بن أبى ذئاب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماء الله» قال: فذئر «أى اجترأ» النساء وساءت أخلاقهن على أزواجهن، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذئر النساء يا رسول الله وساءت أخلاقهن على أزواجهن منذ نهيت عن ضربهن، فقال النبى ﷺ: «فاضربوا» فضرب الناس نساءهم تلك الليلة، فأتى نساء كثير يشتكين الضرب، فقال النبى ﷺ حين أصبح: «لقد طاف بآل محمد الليلة سبعون امرأة كلهن يشتكين الضرب، وايم الله، لا تجدون أولئك خياركم»(٤).

---

(١) حسن: رواه الترمذى (١١٦٣) كتاب الرضاع، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٨٨٠).

(٢) أخرجه أحمد (٦ / ٢٣٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٥٠٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٠٤) كتاب النكاح، ومسلم (٢٨٥٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٤) أخرجه أبو داود (٢١٤٦) كتاب النكاح، والنسائى (٩١٦٧)، وابن ماجه (١٩٨٥) كتاب النكاح، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٣٧).

وقد رفض ﷺ تزويج الضَّرَّاب للمرأة ما دامت فى مجال الاختيار. حدث هذا عندما تقدم معاوية لخطبة فاطمة بنت قيس وكذلك أبو جهم، فلما استشارت رسول الله ﷺ فى العريسين؛ فلم يوافق ﷺ على أبى جهم وقال: «رجلٌ ضَرَّابٌ للنساء»[1].

وفى رواية أحمد: «لا يضع عصاه عن عاتقه».

إذا فكثرة الضرب ليست من الخلق الحسن، وفاعلها ليس من خيار المسلمين بنَصٍّ الرسول ﷺ: **«ليس أولئك بخياركم»**. وهو القائل أيضًا ﷺ: **«إذا أتاكم من ترضون دينه وخُلُقه فزوِّجوه»**[2]. وعليه، فمن رفض تزويج الضراب للنساء فإن رفضه فى محله.

وكان ﷺ عظيم اللطف بالنساء، يظهر ذلك فيما روى عنه أنه ما ضرب شيئًا قط بيده لا امرأة ولا خادمًا.

وقوله لأنجشة: «رويدًا سوقك بالقوارير»[3] وشبَّه النبى ﷺ النساء بالقارورة الزجاجية الضعيفة، سريعة الكسر والتحطيم.

ولما طلب نساؤه منه ﷺ زيادة النفقة والمصروفات، والتوسعة فى العيش جلس مهمومًا غاضبًا لزهده فى الدنيا ومتاعها، فلما أقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما واستأذنا فى الدخول عليه ﷺ؛ وجداه جالسًا وحوله نساؤه ساكتًا لا يتكلم، فلما عرف كلٌّ منهما سبب غضبه ﷺ من نسائه قام أبو بكر ليضرب ابنته عائشة، وقام عمر ليضرب حفصة وهما يقولان لابنتيهما: تسألان رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟ فنهاهما رسول الله ﷺ عن ضربهما[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٨٠) كتاب الطلاق.

(٢) **حسن**: رواه الترمذى (١٠٨٤) كتاب النكاح، وابن ماجه (١٩٦٧) كتاب النكاح، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٧٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦١٤٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣٢٣) كتاب الفضائل.

(٤) والقصة بتمامها فى تفسير ابن كثير لسورة الأحزاب: (٢٨) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ﴾.

وقد روى أن رجلاً جاء إلى عمر ﷺ يشكو خُلق زوجته، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل راجعًا وقال: إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين فكيف حالى؟ فخرج عمر فرآه موليًا عن بابه فناداه وقال: ما حاجتك يا رجل؟ فقال: يا أمير المؤمنين، جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتى واستطالتها علىَّ، فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى؟ فقال عمر: يا أخى، إنى احتملتها لحقوق لها علىَّ، إنها طباخة لطعامى، خبَّازة لخبزى، غسَّالة لثيابى، مُرضعة لولدى، وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن قلبى بها عن الحرام، فأنا أحتملها لذلك. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وكذلك زوجتى، قال عمر: فاحتملها يا أخى فإنما هى مدة يسيرة.

وحُكى أن بعض الصالحين كان له أخٌ فى الله وكان من الصالحين يزوره فى كل سنة مرة، فجاء لزيارته فطرق الباب، فقالت امرأته: مَن؟ فقال: أخو زوجك فى الله جئت لزيارته، فقالت: راح يحتطب لا ردَّه الله ولا سلَّمه وفعل به وفعل، وجعلت تُذمذم عليه، فبينما هو واقف على الباب وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل، وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه فجاء فسلَّم على أخيه ورحَّب به ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للأسد: اذهب بارك الله فيك، ثم أدخل أخاه، والمرأة على حالها تذمذم وتأخذ بلسانها، وزوجها لا يرد عليها، فأكل مع أخيه شيئًا ثم ودَّعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة، وقال: فلما كان من العام الثانى جاء أخوه لزيارته على عادته، فطرق الباب فقالت امرأته: مَن بالباب؟ قال: أخو زوجك فى الله، فلان، فقالت: مرحبًا بك وأهلاً

وسهلاً، اجلس فإنه سيأتى إن شاء الله بخير وعافية، قال: فتعجب من لطف كلامها وأدبها، إذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره، فتعجب أيضًا لذلك، فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله، وأحضرت المرأة طعامًا لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف، فلما أراد أن يفارقه؛ قال: يا أخى، أخبرنى عما أريد أن أسألك عنه؟ قال: وما هو يا أخى، قال: عام أول أتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تذم كثيرًا، ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد وهو مُسخَّر بين يديك، ورأيت العام كلام المرأة لطيفًا لا تذمذم، ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك، فما السبب؟ قال: يا أخى، توفيت تلك المرأة الشرسة، وكنت صابرًا على خُلقها وما يبدو منها، كنت معها فى تعب وأنا أحتملها فكان الله قد سخَّر لى الأسد الذى رأيت يحمل عنى الحطب بصبرى عليها واحتمالى لها، فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة، وأنا فى راحة معها، فانقطع عنى الأسد فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهرى لأجل راحتى مع هذه المرأة المباركة الطائعة[1].

* وكان لشريح القاضى جار من كِندة يُفزع امرأته ويضربها، وكانت زوجة شريح مثالاً للزوجة المطيعة فأنشد يقول:

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم
فشُلَّت يمينى حين أضرب زينبًا
أأضربها فى غير ذنب أتت به
فما العدل منى ضرب من ليس مذنبًا

* * *

(١) كتاب الكبائر للذهبى ص١٧٩-١٨٠ .

ما الأسباب التى تجلب الضرب للنساء

أما عن الأسباب التى تجلب الضرب للنساء فمنها ما يكون بسبب الزوجة نفسها.. ومنها ما يكون بسبب الزوج.

*** فأما الأسباب التى هى من جهة الزوجة فهى:**

١- نشوزها وعدم طاعته وعدم التزامها بما يُلزمها به زوجها.

٢- الامتناع عن فراشه بدون عذر.

٣- خروجها بغير إذنه.

٤- إدخالها فى بيته أحدًا لا يحب هو دخوله عنده.

٥- إهمالها الحجاب أو التزين للزوج. وغير ذلك.

*** وأما عن الأسباب التى هى من جهة الزوج فهى:**

١- الغيرة الشديدة فى غير محلها، والناتجة عن الوسوسة... فبعض الأزواج يشك حتى فى أصابعه، فيغلق جميع الأبواب والنوافذ على زوجته ويمنعها من الخروج إلى البلكونة ولو بحجابها، ويأمرها بما لم يأمر به الله ورسوله من التستُّر أمام المحارم.

٢- الخلط بين حق الزوجة وحق الأبوين، وعدم الفصل فى خلافات الزوجة مع الأم بالحكمة، فتارة يُرضى أمه على حساب الزوجة وتارة يحدث العكس... والتوسط والتثبت هو السبيل الصحيح، لأن البعض يُكذّب زوجته ويصدق أمه مطلقًا والبعض يصدق زوجته ويكذب أمه مطلقًا.

وكلا الأمرين بغيض وفيه ظلم، فأحيانًا يتهم الرجل زوجته بدون بيِّنة ويقول لها: أمى لا تكذب، وأحيانًا يحدث العكس.

٣- خوف الرجل الشديد على أبنائه، بصورة تجعله يضرب امرأته كلما رآها تضرب أحد أبنائه، أو اشتكى له الابن.

وهذا خطأ شنيع يقع فيه الرجل، فحنان المرأة على أولادها معروف، فلن تضرب أبناءها إلا لضرورة.

ثم إنها تجلس مع أبنائها أكثر مما يجلس الرجل فلا بد لها من أن تخيف أبناءها وتُربيهم، بل إن بعض الرجال يضرب زوجته لمجرد شكوى الولد لأبيه، ولهذه سلبيات خطيرة منها:

أ- أن الرجل يُجرئ بذلك ولده على أمه ويدربه على عقوقها، وبذلك يُعرضه لعذاب الله، فأيهما أهون؛ ضرب أُمه له؛ أم عذاب الله للعاق؟! أين عقلك يا رجل؟

ب- لا يجوز أن يقابل ضرب الولد من أمه بضرب الرجل للمرأة، فهذا ميزان جائر.

ج- يولِّد هذا السلوك الكراهية بين المرأة وزوجها، بل بينها وبين أبنائها، حيث صار الرجل بجبروته ومعه أبناؤه حزبًا، والمرأة الضعيفة حزبًا وحدها، وفرق كبير بين الحزبين!!.

د- هو تعليم للولد كثرة الشكايا والقيل والقال وسوء الفعال.

هـ- وهو كذلك تعدٍّ على حق المرأة ومسئوليتها فى تربية الأبناء.

قال ﷺ: «والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها»(١).

فعلى كلٍّ من الزوجين أن يعرف حدوده ويلتزمها حتى تكون الحياة بينهما هنيئة رغدة، لا بذيئة نكدة، عامرة بالحب والإيمان، والجميل والعرفان(٢).

٤- النزاع بسبب عدم وفاء الزوج بما اشترطه لزوجته:

كأن يكون أهل الزوجة قد اشترطوا عليه شيئًا بعينه يفعله بعد الزواج فيوافق الشاب... فإذا تزوج وأصبحت زوجته فى بيته نقض العهود والمواثيق.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٨٩٣) كتاب الجمعة، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة.

(٢) أيها الضرابون للنساء / الشيخ جمال عبد الرحمن (ص٥٧: ٧١) بتصرف.

فهذا من الأسباب التى تجلب المشاكل فى البيت.. ومن ثم فقد يصل الأمر إلى النزاع والشتم والضرب - ولا حول ولا قوة إلا بالله -.

لا تكن منهم

وأخيراً أيها الأخ الحبيب... يا من تضرب زوجتك وتؤذيها أقول لك: لا تكن ممن قال النبى ﷺ فى حقهم: «**لا تجدون أولئك خياركم**».

واعلم أن المسلم الوفى إذا أوصاه حبيبٌ بوصية فإنه يكون حريصًا على تنفيذ ما فى تلك الوصية - إلا إذا كان فى تنفيذها معصية لله - فما ظنك إذا علمت أن النبى ﷺ قد أوصاك بزوجتك خيرًا فقال ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً**» وقال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى**» وقال ﷺ: «**الله الله فى النساء**».

* فيا ترى هل ستحفظ وصية النبى ﷺ أم أنك ستُضيعها؟

أسأل الله (جل وعلا) أن يؤلِّف بين قلب كل زوج مسلمٍ وزوجته وأن يملأ بيوت المسلمين بالمودة والمحبة والرحمة والحنان.

* * *



مشكلات
فى بيت النبوة

مشكلات فى بيت النبوة

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.

فلما دخلنا وجدنا النبى ﷺ جالسًا حزينًا.. فقد حدثت مشكلة بينه وبين أزواجه... فيا ترى ما هى المشكلة وكيف تم حلها؟

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا فى هذه الليلة مع الحلول التى كان يفعلها النبى ﷺ فى تلك المشكلات.

فى بيت النبى ﷺ (١)

«لاشك أن سيرة النبى ﷺ مع أزواجه قدوةٌ لكل مسلم ومسلمة، فمن هذه السيرة المباركة يجب أن نستلهم العبر والدروس، وأن نضعها أمام أعيننا نبراسًا نهتدى به فى دياجير الحياة،... وحياة النبى ﷺ مع أزواجه مع سُموِّها ورفعتها وطُهرِها، لم تَسلم من بعض الخلافات، ذلك أن الرسول ﷺ بَشَرٌ، بكل ما تعنيه هذه الكلمة، وأزواجه رضي الله عنهن كن من البشر، ولابد أن يطرأ على هذه الحياة «البشرية» ما يطرأ على حياة بنى البشر من مشاكل وخلافات، ولنتعلم منها نحن ونأخذ العبر والدروس...

(١) بتصرف من كتاب (حتى يبقى الحب) / د. محمد محمد بدرى.

مشكلة النفقة

حدث بين النبى ﷺ وبين نسائه - رضوان الله عليهن - خلاف حول موضوع النفقة، فجئنه يسألنه النفقة ومتاع الحياة الدنيا، والنبى ﷺ ليس عنده، ولم يبخل عليهن بشيء،... فعن جابر رضي الله عنه قال: دخل أبو بكر رضي الله عنه فوجد الناس جلوسًا بباب النبى ﷺ ، ولم يؤذَن لأحدٍ منهم، قال: فأذن لأبى بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبى ﷺ جالسًا، وحوله نساؤه، واجمًا - أى: ساكنًا -، فقال عمر: لأقولن شيئًا أضحك النبى ﷺ ولأكلمن النبى ﷺ لعله يضحك! فقال: يا رسول الله، لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتنى النفقة آنفًا فوجأتُ عنقها، فضحك النبى ﷺ حتى بدتْ نواجذه، وقال: «هن حولى كما ترى يسألننى النفقة».

فقام أبو بكر إلى عائشة رضي الله عنها يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة رضي الله عنها يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ وليس عنده؟ فقلن: والله ما نسأل رسول الله ﷺ شيئًا أبدًا ليس عنده،... ثم اعتزلهن شهرًا أو تسعة وعشرين يومًا، ثم نزلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١).

قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة، إنى أريد أن أعرض عليك أمرًا أحب ألا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك» قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية.. قالت: أفيك أستشير أبواى؟! بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت، قال ﷺ : «لا

---

(١) سورة الأحزاب: الآيتان: (٢٨-٢٩).

تسألنى امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثنى مُعنتًا ولا متعنتًا؛ ولكن بعثنى معلمًا ميسرًا»[١].

لا تقل إلا حقًا

وذات مرة يحدث خلاف بين النبى ﷺ وعائشة رضي الله عنها، فقال لها رسول الله ﷺ : «أندخل بيننا عمر بن الخطاب».

فقال عائشة: لا.

فقال: «ندخل بيننا أبا بكر».

فقالت: نعم.

ويحكم بينهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فيقول النبى ﷺ لأم المؤمنين عائشة: «تتكلمى أو أتكلم!»، فتقول رضي الله عنها: تكلم أنت، ولا تقل إلا حقًّا !!

فالتفت إليها أبو بكر رضي الله عنه: ولطمها على وجهها حتى أدمى فاها - أى: خرج منه الدم-، وقال: أوَ يقول غير الحق يا عدوة نفسها؟!، فاستجارت برسول ﷺ وقعدت خلف ظهره، فقال ﷺ : «إنا لم نَدْعُكَ لهذا، ولم نُرد منك هذا»[٢].

أدخلانى فى سلمكما

يدخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ذات مرة على رسول الله ﷺ ، فيسمع صوت ابنته عائشة عاليًا على رسول الله ﷺ فلما دخل تناولها ليلطمها، قال: لا أراك ترفعين صوتك على رسول الله، فجعل النبى ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مُغضبًا، فقال ﷺ لعائشة حين خرج أبو بكر: كيف رأيتنى أنقذتك من الرجل؟، فمكث أبو بكر أيامًا، ثم استأذن على رسول

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٧٨) كتاب الطلاق.

(٢) قال العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء (١٤٦٢): أخرجه الطبرانى فى الأوسط والخطيب فى التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف.

الله ﷺ فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما أدخلانى فى سِلمكما كما أدخلتمانى فى حربكما، فقال رسول الله ﷺ : «قد فعلنا، قد فعلنا»(١).

قصة العسل

اتفقت ذات مرة عائشة وحفصة رضي الله عنهما - على أمرٍ أحزن النبى ﷺ ونزل بشأنه قرآن يُتلى إلى يوم الدين، ونترك الحديث لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يمكث عند زينب بنت جحش رضي الله عنها ويشرب عسلاً فتواصيت أنا وحفصة أيَّتُنا ما دخل عليها النبى ﷺ فلتقل له: إنى أجد منك ريح مغافير - صمغ حلو يسيل من شجر العرفط رائحته غير مستحبة-، فدخل على إحداهن ﷺ ، فقالت له ذلك، فقال: بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود إليه فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ (٢) إلى قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (٣) ونزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ (٤) لقوله ﷺ : «بل شربت عسلاً»، وقيل بل لقوله ﷺ : «لن أعود، وقد حلفت، لا تخبرى بذلك أحدًا»(٥).

غضبه ﷺ من أم المؤمنين زينب

وغضب النبى ﷺ من روجته أم المؤمنين زينب رضي الله عنها وهجرها شهرين أو ثلاثة، . . . فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: اعتلَّ بعيرٌ لصفية بنت

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٩٩) كتاب الأدب، وأحمد (٤/ ٢٧١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٩٠١).

(٢) سورة التحريم: الآية: (١).

(٣) سورة التحريم: الآية: (٤).

(٤) سورة التحريم: الآية: (٣).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٤٩١٢) كتاب تفسير القرآن.

حُيي، وعند زينب فضل ظهر - زائد عن حاجتها - فقال النبى ﷺ: «أعطيها بعيرًا»، فقالت: أنا أعطى تلك اليهودية؟! فغضب النبى وهجرها ذو الحجة والمحرم وبعض صفر[1].

خلاف بين فاطمة وعلى رضي الله عنهما

ذات يوم حدث خلافٌ بين فاطمة رضي الله عنها، وبين زوجها على رضي الله عنه، وكلما كانت القلوب مغلفة بالحب، مليئة به، وتحيا فى ظلاله، كانت الهفوات صغيرة فى قلوب المحبين، وقد يضخم القلب كلمة من خلال خيال المحب لتصير كأنها شىء لا يُطاق مع أنها هينة - صغيرة -؛ ولكنها عند المُحب كبيرة.

كان الخلاف هينًا ولكنه بدا كبيرًا لما بينهما من المودة، ويدخل النبى ﷺ على الحبيبين، ويحس أن ماء القلوب قد تعكر صفوه شيئًا قليلاً، وجلس ﷺ فجلس علىٌّ رضي الله عنه، وجلست فاطمة رضي الله عنها بجانبه الآخر، فأخذ النبى ﷺ بيد (على) ووضعها على بطنه، وأخذ بيد فاطمة ووضعها على بطنه، وما زال حتى أصلح ما بينهما.

وحدث مرةً أخرى أن نما إلى سمعه ﷺ أن خلافًا حدث بين الزوجين فذهب إليهما، ورُئي وهو يسعى إلى دار فاطمة رضي الله عنها، وقد ظهر عليه الهم والقلق، فأمضى وقتًا هناك ثم خرج ووجهه الكريم يفيض بِشرًا، فقال قائل من الصحابة: يا رسول الله دخلت وأنت على حال، وخرجت ونحن نرى البِشر فى وجهك، فأجاب ﷺ: وما يمنعنى، وقد أصلحت بين أحب اثنين إلىَّ؟!»[2].

وفى يوم جاء النبى ﷺ إلى بيت فاطمة، فلم يجد عليًّا، فقال: أين

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٢) كتاب السنة، وقال العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٨٣٥): حسن لغيره.

(٢) المفاتيح الذهبية فى احتواء المشكلات الزوجية - نبيل بن محمد محمود (ص٢٥).

ابن عمك؟ فقالت: كان بينى وبينه شىء، فغاضبنى فخرج فقال النبى ﷺ لرجل: انظر أين هو؟ فقال: هو فى المسجد راقد. فجاءه وهو مضطجع، وقد سقط رداؤه عن شِقِّه فأصابه تراب، فجعل النبى ﷺ يقول: «قُم يا أبا تراب. قم يا أبا تراب».

قال راوى الحديث سهل بن سعد: «وما كان له اسم أحب إليه منه»(١).

وبنظرة سريعة إلى هذا الخبر يتبين لنا كيف أن السيدة فاطمة لم تُخبر النبى ﷺ بطبيعة الخلاف وماهيته، بل كل ما أعلمته إياه هو مجرد خلاف فحسب. كما يتبين حسن تصرف الإمام على بن أبى طالب الذى لم يدع مجالاً لاتساع شقة الخلاف والغضب، فترك زوجته وذهب إلى أفضل مكان ترتاح فيه الأعصاب وتصفو النفوس.

كما يتبين لنا كيف كان الرسول ﷺ حكيمًا، إذ لم يسأل ابنته عن أسباب الخلاف وتفاصيله، كما لم يعاتب أو يلوم الإمام عليًّا، بل داعبه ولاطفه بأسلوب كان له أبعد الأثر فى زوال رواسب الغضب والضيق.

وهذا ما يجب علينا اتباعه أزواجًا وزوجات وآباء فى مثل هذه المواقف، سواءً كان التوتر من جانب الزوجة أم من جانب الزوج..»(٢).

وكما لم يخلُ بيت النبى ﷺ - وهو أشرف البيوت - مما يكون بين الأزواج.. فإن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يختلفون مع نسائهم، فقد جاء رجل يشكو زوجته إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فلما قرع الباب سمع زوجة عمر ترفعُ صوتها، فانصرف الرجل، فخرج عمر يناديه وقال له: ما لك؟ قال: يا أمير المؤمنين، جئتُ أشكو إليك سوء خُلُق زوجتى، فوجدتُك مثلى، فضحك ﷺ وقال: أحتملها لحقوق لها علىّ.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤١) كتاب الصلاة، ومسلم (٢٤٠٩) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) فن العلاقات الزوجية فى ضوء القرآن والسنة والمعارف الحديثة - محمد الخشت - ص١٣٩، ١٤٠ .

أسباب الأزمات والمشكلات الزوجية

إن هذه الأزمات يمكن أن نُرجعها إلى أربعة أسباب رئيسية وهي:

أولاً: سوء الاختيار:

أكَّد الإسلام على حسن اختيار شريك الحياة ورفيق العمر، واعتبر حُسن الاختيار من عوامل تحقيق «إسلامية» الحياة الزوجية، ومن تباشير الوفاق والمودة بين الزوجين، فقال رسول الله ﷺ: **«تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تَربت يداك»**[1].

وما ذلك إلا لأن الاختيار خطير، إذ كثيراً ما تطيش بمن يقدمون على الزواج الرغبات، وتستبدُّ بهم الشهوات فتجرفهم في تيارها بسبب جمالٍ فاتن، أو كثرة مال، أو كبر مكانة لا يكون وراءها حصانة من دين أو خلق، فتكون الحياة الزوجية شراً وناراً مستطيراً، تنفذ جمراتهُ في جوانح الزوجين ثم ينتقل أثره إلى الذرية.

* وليس الاختيار من قِبل الزوج وحده فحسب.. بل إن الاختيار مكفولٌ أيضًا للمرأة وأسرتها فقد قال النبي ﷺ: **«إذا أتاكم من ترضون خُلقه ودينه فزوِّجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفسادٌ عريض»**[2].

ثانيًا: عدم التفاهم بين الزوجين في القضايا الأساسية:

كالمال والأولاد وطريقة التعامل.

فالمال من المسائل الهامة، التي إن لم يتم الاتفاق عليها بين الزوجين؛ دَبَّ الخلافُ في تلك الأسرة، حيث أن المال هو عصبُ الحياة وعليه تقوم أمور الناس وتتحقق مطالبهم.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٩٠) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٦٦) كتاب الرضاع.

(٢) حسن: رواه الترمذي (١٠٨٤) كتاب النكاح، وابن ماجه (١٩٦٧) كتاب النكاح، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٧٠).

وتربية الأولاد من الأمور الهامة التى ينبغى أن يتم فيها الاتفاق بين الزوجين على الطريقة الصحيحة للتربية حتى ينشأ الأولاد صالحين نافعين لدينهم ووطنهم.. فإن لم يتم الاتفاق حدثت المشاكل الكثيرة بسبب ذلك.

* وأما عن طريقة التعامل فهى محور من المحاور الأساسية للتفاهم بين الزوجين، إذ إن الحياة الزوجية قائمة على التفاهم والحوار، والحوار جزء كبير من هذه الحياة، ولذلك نبَّه القرآن على ذلك بقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(١)، وهناك من الأزواج من يتفاهم مع زوجته من منطلق الدونية وإلغاء الهوية والكيان، فهى أشبه بأمة ليس لها من الأمر شىء، فالقوامة عنده قهرٌ وإذلال!!.. وهناك من النساء من تعامل زوجها أسوأ معاملة وتتسلط عليه وتُلغى شخصيته وقوامته فيذوب الرجل، وتتذبذب الأسرة.. بل إن هناك أُسَرٌ، كأنها حلبة صراع ومعارك حربية، وخطط ومؤامرات مع أن الصورة الإسلامية حددت وبوضوح الحقوق والواجبات وأيضًا طريقة العِشرة.

ثالثًا: النشأة الأولى، وأثرها فى استقرار الزواج:

* لقد نشأنا فى أسرٍ مختلفة، ومرت بنا ظروف متباينة، جعلت توقعاتنا مختلفة جدًّا فنحن عادة نتأثر بما نلاحظه من تعامل أبوينا فى محبتهما واختلافهما، وبما يقولان أو يفعلان أو بما يصمتان عنه، ونكون تعلمنا ومن غير أن ندرى أساليب مختلفة فى معظم أمور الحياة، كيف ننفق المال، وكيف نرتب أمور المنزل والحياة الأسرية، وما يفعل الرجل داخل البيت، وما لا يفعل، ودور المرأة وعملها ومَن يتخذ القرارات؟ وكيف يُربَّى الأولاد؟ وكيف نحلّ الخلافات والنزاعات؟ وأهمية الترتيب أو عدم أهميته، وأهمية الوقت وكيفية قضائه، ودور الأصدقاء فى حياتنا وكثير من غير هذه المواضيع... كلها تؤدى إلى: الاختلافات والخلافات.

(١) سورة النساء: الآية: (١٩).

رابعًا: عدم فهم الاحتياجات النفسية والعاطفية لكل طرف:

إنه لمن المهم جدًّا أن يفهم كل من الزوجين ما يحتاجه الآخر، وإلا فمن الممكن أن تنشأ للزوج متطلبات لا يمكن أن تحققها له زوجته.. وكذلك الحال بالنسبة للزوجة..

فعلى الزوجة أن تفطن أن هناك مراحل حرجة فى عمر الزواج، تزيد فيها فُرصٍ ابتعاد الزوج مثل: قدوم الأطفال وتزايد أعباء الزوجة وإرهاقها ساعاتُ الليل والنهار.

وهناك مرحلة حرجة أخرى تأتى مع تقدم سنوات الزواج عندما يبلغ الأبناء سن المراهقة وتنغمس الأم فى مشاكل أبنائها، وأيضًا قد يؤدى تقدمها فى العمل ووصولها لمركز مرموق أن يشعر الزوج أنها ليست فى حاجة إليه، وأن هناك أشياء كثيرة تشغلها عنه وهذه الأشياء أهم عندها منه.

وهنا أقوال لكل زوجة: لا تذوبى فى خدمة الأطفال بشكل جائر على حقِّ الزوج.. وأشعريه باهتمامك البالغ مهما بلغ عمره أو عمر زواجكما، فالمرأة بحكم طبيعتها أكثر قدرة على العطاء، وهذا العطاء هو الباعث الحقيقى لعطاء الزوج أيضًا.. ولذلك، فإن جلوسك مع زوجك لمدة ساعةٍ على الأقل يوميًا تكونين خلالها متفرغة له تمامًا؛ تتجاذبين أطراف الحديث فى الشئون التى تهمه، يُعدُّ أنفع وأجدى من قيامك بأى عملٍ آخر، مهما كلَّفك ذلك من تضحيات.

وعلى الزوج أيضًا تفهُّم الأوضاع الجديدة لدى الزوجة والمشاركة معها فى رعاية الصغار ما أمكن ذلك..

* * *

خطوات لحل المشكلات الزوجية

إن الطريقة التى يسلكها الزوجان فى التعامل مع الخلاف ستحدد ما إذا كان هذا الخلاف سيهدم الزواج أم سيحافظ عليه... لذا فإنه من الأهمية بمكان أن نتعلم كيف نحل الخلاف بطريقة ملائمة صحيحة..

*** وهذه الطريقة تتضمن أربع خطوات:**

الخطوة الأولى: الاحترام المتبادل:

فالموضوع ليس مهمًا بقدر أهمية موقف كل واحد من الزوجين تجاهه.. وفى ظل الاحترام المتبادل، نجد أن كل زوج يحترم وجهة نظر الآخر..

الخطوة الثانية: التركيز فى الموضوع الحقيقى:

غالبية الأزواج يجدون صعوبة فى التعرف على الموضوع الحقيقى المسبب للخلاف. كيفية توزيع الأعمال فى المنزل، وما كمية المبالغ التى صرفت؟... وغيرها، كلها مواضيع تحتاج إلى حلول؛ ولكنها لا تشكل صُلب الموضوع الحقيقى للخلاف..

الخطوة الثالثة: ابحثا عن مجالات الاتفاق:

عليك أن تتذكر فى موقف الخلاف أن أكثر الأساليب فعالية هى أن تسأل نفسك: ماذا أستطيع أن أعمل لأحسِّن من علاقتنا؟ فالتركيز على ما تستطيع أنت القيام به دون الضغط على الآخر يوجد جوًا يُسهم فى الوصول إلى اتفاق...

وبالاتفاق على التعاون بدلاً من المجادلة، يبدأ الزوجان فى وضع الأسس لاكتشاف ماذا يستطيع كلاهما أن يقدم للوصول إلى حَلٍّ للخلاف.

الخطوة الرابعة: اتخاذ القرارات بالاشتراك معًا:

حين يبدأ الزوجان فى التعامل مع المشكلة ومحاولة توضيحها. يمكن

لأحد الزوجين أن يقدم حلاً مؤقتًا، وعلى الآخر أن يستجيب إما بالقبول أو بتعديل الحل أو باقتراح حلٍّ آخر فـالمناخ الذي يتـم بالأخذ والعطاء والتبادل هو المناخ الصحى الفعَّال. .

فإذا وصل الزوجان إلى اتفاق، فيجب أن يحاولا توضيح دور كل منهما فى تنفيذ القرار...»[1].

لكل مشكلة حل[2]

لا يوجد مشكلة مهـما كان حجمها إلا ويمـكن احتوائها فى الزواج. . فالأيام تُكسب الزوجـين خبرة، وتزيدهم اقترابًـا وتفاهمًا، وهـذا الاقتـراب والتفاهم لا يكون سطحيًا؛ ولكنه يمتد إلى الأعماق. . وهذا يعنى انكشاف جوهر كل طرف من أطراف العلاقة للآخر. .

ومن هنا لا تكون هناك مـشكلة يمكـن أن نُطلق عليـها «مـسـتحـيلة» فـالإنـسـان يسـتطيع بما آتاه الله من علم وإرادة أن يُذلل الصـعوبات ويعـالج المشكلات، وإذا لم يستطع أن يعـالج المشكلة من جذورها فليحـاول احتواء المشكلة واستيعابها فإن ذلك يخفف عليه وطء المشكلة.

قصة رمزية..

يُحكَى أن امرأة ذهبت إلى أحد الحكماء تشتكى إليه سوء معاملة زوجها لها وعـدم اهتمامـه بها، فقـال لها الحكيم: سـتجدين الحل عندى؛ ولكن سأطلب منك طلبًا قبل أن أعطيك الحل الذى يعينك على كسب زوجك.

فقالت: اطلب ما تشاء المهم أن أجد لمشكلتى حلاً.

---

(١) حان الوقت لزواج أفضل - د. جون كارلسون د. دينكماير - ص٩٢، ٩٣ بتصرف.

(٢) بتصرف من كتاب (حتى يبقى الحب) / د. محمد محمد بدرى.

فقال لها الحكيم: أريك أن تحضرى لى ثلاث شعرات من جسم الأسد.

فقالت: يا إلهى وكيف أصل إلى الأسد؟

فأجاب: هذا هو شرطى الوحيد قبل أن أساعدك.

فوافقت الزوجة على طلب الحكيم. وعندما عادت إلى بيتها بدأت تفكر كيف أستطيع إحضار هذه الشعرات من جسم الأسد؟

فذهبت إلى الغابة وبدأت تنظر إلى الأسد، وتفكر فى الوسيلة المناسبة التى تستطيع بها أن تأخذ شعرات منه، وبدأت تفكر وتفكر حتى توصلت إلى الحل. وفى اليوم التالى أحضرت معها كبشًا وقدمته للأسد، ففرح به الأسد وأكله. وفى اليوم الثانى كررت نفس العمل، وكذلك فى اليوم الثالث والرابع.. حتى ألِفها الأسد. وفى اليوم الخامس اقتربتْ من الأسد وهو يأكل الكبش وبدأت تمسح على جسمه ثم أخذت الشعرات دون أن يحس، وحملتها مُسرعة إلى الحكيم.

فسألها الحكيم متعجبًا: كيف استطعت إحضار هذه الشعرات؟

فأخبرته بما فعلت. وقالت له: ها أنا أحضرت الشعرات فأخبرنى كيف أستطيع كسب زوجى؟

فأجابها الحكيم: لقد استطعت ترويض الأسد المفترس، فكيف لا تقدرين على ترويض زوجك؟.... ولاشك أن الوصول إلى الحل الأمثل للمشكلات إنما يكون غير الأساليب الحضارية مثل:

الحل عبر الحوار

أسلوب الحوار الهادئ هو الأسلوب الكفيل بإزالة أسباب الخلاف، وحل المشاكل التى تنشأ فى الأسرة..

فأكبر المشاكل التى تنشأ فى الأسرة يمكن حلها من خلال الحوار الموضوعى الهادئ الذى يصغى كل طرف فى الأسرة فيه إلى الطرف الآخر

ويسمع ما عنده بنفس الطالب للحقيقة، المتقبل للحق الخاضع له.

الإفصاح برقة عن المشاعر:

هذه أول قواعد الحوار الصحيح بين الزوجين «تجنُّب الحِيَل»!!

صارحيه مثلاً أنك تغارين عليه، وأنك تودين أن تتناقشى معه فى هذا الموضوع..

صارحيه - مثلاً - بأنك ترغبين فى بعض الاهتمام العاطفى بك، أو أنك تريدين أن يقضى معك وقتًا أطول..

تجنبى اللف والدوران.. بل عبِّرى عن مشاعرك بصراحة..

ويجب التنبيه هنا إلى أن الإفصاح هنا وبدقة يقال بتأدب وتلطف، فهناك فرق بين الإفصاح والتجريح، والصراحة والوقاحة...

الاستماع بإنصات للطرف الثانى:

نقصد بهذه النقطة أن يفهم كل شريك الآخر، ولا سبيل لهذا الفهم إلا أن ينصت كلا الزوجين للآخر، ويحسن الاستماع إليه..

تقبل رأى شريك حياتك:

نعم.. تقبَّل رأى الآخر، وخاصة إذا صارحك بمشاعره، وانتبه من التحدث عما أفصح به لك عن نفسه؛ لا تُفش له سرًا. ولا تعيِّره بما قال لك، بل شجعه على الإفصاح عن نفسه..

الحل عبر التفاوض:

تتعدد المواقف التى يجد فيها الزوجان أن لكلٍّ منهما رغبات واحتياجات لا تتفق مع ما يريده الآخر.. وتواجه الحياة الزوجية أزمات حادة حين يُصر كل طرف على ما يريد، كما أن فوز طرف وخسارة الآخر لا تعنى مرور الأزمة بسلام بل فقط تأجيل الانفجار لوقتٍ لاحق لشعور طرف بالغبن وتجاهل رغباته أو احتياجاته.

لذا فلا غرابة أن نتحدث عن التفاوض فى الحياة الزوجية للوصول لأفضل الصيغ التى تحقق حلاً معقولاً للطرفين؛ لتستمر الحياة بعدلٍ وتوافقٍ.

الإعداد:

ماذا تريد؟ حدِّد هدفك ورتِّب أفكارك ومطالبك بشكل يضبط ما هو جوهرى لا تنازل عنه، وما هو أقل فى الأهمية يمكن التفاهم بشأنه.

التحاور:

اكتشاف وكشف الهدف من التفاوض باستخدام الأسئلة المفتوحة، والسماع الجيد والهادئ للطرف الآخر.

العرض:

إذا حدث كذا فنحن سنفعل كذا، ويُفضَّل دائمًا استخدام كلمة نحن؛ لأن الأسرة كيان جَمَع الطرفين، وعادةً هى كلمة تؤكد الوعى بهذه الحقيقة، وأن الطرف المتحدث هدفه المصلحة العامة لكيان الأسرة، أو أنه راعى - إذا كانت المصلحة فردية - مصالح الآخرين وأخذها فى الحسبان.

ومما يعين على التفاوض الناجح..

الابتعاد عن العتاب:

يجب أن يحرص الزوجان على الابتعاد عن العتاب، أو ربما إلغائه - إن استطاعوا - والاستعاضة عنه بالتناصح الخالص لوجه الله، وعدم إعجاب كل منهما برأيه، بل شعارهما جميعًا: رأيى صحيح يحتمل الخطأ.. ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب.

التكيف والمرونة:

يتغير كل شىء حولنا.. الليل يعقبه نهار، والشمس ما تلبث أن تملأ الكون حتى يأذن ضوؤها بالرحيل،... الأطفال يكبرون، الشباب يهرمون، الآباء يموتون!!..

* ولكن بعض الأزواج والزوجات لا يتقبلون هذا التغيير.

إن هذا التغيير لابد أن يجد فى مقابله من كلا الزوجين تكيفًا مع المتغيرات التى تطرأ على الحياة، والتطور الذى يصله شريك الحياة..

* وهذا التكيف هو ما يُطلَق عليه «المرونة».. وهى تعنى: «التحكم» فى أسلوب الحياة.. وهى تمثل قوة عظيمة.. كيف؟

* تأمل معى هذين المشهدين..

الأول: ذبابة تحاول الخروج من نافذة مغلقة وظلت تحوم وتدور من اليمين إلى اليسار ومن أعلى إلى أسفل إلى أن انتهت طاقتها وماتت.

- **الثانى:** أحد صيادى السمك كان يصطاد وكلما تخرج له سمكة صغيرة احتفظ بها، وإذا خرجت له سمكة كبيرة كان يلقيها فى البحر مرةً أخرى، فسأله أحد الجلوس ما السبب وراء هذا التصرف؟ فقال: أنا حزين جدًّا؛ ولكنى مضطر إلى ذلك حيث أن القِدْر الذى أطهى فيه السمك صغير جدًّا لا يتسع إلا للسمك الصغير.

- ونرجع مرة أخرى للذبابة فقد كانت تصر على الخروج من النافذة ولم يكن لديها المرونة الكافية لتبحث عن مخرج آخر، وأصرت على طريقة واحدة، وكان بالقرب منها باب مفتوح كبير كان فى استطاعتها أن تخرج منه لو أنها حاولت وغيرت طريقها.

أما الصياد فلو كان لديه مرونة كافية لكان راجع قدراته وإمكانياته وفكر لوجد حلاً لتلك المشكلة بأن يشترى قِدرًا كبيرًا يطهى فيه السمك الكبير... إن الكثيرين منًّا لهم نفس تفكير هذا الصياد..!!

قوة الاعتذار:

يُعَدُّ الاعتذار فرصة رائعة لتعميق الحب والمشاركة، لأنه الوقت المثالى للقيام بالجهد الحقيقى للاستماع إلى شريك الحياة باحترام وتعمُّق.

إن للاعتذار قوة سحرية، بل ربما كان الاعتذار وسيلة من وسائل دفع من أمامك إلى الاعتذار..

فمثلاً..

حين يقول - الزوج أو الزوجة -: أنا آسف؛ لأنى خرجت عن شعورى وأنا أحدثك بشأن كذا... يبدو أنى بالغت بعض الشىء... فإن رَدَّ فعل الطرف الآخر - غالبًا - يكون: لا بأس، أنا أيضًا آسف فلم أكن أعرف أهمية هذا الأمر بالنسبة لك، سأكون أكثر حرصًا فى المرة القادمة»[1].

ماضى الخلاف.. مستقبل الأمل:

فى كل مرحلة من مراحل الحياة تظهر حاجات جديدة ومشكلات جديدة، فإذا وفَّينا لأنفسنا بهذه الحاجة، واستطعنا إدارة هذه المشكلة، فإننا نصبح قادرين على تنمية وتطوير قدراتنا بحيث نهيئ الأساس الأمثل للسعادة الزوجية..

لا تنبش الماضى:

يشكو بعض الأزواج أو الزوجات من أمور قد ضايقته من الآخر.. فإذا سألته: متى كان هذا ؟ قال: .. منذ عام.. أو منذ عامين.. أو ربما قال: ثلاثة أعوام!!!

لاشك أن هذا التذكُّر للمشاكل القديمة لا يعود على الأزواج بأى نفع.. ذلك أن العلاقة الزوجية فيها ما يكفيها من التحديات.. وهذا «التذكر» يضيف إليها عبئًا جديدًا.

بالطبع.. نحن لا ندعو إلى أن يدفن كل من الزوج والزوجة رأسه فى الرمال... ولكن لابد فى الوقت ذاته أن نتذكر جميعًا، أنه ليس منا معصوم

---

(١) لابد من التأكيد هنا أن رد الفعل هذا لا يكون إلا من طرف يقدر قيمة الاعتذار، وإلا فربما كان ردُّ الفعل هو: نعم إنك تبالغ دائمًا، وهذا أمر مزعج!!!

فكلنا ذوو خطأ.. ولابد أن تكون البيئة التى نعيش فيها هى بيئة تسامح حتى يظل رباط الحب بيننا سليمًا!!

لا تترك المشكلات تتراكم:

لقد دلتنى التجربة على أن أفضل شعار يمكن أن يتخذه الأزواج لتفادى الشقاق، هو أنه لا يوجد حريق يتعذر إطفاؤه عند بدء اشتعاله بفنجان من ماء.. ذلك لأن أكثر الخلافات الزوجية التى تنتهى بالطلاق ترجع إلى أشياء تافهة تتطور تدريجيًا حتى يتعذر إصلاحها..

إن كثيراً من الأزواج لا يحاولون مواجهة التغييرات والتوترات التى تنشأ فى حياتهم فى بداياتها، وإنما يتركون الأمور تتراكم حتى تصل إلى حَلٍّ لا يُحتمل، والمشكلة أنه يصعب على الإنسان أن يتكلم بهدوء وموضوعية عندما يكون شديد الانزعاج والغضب، فنجد الأزواج هنا بدلاً من أن يحددوا وقتًا مناسبًا للحديث الهادئ والشامل، فإنهم يحاولون التنفيس عما فى أنفسهم من الانزعاج والغضب بالكلام عن عوارض المشكلة وبسرعة، وفى أوقات غير مناسبة، مما يزيد فى المشاعر والمواقف السلبية بين الطرفين... إن المشكلات التى لا تُعالَج بشكلٍ سليم تُخرب كل ما هو جيد وحَسَن فى العلاقات الزوجية.

والخطأ الأكبر هنا هو ترك المشاكل تتراكم من دون مواجهة، وبدون توضيح، ومن قبل ذلك ومن بعده.. بدون حوار هادئ، ومواجهة كل من الزوجين للآخر بأخطائه أولاً بأول!!

لا تخبر ثالثا:

عند حدوث مشكلة بين الزوجين، يجب أن يسعيا معًا إلى حلها وعرضها بهدوء، دون نقل هذه المشكلة إلى أهل الزوجين؛ لأنه يغلب أن ينضم أهل الزوجة إلى ابنتيهما، وكذلك أهل الزوج!!

فيبدؤون فى تضخيم الأمور وإحاطتها بهالة عظيمة... !!! وتأخذهم الحمية لابنهم أو ابنتهم؛ فيُضرمون نار العداوة والبغضاء.. وقد يذكروا مشكلاتٍ قديمة يكون الزوجان قد تناسياها...

إن من أكبر الأخطاء التى يقع فيها الزوجان، إشراك الغرباء فى الخصومات المنزلية والمشاكل الزوجية، ففى مثل هذه الحالة يزداد تصلُّب كل طرف بآرائه ومواقفه؛ لأن هَمَّه يصبح فى مثل هذه الحالة منحصراً فى حفظ ماء وجهه بدلاً من الرغبة فى التركيز على المشكلة الأصلية وحلِّها..

ولا يعنى هذا بالطبع عدم أخذ المشورة بتاتًا، بل متى ما رأى الزوجان تعسُّر الفهم والإصلاح، فلهما عرض المشكلة والاستشارة حولها.. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [1][2].

ولكن الأفضل بصفة عامة عند حدوث أى توتر فى الأسرة أن يظل أمره مكتومًا بين الزوجين، يحاولان معًا إزالته والقضاء عليه.

احذر الرمال المتحركة:

يشكو بعض الأزواج مما يُطلقَ عليه «الرمال المتحركة»، ويقصدون بها أسلوب شركاء حياتهم فى المناقشة، فبينما يناقش الواحد منهم شريكه فى أمرٍ ما، وبأسلوب منطقى، خطوة بخطوة، إذا به يجد شريكه قد غيَّر مسار المناقشة...

فقالت الزوجة - مثلاً - لا أستطيع مناقشة هذا الأمر الآن، فأنا مضطرة إلى إخراج البطاطس من الفرن!!..

أو ربما يقول الزوج: لا أستطيع إكمال هذا النقاش، فعندى موعد مع أصدقائى!!

(١) سورة النساء: الآية: (٣٥).

(٢) ماذا وراء الأبواب - أم سفيان - ص٧٦-٨٢ .

ولا يقصد كلا الزوجين من ذلك إلا التهرب من المناقشة، وتفادى الخلاف..!!

ولا شك أن عادة تفادى الخلاف هذه تصنع جواً كاذبًا من الوئام والسلام.. ولكن كثيرًا ما يدفع الزوجان ثمنًا باهظًا لهذا السلام.

وعلى كل حال، فعندما يقع الخلاف بين الزوجين، فإن أمامهما ثلاثة خيارات: الشجار، أو تجنُّب موضوع الخلاف، أو حل المشكلة..

فإذا اختار الزوجان الشجار، فسيجدا طاقاتهما كلها موجهة نحو محاولة إثبات مَن كان على حقٍّ ومن كان على باطل. ويظل بذلك الخلاف باقيًا.

أما إذا اختار الزوجان تجنب الموضوع، فسيظهر الخلاف مرة أخرى، وقد يكون أكثر عمقًا وقوةً.

إن اختيار حل المشكلة هو فى واقع الأمر البديل الوحيد الذكى لمعالجة الخلاف.

*** وأخيرًا:**

فإنى أسأل الله (جل وعلا) أن يحفظ بيوت المسلمين وأن يصرف عنهم السوء وأن ينشر الحب والمودة والرحمة فى بيوت المسلمين.

* * *



كيف نفوز بشفاعة النبى ﷺ

كيف نفوز بشفاعة النبى ﷺ

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.

فلما دخلنا وجدنا النبى ﷺ جالسًا بين أصحابه ﷺ يحدثهم عن أهوال يوم القيامة ويصف لهم تلك الأحداث العجيبة التى ستحدث للخلائق يوم القيامة... فلما رأى الخوف باديًا على وجوه أصحابه فتح لهم باب الأمل وبدأ يكلمهم عن شفاعته.. وكيف أنه اختبأ تلك الشفاعة لأمته فقال ﷺ : **«لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجَّل كل نبىٍّ دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله تعالى منْ مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا»**[(١)].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع شفاعات النبى ﷺ .

* * *

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٩) كتاب الإيمان

النبى ﷺ أول شافع وأول مُشفَّع

عندما يشتد البلاء بالناس فى الموقف العظيم ويطول بحث العباد عن أصحاب المنازل العالية ليشفعوا لهم عند ربهم، كى يأتى لفصل الحساب وتخليص الناس من كربات الموقف وأهواله، فيطلبون من أبيهم آدم أن يقوم بهذه المهمة الكبيرة، ويُذكّرونه بفضله وإكرام الله له، فيأبى ويعتذر، ويذكر عصيانه ربه بأكله من الشجرة التى حرّم الله عليه الأكل منها، ويحيلهم إلى نوح أول رسول أرسله الله إلى البشر، الذي سمّاه الله عبدًا شكورًا، فيأبى ويذكر ما كان منه من تقصير فى بعض الأمور تجاه ربه ومولاه، وهكذا يحيلهم إلى من بعده من أولى العزم من الرسل، والآخر يدفعها إلى من بعده، حتى يأتوا الرسول الخاتم: محمد ﷺ ، الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيقوم مقامًا يحمده عليه الأولون والآخرون، وتظهر به منزلته العظيمة، ودرجته العالية[1] .

* **قال ﷺ : «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر»[2] .**

وقال ﷺ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مُشفَّع»[3] .

وقال ﷺ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبىٍّ يومئذٍ آدمُ فمن سواه إلا تحت لوائى وأنا أول شافعٍ وأول مشفَّع ولا فخر»[4] .

---

(١) القيامة الكبرى/ د. عمر الأشقر (ص: ١٧٣).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٣٦١٣) كتاب المناقب، وابن ماجه (٤٣١٤) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٨١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨) كتاب الفضائل.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٣١٤٨) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٣٠٨) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٦٨).

ولما كان ذكر مناقب النفس إنما يُذكر افتخاراً فى الغالب أراد النبى ﷺ أن يقطع وهم من توهَّم أنه يذكر ذلك افتخاراً فقال: «ولا فخر».

النبى ﷺ يختبئ دعوته شفاعة لأمته

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

فها هو الحبيب ﷺ يختبئ دعوته شفاعة لأمته.

قال رسول الله ﷺ : «لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجَّل كل نبى دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعةً لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبى ﷺ تلا قول الله عز وجل فى إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣) وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٤) فرفع يديه وقال: «اللهم أمتى، وبكى، فقال الله عز وجل: **يا جبريل اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسله: ما يُبكيك**». فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ـ وهو أعلم ـ فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنُرضيك فى أمتك ولا نسوؤك»(٥).

* * *

(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

(٤) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٥) **صحيح:** رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

شروط الشفاعة

إن الشفاعة الثابتة فى الشرع هى التى يتوفر فيها شرطان:

- إذن الله للشافع.
- الرضا عن المشفوع له.

وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله عز وجل، سواء فى ذلك شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة مَن دونه، وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه وبوقت الشفاعة، فليس يشفع إلا من أَذِن الله له فى الشفاعة، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى أن يشفع فيه، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[1]، ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾[2].

ولذلك فإن والد إبراهيم لما مات كافرًا فإن الله لم يقبل شفاعة خليله فيه فى ذلك اليوم..... روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر فى يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصنى؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يارب، إنك وعدتنى أن لا تخزنى يوم يُبعثون، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إنى حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال لإبراهيم: انظر ما تحت قدميك؟ فينظر فإذا هو بذيخٍ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه، فيُلقى فى النار»[3].

* * *

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).

(٢) سورة يونس: الآية: (٣).

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٣٣٥٠) كتاب أحاديث الأنبياء.

كيف نجمع بين الآيات التى تنفى الشفاعة والتى تثبتها؟

نحن نعلم أنه قد وردت آيات نفت الشفاعة مطلقًا وكذلك نفت الشفيع، ووردت أيضًا آيات أثبتت الشفاعة والشفيع.

أما الآيات التى نفت الشفاعة والشفيع، فمنها ما يلى:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾(١).

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾(٥).

* أما الآيات التى أثبتت فيها الشفاعة والشفيع، فمنها ما يلى:

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٤٨).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥٤).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (٥١).

(٤) سورة الأنعام: الآية: (٧٠).

(٥) سورة غافر: الآية: (١٨).

قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ (٦) .

وكل هذه الآيات أثبتت الشفاعة بقيود.

وكما هو معلوم أن كتاب الله ليس بين آياته تضارب إذ قال الله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ (٧) فالجمع بين ما ذُكر من الآيات التى نفت الشفاعة والآيات التى أثبتتها يتم ويتضح بالآتى:

أولا: لا بد أن يُعلَم أن أمر الشفاعة كله موكول إلى الله تبارك وتعالى لقوله عز وجل: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ (٨).

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).

(٢) سورة يونس: الآية: (٣).

(٣) سورة الأنبياء: الآيات: (٢٦-٢٨).

(٤) سورة طه: الآيتان: (١٠٩-١١٠).

(٥) سورة الزخرف: الآية: (٨٦).

(٦) سورة النجم: الآية: (٢٦).

(٧) سورة النساء: الآية: (٨٢).

(٨) سورة الزمر: الآية: (٤٤).

ثانيًا: لا شفاعة فى كافر[1] لقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[2].

ولقول الكافرين: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[3].

وفى الصحيح من حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه فيقول: يا رب إنك وعدتنى أن لا تخزنى يوم يبعثون فيقول الله عز وجل: إنى حرمت الجنة على الكافرين»[4].

ثالثًا: أن الشافع لا يشفع إلا بإذن الله، وذلك لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[5].

---

(١) ويستثنى من هذا أبو طالب عم رسول الله ﷺ، فقد أخرج البخارى (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠) من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أنه سمع النبى ﷺ وذُكر عمه أبو طالب فقال: «لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيُجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه» وقد جاء هذا مجزومًا فى حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبى ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: «هو فى ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار» أخرجه البخارى (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩)، فأبو طالب مستثنى، ثم إن الشفاعة لم تُخرجه من النار، وقد يقال: إن الكافر الداعى إلى كفره ليس كالكافر الذى لا يدعو إلى الكفر وهذا صحيح وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ سورة العنكبوت: الآيتان: (١٢، ١٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ سورة النحل: الآيتان: (٢٤، ٢٥).

فأبو طالب كان كافرًا لكنه لم يكن داعيًا إلى الكفر بل كان منافحًا عن رسول الله ﷺ فمن ثم خُفف عنه.

لكن صراحة حديث رسول الله ﷺ حيث قال: «ولولا أنا...» أقوى من هذا المفهوم، والله تعالى أعلم.

(٢) سورة غافر: الآية: (١٨).

(٣) سورة الشعراء: الآيتان: (١٠٠، ١٠١).

(٤) أخرجه البخارى (٤٧٦٩) كتاب تفسير القرآن.

(٥) سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).

رابعًا: أن الشافع لا يشفع إلا فيمن ارتضاه الـله سبحانه وتعالى: لقوله عز وجل: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (١).

خامسًا: أن الأصنام والشمس والقمر وسائر المعبودات لا تشفع لعابديها، قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (٤)(٥).

أنواع الشفاعات

الشفاعات على وجه الإجمال تنقسم إلى ثلاثة أنواع وهى:

* شفاعات فى الآخرة.
* شفاعات يشفعها أقوام أحياء لقوم قد ماتوا.
* شفاعات بين أهل الدنيا فى دنياهم.

أما على وجه التفصيل فبالنسبة لشفاعات الآخرة فنذكر منها الآتى:

النوع الأول: الشفاعة الأولى، وهى العظمـى، الخاصة بنبينا ﷺ من

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٢٨).

(٢) سورة يونس: الآية: (١٨).

(٣) سورة الزخرف: الآية: (٨٦).

(٤) سورة فاطر: الآيتان: (١٣، ١٤).

(٥) الشفاعة/ للشيخ مصطفى العدوى (ص: ٦-١٠).

بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ بلحم، فـدُفع إليه منها الذراع، وكانت تُعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون لِمَ ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون إلى ما أنتم فيه؟ ألا ترون إلى ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسمَّاك الله عبدًا شكورًا، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذْباته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى: فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسًا لم أُومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى

غيرى، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمتُه ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، وكلَّمتَ الناس فى المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنبًا، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتونى، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ذنبك، ما تقدم منه وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم، فآتى تحت العرش، فأقع ساجدًا لربى عز وجل، ثم يفتح الله علىَّ ويُلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلى، فيقال: يا محمد، ارفعْ رأسك، سَلْ تُعطَه، اشفع تُشفَّع، فأقول: يا رب أمتى أمتى، يا رب أمتى أمتى، يارب أمتى أمتى، فيقول: أدخِلْ من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال: والذى نفسى بيده، لما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرَى»[1].

النوع الثانى والثالث من الشفاعة: شفاعته ﷺ فى أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفى أقوام آخرين قد أُمِر بهم إلى النار، أن لا يدخلوها.

النوع الرابع: شفاعته ﷺ فى رفع درجات من يدخلُ الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم. وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات، مع تواتر الأحاديث فيها.

النوع الخامس: الشفاعة فى أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب،

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧١٢) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٩٤) كتاب الإيمان.

ويَحْسُن أن يُستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن، حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، . . . والحديث مُخرَّج فى الصحيحين.

* **قال ﷺ: «وعدنى ربى أن يُدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بلا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثيات ربى»**[1].

* **وقال ﷺ: «سألت الله الشفاعة لأمتى فقال: لك سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. قلت: رب زدنى فحثا لى بيديه مرتين وعن يمينه وعن شماله»**[2].

* **وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال:** سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«يدخل الجنة من أمتى زُمرةٌ هم سبعون ألفًا تُضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر...»** وقال أبو هريرة: فقام عُكاشة بن محصن الأسدى يرفع نَمِرة عليه فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلنى منهم قال: **«اللهم اجعله منهم»**.

- **وفى رواية أنه ﷺ قال: «أنت منهم»** - ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم. فقال: **«سبقك بها عكَّاشة»**[3].

النوع السادس: الشفاعة فى تخفيف العذاب عمَّن يستحقه، كشفاعته فى عمه أبى طالب أن يخفف عنه عذابه. ثم قال القرطبى فى «التذكرة» بعد ذكر هذا النوع: «فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾[4]: قيل له: لا تنفعه فى الخروج من النار، كما تنفع عصاة

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذى (٢٤٣٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٢٨٦) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١١١).

(٢) **صحيح:** أخرجه هناد (١/ ١٣٥ ، رقم ١٧٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٩٠).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦٥٤٢) كتاب الرقاق، ومسلم (٢١٦) كتاب الإيمان.

(٤) سورة المدثر: الآية: (٤٨).

الموحدين، الذين يُخرَجون منها ويدخلون الجنة.

النوع السابع: شفاعته ﷺ فى استفتاح باب الجنة.

فعن أنس قال: قال ﷺ: «**أنا أول الناس يشفع فى الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا**»[1]، . . . وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك**».

وقال ﷺ: «**يجمعُ اللهُ الناسَ يوم القيامة، فيقوم المؤمنون حين تُزلَفُ لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولونَ: يا أبانا! استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئةُ أبيكم آدمَ، لستُ بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابنى إبراهيم خليل الله، فيقول إبراهيم، لستُ بصاحب ذلك؛ إنما كنت خليلاً من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى الذى كلَّمه الله تكليمًا، فيأتونَ موسى، فيقول: لستُ بصاحبِ ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى لستُ بصاحب ذلك، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدًا، فيقومُ فيُؤْذَنُ له، وتُرسَل الأمانة والرَّحِمُ، فتقومان جَنَبَتَى الصِراط يمينًا وشمالاً، فيمرُّ أوَّلُكم كالبرق، ثم كمرِّ الريحِ، ثم كمرِّ الطيرِ وشدِّ الرجالِ، تجرى بهم أعمالهم، ونبيُّكم قائمٌ على الصراط يقول: يارَبِّ سلِّم سلِّم، حتى تعجزَ أعمالُ العبادِ، وحتى يجىء الرجل فلا يستطيع السيرَ إلا زحفًا، وفى حافتى الصراط كلاليب معلقةٌ، مأمورةٌ، تأخذ من أُمِرَت بأخذه... فمخدوشٌ ناجٍ، ومكدوسٌ فى النار**»[2][3].

وأما النوع الثامن: فقد قال صاحب معارج القبول رحمه الله: «هى شفاعته ﷺ فى أقوام ماتوا على دين الإسلام وأوبقتهم كثرة الآثام فيشفع

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٦) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٥) كتاب الإيمان.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية صـ ٢٢٩: ٢٣٣ ، بتصرف.

لهم النبى ﷺ ليخرجوا من النار ويدخلوا الجنة فهذه الشفاعة حقٌ يؤمن بها أهل السنة والجماعة، كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه، وأنكرها فى آخر عصر الصحابة (الخوارج)، وأنكرها فى عصر التابعين (المعتزلة)، وقالوا بخلود من دخل النار من عُصاة الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهدون أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت الحرام ويسألون الله الجنة ويستعيذون به من النار فى كل صلاة ودعاء، غير أنهم ماتوا مُصرين على معصية عملية عالمين بتحريمها معتقدين مؤمنين بما جاء فيها من الوعيد الشديد فقضوا بتخليدهم فى جهنم مع فرعون وهامان وقارون، فجحدوا قول الله عز وجل: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (١)، وقوله عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣).

* **قال ﷺ: «يُجمع المؤمنون يوم القيامة، فيهتمُّون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا على ربِّنا، فأراحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجَدَ لكَ ملائكته، وعلَّمَكَ أسماء كلِّ شيء، فاشفع لنا عند ربِّك، حتى يُريحَنا من مكاننا هذا، فيقول لهم آدم: لست هُناكم، ويذكر ذنبه الذى أصابه، فيستحى ربه عز وجل من ذلك، ويقول: ولكن ائتوا نوحًا، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحًا، فيقول: لست هناكم -**

(١) سورة ص: الآية: (٢٨).

(٢) سورة الجاثية: الآية: (٢١).

(٣) سورة القلم: الآيتان: (٣٥:٣٦).

ويذكر لهم خطيئةَ سؤاله ربَّه ما ليس له به علمٌ، فيَستحى ربَّهُ من ذلك ـ ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيأتونهُ، فيقولُ: لستُ هناكم، ولكن ائتوا موسى عبدًا كلَّمه الله، وأعطاهُ التوراة، فيأتون موسى، فيقول: لست هناكم ـ ويذكر لهم النَّفسَ التى قَتَلَ بغير نفس، فيستحى ربَّهُ من ذلك ـ ولكن ائتوا عيسى عبدَ الله ورسوله، وكلمتَهُ ورُوحَهُ، فيأتون عيسى، فيقول لهم: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدًا عبدًا غَفرَ الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،.... فأقومُ، فأمشى بين سماطين من المؤمنين، حتى أستأذنَ على ربِّى، فيُؤذنُ لى، فإذا رأيتُ ربى وقعتُ ساجدًا لربِّى تبارك وتعالى، فيدَعُنى ما شاء أن يَدَعنى، ثم يقول: ارفع محمدٌ. قُل: يُسمعْ، وسَلْ تُعْطَهْ، واشفَع تُشَفَّعْ، فأرفعُ رأسى، فأحْمدُهُ بتحميد يُعلمنيه، ثم أشفع فيحُدُّ لى حدًا فأُدخلهم الجنة ثم أعود إليه الثانية، فإذا رأيت ربِّى وقعت ساجدًا لربى تباركَ وتعالى، فيدعُنى ما شاء الله أن يدعنى، ثم يقول: ارفع محمَّدًا قل يُسمعْ، وسَلْ تُعطه، واشفعْ تشفّعْ، فأرفعُ رأسى، فأحمده بتحميد يُعلمنيه، ثم أشفعُ، فيَحُدُّ لى حدًا، فأُدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة، فإذا رأيت ربِّى تبارك وتعالى، وقعتُ ساجدًا لربِّى، فيدعنى ما شاء أن يَدَعنى، ثم يقول: ارفع محمَّدُ! قل: يُسمع، وَسلْ تُعطَه، واشفع تُشفَّع، فإذا رفعت رأسى، فأحمَدُهُ بتحميد يعلِّمنيه، ثم أشفع، فيحُدُّ لى حدًا، فأدخلُهُمُ الجنة، ثم أعود الرابعةَ فأقول: يارب! ما بقىَ إلا من حبَسَهُ القرآن، فيُخرجُ من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان فى قلبه من الخيرِ ما يَزنُ شعيرةً، ثم يُخرجُ من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان فى قلبه من الخير ما يَزنُ برةً، ثم يُخرجُ من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان فى قلبه من الخير ما يَزنُ ذرةً»(١).

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤١٠) كتاب التوحيد، ومسلم (١٩٣) كتاب الإيمان.

شفاعة الملائكة

قال ﷺ عن شفاعة الملائكة: «... حتى إذا فرغ الله تعالى من فصل القضاء بين العباد وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم فى النار بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتُحشوا - صاروا كالفحم من الاحتراق - فيُصبّ عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة فى حميل السيل، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مُقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة...» (١).

شفاعة المؤمنين

إن صُحبة أهل الإيمان تُثمر لك الخير كله فى الدنيا والآخرة.

فأما فى الدنيا: فإنه يُذكرك بالله ويعينك على طاعته وينصرك إذا كنت فى حاجة إلى النُّصرة ويبذل لك كل ما يستطيع من أجل أن يُدخل عليك السرور والسعادة.

وفى الآخرة يشفع لك عند الله (عز وجل).

قال تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢) ولذلك فعلينا أن نتعاهد من الآن على أنه مَن أذن الله له بالشفاعة يوم القيامة أن يشفع لإخوانه المؤمنين.

قال ﷺ موضحًا هذا المشهد المهيب من مشاهد يوم القيامة ـ عندما يشفع المؤمنون لإخوانهم: «... ثم يُضرب الجسرُ على جهنّم، وتحلُّ الشفاعة،

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٣٨) كتاب التوحيد، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان.

(٢) سورة الزخرف: الآية: (٦٧).

ويقولون: اللهمَّ سلِّمْ سلِّمْ. قيل: يا رسولَ الله، وما الجسرُ؟ قال: دَحضٌ مَزلَّةٌ، فيه خطاطيفٌ وكلاليبٌ، وحسكةٌ تكون بنجد، فيها شوَيكةٌ، يقالُ لها: السَّعدان، فيمرُّ المؤمنونَ كطرْف العَين؛ وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فَنَاجٍ مُسلَّمٌ، ومخدوشٌ مُرسَلٌ، ومكدوسٌ فى نار جهنم، حتى إذا خلصَ المؤمنون من النار، فوالذى نفسى بيده ما منْ أحد منكم بأشدَّ مناشدةً لله في استيفاء الحقِّ من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهمُ الذين فى النار، يقولونَ: ربَّنا كانوا يصومون معَنا، ويصلونَ، ويحجُّون، فيقالُ لهمْ: أخرجوا من عرَفتم، فتُحرَّمُ صورهم على النار، فيُخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه. فيقولون: ربَّنا ما بقى فيها أحدٌ ممَّن أمرتنا به، فيقول الله عزَّ وجلَّ: ارجعوا، فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجونَ خلقًا كثيرًا، ثم يقولونَ ربَّنا لم نذرْ فيها أحدًا ممن أمرتنا به. ثم يقول: ارجعوا فمَن وجدتم في قلبه مثقالَ نصف دينار من خير فأخرجوهُ، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربَّنا لم نذرْ فيها ممن أمرتنا أحدًا، ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربَّنا! لم نذرْ فيها خيرًا»(١).

شفاعة أرحم الراحمين

قال ﷺ: «إنَّ الله تعالى خلقَ الرحمة يومَ خلقها مائةَ رحمة، فأمسكَ عندهُ تسعًا وتسعينَ رحمةً، وأرسل فى خلقه كلهمْ رحمةً واحدةً، فلوْ يعلمُ الكافرُ بكُلِّ الذى عندَ الله منَ الرحمة لم ييأسْ منَ الجنة، ولوْ يعلمُ المؤمنَ بالذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار»(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧٣٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٧٥٢) كتاب التوبة.

وقال ﷺ: «إنَّ الله خلق مائة رحمة، فبثَّ بينَ خلقه رحمَةً واحدةً، فهُم يتراحمون بها، وادَّخرَ عندَهُ لأوليائه تسعةً وتسعين»(١).

وقال ﷺ: «إنَّ الله تعالى خلقَ يومَ خلقَ السَّموات والأرض مائةَ رحمة، كلُّ رحمة طباقُ ما بين السماء والأرض، فجعل منها فى الأرض رحمةً، فبها تعطفُ الوالدةُ على ولدها، والوحشُ والطيرُ بعضُها على بعضٍ، وأخَّر تسعًا وتسعين، فإذا كانَ يومُ القيامة أكملَها بهذه الرحمة»(٢).

* فمن هذه الرحمات العظيمة لرب الأرض والسماوات أنه لا يأذن بشفاعة الأنبياء والملائكة والمؤمنين فحسب بل يقبض قبضة من النار ليُخرج قومًا ـ من النار ـ لا يعلم عددهم إلا الله فيُدخلهم الجنة. . . ولا يعلمُ أحدٌ من الخلق قدر قبضة الخالق (جل وعلا) فقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٣).

قال ﷺ: «... فيقول الله: شفعت الملائكة، وشفع النبيُّونَ، وشَفَعَ المؤمنون، ولم يبق إلا أرحمُ الرَّاحمينَ، فيقبِضُ قبضةً من النار، فيُخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قطُّ، قد عادوا حُممًا، فيُلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقالُ له: نهرُ الحياة، فيخرجون كما تخرُجُ الحبَّة فى حميل السَّيل، ألا ترونها تكونُ إلى الحجر أو الشَّجر، ما يكونُ إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكونُ منها إلى الظل يكُونُ أبيض، فيَخرجونَ كاللُّؤلؤ، فى رقابهم الخواتيمُ، يعرفُهم أهلُ الجنة: هؤلاء عُتقاءُ الله من النار، الذينَ أدخلهُم الجنة بغير عملٍ عملوهُ، ولا خير قدَّموه، ثم يقولُ: ادخُلوا الجنة فما رأيتموهُ فهو لكم، فيقولون: ربَّنا أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندى أفضل من هذا؟ فيقولون: يا ربَّنا أى شىءٍ أفضلُ

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (١٩/٤١٧) عن معاوية بن حيدة وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٦٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٣) كتاب التوبة.

(٣) سورة الزمر: الآية: (٦٧).

من هذا؟ فيقولُ: رضاى فلا أسخط عليكم بعدهَ أبدًا»[1][2].

وهناك شفاعات أخرى

* فالقرآن يشفع وخاصة البقرة وآل عمران:

أخرج مسلم رحمه الله تعالى فى «صحيحه» من حديث أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان[3]أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان[4]من طيرٍ صواف تُحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة فإنَّ أَخْذَها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة[5]» [6].

* وشفاعة الآباء للأبناء مستندها:

قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [7].

* وشفاعة الأبناء للآباء مستندها:

ما أخرجه مسلم [8] من طريق أبى حسان قال: قلت لأبى هريرة إنه قد مات لى ابنان فما أنت مُحدِّثى عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: قال: نعم «صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان.

(٢) كتاب (رحلة إلى الدار الآخرة) / للمصنف (ص: ٤٢٥-٤٣٢).

(٣) المراد: سحابتان.

(٤) الفرق هو الجماعة أو القطعة.

(٥) البطلة هم السحرة.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٨٠٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٧) سورة الطور: الآية: (٢١).

(٨) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣٥) كتاب البر والصلة والآداب.

أو قال: أبويه فيأخذ بثوبه أو قال بيده كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا، فلا يتناهى- أو قال: فلا ينتهى - حتى يُدخله الله وأباه الجنة».

وأخرج الإمام أحمد رحمه الله بإسناد حسن من حديث بعض أصحاب النبى ﷺ : «يقال للولدان يوم القيامة ادخلوا الجنة قال فيقولون: يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا قال: فيأتون قال: فيقول الله عز وجل ما لى أراهم محبنطئين... ادخلوا الجنة قال: فيقولون: يا رب آباؤنا وأمهاتنا، قال فيقول ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم»[1] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول: يا رب أنَّى لى هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»[2] .

* **وشفاعة الشهداء مستندها :**

حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «للشهيد عند الله ست خصال: يُغفر له فى أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة ويُجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويُزوَّج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين إنسانًا من أقاربه».

* **وها هم أحياء يشفعون لأموات:**

أخرج مسلم [3] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه مات ابنٌ له بقديد أو بعسفان فقال: يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس، قال: فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال: تقول هم أربعون؟ قال: نعم قال: أخرجوه، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل مسلم يموت

(١) رواه أحمد (٤/ ١٠٥).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٥٠٩) بإسناد حسن.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩٤٨) كتاب الجنائز.

فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفَّعهم الله فيه».

وأخرج مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبى ﷺ قال: «ما من ميت تصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شُفِّعوا فيه»[1].

أسباب سقوط العقوبة عن العصاة

إذا وقع العبد المؤمن فى المعصية فإن الله سبحانه وتعالى قد فتح لعباده أبواب رحمته، للخلاص من عقوبة ما يقعون فيه، إذا أخلصوا واتقوا.

فالحسرة كل الحسرة لمن لم يتعرض لتلك الأسباب التى تُسقط عنه العقوبة.

هذا وقد استقرأ بعض العلماء الأسباب التى تُسقط العقوبة عن المعاصى فى نصوص القرآن والسنة، ونلخص للأخ القارئ ما خلص إليه شارح العقيدة الطحاوية فى هذا الموضوع. فقد قال: «إن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب، عُرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة»، ثم ذكر منها ما يلى:

السبب الأول: التوبة فقد قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾[2].

وقال أيضا: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[3].

والتوبة التى تُسقط العقوبة هى التوبة النصوح، وهى الخالصة النابعة من القلب، لا المقتصرة على النطق باللسان، . . . وهى ما يصحبها الندم على

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٤٧) كتاب الجنائز

(٢) سورة مريم: الآية (٥٩ : ٦٠).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٦٠).

ما فات من المعاصى، والعزم على عدم العودة إليها، وعمل الصالحات.

وكون التوبة سببًا لغفران الذنوب، وعدم المؤاخذة بهـا مما لا خلاف فيه بين الأمة. وليس شيء يكون سببا لغفران جميع الذنوب إلا التوبة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [(١)].

السبب الثاني: الاستغفار فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[(٢)]، والواقع أن الاستغفار يدخل فى معنى التوبة، فإن الاستغفار طلب مغفرة الذنوب التى وقع فيها العبد، وهو ما يدخل فى الندم على ما قدَّم الإنسان، فإن طلب المغفرة عنوان هذا الندم، وتزيد التوبة عن الاستغفار أن فى معناها العزم على اجتناب المعاصى فى المستقبل.

السبب الثالث: فعل الحسنات.

فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[(٣)].

السبب الرابع: الوقوع فى المصائب الدنيوية.

لقوله ﷺ: «ما يصيب المؤمن من وَصَب ولا نَصَب ولا غم ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه»[(٤)].

واعلم أن تكفير الخطايا يكون بسبب وقوع المعصية نفسها، فإذا صبر المبتلى فاز بثواب جديد فوق تكفير خطاياه، وإن سخط اكتسب إثمًا جديدًا، ويبقى تكفير خطاياه بوقوع المصيبة.

السبب الخامس: عذاب القبر.

السبب السادس: أهوال يوم القيامة وشدائده.

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٣٣).

(٣) سورة هود: الآية: (١١٤).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥٦٤٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة والآداب.

السبب السابع: شفاعة من أذن الله لهم بالشفاعة يوم القيامة.

السبب الثامن: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة.

كما قال تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[1] .

السبب التاسع: دعاء المؤمنين واستغفارهم فى الحياة وبعد الممات.

السبب العاشر: ما رواه البخارى أن النبى ﷺ قال: **«إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أُذن لهم بدخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدلّ منه بمسكنه كان له فى الدنيا»**[2] .

السبب الحادى عشر: ما يُهدَى للعبد المؤمن من ثواب صدقة أو قراءة أو حج أو نحو ذلك. فقد اتفق أهل السنة على أن الأموات من المؤمنين ينتفعون من سعى الأحياء بأمرين:

الأمر الأول: ما تسبب إليه الميت فى حياته، لما ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له أو علم يُنتفع به من بعده»**[3].

الأمر الثانى: دعاء المسلمين واستغفارهم والصدقة والحج، واختلفوا فى العبادات البدنية، كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر.

فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها، والمشهور من مذهب الشافعى ومالك عدم وصولها.

والدليل على انتفاع الميت بأشياء لم يتسبب فيها.. قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾[4] .

---

(١) سورة النساء: الآية: (٤٨).

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٢٤٤٠) كتاب المظالم والغصب.

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.

(٤) سورة الحشر: الآية: (١٠).

فأثنى سبحانه وتعالى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدلَّ على انتفاعهم باستغفار الأحياء.

وقد دلَّ على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له فى صلاة الجنازة.

والأدعية التى وردت بها السنة فى صلاة الجنازة مستفيضة، وكذلك الدعاء له بعد الدفن. وكان رسول الله ﷺ يُعلم الصحابة رضوان الله عليهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**» (١).

ويدل على وصول ثواب الصدقة للميت ما ورد عن عائشة رضي الله عنها، أن رجلا أتى النبى ﷺ ، فقال: يا رسول الله إن أمى افتُلتت نفسها ولم توصِ، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم (٢).

وقد ورد أكثر من حديث فى هذا المعنى.

ويدل على وصول ثواب الصوم ما ورد فى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**» (٣).

ويدل على وصول ثواب الحج ما ورد فى صحيح البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جُهينة جاءت إلى النبى ﷺ ، فقالت: إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: حُجى عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء» (٤).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٧٥) كتاب الجنائز.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٠٤) كتاب الزكاة.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٩٥٢) كتاب الصوم، ومسلم (١١٤٧) كتاب الصيام.

(٤) **صحيح**: رواه البخارى (١٨٥٢) كتاب الحج.

وهذا لا يتناقض مع قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[١].

وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣]، لأن الإنسان بدخول الإسلام وارتباطه بذلك مع إخوانه المسلمين برباط الأخوة الإيمانية وبحسن عشرته وإسداء الخير للناس، وتودّده لهم، يكون ساعيًا فى حثّهم على الدعاء له بعد مماته، والاستغفار والترحّم عليه، وإهداء ثواب الطاعات له. فكان هذا الكسب أثرًا من آثار سعيه. فالقول بانتفاع الميت بما يُهدَى إليه من إخوانه لا يتعارض مع تلك الآيات الكريمات، فإنها آيات مُحكمة تقتضى عدل الله تعالى وتقتضى أنه لا يعاقَب أحدٌ بجُرم غيره ولا يؤخذ بجريرة غيره وتقتضى أنه لا يفلح أحد إلا بعمله، لينقطع طمعه بعمل آبائه وسلفه ومشايخه.

إلا أنه يجدر بالملاحظة أن هناك بعض العادات والبدع لا تدخل فيما تقدم. وليس عليها دليل من الشرع ولم يقل بجوازها أحد من العلماء، مثل استئجار قوم يقرؤون القرآن، ويهدونه للميت، فهذا العمل لم يُجزه أحد. وإنما اختلف الفقهاء فى جواز الاستئجار على تعليم القرآن. وأما الاستئجار لقراءته وإهدائه للميت، أو الاستئجار لمن يصلى ويصوم ويهدى للميت، فهذا لا خلاف فى عدم جوازه. ولكن الذى يدخل فيما سبق يقتصر على قراءة القرآن وإهدائها للميت تطوعًا بغير أجر[٤].

* * *

(١) سورة النجم: الآية: (٣٩).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٨٦).

(٣) سورة يس: الآية: (٥٤).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٢٧: ٣٣٠) ..... بتصرف

الشفاعات الدنيوية

أما الشفاعات الدنيوية فمنها ما هو مشروع، ومنها ما ليس بمشروع بل محرم... قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾(١).

وقد حَثَّ رسول الله ﷺ على الشفاعات ما دامت مشروعة وحلالاً ولن تذهب بحقوق قوم، فقد صَحَّ عن رسول الله ﷺ أنه(٢) كان إذا جاءه السائل أو طُلبت إليه حاجة قال: «اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء».

وأخرج البخارى(٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مُغيث كأنى أنظر إليه يطوف خلفها يبكى ودموعه تسيل على لحيته فقال النبى ﷺ لعباس: «يا عباس ألا تعجب من حُب مُغيث بريرة ومن بُغض بريرة مُغيثًا؟» فقال النبى ﷺ: «لو راجعته» قالت: يا رسول الله تأمرنى؟ قال: «إنما أنا أشفع» قالت: لا حاجة لى فيه.

* أما الشفاعة الدنيوية المحرمة فلها صور كثيرة جدًا، فمن ذلك الشفاعة عند السلطان لإسقاط حَدٍّ من حدود الله قد وجب على شخص.

أخرج البخارى (٤) ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أهمَّهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة فقال

(١) سورة النساء: الآية: (٨٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٣٢) كتاب الزكاة، ومسلم (٢٦٢٧) كتاب البر والصلة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٢٨٣) كتاب الطلاق.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٧٨٨) كتاب الحدود، ومسلم (١٦٨٨) كتاب الحدود.

رسول الله ﷺ : «أتشفع فى حَدٍّ من حدود الله؟» ثم قام فخطب ثم قال: «يا أيها الناس إنما ضَلّ[1] الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

ويدخل فى الشفاعات المحرمة الواسطة التى تذهب بحقوق أُناسٍ إلى آخرين لا حَقَّ لهم.

ومن ذلك التوسط لدى الأساتذة والمدرسين لرفع درجات بعض الطلاب على حساب الآخرين، فهذا محرم.

والوساطة لإعطاء الناس من المال العام ما ليس لهم.

والتوسط لتقليد وظيفة ليس لها بأهل. إلى غير ذلك من صور الوساطات المحرمة.

واحذر اللعن، فإنه يحرمك الشفاعة يوم القيامة.

فقد أخرج مسلم رحمه الله من حديث أبى الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة»[2].

كيف تفوز بشفاعة النبى ﷺ

* **وقد يسأل سائل ويقول:** كيف أفوز بشفاعة النبى ﷺ.

أقول لك: هذا هو الطريق فافتح قلبك لكلام النبى ﷺ.

(١) إقامة التوحيد لله (جل وعلا):

قال ﷺ : «.. وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى وإنها نائلة إن شاء الله

---

(١) فى رواية: «هلك».

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٨) كتاب البر والصلة والآداب.

تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا»(١).

(٢) حفظ القرآن وخاصة سورتى البقرة وآل عمران:

أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه (٢) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان(٣) أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان(٤) من طيرٍ صواف تُحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة فإنَّ أَخْذَها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة(٥)».

(٣) الصلاة على النبى ﷺ وطلب الوسيلة له:

قال ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول: ثم صلُّوا علىَّ؛ فإنه من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لى الوسيلة؛ فإنها منزلة فى الجنة، لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلَّت عليه الشفاعة»(٦).

وقال ﷺ: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذى وعدته، حلَّت له شفاعتى يوم القيامة»(٧).

(٤) كثرة السجود لله (جل وعلا):

فقد أخرج أحمد فى مسنده (٨) من حديث خادم النبى ﷺ رَجل أو

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٨٠٤) كتاب صلاة المسافرين.

(٣) المراد: سحابتان.

(٤) الفرق هو الجماعة أو القطعة.

(٥) البطلة هم السحرة.

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة.

(٧) **صحيح**: رواه البخارى (٦١٤) كتاب الأذان.

(٨) رواه أحمد (٣/ ٥٠٠) وإسناده صحيح.

امرأة، قال: كان النبى ﷺ مما يقول للخادم: «ألك حاجة» قال: حتى كان ذات يوم فقال: يا رسول الله حاجتى قال: «وما حاجتك؟» قال: حاجتى أن تشفع لى يـوم القيامـة. قال: «ومن دلَّك على هذا» قال: ربى قال: «إما لا فأعنِّى بكثرة السجود».

(٥) الصلاة على النبى ﷺ عشرًا فى الصباح والمساء:

قال: «من صلى علىَّ حين يصبح عشرًا وحين يُمسى عـشرًا أدركته شفاعتى يوم القيامة»[١].

(٦) سكنى مدينة الرسول ﷺ والموت بها:

فقد أخرج مسلم فى «صحيحه»[٢] من طريق: أبى سعيد مولى المهرى أنه جاء أبا سعيد الخدرى ليالى الحَـرَّة فاستشاره فى الجلاء من المدينة وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها فقال له ويحك لا آمرك بذلك إنى سمـعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يصبـر أحد على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة إذا كان مسلمًا».

وقال ﷺ: «من اسـتطاع أن يمـوت بالمدينة فليـمُت بهـا فـإنى أشـفع لمن يموت بها»[٣].

اللهم شفِّع فينا نبينا محمدًا ﷺ.

اللهم اجعلنا شفعاء وشهداء يوم القيامة، اللهم ألزمنا صراطك المستقيم، وارزقنا حسن الاتباع لسنة نبيك الكريم ﷺ.

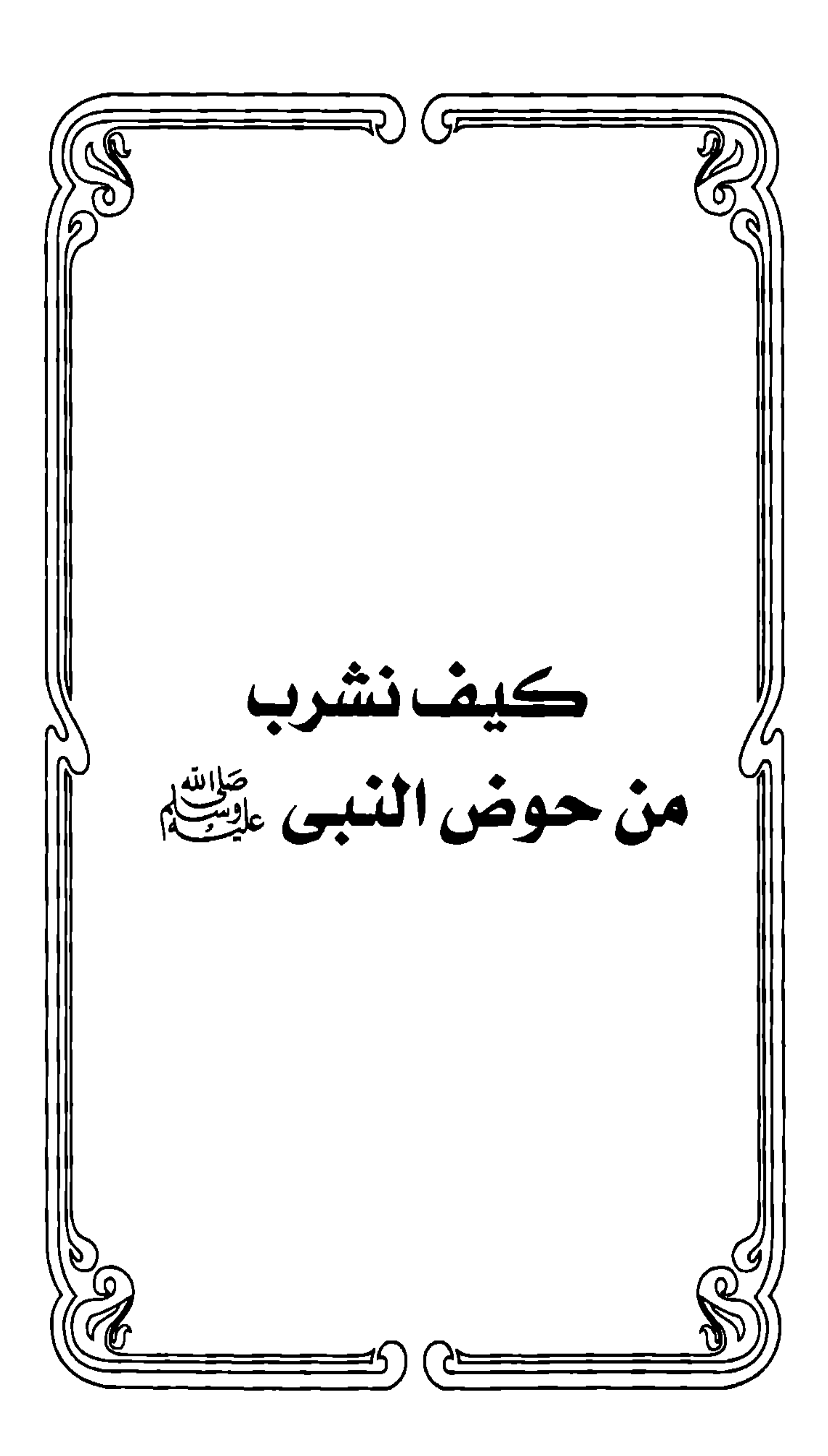
* * *

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٥٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٣٧٤) كتاب الحج.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢/ ١٠٤) والترمذى (٣٩١٧) كتاب المناقب وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٠١٥).



كيف نشرب
من حوض النبى ﷺ

كيف نشرب من حوض النبى ﷺ

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلمّا طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذن لنا بالدخول.

فلما دخلنا وجدنا النبى ﷺ جالسًا بين أصحابه كالقمر ليلة البدر.. بل أجمل من القمر ليلة البدر.. وكان مبتسمًا يبدو عليه أثر السعادة والسرور وهو يقول لأصحابه مُبشراً إياهم: «**حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبداً**»[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع وصف حوض النبى ﷺ وكيف نشرب من حوض النبى ﷺ.

* * *

---

(1) صحيح: رواه البخارى (٦٥٧٩) كتاب الرقائق.

وجوب الإيمان بالحوض[١]

إن الإيمان بالغيب من أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٢].

فكل خبر غيبى جاء به نقل من صريح الكتاب أو صحيح السنة وجب علينا الإيمان به.

ولقد ثبتت فى الحوض أحاديث صحيحة عن جمع من الصحابة حتى بلغت مبلغ التواتر، . . . قال القاضى عياض رحمه الله: أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه، قال: وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة[٣]. اهـ.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «سيأتى قوم يكذبون بالقدر، ويكذبون بالحوض، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار»[٤].

وعن أنس أن زيادًا أو ابن زياد ذُكر عنده الحوض فأنكر ذلك فبلغ ذلك أنسًا فقال: أما والله لأسوءنه غدًا فقال: ما أنكرتم من الحوض؟ قالوا: سمعت النبى ﷺ يذكره؟ قال: نعم، ولقد أدركت عجائز بالمدينة لا يصلين صلاة إلا سألن الله تعالى أن يوردهن حوض محمد ﷺ[٥].

---

(١) بتصرف من رسالة (تيسير الكريم العلى فى وصف حوض النبى ﷺ) / للشيخ والأخ الحبيب: وحيد عبد السلام بالى (حفظه الله).

(٢) سورة البقرة: الآيات: (١-٣).

(٣) شرح النووى (١٥/ ٥٣).

(٤) رواه ابن أبى عاصم فى السنة (٢/ ٣٢١) وأحمد (١/ ٢٣) وقال الألبانى: حديث موقوف حسن. اهـ. من ظلال الجنة برقم (٦٩٧).

(٥) رواه ابن أبى عاصم فى السنة (٢/ ٣٢١) وقال الألبانى رحمه الله فى ظلال الجنة برقم (٦٩٨): إسناده صحيح على شرط مسلم ورواه أبو يعلى وقال الحافظ فى الفتح (١١/ ٤٦٨): سنده صحيح.

وعن يحنس أن حمزة بن عبد المطلب لما قدم المدينة تزوج خولة بنت قيس بن فهد الأنصارى من بنى النجار قال: وكان رسول الله ﷺ يزور حمزة فى بيتها، وكانت تحدث عنه أحاديث، قالت: فأتانا رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إنه بلغنى عنك أنك تحدث أن لك يوم القيامة حوضًا ما بين كذا وكذا، قال: «نعم، وأحب الناس إلىَّ أن يُروى منه قومك»[1].

وعن جندب رضي الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: **«أنا فرطكم على الحوض»**[2].

والفرط هو الذى يتقدم القوم ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستسقاء، فمعنى «فرطكم على الحوض» سابقكم إليه كالمهيىء له.

سعة الحوض

لقد ذكر النبى ﷺ سعة الحوض وعدد أكوابه وأباريقه فى أحاديث كثيرة منها:

قال ﷺ: «حوضى كما بين صنعاء والمدينة فيه الآنية مثل الكواكب»[3].

وقال ﷺ: «حوضى مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحهُ أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منه فلا يظمأ أبدًا»[4].

وقال ﷺ: «حوضى من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، من يشرب منه شربة لم

---

(١) قال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٣٦١): رواه أحمد والطبرانى باختصار ورجال أحمد رجال الصحيح، وقال الألبانى رحمه الله فى ظلال الجنة (٢/ ٣٢٥): إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٨٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٨٩) كتاب الفضائل.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٨٠) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٣٠٣) كتاب الفضائل.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٧٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٩٢) كتاب الفضائل.

يظمأ بعدها أبدًا، أول الناس ورُودًا عليه فُقراء المهاجرين؛ الشُعث رؤوسًا، الدُنّس ثيابًا، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تُفتح لهم السُّدُد»[1].

هل الحوض يروى العطشان؟

وهل يروى العطشان أم هو كالماء المالح كلما ازداد الإنسان مه شربًا ازداد عطشًا؟

على هذه الأسئلة يجيب الحبيب المصطفى ﷺ بعبارة موجزة بليغة فيقول: «حوضى مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبدًا»[2].

ولى رواية أخرى: «حوضى مسيرة شهر، وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق، - أى: الفضة - وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدًا»[3].

*** ويؤخذ من هذا الحديث بروايتيه:**

١- شدة بياض ماء الحوض.

٢- طيب رائحته.

٣- شدة لمعان أكوابه كلمعان نجوم السماء.

٤- طوله مسيرة شهر بالفارس المسرع ليل نهار لا يتوقف.

٥- عرضه مثل طوله.

٦- من شرب من هذا الحوض يحرم عليه الظمأ.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى (٣٧٩٧) كتاب صفة القيامة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٦٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٦٥٧٩) كتاب الرقاق.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٩٢) كتاب الفضائل.

٧- من شرب من هذا الحوض لا يدخل النار لأن أهل النار سيعطشون فيها.

ما مصدر ماء الحوض؟

ولكن ما مصدر هذا الماء الذى لا ينتهى؟ وما طعمه؟

يتضح ذلك من حديث أبى ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد لجوم السماء وكواكبها فى الليلة المظلمة المُصحية.

آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة.

عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة.

ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل»(١).

الليلة المظلمة: التى لا قمر فيها لأن وجود القمر يستر كثيرًا من النجوم.

المصحية: التى لا سحاب فيها حتى ترى كل النجوم التى فى السماء.

يشخب فيه ميزابان من الجنة: أى يسيل فيه نهران من الجنة فيمدونه بالماء حتى لا ينتهى.

ومع أن هذا الماء أشد بياضًا من اللبن فإن طعمه ألذ من العسل، فيا سعادة من شرب منه ويا فرحه ويا هناه.

وعن أبى برزة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين ناحيتى حوضى كما بين أيلة إلى صنعاء مسيرة شهر، عرضه كطوله، فيه ميزابان مثعبان من الجنة من ورِق وذهب، أبيض من اللبن وأحلى من العسل، فيه أباريق عدد نجوم السماء»(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٠٠) كتاب الفضائل.

(٢) رواه ابن أبى عاصم فى السنة (٢/ ٣٣٥) وقال الألبانى رحمه الله فى ظلال الجنة برقم (٧٢٢): إسناده جيد.

أى أن هذين الميزابين من فضة وذهب.

* ولكن هل ماء هذا الحوض ساخن أم بارد أم هو وسط بين الاثنين؟

عن حذيفة ﷺ قال: «ما بين طرفى حوض النبى ﷺ كما بين أيلة ومصر[1]، وإن آنيته أكثر أو مثل عدد نجوم السماء، أحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك وأبرد من الثلج، مَن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها»[2].

وتعالَ معى لنرى هل أباريق الحوض من فخار أو من زجاج أم من خزف؟

لا بل هى أجمل من ذلك بكثير إنها من ذهب وفضة، إنها تتلألأ كتلألؤ النجوم فى السماء.

عن أنس ﷺ قال: قال نبى الله ﷺ : **«ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء»**[3].

أول من يَردِ حوض النبى ﷺ

إن أول الناس ورودًا أولئك الذين سارعوا إلى الإيمان بمحمد ﷺ، وعُذِّبوا فى سبيل الله فتحملوا وصبروا، وثبتوا على الحق حتى نصر الله نبيه وأظهر دينه، وتركوا أموالهم وديارهم وهاجروا مع النبى ﷺ، أولئك هم المهاجرون.

---

(١) قال القرطبى فى التذكرة (٣٠٤): «ظن بعض الناس أن فى هذه التحديدات فى أحاديث الحوض اضطراب واختلاف وليس كذلك، وإنما تحدث النبى ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطبًا لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها فيقول لأهل الشام: «ما بين أذرح وجرباء» ولأهل اليمن «من صنعاء إلى عدن» وهكذا وتارة أخرى يقدر بالزمان، فيقول: مسيرة شهر والمعنى المقصود أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا».

(٢) رواه ابن أبى عاصم فى السنة (٢/ ٣٣٦) وقال الألبانى فى ظلال الجنة برقم (٧٢٤): إسناده حسن.

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٣٠٣) كتاب الفضائل.

عن ثوبان رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، من يشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، أول الناس ورودًا عليه فقراء المهاجرين، الشُّعث رؤوسًا، الدُّنُس ثيابًا، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تُفتح لهم السُّدُد»(١).

(فقراء المهاجرين): أي الذين جمعوا بين فضيلتي الفقر والهجرة في سبيل الله.

(الشعث رؤوسًا، الدنس ثيابًا): أي الذين شغلهم الجهاد في سبيل الله والدفاع عن دين الله من نعيم الدنيا من غسل رؤوسهم وثيابهم.

ما عدد الذين سيردون الحوض؟

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «ما أنتم بجزء من مائة ألف ممن يرد عليَّ الحوض».

قلنا لزيد: كم كنتم يومئذ؟ قال: ستمائة إلى سبعمائة.

وفي رواية: (سبعمائة أو ثمانمائة)(٢).

* **ولقد صحَّ عن النبي** ﷺ **أنه قال:** «إنه ليرد عليَّ الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة»(٣)

* * *

(١) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٤٤٤) كتاب صفة القيامة، وابن ماجه (٤٣٠٣) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣١٥٧).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٤/ ٣٧١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٤٣٣).

(٣) **حسن:** رواه أحمد (١/ ٥)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (٧٥١).

صفات من يرد الحوض

عن أُسيد بن حُضير رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إنكم ستـرون بعدى أثرة، فاصبروا حتى تلقونى على الحوض» [(١)].

ظاهر هذا الحديث أن النبى ﷺ كان يوصى الأنصار بعدم إيثار الدنيا على الآخرة وهذا واضح من حديث عبد الله بن زيد عند البخارى ومسلم أيضًا.

فكل من آثر الآخرة على الدنيا ورد الحوض وشرب منه.

فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمانى سنين، كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر، فقال: **«إنى بين أيديكم فَرَط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، إنى لأنظر إليه من مقامى هذا، وإنى لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها»** [(٢)].

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنه سيكون بعدى أمراء وصفهم بالجَور، فمن دخل عليهم فصدَّقهم بكذبهم، وأعانهم على فجورهم فليس منى ولست منه، ولا يرد علىَّ حوضى، ومن لم يدخل عليهم، ولم يصدقهم بكذبهم، ولم يُعنهم على فجورهم فهو منى، وأنا منه، ويرد علىَّ الحوض» [(٣)][(٤)].

---

(١) **متفق عليه**:رواه البخارى (٣١٦٣) كتاب الجزية، ومسلم (١٠٥٩) كتاب الزكاة.

(٢) **متفق عليه**:رواه البخارى (٤٠٤٢) كتاب المغازى، ومسلم (٢٢٩٦) كتاب الفضائل.

(٣)رواه ابن أبى عاصم (٢/ ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣) وقال الألبانى رحمه الله فى ظلال الجنة برقم (٧٥٨): حديث صحيح.

(٤)ولا ننسى أن لأهل اليمن - والأنصار منهم - كرامة خاصة وميزة من النبى ﷺ عندما قال: **«إنى لبِعُقر حوضى أذود الناس لأهل اليمن، أضرب بعصاى حتى يَرفضَّ عليهم»**.

واستحق أهل اليمن ذلك مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم فى الإسلام والأنصار منهم، فيدفع غيرهم ﷺ حتى يشربوا، كما دفعوا فى الدنيا عن النبى ﷺ أعداءه.

منبرى على حوضى

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة، ومنبرى على حوضى»(١).

وفى معنى قوله ﷺ: «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة» ثلاثة أقوال:

أولها: أى كروضة من رياض الجنة فى نزول الرحمة وحصول السعادة، فيكون تشبيهًا بليغًا.

ثانيها: العبادة فيها تؤدى إلى الجنة.

ثالثها: هو على ظاهره، والمراد أنه روضة حقيقية بأن ينتقل ذلك الموضع بعينه فى الآخرة إلى الجنة.

قال الحافظ ابن حجر: هذا محصل ما أوَّله العلماء فى هذا الحديث وهى على ترتيبها فى القوة(٢). اهـ.

ومعنى قوله ﷺ: «ومنبرى على حوضى»:

أى أن منبر النبى ﷺ سينُصب على حوضه يوم القيامة.

ولكن أى منبر هذا؟

هل هو المنبر الذى كان يخطب عليه فى الدنيا؟ أم هو منبر خاص بالنبى ﷺ سيوضع له يوم القيامة؟ على قولين للعلماء، والقول الأول هو الراجح وهو الذى رجحه القاضى عياض والإمام النووى وكذا الحافظ ابن حجر العسقلانى وأكثر العلماء(٣).

* * *

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (١١٩٥) كتاب الجمعة، ومسلم (١٣٩٠) كتاب الحج.

(٢) فتح البارى (٤/ ١٠٠).

(٣) راجع شرح النووى لمسلم (٩/ ١٦٢) وفتح البارى (٤/ ١٠٠).

لكل نبى حوض

هل الحوض خاص بمحمد ﷺ أم لكل نبى من الأنبياء حوض يوم القيامة؟

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن لكل نبى حوضًا يتباهون أيهم أكثر واردة، وإنى لأرجو أن أكون أكثر منهم واردة»(١).

ويتبين من هذا الحديث أن الأنبياء يتباهون بالمؤمنين من أقوامهم، فالنبى ﷺ يناشدنا أن نتبع طريقه ونهتدى بهديه كى نكون ممن يباهى بهم الأنبياء يوم القيامة.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «والذى نفسى بيده لأذودن رجالاً عن حوضى كما تُزاد الغريبة من الإبل عن الحوض»(٢).

قال الحافظ: والحكمة فى الذود المذكور أنه ﷺ يريد أن يرشد كل أحد إلى حوض نبيه على ما تقدم أن لكل نبى حوضًا وأنهم يتباهون بكثرة من يتبعهم فيكون ذلك من جملة إنصافه ورعاية إخوانه من النبيين، لا أنه يطردهم بخلاً عليهم بالماء.

قال: ويحتمل أنه يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض والعلم عند الله تعالى(٣). اهـ.

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذى (٢٤٤٣) كتاب صفة القيامة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٥٦).

(٢) رواه البخارى (٥/ ٤٣ فتح).

(٣) فتح البارى (١١/ ٤٧٤).

ومن اللطائف التى يحسن إيرادها فى هذا الباب هذا الحديث الذى رواه الإمام مسلم فى فضائل الخليفة الراشد الصديق والخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهو قول النبى ﷺ:

«بينما أنا نائم أُريت أنى أنزعُ على حوضى أسقى الناس فجاءنى أبو بكر فأخذ الدلو من يدى ليُروِّحنى. فنزع دلوين وفى نزعه ضعف، فجاء ابن الخطاب فأخذ منه، فلم أر نزع رجل قط أقوى منه، حتى تولى الناس، والحوض ملآن يتفجر».

ففيه نيابة الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما فى السقيا من الحوض، وقال بعض العلماء: فيه أيضًا إشارة إلى الخلافة.

من يُحرَم من ورود الحوض

وها هم أناس يأتون يوم القيامة ويذهبون إلى حوض النبى ﷺ ليشربوا من يد النبى ﷺ شربة هنيئة مريئة لا يظمأون بعدها أبدًا... وإذا بالملائكة تدفعهم وتطردهم بعيدًا عن الحوض فلا يشربون منه شربة واحدة.

* عن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهما؛ قالت: قال النبى ﷺ: «إنى على الحوض، حتى أنظر من يَرِد علىَّ منكم، وسيؤخذ ناسٌ دونى، فأقول: يا رب! منى ومن أمتى. فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله؛ ما برحوا يرجعون على أعقابهم»[1].

* وقال ﷺ: «أُنزلت علىَّ آنفًا سورةٌ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أتدرون ما الكوثر؟ فإنه نهر وعدنيه ربى، عليه خير كثيرٌ، هو حوضى تَرِدُ عليه أمتى يوم القيامة، آنيته كعدد النجوم، فيُختلجُ العبد منهم، فأقولُ: رب إنه من أمتى، فيقولُ: ما تدرى ما أحدث بعدك»[2].

وقال ﷺ: «إنى فرطكم على الحوض، مَن مَرَّ بى شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، وليردنَّ علىَّ أقوام أعرفهم ويعرفونى، ثم يحال بينى وبينهم، فأقول: إنهم منى، فيُقال: إنك لا تدرى ما أحدثُوا بعدك، فأقول: سُحقًا سحقًا لمن بدَّل بعدى»[3].

وقال ﷺ: «تَرِدُ علىَّ أمتى الحوض، وأنا أذودُ الناس عنه، كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله»، قالوا: يا نبى الله تعرفنا؟ قال: «نعم، لكم سيما

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٩٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٩٣) كتاب الفضائل.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٠٠) كتاب الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٨٥) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٩١) كتاب الفضائل.

ليست لأحد غيركم، تردون علىَّ غُرًّا من آثار الوضوء، وليُصدَّنَّ عنى طائفة منكم، فلا يصلون، فأقول: يا رب هؤلاء من أصحابى! فيُجيبنى ملكٌ فيقولُ: وهل تدرى ما أحدثوا بعدك»[1].

* وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «يَرِدُ علىَّ يوم القيامة رهط من أصحابى - أو قال: من أمتى - فيُحلؤون[2] عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابى، فيقول: إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى» وفى رواية: «فيُجلون»[3].

وللبخارى: أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا قائم على الحوض، إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم، فقال: هَلُمَّ، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، فقلت: ما شأنهم؟ فقال: إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة أخرى، حتى عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال لهم هَلُمَّ، قلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم قد ارتدوا على أدبارهم، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم[4]»[5].

قال النووى رحمه الله: «وهل تدرى ما أحدثوا بعدك» قال: وفى الرواية الأخرى: «قد بدلوا بعدك فأقول: سُحقًا سحقًا»، هذا مما اختلف العلماء فى المراد به على أقوال:

أحدها: أن المراد به المنافقون والمرتدون فيجوز أن يُحشروا بالغرة والتحجيل فيناديهم النبى ﷺ للسيما التى عليهم فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم إن هؤلاء بدَّلوا بعدك... أى لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٧) كتاب الطهارة.

(٢) يحلؤون: أى يُدفعون ويُطردون.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٨٥) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٩١) كتاب الفضائل.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٥٨٧) كتاب الرقاق.

(٥) همل النعم: الإبل الضالة. والمعنى أن الناجى منهم قليل.

الثاني: أن المراد من كان فى زمن النبى ﷺ ثم ارتد بعده فيناديهم النبى ﷺ وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرفه ﷺ فى حياته من إسلامهم فيقال: ارتدوا بعدك.

الثالث: أن المراد به أصحاب المعاصى والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام وعلى هذا القول لا يُقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار، بل يجوز أن يُزادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب[١].

وقال ابن عبد البر رحمه الله: كل من أحدث فى الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر، قال: وكل هؤلاء يُخاف عليهم أن يكونوا ممن عُنوا بهذا الخبر والله أعلم[٢]. اهـ.

قال القرطبى: قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض، المُبَعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون. وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصى، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع. ثم البعد قد يكون فى حال، ويُقربون بعد المغفرة إن كان التبديل فى الأعمال ولم يكن فى العقائد، وعلى هذا يكون نور الوضوء يُعرفون به، ثم يقال لهم: سُحقًا، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ

---

(١) شرح النووى (٣/ ١٣٦).

(٢) شرح النووى (٣/ ١٣٧).

يُظهرون الإيمـان ويُسرون الكفر فيـأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء فيقال لهم: «سحقًا سحقًا، ولا يخلد فى النار إلا كل جاحد مبطل ليس فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»(١).

فاللهم ارزقنا شربة هـنيئة مريئة من حوض الـنبى ﷺ لا نظمأ بعدها أبدًا.

ما الكوثر؟

قال تعـالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ (٢).

وقال ﷺ : «بينا أنا أسيرُ فى الجنة، إذ عرض لى نهرٌ، حافتـاهُ قبابُ اللؤلؤ المجوف، قلتُ: يا جبريلُ مـا هذا؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاكه الله، ثم ضرب بيده إلى طينه فـاستخـرج مسكًا، ثم رُفعت لى سـدرةُ المُنتهى، فرأيت عندها نورًا عظيمًا»(٣).

وقال ﷺ : «دخلتُ الجنة، فإذا أنا بنهر حافتاهُ خيامُ اللؤلؤ، فضربت بيدى إلى مـا يجرى فيـه الماءُ، فإذا مـسكٌ أذفر، فـقُلتُ: ما هذا يا جـبريل؟ قـال: هذا الكوثر الذى أعطاكه الله»(٤).

وقال ﷺ : «الكوثر نهر أعطانيه الله فى الجنة تُرابُه مسك، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، تَرِدهُ طائر أعناقها مثل أعناق الجُزر، آكلُها أنعمُ منها»(٥)

وقال ﷺ : «الكوثر نهـر فى الجنة، حـافتـاهُ من ذهب، ومجـراهُ على الدُّر

(١) التذكرة (١/ ٥٩٠).

(٢) سورة الكوثر.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٥٨١) كتاب الرقاق.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٥٨١) كتاب الرقاق.

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٨٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٦١٤).

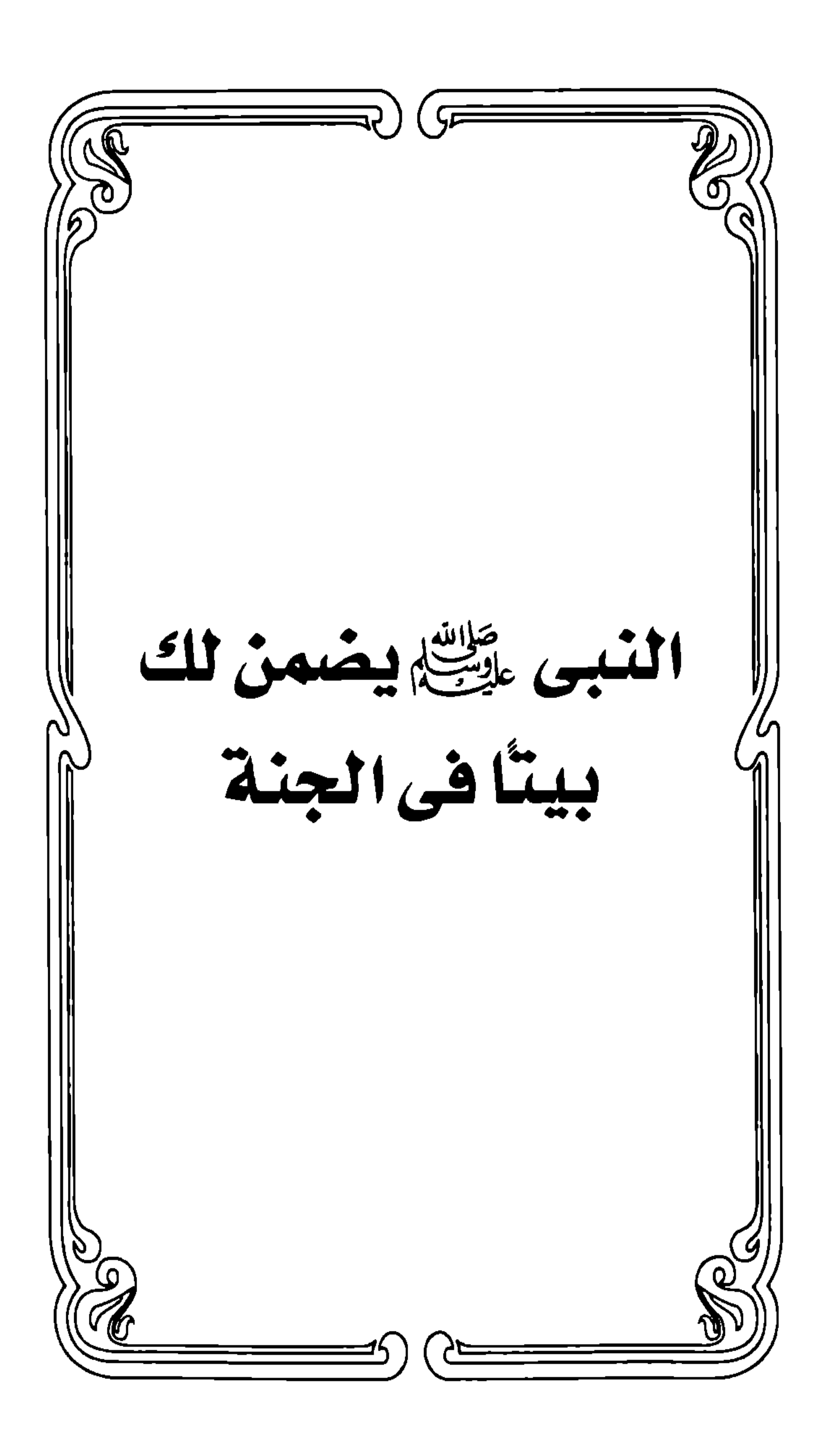
والياقوت، تُربتُهُ أطيبُ ريحًا من المسك، وماؤُهُ أحلى من العسل، وأشدُّ بياضًا من الثلج»[١].

وعن مجاهد: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[٢]. قال: الخير الكثير: وقال أنس ابن مالك: نهر فى الجنة. وقالت عائشة: هو نهر فى الجنة ليس يدخل أحد إصبعيه فى أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر، . . . وهذا معناه والله أعلم: أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذى يسمعه حين يدخل إصبعيه فى أذنيه.

* نسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنا شربة هنيئة مريئة من حوض النبى ﷺ لا نظمأ بعدها أبدًا.

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٦١) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٣٣٤) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٦١٥).
(٢) سورة الكوثر: الآية (١).



النبى ﷺ يضمن لك بيتًا فى الجنة

النبى ﷺ يضمن لك بيتًا فى الجنة

وها نحن نتخيل مرة أخرى أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة التى لطالما سار فيها النبى ﷺ وأصحابه.. ولطالما تشرفت تلك البقعة المباركة بوجودهم.

وها نحن نتجه مباشرة إلى بيت النبى ﷺ - الذى هو أعظم بيت فى الكون كله رغم بساطته وتواضعه - لنسعد برؤية النبى ﷺ ونستأنس بمجالسته وترتوى قلوبنا بكلامه العذب الطيب.

فلما طرقنا الباب فتح لنا الحبيب المصطفى ﷺ وأذِن لنا بالدخول.

فلما دخلنا عليه وجدناه جالسًا مع بعض أصحابه يحدثهم عن الجنة ويُعلمهم كيف يفوز كل واحدٍ منهم ببيتٍ فى الجنة.

فقال ﷺ: «أنا زعيمٌ ببيتٍ فى رَبَضِ الجنة، لمن ترك المراء وإن كان مُحقًّا، وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وبيت فى أعلى الجنة لمن حَسُن خُلُقُه»[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع بيوت الجنة ولنعلم كيف يفوز كل واحدٍ منا ببيتٍ فى الجنة.

بيت فى الجنة

ففى هذا الزمان الذى طغت فيه الماديات والشهوات وانصرف فيه كثيرٌ من الناس عن طاعة رب الأرض والسماوات وانشغل فيه كثيرٌ من الناس بتشييد القصورِ والعمارات ظنًّا منهم أنهم مُخلَّدون فى تلك الحياة.

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٦٤).

وهيهات هيهات، فلقد قال الله تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (١).

فكان لابد لنا من وقفة لنأخذ بقلوب الناس إلى جنة الرحمن لتشتاق تلك القلوب إلى مساكن وقصور الجنة فلا ينشغلوا بجمع حُطام الدنيا.

بل ويوحدوا الهمم فيجعلوا مقصودهم تحقيق العبودية لله (جل وعلا) وبذلك يربح كل مسلم دُنياه وآخرته.

وإن كان المسلم قد حُرم من قصور الدنيا وبيوتها الفانية الزائلة فليعلم يقينًا أن الله سيعوضه فى الجنة بقصورٍ تجرى من تحتها الأنهار... جدرانها من الذهب والفضة وملاطها المسك وتربتها من الزعفران.

وتالله لو لم يكن فى الجنة إلا نعمة الرضوان والنظر إلى وجه الرحيم الرحمن لكان ذلك كافيًا.

فهيا أيها الإخوة الكرام... وهيا أيتها الأخوات الفاضلات.

هيا لنعلم من خلال تلك السطور كيف نحصل على قصرٍ أو بيتٍ فى جنة الرحمن (جل وعلا).

وليكن لسان حالنا ومقالنا: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ (٢).

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تلك الرسالة لنتعرف من خلالها على تلك الأعمال التى تجعلنا نحصل على قصرٍ فى جنة الرحمن.

فاللهم ارزقنا بيتًا فى جنتك ننسى فيه شقاء الدنيا وعنائها واجمعنا فى جنتك إخوانًا على سُررٍ متقابلين(٣).

* * *

(١) سورة الأنبياء: الآيتان: (٣٤: ٣٥).

(٢) سورة التحريم: الآية: (١١).

(٣) السلسلة الذهبية/ للمصنف (٢/ ٦٤٩-٦٥٠).

نعمة البيت

إن نعمة البيت لا يشعر بها إلا من حُرم منها.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾(1).

فالبيت يستر العبد عن أعين الناس فيعبد ربه ويستريح فيه من عناء السعى على الأرزاق ويأوى إلى فراشه وزوجه ويحمى نفسه من الفتن بلزوم البيت فى زمن الفتن.

ولذا قال ﷺ لأحد الصحابة عندما سأله: ما النجاة؟ قال ﷺ: «أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك وابكِ على خطيئتك»(2).

فإذا اشتدت الفتن وكادت أن تعصف بالقلوب يصبحُ البيت هو حصنه الحصين، وذلك لأنه يجعل منه قلعة للعبادة.

هذا هو بيت المسلم الذى يعبد فيه ربه إلى أن يأذن الله له بالرحيل من هذه الدنيا لينعم فى بيته الذى أعده له فى الجنة.

ثلاثة من السعادة وثلاثة من الشقاء

قال ﷺ: «ثلاثة من السعادة، وثلاثة من الشقاء، فمن السعادة: المرأة الصالحة؛ تراها فتعجبك، وتغيبُ عنها فتأمنها على نفسها ومالك، والدابةُ تكونُ وطيئة؛ فتُلحقُك بأصحابك، والدارُ تكونُ واسعة كثيرة المرافق. ومن الشقاء: المرأة، تراها فتسوؤك، وتحملُ لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها

---

(1) سورة النحل: الآية: (٨٠).

(2) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٠٦) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٣٩٢).

ومالك، والدابةُ تكون قطوفًا، فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها لم تُلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق»(١).

وفى رواية: قال ﷺ : «أربعٌ من السعادة: المرأةُ الصالحةُ، والمسكنُ الواسعُ، والجارُ الصالحُ، والمركبُ الهنيءُ. وأربعٌ من الشقاء: المرأةُ السوءُ، والجارُ السوءُ، والمركبُ السوءُ، والمسكنُ الضيقُ»(٢).

وكان ﷺ يدعوا بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لى ذنبى ووسِّع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى»(٣).

فالدار الواسعة سببٌ من أسباب السعادة، وذلك لأن الزوج يستطيع أن يخصص مكانًا لأولاده ومكانًا لبناته ومكانًا له ولزوجه بعيدًا عن أعين الأولاد، وبذلك يضمن ستر العورات لأهل البيت جميعًا.. وكذلك فالدار الواسعة تُدخل السعادة على الأطفال حيث يتمكنون من ممارسة الألعاب التى يحبونها.

المساكن أربعة

إن الله (عز وجل) جعل المؤمن ينتقل من مسكنٍ ووطنٍ إلى مسكنٍ ووطنٍ آخر.. فجعل أول وطن للمؤمن فى بطن أمه وجعل آخر وطن له فى جنته ومستقر رحمته.

فبينما الإنسان فى بطن أمه يعيش فى وطنه هذا تسعة أشهر، ثم يأذن

---

(١) حسن: أخرجه الحاكم (٢/ ١٧٥ ، رقم ٢٦٨٤) وقال : صحيح الإسناد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٢) أخرجه ابن حبان (٩/ ٣٤٠)، والحاكم (٢/ ١٧٥) بلفظ: «ثلاثة». وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ٣٨٨)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٨٢)، والخطيب (١٢/ ٩٩) ، والضياء (٣/ ٢٤٠) ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٨٧).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٥٠٠) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٦٥).

الله له بمفارقة هذا الوطن إلى تلك الحياة الدنيا فيستهل باكيًا من نخسة الشيطان - كما أخبر بذلك الحبيب ﷺ - .

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيًا

والناس حولك يضحكون سرورًا

فاجهد لنفسك أن تكون إذا بكوا

فى يوم موتك ضاحكًا مسرورًا

فيخرج الإنسان من بطن أمه ليعيش فى وطنه الثانى وهو مسكنه فى هذه الحياة الدنيا.

والإنسان مفطورٌ على حُب المكان الذى يعيش فيه، فإذا انتقل إلى مكانٍ آخر استوحش فترة حتى يألف المكان الثانى.

ولذا قال تعالى لحبيبه ﷺ : ﴿إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّى أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١).

وذلك لأن النبى ﷺ خرج من مكة وهى أحب البلاد إلى قلبه، وذلك لكثرة إيذاء كفار قريش... فاشتاق الحبيب ﷺ إلى مكة فأنزل الله تعالى قوله: **﴿إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾** قال ابن عباس: أى لرادك إلى مكة.

وهكذا يتعلق قلب الإنسان بوطنه ومسكنه، فإذا مات انتقل من مسكنه ووطنه الثانى إلى وطنه الثالث ألا وهو القبر.

وبعد أن يأذن الله بقيام الساعة يخرج الناس من قبورهم حُفاةً عُراةً غُرلاً للوقوف فى أرض المحشر على بساط العدل الإلهى ليقضى بين الخلائق، وليدخل ويسكن كل واحدٍ فى مسكنه ومثواه الأخير إما فى الجنة وإما فى النار (أسأل الله أن يجعلنا من أهل الجنة).

---

(١) سورة القصص: الآية: (٨٥).

ما منكم من أحد إلا وله منزلان

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١).

وقال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزلٌ فى الجنة ومنزل فى النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله: ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾»(٢).

المؤمن يبنى بيته الذى فى الجنة ويهدم بيته الذى فى النار

قال مجاهد: ما من عبد إلا وله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار، فأما المؤمن فيبنى بيته الذى فى الجنة، ويهدم بيته الذى فى النار، وأما الكافر فيهدم بيته الذى فى الجنة، ويبنى بيته الذى فى النار، فالمؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم أطاعوا ربهم عز وجل.

بل قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجلٍ من هذه الأمة رجلاً من الكفار، فيقال له: هذا فداؤك من النار»(٣).

ما أعده الله للمؤمنين فى الجنة

عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى،

---

(١) سورة المؤمنون: الآيتان: (١٠، ١١).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٣٤١) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٩٩).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٩٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٧٨).

أعددتُ لعبادى الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر»[١].

قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[٢].

فيا من تضحى بعمرك ويا من تضحى بدينك من أجل الحصول على متاعٍ زائل... أما علمت أن الله (جل وعلا) هو الذى أعد لك الجنة وغرس كرامتها بيديه؟!

فلو جمعت الأموال الطائلة وسكنت القصور الفاخرة على ضفاف البحار والأنهار وأنت تعلم أن الدنيا إلى زوال فكيف تشعر بالراحة والطمأنينة؟

أما فى جنة الرحمن فالقصور تجرى من تحتها الأنهار، ونحن لا نستطيع بحال أن نقارن بين ما صنعه الإنسان وبين ما أعدَّه الرحيم الرحمن (جل وعلا).. ولكن حسبُك أن نعيم الجنة لا يزول لأن الله كتب لك فيها الخلود - فاحذر يا أخى أن تضحى بآخرتك من أجل حطامٍ زائل -.

ستنسى كل شقاء مع أول غمسة فى الجنة

ويا من حُرمت من نعمة البيت الهادئ الجميل، بل ولم تشعر لحظة واحدة فى حياتك بنعمة الراحة والاستقرار.. اعلم أنك ستنسى كل شقاء وعناء مع أول غمسة فى الجنة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُؤتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيُصبَغ فى جهنم صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مَرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويُؤتَى بأشد الناس بؤساً فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم؟**

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٢) سورة السجدة: الآية: (١٧).

هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مَرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله، ما مَرَّ بى بؤسٌ قطّ، ولا رأيت شدة قط»[(١)].

ويدخلهم الجنة عرّفها لهم

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [(٢)].

قال مجاهد: يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خُلقوا لا يستدلون عليها أحدًا.

وقال ابن عباس فى رواية أبى صالح: «هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم»...

هذا قول جمهور المفسرين وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة: ﴿عَرَّفَهَا﴾ أى بيّنها لهم حتى عرفوها من غير استدلال.

وعن أبى سعيد الخدرى أن نبى الله ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أُذن لهم بدخول الجنة؛ والذى نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدل منه بمسكنه كان فى الدنيا»[(٣)].

الدنيا وعشرة أمثالها لأدنى أهل الجنة منزلة

عن المغيرة بن شعبة، عن النبى ﷺ قال: «سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلةً؟ قال: هو رجل يجىء بعدما أُدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) سورة محمد: الآيات: (٤ : ٦).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٠) كتاب المظالم والغصب.

أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا، فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله، فقال فى الخامسة: رضيت رب فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله. ولك ما اشتهت نفسك ولذّت عينك. فيقول: رضيت رب. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدى، وختمت عليها فلم ترَ عينٌ ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر»[1].

آخر أهل الجنة دخولاً الجنة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إنى لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيُخيّل إليه أنها ملأى فيرجع، فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، قال: فيأتيها فيُخيّل إليه أنها ملأى. فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا قال: فيقول: أتسخر بى (أو أتضحك بى) وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. قال: فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة»[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذى نجانى منك، لقد أعطانى الله شيئًا ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فتُرفع له شجرة، فيقول: أى رب ادنُنى من هذه الشجرة، فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلّى إن أعطيتكها سألتنى غيرها، فيقول: لا يا رب... ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٨٩) كتاب الإيمان.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦٥٧١) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٦) كتاب الإيمان.

يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيُدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها. ثم تُرفع له شجرة هى أحسن من الأولى، فيقول: أى رب ادننى من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أنك لا تسألنى غيرها؟ فيقول: لعلى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيُدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأوليين، فيقول: أى رب ادننى من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها؟ قال: بلى يارب، هذه لا أسألك غيرها. وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيُدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أى رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يُصرينى منك؟ - والمعنى أى شىء يرضيك ويقطع السؤال بينى وبينك؟ - أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يارب أتستهزئ منى وأنت رب العالمين». فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألونى: مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: «من ضحك رب العالمين حين قال: اتستهزئ بى وأنت رب العالمين؟ فيقول: إنى لا أستهزئ منك ولكنى على ما أشاء قادر»[1].

«الوسيلة» أعلى منزلة فى الجنة للنبى ﷺ

والوسيلة هى أعلى منزلة فى جنة الرحمن (جل وعلا) وهى من نصيب حبيب الرحمن محمد بن عبد الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [2].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٧) كتاب الإيمان.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥٣).

قال مجاهد وغيره: منهم من كلم الله (موسى)، ورفع بعضهم درجات، هو محمد ﷺ.

وفي حديث الإسراء المتفق على صحته: أنه ﷺ لما جاوز موسى قال: «رب لم أظن أن ترفع علىّ أحدًا»، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاوز سدرة المنتهى.

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: أنه سمع النبى ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىّ، فإنه مَن صلّى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلّت له الشفاعة»[1].

قصر النبى ﷺ فى جنة عدن

ولابد أن نعلم أن للنبى ﷺ قصورًا كثيرة فى الجنة، ومن بينها قصره فى (جنة عدن).

ففي الحديث الذى رواه البخارى عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لنا: «أتانى الليلة آتيان فابتعثانى، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجالٌ شطرٌ من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطرٌ كأقبح ما أنت راء قالا لهم: اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر، فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة. قالا لى: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك. قالا: أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن، وشطر منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، تجاوز الله عنهم»[2].

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٦٧٤) كتاب تفسير القرآن.

قصرٌ مثل الربابة البيضاء

وفى رواية أخرى فى البخارى:

قال ﷺ: «... فانطلقنا فانتهينا إلى روضة عظيمة لم أرَ روضةً قطُّ أعظم منها ولا أحسن... قال: قالا لى: ارقَ فيها قال: فارتقينا فيها فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبِن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففُتح لنا فدخلناها فتلقانا فيها رجالٌ شطرٌ من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطرٌ كأقبح ما أنت راء، قال: قالا لهم: اذهبوا فقعُوا فى ذلك النهر. قال: وإذا نهرٌ مُعترضٌ يجرى كأنّ ماءهُ المحضُ فى البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوءُ عنهم فصاروا فى أحسن صورة قال: قالا لى: هذه جنة عدن وهذاك منزلك قال: فسما بصرى صُعُدًا، فإذا قصرٌ مثلُ الربابة البيضاء. قال: قالا لى: هذاك منزلك قال: قلتُ لهما: بارك الله فيكما ذرانى فأدخلهُ. قال: قالا: أما الآن فلا وأنت داخله...»[1]. أى: ليس الآن ولكن ستدخله بعد ذلك عندما تعيش فى الجنة.

قصرٌ على نهر الكوثر

وجاء فى رواية أخرى فى البخارى أن للنبى ﷺ قصراً على نهر الكوثر.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبى ﷺ قال - فى جزء من حديث -: **«..... ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذا النيل والفُراتُ عُنصرُهُما ثُم مضى به فى السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصرٌ من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده فإذا هو مسكٌ أذفرُ قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك....»**[2].

* * *

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٦٥٨١) كتاب الرقاق.

منزل مثل السحاب لسيد الأحباب ﷺ

وفى الحديث الـذى رواه البخارى فى صـحيـحه عن سمـرة ابن جندب قال: كـان النبى ﷺ إذا صلى صلاة أقبـل علينا بوجهه فـقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا؟» قال: فإن رأى أحدٌ قَصَّها، فيقول ما شاء الله. فسألنا يومًا فقال: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟» قلنا: لا. قال: «لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدى فأخرجانى إلى الأرض المقدسة، فإذا رجلٌ جالسٌ ورجلٌ قائم بيـده كُلُّوب من حديد..... - إلى أن قـال -: فانطلـقنا حتى انتـهينا إلى روضـة خضـراء فيـها شجـرة عظيمـة وفى أصلها شـيخٌ وصبـيان، وإذا رجلٌ قريب من الشجرة بين يديه نارٌ يوقـدها فصعدا بى الشجـرة وأدخلانى دارًا لم أرَ قط أحسن منها، فيها رجـال شيوخ وشباب ونسـاء وصبيان، ثم أخرجانى منهـا فصعدا بى الشجرة فأدخـلانى دارًا أحسن وأفضل، فيـها شيوخ وشـباب. قلت: طوفتـمانى الليلة فأخبرانـى عما رأيت. قالا: نعم.» - إلى أن قالا -: «والدار الأولى التى دخلت دار عـامـة المؤمنين. وأمـا هذه الدار فـدار الشـهـداء، وأنا جـبـريل وهذا ميكائـيل. فارفع رأسك. فرفـعت رأسى، فـإذا فوقى مـثل السحـاب، قالا: ذاك منزلك. قلت: دعـانى أدخل مـنزلى. قـالا: إنه بقى لك عُـمُـرٌ لم تسـتكمله، فلو استكملت أُتيت منزلك»[(١)].

بيت فى الجنة من قصب لخديجة ؓ

عن أبى هريرة ؓ قال: أتى جبـريل النبى ﷺ فقـال: يا رسول الله هذه خديجة قـد أتت معها إناء فيـه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقـرأ عليها السـلام من ربها ومنى، وبشِّرها ببـيت فى الجنة من قصب، لا صَخَب فيه ولا نَصَب»[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣٨٦) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة.

والقصب: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف.

قال السهيلى: النكتة فى قوله: «من قصب» ولم يقل: من لؤلؤ؛ أن فى لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها، ولذا وقعت هذه المناسبة فى جميع ألفاظ هذا الحديث[1]. اهـ.

وفى القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر أنابيبه، وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها، إذ كانت حريصة على رضاه بكل ممكن، ولم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع لغيرها.

قصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «رأيتُنى دخلتُ الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة وسمعت خشفةً، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال. ورأيتُ قصراً بفنائه جاريةٌ فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر، فأردتُ أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك. فقال عمر: بأبى وأمى يا رسول الله أعليك أغار»[2].

أهل الجنة هم الملوك

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾[3]. عن مجاهد «ملكًا كبيرًا» قال: عظيمًا.

وعن ابن عباس أنه ذكر مراتب أهل الجنة ثم تلا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾.

وقال ابن أبى الحوارى: سمعت أبا سليمان يقول فى قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾. قال الملك الكبير، أن المَلَك (من

(١) فتح البارى (٧/ ١٧١-١٧٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٧٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٩٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) سورة الإنسان: الآية: (٢٠).

الملائكة) يأتيه بالتحفة واللطف، فلا يصل إليه حتى يُستأذن له عليه، فيقول للحاجب: استأذن علي ولى الله، فإنى لست أصل إليه، فيُعلم ذلك الحاجب حاجبًا آخر وحاجبًا بعد حاجب، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن، فالمُلك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن، وهو يدخل على ربه بلا إذن.

وعن أبى هريرة قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنى، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طُرفة ليست مع صاحبه».

وعن أبى هلال قال: حدثنا حميد بن هلال: قال: «ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا على عمل ليس عليه صاحبه».

وعن أبى عبد الرحمن الحبلى قال: «إنّ العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ».

وعن أبى عبد الرحمن المغافرى قال: «إنه ليُصَفّ للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه، حتى إذا مَرَّ مشوا وراءه»[1].

لك قوة مائة رجل إذا دخلت الجنة

قال ﷺ: «إنَّ الرجل من أهل الجنة، ليُعطَى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والشهوة والجماع، حاجةُ أحدهم عرقٌ يفيضُ من جلده، فإذا بطنُهُ قد ضمر»[2].

فيا من عانيت من ضعف الصحة وكثرة الأمراض... اعلم أن الله (جل وعلا) سيعطيك فى الجنة قوة مائة رجلٍ فى الطعام والشُرب والشهوة

(١) حادى الأرواح (ص: ٢٥٧-٢٥٨).

(٢) أخرجه الطبرانى (٥/ ١٧٨)، وأحمد (٤/ ٣٧١)، وابن أبى شيبة (٧/ ٣٣)، والدارمى (٢/ ٤٣١)، والطبرانى فى الأوسط (٨/ ٣٦١). وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٢٧).

والجماع. . . وأنت مع ذلك لا يصيبك مرض ولا ألم ولا مشقة ولا عناء.

فاللهم إنا نسألك من فضلك العظيم.

هذه خيمتك فى الجنة

قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (١).

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى، عن النبى ﷺ: «إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا» (٢).

وفى لفظ لمسلم: «فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلاً فى كل زاوية منها أهل، ما يرون الآخرين. يطوف عليهم المؤمن؟».

وعن عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ قال: دُرٌّ مجوف.

وعن أبى الدرداء قال: «الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون بابًا كلها من درة».

وأما السُّرر فقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ (٥).

فأخبر تعالى عن سُررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس

---

(١) سورة الرحمن: الآية: (٧٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) سورة الطور: الآية: (٢٠).

(٤) سورة الواقعة: الآيات: (١٣ : ١٦).

(٥) سورة الغاشية: الآية: (١٣).

بعضها خلف بعض ولا بعيداً عن بعض، وأخبر أنها موضونة، والوضن فى اللغة: النضيد والنسيج المضاعف.

قال عطاء عن ابن عباس: قال سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدُّر والياقوت. والسرير مثل ما بين مكة وأيلة.

وقال الكلبى: طول السرير فى السماء مائة ذراع، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه (١).

طوبى لك منزل الملوك

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله تبارك وتعالى الجنة لبنةً من ذهب، ولبنةً من فضة، وملاطها المسك، وقال لها: تكلَّمى، فقالت. قد أفلح المؤمنون: فقالت الملائكة: طوبى لك منزل الملوك»(٢).

من يكون فى الفردوس الأعلى؟

قال تعالى عن وصف هؤلاء الذين يرثون الفردوس الأعلى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣).

---

(١) مختصر حادى الأرواح / للمصنف (ص: ١١٠ : ١١٢).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (٤/ ٩٥١).

(٣) سورة المؤمنون: الآيات: (١ : ١١).

وقال ﷺ: «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجَّر أنهار الجنة»[١].

من يريد المساكن الطيبة فى جنات عدن؟

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٢].

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ أى: وعدهم على إيمانهم بجنات وارفة الظلال، تجرى من تحت أشجارها الأنهار ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أى: لابثين فيها أبدًا، لا يزول عنهم نعيمها ولا يبيد ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ أى: ومنازل يطيب فيها العيش فى جنات الخلد والإقامة.

قال الحسن: هى قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد[٣] ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أى: وشىء من رضوان الله أكبر من ذلك كله.

وفى الحديث يقول الله تعالى لأهل الجنة: «يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من خلقك! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[٤].

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٠) كتاب الجهاد والسير.

(٢) سورة التوبة: الآية: (٧٢).

(٣) الكشاف للزمخشرى (٢/ ٢٨٩).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان.

من كان عبداً للرحمن...
فاز بالغرفة فى أعلى الجنان

قال تعالى عن صفات عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (١).

فمن اتصف بصفات عباد الرحمن كان جزاؤه فى الآخرة كما قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (٢).

قال الإمام القرطبى: وصف تعالى «عباد الرحمن» بإحدى عشرة خصلة هى أوصافهم الحميدة من التخلّى، والتحلى وهى «التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف والإقتار، والبعد عن الشرك، والنزاهة عن الزنى والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب، وقبول المواعظ، والابتهال إلى

(١) سورة الفرقان: الآيات: (٦٣: ٧٤).

(٢) سورة الفرقان: الآيتان: (٧٥: ٧٦).

الله» ثم بيَّن جزاءهم الكريم وهو نيل الغرفة أى الدرجة الرفيعة وهى أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا.

الغرف العُلى من الجنة لهؤلاء

عن نعيم بن همار أن رجلاً سأل النبى ﷺ، أىُّ الشهداء أفضل؟ قال: «الذين يقاتلون فى الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك ينطلقون فى الغرف العلى من الجنة. ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبدٍ فى الدنيا فلا حساب عليه»(١).

الفائزون بالغُرف فى الجنة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (٢).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أى: جمعوا بين إخلاص العقيدة وإخلاص العمل ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ أى لنُنزلنَّهم أعالى الجنة ولنُسكننهم منازل رفيعة فيها ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ أى: تجرى من تحت أشجارها وقصورها أنهار الجنة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أى: ماكثين فيها إلى غير نهاية لا يخرجون منها أبدًا ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ أى نعمت تلك المساكن العالية فى جنات النعيم أجرًا للعاملين ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٣) هذا بيانٌ للعاملين أى هم الذين صبروا على تحمُّل المشاق من الهجرة والأذى فى سبيل الله، وعلى ربهم يعتمدون فى جميع أمورهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٧)، والطبرانى فى الأوسط (٣/ ٢٨٦)، قال الهيثمى (٥/ ٢٩٢): رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير والأوسط ورجال أحمد وأبى يعلى ثقات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٠٧).

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٥٨).

(٣) سورة العنكبوت: الآية: (٥٩).

قال فى البحر: وهذان جماع الخير كله: الصبر، وتفويض الأمر إليه تعالى(١).

وقال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ (٣).

وعن أبى سعيد الخدرى، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدُّرِّىَّ الغابر فى الأفق، من المشرق أو المغرب. لتفاضُل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: «بلى والذى نفسى بيده، رجال آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين»(٤).

الشهداء... وخير منزل

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُؤتَى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة فيقول له: يا ابن آدم! كيف وجدتَ منزلك؟ فيقول: أى ربِّ! خير منزل، فيقول: سَلْ وتمنَّ، فيقول: يا رب ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردَّنى إلى الدنيا، فأُقتل فى سبيلك عشر مرار، لما يرى من فضل الشهادة، ويؤتَى بالرجل من أهل النار، فيقول له: يا ابن آدم! كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب! شرَّ منزل، فيقول له: أتفتدى منه بطلاع الأرض ذهبًا؟ فيقول: أى ربِّ نعم، فيقول: كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيُردُّ إلى النار»(٥).

---

(١) البحر (٧/١٥٧).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٢٠).

(٣) سورة سبأ: الآية: (٣٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٥٦) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣١) كتاب الجنة.

(٥) صحيح: رواه النسائى (٣١٢٦٠) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٩٦).

بيت فى الجنة لمن آمن بالنبى ﷺ وهاجر وجاهد فى سبيل الله

قال ﷺ : «أنا زعيمٌ لمن آمنَ بى وأسلم وهاجرَ ببيت فى ربض الجنة، وبيت فى وسط الجنة، وبيت فى أعلى غُرف الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بى وأسلمَ وجاهد فى سبيل الله ببيت فى ربض الجنة، وبيت فى وسط الجنة، وبيت فى أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبًا، ولا من الشرِّ مهربًا، ويموتُ حيث شاء أن يموت»[1].

بيت فى أعلى الجنة لصاحب الخُلق الحسن

عن أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقًا، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسُن خُلُقُهُ»[2].

والزعيم: الضامن.

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكُم أخلاقًا. وإن أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمُتشدقون والمُتفيهقون» قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارونَ والمُتشدقون، فما المُتفيهقون؟ : قال: «المتكبرون»[3].

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه: أن النبى ﷺ قال: «ما من شىء أثقلُ فى ميزان

---

(١) صحيح: رواه النسائى (٣١٣٣) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٦٥).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٣) حسن: رواه الترمذى (٢٠١٨) كتاب البر والصلة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٠١).

العبد المؤمن يوم القيامة من حُسن الخُلُق. وإنَّ الله يُبغضُ الفاحش البذىَّ»(١).

«البذىّ»: هو الذى يتكلَّم بالفُحش، وردىء الكلام.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخلُ الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحُسنُ الخُلُق» وسُئل عن أكثر ما يُدخلُ الناس النار فقال: «الفمُ والفرج»(٢).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهُم خُلقًا، وخياركُم خياركُم لنسائهم»(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ المؤمن ليُدركُ بحُسن خُلُقه درجة الصائم القائم»(٤).

الحب فى الله ... وغرف الجنة

قال تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ (٧).

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «إن المتحابين لترى غُرفهم فى الجنة كالكوكب الطالع الشرقى أو الغربى، فيقال: من هؤلاء فيقال:

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٠٠٢) كتاب البر والصلة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٢٦).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٠٠٤) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤٢٤٦) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٩٧٧).

(٣) حسن: رواه الترمذى (١١٦٢) كتاب الرضاع، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٣٢).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٤٧٩٨) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩٣٢).

(٥) سورة الزخرف: الآية: (٦٧).

(٦) سورة الحجرات: الآية: (١٠).

(٧) سورة الحشر: الآية: (١٠).

المتحابون فى الله عز وجل»[١].

وقال ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى»[٢].

وقال ﷺ: «قال الله عز وجل: المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء»[٣].

بيت فى الجنة لمن ترك المراء والكذب

قال ﷺ: «أنا زعيم بيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقًا، وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكَذب وإن كان مازحًا، وبيت فى أعلى الجنة لمن حَسُن خُلقه»[٤].

بيت فى الجنة... لمن فوَّض أمره لله

عن البراء بن عازب، عن النبى ﷺ قال: «إذا اضطجع الرجل فتوسَّد يمينه ثم قال: اللهم أسلمت نفسى إليك، وفوضت أمرى إليك، وألجأت ظهرى، إليك، ووجهت وجهى إليك، رهبة منك ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت، وبنبيك الذى أرسلت، ومات على ذلك بُنى له بيت فى الجنة، أو بوئ له بيت فى الجنة»[٥].

---

(١) أخرجه أحمد فى «المسند» (٣/ ٨٧)، وأورده الحافظ الهيثمى فى «المجمع» (١٠/ ٤٢٢)، وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٠) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣١٢).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٧) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٧١٠) كتاب الذكر والدعاء.

غرف فى الجنة... لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام

عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ : «إن فى الجنة غُرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، قال أبو مالك الأشعرى: لمن هى يا رسول الله؟ قال: أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»(١).

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى، عن النبى ﷺ قال: «إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا»(٢).

باب الريان للصائمين

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبى ﷺ ، قال: «إن فى الجنة بابًا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد»(٣).

فتدبر يا أخى..

مسمى الباب: «الريان» من الرى، والرى ضد الظمأ، مسمى الباب يبعث على الرى، وأول الغيث قطرة، إن ذكر الماء فى الصحراء، يقلل من شدة العطش، فما ظنك بالداخل..؟!

وفى حديث عبد الرحمن بن سَمُرة، عن النبى ﷺ فى منامه الطويل قال: «ورأيت رجلاً من أمتى يلهث عطشًا، كلما ورد حوضًا مُنع منه، فجاءه

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٢٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٨٠) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٦) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٢) كتاب الصيام.

صيامُ رمضان فسقاه وأرواه».

رِى الدنيا عطش، والرى رى الآخرة، والجزاء من جنس العمل.

من صام عن شهوته فى الدنيا، أدركها غدًا فى الجنة، ومن صام عما سوى الله، فعيده يوم لقائه. ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ﴾ (١)

وقد صُمتُ عن لذات دهرى كلها

ويوم لقاكمْ ذاك فطر صيامى

بالله، انظر كيف يكون الجزاء من جنس العمل.. صورة حسية تُشاهَد وتُعايَن: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب إنى منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفِّعنى فيه، يقول القرآن: رب منعته النوم بالليل، فشفعنى فيه، فيشفعان»(٢).

بيت فى الجنة... لمن بنى مسجداً لله

قال ﷺ: «من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة»(٣).

وقال ﷺ: «من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاةٍ أو أصغر بنى الله له بيتًا فى الجنة»(٤).

فيا من امتن الله عليك بنعمة المال لا تبخل وابنِ لله مسجدًا لتنال الأجر والمثوبة فى الدنيا والآخرة، وذلك بأن الله يجعل صلاة من يصلى (فى هذا المسجد) فى ميزان حسناتك بل ويكرمك بأن يبنى لك بيتًا فى الجنة... ألا تريد بيتًا فى الجنة؟!.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية: (٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ١٧٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٨٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٥٠) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٣٣) كتاب الصيام.

(٤) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٧٣٨) كتاب المساجد والجماعات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٢٨).

بيت فى الجنة.... باثنتى عشرة ركعة كل يوم

قال ﷺ: «من ثابر على اثنتى عشرة ركعة من السُّنة بنى الله له بيتًا فى الجنة: أربع ركعات قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر»[1].

وفى رواية قال ﷺ: «من صلى فى يومٍ وليلةٍ ثنتى عشرة ركعةً بُنى له بيتٌ فى الجنة....»[2].

صلاة الضحى وبيت فى الجنة

قال ﷺ: «يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهيٌ عن المنكر صدقة، ويجزى من ذلك ركعتان تركعهما من الضحى»[3].

وقال ﷺ: «من صلَّى الضحى أربعًا وقبل الأولى أربعًا بُنى له بيت فى الجنة»[4].

بيت فى الجنة... لمن سدَّ فُرجة فى الصف

قال ﷺ: «من سدَّ فُرجةً بنى الله له بيتًا فى الجنة ورفعه بها درجةً»[5].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٤١٤) كتاب الصلاة، والنسائى (١٧٩٤) كتاب قيام الليل، وابن ماجه (١١٤٠) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٨٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٤١٥) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٦٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٢٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) حسن: الطبرانى فى «الأوسط» (٥٩ / ١ من ترتيبه)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٤٠).

(٥) أخرجه المحاملى فى «الأمالى» (ق ٣٦ / ٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٨٩٢).

منزل فى الجنة... لمن عاد مريضًا

قال ﷺ : «من عاد مريضًا أو زار أخًا له فى الله ناداه منادٍ أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً»[1].

وقال ﷺ : «إن المسلم إذا عاد أخاه لم يزل فى خُرفة الجنة حتى يرجع»[2].

بيت فى الجنة بدعاء السوق

قال ﷺ : «من دخل السُوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يُحيى ويميت، وهو حىٌ لا يموت بيده الخيرُ، وهو على كل شىء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيتًا فى الجنة»[3].

وذلك لأن الغالب على أهل الأسواق أنهم فى غفلة شديدة عن ذكر الله.. بل ومنهم من يحلف بالله كاذبًا من أجل أن يبيع سلعته. فإذا جاء المسلم ودخل السوق وذكر الله (جل وعلا) بين أهل الغفلة فإن الله يُجزل له الأجر والمثوبة.

وهذا كله كشأن المؤمن فى أيام الفتن والهرج عندما يتمسك بدينه فإن الله يعطيه أجر خمسين شهيدًا - كما جاء فى الحديث الصحيح -.

* * *

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٠٠٨) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (١٤٤٣) كتاب ما جاء فى الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٨٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٨) كتاب البر والصلة.

(٣) حسن: رواه الترمذى (٣٤٢٨) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٢٢٣٥) كتاب التجارات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٣١).

بيت الحمد فى جنة الرحمن (جل وعلا)

عن أبى موسى رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ماتَ ولدُ العبد قال اللهُ تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدى؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقولُ: ماذا قال عبدى؟ فيقولون: حَمدك واسترجع، فيقولُ اللهُ تعالى: ابنُوا لعبدى بيتًا فى الجنة، وسمُّوه بيتَ الحمد»[1].

حَمدك واسترجع: أى قال: الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد قال تعالى عن هذا الصنف الكريم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[2].

وهذه والله ثمرة من ثمرات الرضا بقضاء الله (جل وعلا).

ألا تريد نخلاً حول بيتك فى الجنة؟!

أخى الحبيب: ألا تريد أن تزين بيتك فى الجنة بالنخيل من حوله؟!...

وإن كان بيتك (والله) ليس فى حاجة إلى تزيين؛ لأن الذى أنشأ الجنة وغرس كرامتها هو الله (جل وعلا).

ولكن إن أردت المزيد فعليك بغراس الجنة.

قال ﷺ: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غُرست له بها نخلةٌ فى الجنة»[3].

---

(١) حسن: رواه الترمذى (١٠٢١) كتاب الجنائز، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥).

(٢) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٤٦٤) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٢٩).

وقال ﷺ : «لقيتُ إبراهيم ﷺ ليلة أُسرى بى، فقال: يا محمدُ أقرئْ أُمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبةُ التربة، عذبةُ الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سُبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبرُ»(١).

وقال ﷺ : «أكثروا من غرس الجنة؛ فإنه عذبٌ ماؤها، طيبٌ تُرابها، فأكثروا من غراسها، لا حول ولا قوة إلا بالله»(٢).

رضوان لا سخط بعده أبدًا

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ : «إن الله يقولُ لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخيرُ فى يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأىُّ شىء أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أُحلُّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»(٣).

وتلك والله أعظم نعمة يُكرم الله بها عباده فى الجنة، وذلك بأن يرضى عنهم ويرزقهم نعمة النظر إلى وجهه الكريم.

فاللهم ارضَ عنا وارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم فى غير ضراَّء مُضرة ولا فتنة مُضلة(٤).

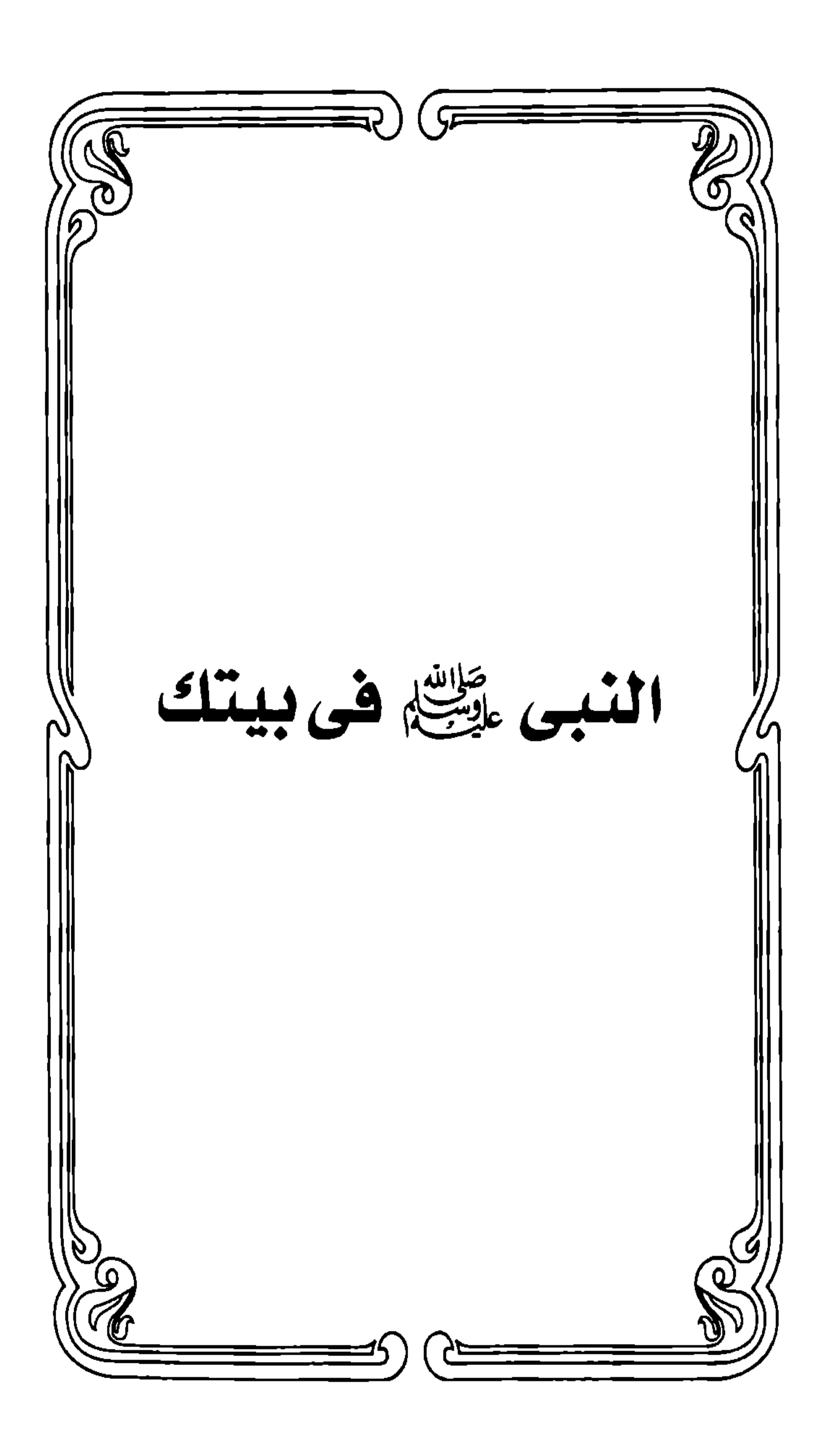
* * *

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٤٦٢) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٥٢).

(٢) حسن: أخرجه الطبرانى (١٢/ ٣٦٤) . قال الهيثمى (١٠/ ٩٨) : فيه عقبة بن على، وهو ضعيف. وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢١٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان.

(٤) بتصرف من كتاب السلسلة الذهبية (الجزء الثانى) / للمصنف.



النبى ﷺ فى بيتك

النبى ﷺ فى بيتك

لقد تخيلنا فى كل الليالى الماضية أننا نسير فى شوارع المدينة المنورة حتى وصلنا إلى بيت النبى ﷺ وطرقنا الباب وفتح لنا النبى ﷺ ودخلنا وجلسنا معه وتعلمنا منه الكثير والكثير.

* لكن الأمر يختلف تمامًا فى هذه الليلة.. فلن تذهب إلى بيت النبى ﷺ ولكن النبى ﷺ هو الذى سيأتى إليك ويطرق عليك بابك ليرى حالك مع الله ومع كتاب الله ومع سُنة رسول الله ﷺ ومع تلك الرعية التى استرعاك الله إياها فقد قال ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته»[1].

* فهيا لنرى هذا اللقاء التاريخى فى حياة كل مسلمٍ.. ولنرى ماذا سيصنع كل مسلمٍ مع الحبيب ﷺ وكيف سيستقبله فى بيته. وماذا سيقول له النبى ﷺ فى نهاية هذا اللقاء.

حال الناس عند استقبال النبى ﷺ

من المعلوم أن أحوال الناس تختلف باختلاف درجات إيمانهم وتبايُن أخلاقهم وسلوكياتهم... فمن المحال أن يتشابه سلوك إنسان مع الآخر إلا إذا كان مشابهًا له فى إيمانه وأخلاقه.

* وأنا أريدك الليلة أن تتخيل معى أن النبى ﷺ سيأتى إليك وسيطرق بابك... وليس ذلك فحسب بل إنه سيمكث عندك شهرًا كاملاً فماذا ستصنع؟!!!... بل وماذا سيصنع غيرك.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٨٩٣) كتاب الجمعة، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة.

* **سيقول أحدهم:** هذه أعظم مفاجأة بل وأعظم منحة فى هذه الدنيا. . . ولن يكون بيتى مناسبًا لاستقبال النبى ﷺ . . بل لابد من أن أحجز له جناحًا ملكيًا فى أعظم وأجمل فندق فى العالم.

* **وسيقول الآخر:** أنا لا أصدق نفسى. . وسأقوم حالاً بتغيير أثاث البيت ودهان المنزل كاملاً وإحضار كل ما لذَّ وطاب من أجل الحبيب ﷺ وسآخذ إجازة من العمل لمدة شهر لكى أسعد بصحبة النبى ﷺ .

* **وسيقول الثالث الذى يعرف قدر ومكانة النبى ﷺ:** أنا أعلم أن النبى ﷺ لا يهتم بهذه الأمور الدنيوية فقد عُرضت عليه جبال مكة أن تصير ذهبًا فقال: **«بل أجوع يومًا فأصبر وأشبع يومًا فأشكر..»** فأنا لن أستعد لاستقبال النبى ﷺ بهذه الأمور الدنيوية - وإن كان لابد منها أيضًا - وإنما سأستعد لاستقبال النبى ﷺ بتلك الأشياء التى يحبها النبى ﷺ .

فسوف أحافظ أنا وزوجتى وأولادى على الصلاة.

وسوف ألزم زوجتى وبناتى بالحجاب إن كان هناك تقصير منهن.

وسوف أحرص كل الحرص على الالتزام بالسمت الإسلامى الذى يحبه النبى ﷺ .

وسوف أتخلق بأخلاق النبى ﷺ حتى يسعد برؤيتى.

وسوف ألتزم بالسُّنة حتى أكون جديرًا باستقبال النبى ﷺ فى بيتى وسوف أُزيل كل المنكرات من بيتى. . فلن أدع صورًا على الحائط ولا تمثالاً وسأمسح أشرطة الأغانى وأُحضر أشرطة القرآن ودروس العلم ولن أترك شيئًا فى بيتى يُغضب رسول الله ﷺ .

* **والآن أريد أن أسألك سؤالاً واحدًا:** يا ترى إذا جاءك النبى ﷺ فأى واحدٍ من هؤلاء الثلاثة ستكون؟

- **من المؤكد أنك ستقول:** سأكون الثالث إن شاء الله.

- وأنا أقول لك: الدعاوى كثيرة.. فقد كان هناك أناس يعيشون فى زمن النبى ﷺ ومع ذلك كفروا برسالة النبى ﷺ وحاربوه ودبروا المؤامرات لقتله... وقد يكون فى زماننا هذا من يتمنى أن يرى النبى ﷺ وأن يعيش فى زمانه وهو لا يدرى هل كان سيؤمن مع النبى ﷺ أم أنه سيكون من الذين حاربوا النبى ﷺ .....

- ومن أجل ذلك أريد أن أسألك سؤالاً واحداً. هل أنت فعلاً على استعداد لأن تضحى بكل هذه المتع المحرمة وعلى استعداد لأن تلتزم سلوكيًّا وأخلاقيًّا وعبادة إذا جاءك النبى ﷺ ؟!

- فإذا كانت الأجابة: بلى.

أقول لك: فما الفرق بين أن يأتيك النبى ﷺ وبين أن تصلك سُنة النبى ﷺ .

- بل إن طاعة النبى ﷺ بعد موته أعظم من طاعته فى حياته لأن الرجل ربما يفعل الطاعة خجلاً من النبى ﷺ .. أما إن فعلها بعد موته فلن يفعلها إلا ابتغاء وجه الله وحبًّا وطاعة لرسول الله ﷺ .

* ومن أجل ذلك دعا النبى ﷺ لمن أطاعه فى زمنه مرة ودعا لمن أطاعه بعد موته سبع مرات فقال ﷺ : «طوبى لمن رآنى وآمن بى، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى»[1] .

وفى رواية قال ﷺ : «طوبى لمن رآنى وآمن بى مرة، وطوبى لمن لم يرنى وآمن بى سبع مرات»[2].

* وقال ﷺ : «إن من ورائكم زمان صبر، للمتمسك فيه أجر خمسين شهيداً منكم»[3] .

---

(١) (٢) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٧١) وابن حبان (١٦/ ٢١٣) وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٩٢٣) (٣٩٢٤).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (١٠/ ١٨٢) وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٣٤).

طريق الجنة واحد

اعلم أيها الأخ الحبيب واعلمى أيتها الأخت الفاضلة أن طريق الجنة واحد فلقد أبَى الله (جل وعلا) أن يجعل للجنة طريقًا إلا خلف النبى ﷺ .

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال **«هذا سبيل الله»** ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال: **«هذه السُّبُل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»** ثم قرأ: **« ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾»(٢).**

بل وضَّح النبى ﷺ للأمة أنه لن يدخل أحدٌ جنة الرحمن «جل وعلا» إلا إذا أطاع الحبيب ﷺ .

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا مَن أبَى» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: **«من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»(٣).**

بل تأملوا معى هذا الحديث الذى رواه البخارى والترمذى أن الحبيب ﷺ قال: **«إنى رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى، وميكائيل عند رجلى، يقول أحدهما لصاحبه: إضرب له مثلاً، فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً، ثم بنى فيها بيتًا، ثم جعل**

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٥٣).

(٢) حسن: رواه الدارمى (٢٠٢) فى مقدمة سننه، وأحمد (١/٤٣١) مسند المكثرين من الصحابة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٦٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم (١٨٣٥) كتاب الإمارة.

فيها مائدة، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله هو الملك والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول من أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها»[1].

إذن . . . فطريق الجنة واحد وهو الطريق الذى اختاره لنا الحق «جل وعلا» وذلك بأن نقتفى أثر النبى ﷺ وأن نتبع شرعه وسُنته لنسعد فى الدنيا والآخرة.

ماذا لو طرق النبى ﷺ بابك الليلة

أيها الأخ الحبيب .. أيتها الأخت الفاضلة:

بالله عليكم . . لو طرق النبى ﷺ باب أحدكم الليلة فماذا يصنع؟

تخيل معى .. كأن النبى ﷺ يطرق بابك الآن فقلت: من؟ فقال: رسول الله ﷺ فإن كنت عاصيًا لله غير متبع لهدى رسول الله ﷺ فدخل النبى ﷺ بيتك ووجد آلات اللهو والمنكرات فبأى وجهٍ ستلقى الحبيب ﷺ؟

أما إن كنت طائعًا وطرق النبى ﷺ بابك فقلت: من؟ فقال: رسول الله ﷺ فيا لها من لحظة يعجز القلم عن وصفها . . فإذا بك تُقبل رأس النبى ﷺ ويديه ورجليه . . فإذا دخل بيتك وجد فيه ما يسره ويسعده . . وجد فيه كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . . وجد بيتًا أُسس على التقوى فأهله يقومون الليل ويصومون النهار ويطلبون العلم ويدعون إلى الله . . لكأنى بالنبى ﷺ فى تلك اللحظة يقول لك: بارك الله فيك موعدى معك على الحوض.

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٢٨١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

فتلقى النبى ﷺ على الحوض لتشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا تظمأ بعدها أبدًا ثم يأخذ النبى ﷺ بيديك ليُدخلك الجنة .. فيا ليتنا نستعد من الآن للقاء الله «جل وعلا» وللقاء رسول الله ﷺ على الحوض.

ألا إن سلعة الله غالية

فإن كنت تريد الجنة فاعلم أن سلعة الله غالية وتحتاج منك إلى البذل والتضحية.. فما ظنك بمن يريد صُحبة النبى ﷺ فى الجنة.

- هل تستطيع أن تترك بلدك ودارك ومالك وتهاجر كما هاجر أصحاب الرسول ﷺ؟

- هل تستطيع أن تتصدق بمالك كله كما فعل أبو بكر رضي الله عنه.

- هل تستطيع أن تدافع عن النبى ﷺ كما فعل طلحة بن عُبيد الله يوم أُحد؟

- هل تستطيع أن تبذل نفسك فى سبيل الله؟

* إن لقاء النبى ﷺ على الحوض والشرب من يده الشريفة يحتاج إلى البذل والتضحية وإلى الاستقامة على شرع الله وهدى رسول الله ﷺ.

- وإن صحبة النبى ﷺ فى الجنة تحتاج منك إلى أن تعيش كل لحظة من عمرك فى طاعة الله وفى خدمة دين الله (جل وعلا).

* **ومن أجل ذلك قلت لك:** إن سلعة الله غالية.. فهل تريد أن تبذل وتضحى من أجل أن تفوز بصحبة النبى ﷺ فى الجنة أم لا؟

* * *

هؤلاء دخل النبى ﷺ بيوتهم

وها أنا أسوق لحضراتكم بعض النماذج لمن تشرفت وتباركت بيوتهم بدخول النبى ﷺ.

*** النبى ﷺ يذهب إلى بيت أبى بن كعب ويطرق بابه:**

.. ويا لها من منقبة يعجز اللسان عن وصفها ويعجز القلم عن التعليق عليها ولو بكلمة واحدة.

.. لك أن تتخيل معى أيها الأخ الحبيب أن الله قد ذكر اسمك من فوق سبع سماوات وليس ذلك فحسب، بل إن الله يأمر نبيه ﷺ أن يقرع عليك بابك ويقول لك: إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن!!!!.

تالله لو كنت مكان أُبى بن كعب رضي الله عنه لتمنيت أن ألقى الله فى تلك اللحظة لتكون تلك المنقبة هى خاتمة السعادة.

فهيا بنا لنعيش تلك اللحظات مع الفرحة الغامرة التى ملأت قلب (أُبى) سعادة وسرورًا.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ لأبى بن كعب: **«إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن»** وفى لفظ: **«أمرنى أن أُقرئك القرآن»**. قال أُبى: آلله سمَّانى لك؟ قال: **«نعم»** قال: وذُكرت عند رب العالمين؟ قال: **«نعم»**. فذرفت عيناه[1].

وفى رواية: عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه قال: قال أبى بن كعب: قال لى رسول الله ﷺ: **«أُمرتُ أن اقرأ عليك القرآن»** قلت: يا رسول الله! وسُمِّيت لك؟ قال: **«نعم»** قلت لأُبىٍّ: فرحت بذلك؟

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩٥٩) كتاب التفسير، رواه مسلم (٧٩٩) كتاب صلاة المسافرين - وأحمد (٣/ ١٣٠).

قال: وما يمنعنى وهو تعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[1] [2].

*** فى بيت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما**

وها هو ﷺ يدخل بيت جابر بن عبد الله رضي الله عنه ويأكل من طعامه. . .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «لما حُفر الخندقُ رأيت بالنبى ﷺ خُمصًا شديدًا - من أثر الجوع - فانكفيتُ إلى امرأتى فقلتُ: هل عندك شىء؟ فإنى رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا. فأخرجت إلىَّ جرابًا فيه صاعٌ من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغى، وقطعتها فى بُرمتها. ثم وليتُ إلى رسول الله ﷺ. فقالت: لا تفضحنى برسول الله ﷺ وبمن معه. فجئته فساررته - كلمته سرًا - فقلت: يا رسول الله ذبحنا بُهيمةً لنا وطحنًا صاعًا من شعير كان عندنا، فتعالَ أنت ونفرٌ معك، فصاح النبى ﷺ: **«يا أهل الخندق، إن جابرًا قد صنع سُورًا، (طعامًا) فحيَّ هلا بكم»** فقال رسول الله ﷺ: **«لا تُنزلن بُرمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى أجىء»**، فجئتُ وجاء رسول الله ﷺ يَقْدُم الناس، حتى جئت امرأتى فقالت: بك وبك - تعاتبه - فقلت: قد فعلتُ الذى قلت. . . فأخرجت له عجينًا فبصق فيه النبى ﷺ وبارك، ثم عمد إلى بُرمتنا فبصق وبارك ثم قال: **«ادعُ خابزةً فلتخبز معى. واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها»** (وهم ألف). . . قال جابر: فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن بُرمتنا لتغطُّ كما هى، وإن عجيننا ليخبز كما هو»[3].

* * *

(١) سورة يونس: الآية: (٥٨).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ١٢٢، ١٢٣) وأبو نعيم فى الحلية (١/ ٢٥١) وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٩٠٨).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٤١٠٢) كتاب المغازى.

النبى ﷺ فى ضيافة أبى أيوب الأنصارى

ولنترك المجال لأبى أيوب رضي الله عنه يحدثنا عن تلك الفرحة الشديدة التى ملأت عليه جوانحه وجوارحه لنزول النبى ﷺ عليه فى بيته.

عن أبى أيوب قال: لما نزل علىَّ رسول الله ﷺ فى بيتى نزل فى السُّفل، وأنا وأم أيوب فى العلو، فقلت له: يا نبى الله، بأبى أنت وأمى إنى لأكره وأُعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى، فاظهر أنت فكن فى العلو، وننزل نحن فنكون فى السُّفل، فقال: **«يا أبا أيوب، إنَّ أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون فى سُفل البيت»**(١).

وفى رواية أخرى: أن رسول الله ﷺ لما نزل المدينة نزل على أبى أيوب فنزل النبى ﷺ أسفل، وأبو أيوب فى العلو، فانتبه أبو أيوب ذات ليلة فقال: نمشى فوق رأس رسول الله ﷺ! فتحوَّل فباتوا فى جانب. فلما أصبح ذكر ذلك للنبى ﷺ فقال النبى ﷺ: **«أسفل أرفق بى»** فقال أبو أيوب: لا أعلو سقيفة أنت تحتها. فتحول أبو أيوب فى السفل، والنبى ﷺ فى العلو(٢).

وعن أبى رُهم: أن أبا أيوب حدَّثه: أن رسول الله ﷺ نزل فى بيتنا الأسفل، وكنت فى الغرفة، فأُهريق ماءٌ فى الغرفة، فقمتُ أنا وأم أيوب بقطيفة لنا نتتبع الماء، ونزلت فقلت: يا رسول الله، لا ينبغى أن نكون فوقك، انتقل إلى الغرفة، فأمر بمتاعه فنُقل - ومتاعه قليل - قلت: يا رسول الله، كنت ترسل بالطعام، فأنظر، فإذا رأيت أثر أصابعك، وضعت فيه يدى(٣) - يلتمس بركة الحبيب ﷺ -.

---

(١)، (٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠٥٣) كتاب الأشربة.

(٣) رواه أحمد فى مسنده (٥/ ٤٢٠) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

* وأقام رسول الله ﷺ فى دار [١] أبى أيوب قرابة سبعة أشهر، وهو يلقى الإكرام حتى تم بناء مسجده الشريف فى المكان الذى بركت فيه ناقته، فانتقل إلى الحجرات التى أقيمت حول المسجد لأزواجه، وغدا أبو أيوب رضي الله عنه أقرب الناس جواراً لرسول الله ﷺ، فغُبط مرة أخرى من الأنصار بهذه الخصوصية الكريمة.

* وظل أبو أيوب رضوان الله عليه من كرماء الأنصار، والمخلصين فى أعمالهم، والمتفانين فى محبته ﷺ، حيث كان يدَّخر لرسول الله ﷺ كل يوم طعامًا، فإذا أبطأ ولم يأتِ إليه فى حينه، أطعمه لأهله[٢].

إكرامه ومحبته للحبيب ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج أبو بكر رضي الله عنه بالهاجرة [٣] إلى المسجد فرآهُ عمر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة؟!

قال: ما أخرجنى إلا ما أجدُ من شدة الجوع.

فقال عمر: وأنا والله ما أخرجنى غير ذلك.

فبينما هما كذلك، إذ خرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: **«ما أخرجكما هذه الساعة؟!»**.

قالا: والله ما أخرجنا إلا ما نجده فى بطوننا من شدة الجوع.

قال عليه السلام: «وأنا - والذى نفسى بيده - ما أخرجنى غيرُ ذلك... قُوما معى».

---

(١) إن دار أبى أيوب - رضوان الله عليه - التى حظيت بهذا الشرف الرفيع، قد صارت فيما بعد إلى مولاه أفلح بعد وفاته، فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار، وأصلح ما وهن من بنيانها، ووهبها لأهل بيت فقراء من أهل المدينة المنورة (البداية والنهاية ٣/ ٢٠٣).

(٢) فرسان من عصر النبوة (ص: ٦٤٦-٦٤٧).

(٣) الهاجرة: نصف النهار فى شدة القيظ.

فانطلقوا فأتوا باب أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه وكان أبو أيوب يدخر لرسول الله ﷺ كل يوم طعامًا، فإذا أبطأ عنه ولم يأتِ إليه فى حينه أطعمه لأهله.

فلما بلغوا الباب خرجت إليهم أم أيوب، وقالت: مرحبًا بنبى الله وبمن معه.

فقال لها النبى عليه الصلاة والسلام: «أين أبو أيوب؟».

فسمع أبو أيوب صوت النبى ﷺ - وكان يعملُ فى نخلٍ قريبٍ له - فأقبل يُسرعُ وهو يقول: مرحبًا برسول الله وبمن معه، ثم أتبع قائلاً: يا نبى الله ليس هذا بالوقت الذى كنت تجىء فيه.

فقال عليه الصلاة والسلام: «صدقت»، ثم انطلق أبو أيوب إلى نخيله فقطع منه عِذقًا (١) فيه تمرٌ ورُطَبٌ وبُسَرٌ(٢).

فقال عليه الصلاة والسلام: «ما أردت أن تقطع هذا، ألا جنيت لنا من تمره؟».

قال: يا رسول الله أحببت أن تأكل من تمره ورُطبه وبُسره، ولأذبحن لك أيضًا.

قال: «إن ذبحت فلا تذبحن ذات لبن».

فأخذ أبو أيوب جَدْيًا فذبحه، ثمَّ قال لامرأته: اعجنى واخبزى لنا، وأنتِ أعلم بالخبز، ثم أخذ نصف الجدى فطبخه، وعمد إلى نصفه الثانى فشواه، فلما نضج الطعام ووُضع بين يدى النبى ﷺ وصاحبيه، أخذ الرسول قطعة من الجدى ووضعها فى رغيف، وقال: **«يا أبا أيوب، بادر بهذه القطعة إلى فاطمة، فإنها لم تُصب مثل هذا منذ أيام».**

---

(١) العذق: غصن له شعب.

(٢) الرطب: ما نضج من تمر النخل، والبسر: ما لم يكتمل نضجه.

فلما أكلوا وشبعوا قال النبى ﷺ: «خُبزٌ، ولحمٌ، وتمر، وبُسر، ورطب!!!».

ودمعت عيناه ثم قال: «والذى نفسى بيده إن هذا هو النعيم الذى تُسألون عنه يوم القيامة».

ثم نهض الرسول صلوات الله عليه، وقال لأبى أيوب: «ائتنا غدًا».

وكان عليه الصلاة والسلام لا يصنع له أحدٌ معروفًا إلا أحب أن يُجازيه عليه، لكن أبا أيوب لم يسمع ذلك.

فقال له عمر - رضوان الله عليه - : إن النبى ﷺ يأمرك أن تأتيه غدًا يا أبا أيوب.

فقال أبو أيوب: سمعًا وطاعة لرسول الله.

فلما كان الغدُ ذهب أبو أيوب إلى النبى عليه الصلاة والسلام فأعطاه وليدةً [1] كانت تخدمه، وقال له: «استوصِ بها خيرًا - يا أبا أيوب - فإنا لم نرَ منها إلا خيرًا ما دامت عندنا».

عاد أبو أيوب إلى بيته ومعه الوليدة، فلما رأتها أم أيوب: قالت: لمن هذه يا أبا أيوب؟!

قال: لنا... منحنا إياها رسول الله ﷺ.

فقالت: أعظِم بها من مانح؛ وأكرِم بها من منحةٍ.

فقال: وقد أوصانا بها خيرًا.

فقالت: وكيف نصنع بها حتى نُنفذ وصية رسول الله ﷺ؟

فقال: والله لا أجد لوصية رسول الله بها خيرًا من أن أعتقها.

فقال: هُديت إلى الصواب، فأنت مُوفق... ثم أعتقها [2].

---

(١) وليدة: جارية صغيرة.

(٢) صور من حياة الصحابة (٧٠: ٧٣) بتصرف.

فى بيت أم سُليم رضي الله عنها

* عن أنس رضي الله عنه قال: دخل علينا النبى ﷺ فقال[١] عندنا فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تَسلُتُ العرق فيها، فاستيقظ النبى ﷺ فقال: «يا أم سُليم ما هذا تصنعين»؟ قالت: هذا عرقُكَ، نجعله فى طِيبنا وهو من أطيب الطيب[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبى ﷺ يدخل بيت أم سُليم فينام على فراشها، وليست فيه. قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأُتيت، فقيل لها: هذا النبى ﷺ نائم فى بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه علي قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها [٣] فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره فى قواريرها، ففزع النبى ﷺ [٤]، فقال: «ما تصنعين يا أم سُليم»؟ فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا. قال: «أصبت»[٥].

* وأنا لا أقصد بذكر تلك البيوت أن النبى ﷺ لم يدخل غيرها بل دخل النبى ﷺ بيوتًا كثيرة من بيوت الصحابة... فمن المؤكد أنه ﷺ دخل بيت أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرها من البيوت المباركة والتى ازدادت بركة بدخول النبى ﷺ.

* * *

(١) قال: أى نام القيلولة بعد الظهر.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣١) كتاب الفضائل - باب: طيب عرق النبى ﷺ.

(٣) عتيدتها: هى كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها.

(٤) أى استيقظ من نومه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٣٣١) كتاب الفضائل - باب: التبرك من عرق النبى ﷺ.

هل تستطيع أن تحب النبى ﷺ مثل هذا الحب؟

والسؤال الذى يخطر على بالى الآن: هل تستطيع أن تحب النبى ﷺ مثل هذا الحب؟

أما سمعت قول النبى ﷺ : «إن أناسًا من أمتى يأتون بعدى يودُّ أحدهم لو اشترى رؤيتى بأهله وماله»[1].

وقول النبى ﷺ : «أشد أمتى لى حبًا قومٌ يكونون بعدى يودُّ أحدهم أنه فَقَدَ أهله وماله وأنه رآنى»[2].

هجرة إلى الله وهجرة إلى رسول الله ﷺ

فيا من تشتهى أن ترى النبى ﷺ فى الدنيا ولم تستطع فازداد شوقك للقاء النبى ﷺ يوم القيامة ولصحبته فى الجنة لابد أن تحقق الهجرة إلى الله (جل وعلا) وذلك بأن تمتثل لأمره وأن تنتهى عما نهى الله عنه.. ولابد أن تهاجر إلى رسول الله ﷺ وذلك بأن تحبه وتتبع سُنته وتعيش على هديه ﷺ .

* قال ﷺ : «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً»[3].

- قال الإمام ابن القيم (رحمه الله): وهذه سهلة بالدعوى واللسان وهى من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان.. والرضا بنبيه رسولاً يتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه بحيث يكون أولى به من نفسه.

(١) حسن: رواه الحاكم (٤/ ٩٥) وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠٠٨).
(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٥٦) وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٠٣).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٤) كتاب الإيمان.

قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾(١) .

فكيف بلقاء الله (جل وعلا)

فإن كنت على استعداد لأن تبذل وتضحى وتقف على بساط الطاعة والاتباع من أجل لقاء النبى ﷺ على الحوض.. فكيف تصنع إذا كنت تعلم أنك ستلقى الله وستقف بين يديه فى يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

وأخيرًا

* **أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:**

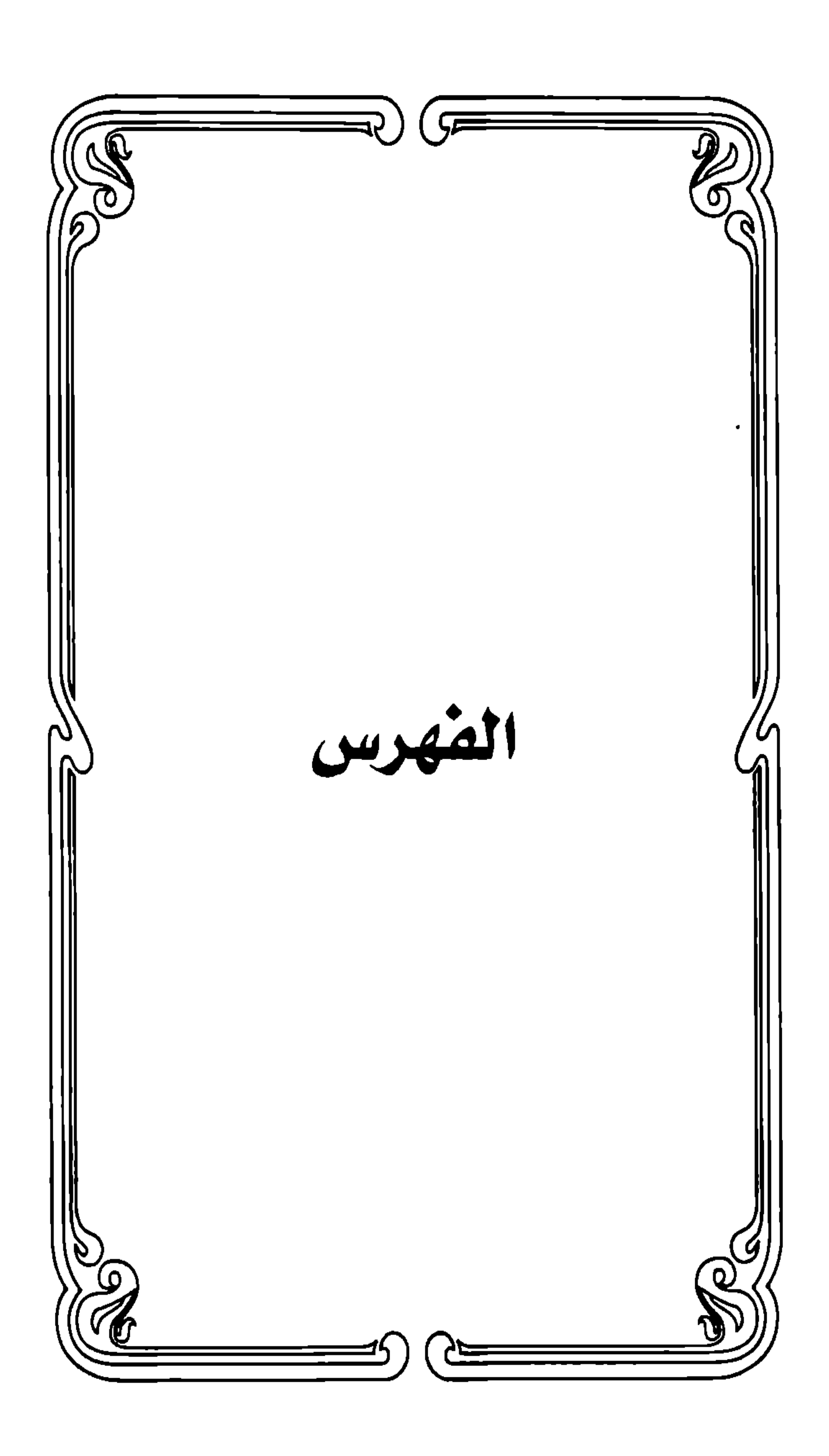
هل يستطيع أحدنا أن يعصى الله إذا كان النبى ﷺ واقفًا بجواره.. هل تستطيع أن تنظر نظرة محرمة والنبى ﷺ بجوارك.. هل تستطيع أن تأكل حرامًا والنبى ﷺ يراك.. هل تستطيع أن تشهد شهادة زورٍ والنبى ﷺ معك؟

فمن باب أولى أن تستحضر رقابة الله (جل وعلا) وأن تخشى الله فى السر والعلن لتفوز برضوانه وجنته وبصحبة الحبيب ﷺ فى الجنة.

- فاللهم ارزقنا صحبة النبىِ ﷺ فى الفردوس الأعلى.

* * *

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٦).



الفهرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة

رفق النبى ﷺ بالمذنبين

النبى ﷺ وصلاة الفجر

النبى ﷺ .. والخشوع فى الصلاة

النبى ﷺ .. ونعمة الصبر على المرض

مواقف عفا فيها النبى ﷺ

النبى ﷺ والخوف من المظالم

النبى ﷺ .. والإحسان إلى اليتامى

النبى ﷺ ...وصحبة الصالحين

النبى ﷺ ... والإحسان إلى الجار

النبى ﷺ وإكرام الضيف

النبى ﷺ وإخلاص النصيحة

النبى ﷺ ولذة الذكر

بسمة فى بيت النبى ﷺ

النبى ﷺ وفضل الصلاة على النبى

النبى ﷺ ونعمة الأمل

النبى ﷺ وإفشاء السلام

النبى ﷺ وتعدد الزوجات

النبى ﷺ وغيرة النساء

النبى ﷺ والضرابون للنساء

مشكلات فى بيت النبوة

كيف نفوز بشفاعة النبى ﷺ

كيف نشرب من حوض النبى ﷺ

النبى ﷺ يضمن لك بيتًا فى الجنة

النبى ﷺ فى بيتك

* * *


من
إصداراتنا
الشيخ محمود المصري أبو عمار
سؤال وجواب
فقه المسلم
كتاب الطهارة
كتاب الصلاة
فقه المسلم
أحكام الصلاة. كتاب الجنائز
فقه المسلم
فتاوى الصيام
وفتاوى معاصرة
لا تحزن وابتسم للحياة
ساعة و ساعة
نوادر وعجائب
رفقاً بالمخطئين
كيف نتعامل مع أخطاء الناس
السحر الحلال
كيف تكسب قلوب الناس
الصارع
موسوعة كاملة
يوسف الأحلام
قصة يوسف
مسك الختام
موسوعة الحقوق الإسلامية
موسوعة الزواج الإسلامي السعيد
تحذير الساجد من أخطاء العبادات والعقائد
سيرة الرسول
رحلة إلى الدار الآخرة
أصحاب الرسول
محمود المصري
صحابيات حول الرسول
فتاوى الحج والعمرة
أصحاب الرسول
أمهات المؤمنين
زوجات الرسول
تفسير جزء عم
للأطفال
سيرة الرسول
للأطفال
أخلاق الرسول
للأطفال
قصص الرسول
قصص الأنبياء
قصص القرآن
حكايات عمو محمود
حكايات عمو محمود
للأطفال


حصريات


مجلة
الابتسامة